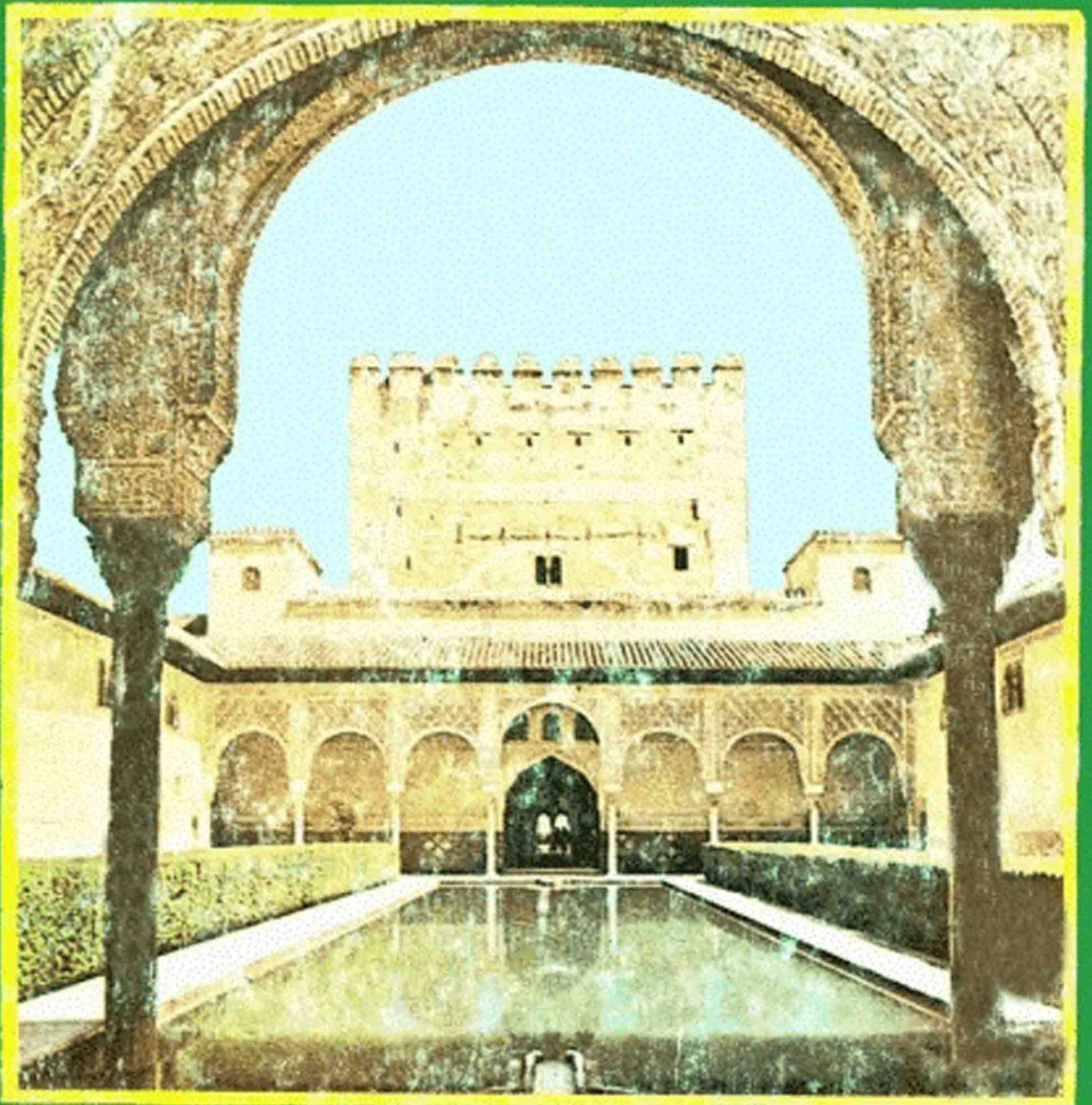


أعلام المغرب والأندلس

في القرن الثامن

وهو كتاب شير الجمل في شعر من يهمني ورثاه الزعاج
للأثير في الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأثير الغزنائي الأندلسي



مؤسسة الرسالة

محققه د. محمد
الدكتور محمد رضوان الداية

أعلام المغرب والأندلس

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً بيوشران



أعلام المغرب والأندلس

وهو كتاب: نشر الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان
تأليف الأمير الأندلسي الفزناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (٥٨٧هـ)

حققه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الداية

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد بجامعة دمشق

مؤسسة الرسالة



مَقْدَمَةُ الْحَقِّقِ

١ (يُعَدُّ القرن الثامن - المجري - أكثر عهود دولة بني الأحمر (من بني نصر) زهاء وقوة وتمكناً ؛ فقد كانت أيامهم في القرن السابع (منذ سنة ٦٣٥) تثبيتاً لحدود الدولة وإرساء لدعائها ، ورسمياً لسياستها ، وتهيئة للأمرة الحاكمة وأصحابها ومن يلوذ بها في أنحاء المملكة الفتيّة . وكان استقرار الأمور وهدوؤها - في القرن الثامن - نسبياً ، فقد شهد النصف الأول منه حروباً سجّالاً مع قشتالة وغيرها من دول إسبانيا المجاورة ، بينما اتسم نصفه الآخر بالحفاظ على معاهدات السلم والهدنة التي عقدتها دولة غرناطة مع جيرانها . وكان هذا القرن حافلاً بالأعلام في الآداب والفنون والعلوم وشؤون الهندسة وال عمران ، وحافظ الأندلسيون على خبراتهم الموروثة ، كما ظلت الأندلس الباقية منار إشعاع فكري وحضاري على الرغم من ظروفها السياسية والعسكرية القاسية .

ويكفي أن نذكر من أعلامه لسان الدين بن الخطيب^(١) ، وأستاذه أبا الحسن بن الجياب^(٢) ، وابن خاتمة الأنصاري^(٣) ، وابن زمرك^(٤) ، والشريف

-
- (١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب (٧١٣-٧٦٦) الوزير الكاتب الشاعر صاحب المصنفات الشهيرة . (انظر دراسة عنه خاصة للأستاذ هنان)
- (٢) أبو الحسن علي بن محمد بن الجياب (٦٧٣-٧٤٩) الوزير الكاتب الشاعر له ديوان شعر ، ورسائل . (وديوانه في سلسلة دراسات أندلسية)
- (٣) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة (٧٧٠-٧٧٠) منصرف ، شاعر ، أديب له ديوان مطبوع (وزارة الثقافة بدمشق)
- (٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي (٧٣٣-٧٩٣) شاعر من مشهوري كتاب الدولة النصرية . (انظر دراسة عنه في سلسلة الذخائر)

(السبق) (١)، وأبا القاسم بن جُزَيّ الكلي المفسر المشهور (٢)، وأبا البقاء خالده البلوي صاحب رحلة «تاج المفرق» (٣)، وأبا الحسن النباهي القاضي المشهور (٤).
 ٢ (ومن رجال القرن الثامن الأديب المؤرخ المشارك في فنون من الثقافة العربية والإسلامية أحد أمراء البيت النصري: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وبنو نصر هم حكام دولة غرناطة منذ نشوئها - بعد انتهاء الموحدين وانقراض الثائرين على دولتهم - إلى نهاية الإسلام في الأندلس، وينتمون في نسبهم إلى الصحابي الجليل سعد ابن عبادة الأنصاري. ومحمد بن الأحمر (شقيق جد صاحب الترجمة) هو مؤسس الدولة الذي استدعاه أهل غرناطة فملكها سنة ٦٣٥. أما أبو سعيد فرج فقد كان والياً على « مالقة ». وكانت لمحمد بن فرج ثورة في مدينة أندرش سنة ٧٢٧؛ ذلك أنه قدم من تلمسان - حيث يقيم - إلى أندرش باستدعاء عثمان بن أبي العلاء القائد المغربي المريني صاحب (الجند المغربي) (٥) بعد أن جافى الأمير محمد النصري (٨٢٥ - ٧٢٣) واصطدم بالوزير محمد بن أحمد بن المحروق ولكن الخلاف بين ابن أبي العلاء والأمير النصري انتهى بوفاة الوزير، فصرف القائد المريني الأمير محمد بن أبي سعيد فرج ثانية إلى تلمسان .

-
- (١) أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني الغرناطي (٦٩٧-٧٦٠) القاضي الأديب صاحب شرح مقصورة حازم (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة) .
 (٢) (٦٩٣-٧٤١) الشهيد في وقعة طريف، صاحب تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل) .
 (٣) أبو البقاء خالده بن عيسى البلوي القنوري صاحب الرحلة المشهورة «تاج المفرق» بتعليق علماء المشرق .
 (٤) علي بن عبد الله بن الحسن النباهي (٧١٣-٧٩٢) صاحب كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المطبوع بعنوان: تاريخ قضاة الأندلس .
 (٥) كان المرينيون والنصريون قد اتفقوا على إبقاء حامية من الجند المغاربة برسم الجهاد في أرض العدر ومساعدة الأندلسيين في دفاع أو هجوم . وأول من رأس الجند المغربي عثمان بن أبي العلاء . (انظر اللوحة البدرية لابن الخطيب، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان) .

وكان الفرع الذي ينتمي إليه صاحب الترجمة قد اضطرب أمره بخلافات حول الملك ، واصطدم إسماعيل بن فرج (خامس الملوك النصريين) بوالده ، وبأخيه محمد ، مما أدى إلى انتقال محمد إلى بلاد المغرب مع نفر من آله .

ومع هذا فإن صاحب الترجمة يقول إن والده يوسف خرج من الأندلس إلى بلاد المغرب ، فوفد على يحيى أولاً ثم استقر مع أولاده ، وفيهم إسماعيل - بفاس . ويظهر لنا من ترجمته أنه ولد بالأندلس ، وعاش فيها صديقاً من صباه ، ثم استقر بالمغرب يتذكر أيامه بغرناطة ويحس إليها ، ويتعشش من أعمال في دولة بني مرين ، وجراية كانوا يحرونها على (الوافدين) من الأسرة النصرانية^(١) .

(٣) ولد إسماعيل بن يوسف بن محمد نحو سنة ٧٢٥ بغرناطة^(٢) ، وغادرها مع أبيه - على الأكثر - إلى يحيى ، ثم استقر بفاس . وكانت مغادرته في عهد الأمير يوسف (الأول) (٧٢٥ - ٧٣٣) ، ويروي لنا أنه غادرها مرغماً مُغْرَباً ، فلو لا أن هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي لسرت إليه على رأسي لا على قدمي ...^(٣) ، ويوافق هذا عهد أبي الحسن علي المريني .

وقد نبغ صاحب الترجمة في عهد أبي عنان المريني الذي قربه في جملة العلماء والأدباء

(١) راجع تفاصيل ذلك في الدراسة في الموسوعة عن إسماعيل بن الأحمر في (نشر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان دراسة وتحقيق - المكتبة الأندلسية العدد ١٨٥) تأليف د . محمد رضوان الداية .

(٢) انظر في ترجمته : درة الحجال لابن القاضي ١ : ١١٦ ، وجذوة الاقتباس ، له : ٦٩ ولبيل الابتهاج لأحمد بابا : ٩٩ ، واللمحة البدرية للسان الدين بن الخطيب ٢٤ ، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف : ٢٣٨ . وسلوة الأنفاس للكتاني ٣ : ٢٥٦ وفهرس الفهارس والأبواب لعبد الحي الكتاني ١ : ١٠٠ ، وإيضاح المكنون ١ : ١٧٢ ، وهدية العارفين ١ : ٢١٥ .

وله تراجم في كتب المعاصرين مثل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، والأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحالة ، وغيرها .

(٣) نشر الجمان (نسخة دار الكتب) ٢ / ب .

والشعراء ، وكان مشهوراً يحب العلم وأهله ، جماعاً للكتب ، منيباً للشعراء . واستمرت صلته بالدولة المرينية طوال حياته ، سواء كانت علاقة بالسلطين أنفسهم أم بالكتاب والوزراء والحجباب وطبقتهم .^(١)

وقد تلقى علومه الأولى في غرناطة ، ولكن شيوخه الذين ذكرهم في فهرسته كانوا من المغرب ، أو من الأندلسيين المقيمين فيه ، أو الأندلسيين في أثناء ترددهم عليه أو في أثناء رحلاتهم إلى الشرق وعودتهم منه فمن شيوخه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجروم) ، والقاضي الفقيه الحسن بن هيثم الوائشري ، والقاضي محمد بن أحمد الفشتالي ، والفقيه سعيد بن أبي العافية المكناسي . ومن أجازته من الأندلسيين أبو سعيد فرج بن لب التغلي الفرناطي وأبو القاسم عبد الرحمن الأموي ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني . السراج ، وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري وغيرهم . وكان يتصل بالوفود الفرناطية الأندلسية الزائرة ، ويلتقي بالعلماء والأدباء يستجيزهم علومهم ، ويستنشدهم أشعارهم ، ويستكتبهم رسائلهم ويدون ذلك ويجمعه ويحرص عليه . كما كان يطلب إليهم موافاته ببعض إنتاجهم ليرسمه في بعض مؤلفاته ، كما يظهر بجلاء في ثنايا كتابه هذا الذي نقدم له . وكانت وفاته عن سن متقدمة بفاس سنة ٨٠٧ ، وقيل سنة ٨١٠ .

(٤) وقد حفظت لنا عدة أسماء ممن تتلمذ على ابن الأحمر أو روى عنه أو أخذ عنه الإجازة مثل سعيد بن إبراهيم السُّدْرَاتي الشهير بشهبون ، وعبد الرحمن الجادري^(٢) .

وله عدد من المؤلفات ، بعضها مفقود ، والذي نعرفه منها

(١) راجع تفاصيل صلته ببني مرين في دراسة المحقق عن حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٥-٨٧ .

(٢) انظر : دراسة في حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٧ .

- ١ - شرح البردة ذكره في نثر الجمان ونقل منه نصاً في الورقات ٥٣ - ٥٦ (مخطوطة دار الكتب المصرية)
- ٢ - عرائس الأمراء ونفائس الوزراء : ذكره في نثر فرائد الجمان ، وذكره ابن القاضي أيضاً .
- ٣ - تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وصاحب سلوة الأنفاس ، وصاحب فهرس الفهارس .
- ٤ - برنامج أو مشيخة ونقل أحمد بابا منه نقولاً كثيرة في (نيل الابتهاج) .
- ٥ - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك : ذكره في نثر الجمان (الورقة ٣٢) .
- ٦ - نظم وشرح : على غرار كتاب لسان الدين رقم الحلل (في التاريخ) ذكره في سلوة الأنفاس ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج .
- ٧ - فريد العصر في شعر بني نصر : ذكره في نثر الجمان .
- ٨ - مشاهير بيوتات فاس : قال في فهرس الفهارس : وهو الذي اختصره أبو زيد الفاسي في كتابه المطبوع .
- ٩ - حديقة النسرين في أخبار بني مرين : ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وفي فهرس الفهارس .
- ١٠ - روضة النسرين في أخبار بني عبد الوادي وبني مرين : ذكره غير واحد وهو مطبوع نشره ل . بروفنسال في المجلة الآسيوية (أكتوبر ديسمبر - ١٩٢٣) ، ثم أعاد نشره الأستاذ المؤرخ عبد الوهاب بن منصور (١٣٨٢ - ١٩٦٢)^(١) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٩ .

١١ - مستودع العلامة ومستبدع العلامة : ذكر فيه من تولى «العلامة» من الكتاب عن الملوك وطبع الكتاب في تطوان عن كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بتحقيق الأستاذ محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني

١٢ - نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان : ألفه سنة ٧٩٩ وجعله في فصلين الأول لعدد من شعراء المشرق والثاني لعدد من شعراء المغرب وجعل الفصل الثاني في قسمين : أحدهما لشعراء الأندلس والثاني لشعراء المغرب (برء الصدوة) . وتراجم الكتاب كله ثلاثون عدا ترجمة المؤلف الذاتية وقد حققت الكتاب ونشرته في المكتبة الأندلسية (العدد ١٨)^(١)

١٣ - نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان : وهو هذا الكتاب الذي نقدم له ألفه ابن الأحمر سنة ٧٧٦ وقصره على شعراء الأندلس والمغرب (بمعناه العام) ولم يذكر فيه أحداً من المشاركة على سبيل الترجمة وهو كتاب تراجم يمتني بالنصوص الأدبية ، وبخاصة منها النصوص الشعرية . وفيه نيف وسبعون ترجمة لأدباء ومتأدبين من الأندلس ، والمغرب (الأقصى) من رجال الدولة المرينية ، والمغرب (الأوسط) من رجال الدولة الزيانية العبد الوادية ، والمغرب (الأدنى) من رجال الدولة الحفصية . وقد انتظمت هذه التراجم معظم المشهورين من أعلام هذه الدول ورجالها

وجعل كتابه في اثني عشر بابا ، عشرة أبواب في التراجم ، واثنان مكملان لمقاصد المؤلف ، فالأول في فضل الشعر وإباحة انشاده بالمساجد ، والثاني عشر في الشعر الذي قيل في السيف الذي [كان] بصومعة جامع القرويين من فاس ، مع مقدمة وخاتمة

والكتاب واحد من كتب التراجم القليلة التي بقيت من هذا العصر ، وأشهرها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، وكتاب الكتيبة الكامنة فيمن

(١) طبع في دار الثقافة ببيروت .

لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، وكتابا ابن الأحمر المشار إليها . وقد ألفت كتب أخرى في التراجم ، والتعريف بالمدن ورجالها ولكنها في حكم المفقودة مثل كتاب ابن خاتمة المسمى مزينة المربة .

(٥) والكتاب ، على كل حال ، من الآثار الأدبية الباقية من القرن الثامن وهو ذو أهمية متنوعة الجوانب ، فإن فيه نماذج هامة من شعر رجال العصر ونثرهم وفيه تراجم عدد كبير منهم ، مما يستقل المؤلف بذكره ، أو يعضد تراجم أخرى لهم في كتب سابقة أو لاحقة ، وفيه ملاحظات تاريخية واجتماعية وثقافية تلقي أضواء على العصر وأحواله وتقلباته . والكتاب - بعد - معرض لحياة المؤلف ، وعلاقاته ، وتجاربه ، وصلاته بالدول والأمراء لزمانه ، وبجال عرفنا فيه شخصيته التاريخية والأدبية ، ومشاركته في عدد من الفنون والأغراض . وعلى الرغم من لغة المؤلف التي أكثر فيها من السجع ومن الأسلوب المرصع فإن القارئ يستشف آراءه وتقريراته وأحكامه بوضوح . وكان ربما خرج إلى الأسلوب المرسل وتحرر من القيود .

(٦) اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخته المعروفتين لنا ، وهما مخطوطة دار الكتب المصرية (المحفوظة تحت رقم: أدب ١٨٦٣) ومخطوطة الخزانة الملكية بالرباط

ومخطوطة دار الكتب المصرية تقع في ١٢٩ ورقة ، وسقطت منها ورقتان من البداية وورقة واحدة من الخاتمة ، ولا نجد تأريخاً للنسخة لفقدان أولها وآخرها . وطمس أسفل بضع صفحات من أول النسخة (في حدود سطرين إلى ثلاثة أسطر) بفعل ترميم جرى عليها ، وهي بخط مغربي جميل .

أما مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط فتقع في ١٣٦ ورقة ، منها أربع

ورقات من الحوامي وليست من أصل الكتاب . وهي بخط مغربي دقيق ، وكتبت بأكثر من قلم واحد . وهي إلى ذلك متداخلة الصفحات مضطربة الترتيب . ولم يكن ناسخها - أو ناسخوها - على نصيب من العلم فتداخل الشعر بالنثر في بعض التراجم . والنسخة المغربية بمسند متأكدة في مواطن متعددة بفعل الأرضة . وقد عاينت النسخة الأصلية واستدركت مواضع كثيرة غمضت في النسخة المصورة منها^(١) .

وقد تداركت من النسخة المغربية ما سقط من نسخة دار الكتب المصرية وقابلت النصين ، وإن كانت الفروق بينها قليلة . ولكن الفائدة الحقيقية كانت في توثيق الكتاب وعرضه وضبطه ، واستدراك أوله وآخره . واعتمدت نسخة دار الكتب أساساً ؛ لوضوحها ، وضبطها ، وحسن خط كاتبها ، ووضوح قاعدة رسمه ، وانسجام النسخة من أولها إلى آخرها . وجعلت النسخة المغربية أصلاً ثانياً أتدارك منه النقص ، وأقابل عليه وقد اجتهدت في العناية بالنص ، وضبطه ، ومقابلته ، وأحلت في التراجم على مظهران ذكرهم وأخبارهم ، وقابلت النصوص على أصولها في الدواوين والمختارات في الكتب الأصلية^(٢) - إن وجدت - وأضفت حواشي وتعليقات

(١) كان ذلك في شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧٥ ، في أثناء مهرجان ابن زيدون ، وكانت زيارتي للرباط قلبية لدعوة كريمة من وزارة الثقافة ، وقد اطلعت على المكتبة العامة بالرباط والمحزنة الملكية بها ، وسهل لنا المسؤولون جميعاً سبيل القراءة والمراجعة والتصوير ، فإليهم أقدم آيات الشكر ، والثناء .

(٢) من أم مارجعت إليه كتب لسان الدين بن الخطيب في التاريخ والأدب مثل الإحاطة والكتيبة السكمنة ، واللمحة البدرية ، ورقم الحلل ، ومعيار الاختبار ، ومشاهدات لسان الدين ، وريحانة الكتاب ، ودواوين بعض المعاصرين كديوان لسان الدين بن الخطيب وديوان ابن خاتمة الأنصاري ، وديوان أبي الحسن بن الجيساب . ومن ذلك رحلة أبي البقاء البلوي والمروقة الملي للنباهي . ومن ذلك كتابا المقرئ تفتح الطبيب وأزهار الرياض ، بالإضافة إلى كتب التراجم ، وكتب التاريخ كتاريخ ابن خلدون وترجمته الذاتية... ومن هذه الكتب ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ، كما هو مبين في ثبت المصادر والمراجع .

بما يفيد الكتاب ولا يثقل بهوامش يمكن الاستغناء عنها ، على قدر الطاقة ،
والنظر ، والاجتهاد .

وبعد :

فإني أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع خطوة أخرى في طريق
إحياء التراث الأندلسي وأن يساهم في جلاء جوانب جديدة من حياة الأدب
الأندلسي وتاريخه وآمل أن يتلقاه المهتمون بالأندلسيات بعين الرضا وأن
يلتمسوا لما سهوت عنه ، وغاب عني منه ، عذراً مقبولاً .

وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين .

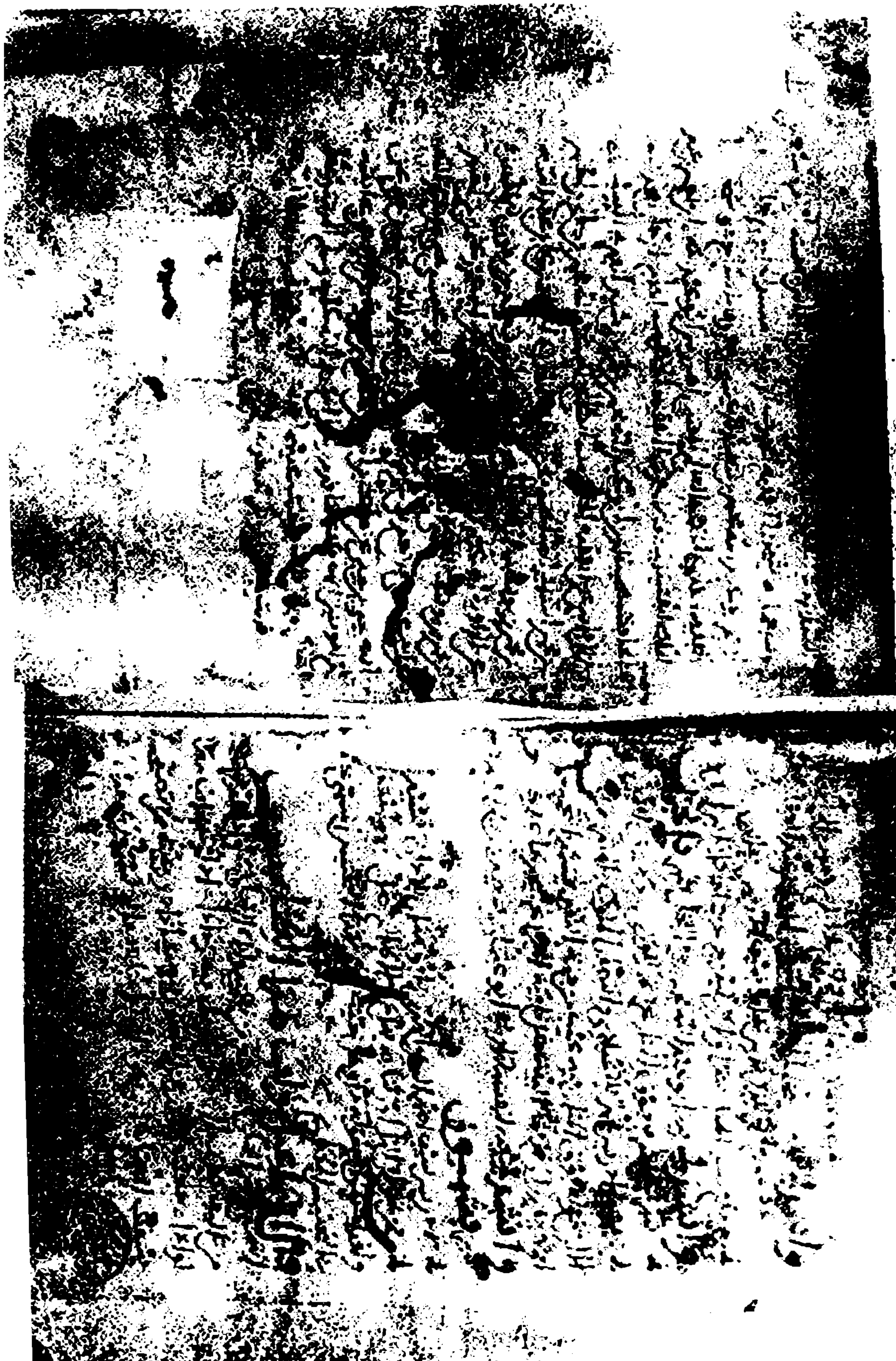
وهران (بالقطر الجزائري)

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

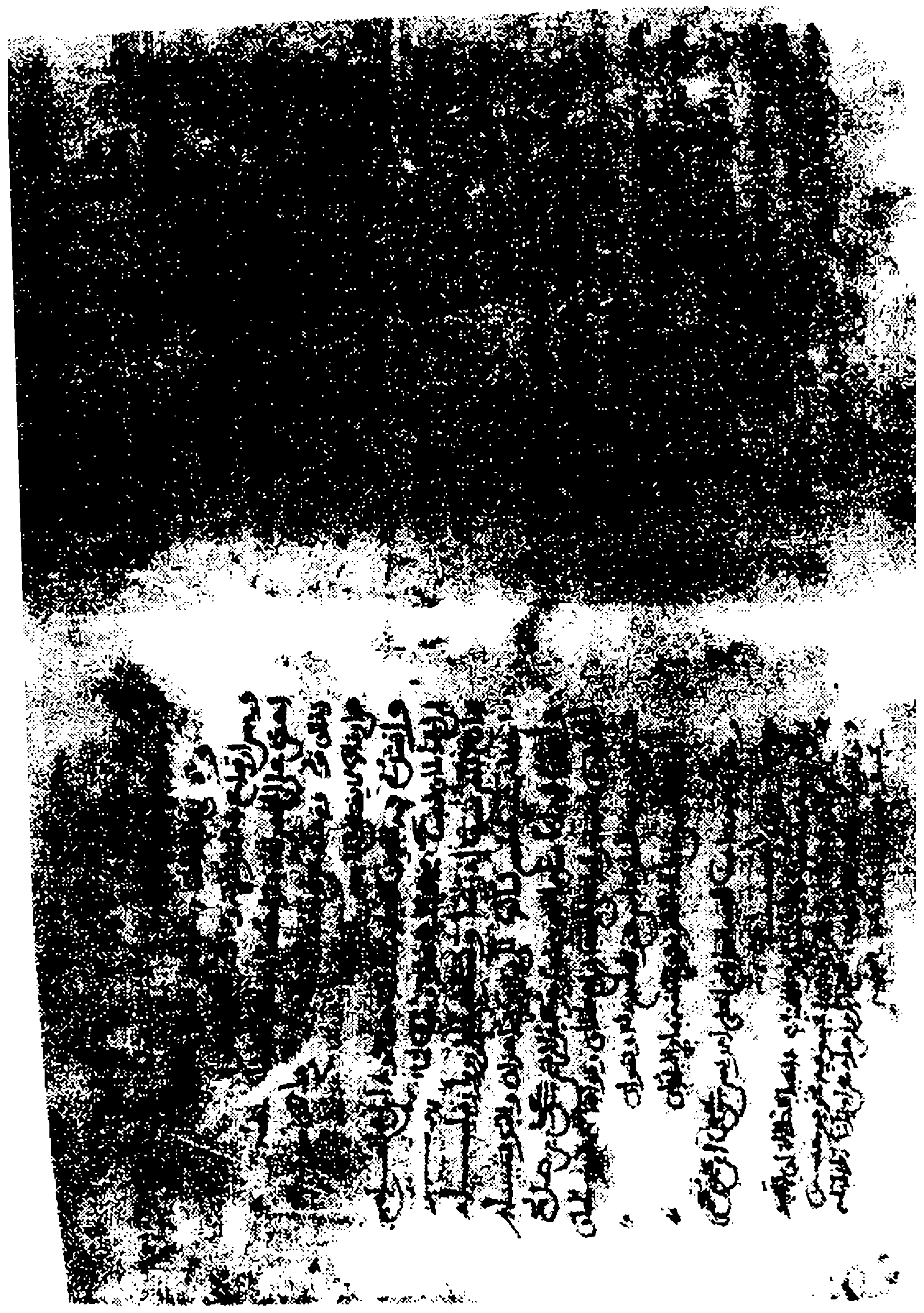
د . محمد رضوان الداية



صورة الورقة (٨٣) من مخطوطة دار الكتب المصرية (م) ، وفيها بداية ترجمة « ابن خلدون »



بداية مخطوطة الطزانة المسكينة (بازباط) والسطور الثامنة في الصورة كتبت في الأصل بقلم أحمد



السؤال الثاني

قال الرئيس الفقيه^(١) النحوي^(٢) الراوية المسند الحافظ ، فارس النظم والنثر ، أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله^(٣) أبي عبدالله بن علم الأمراء ووالد الكبراء ، الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن الأمير أبي الوليد إسماعيل بن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد ابن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن محمد بن محمد^(٤) بن نصر^(٥) بن علي بن يحيى بن سعد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، رضي الله عنه بمنه وكرمه

[أحمد الله تعالى الذي]^(٦) جعل مورد الآداب لدى البث والاكثاب^(٧)

(١) و(٢) سقط من نسخة الرباط عدد من ألقاب المؤلف العلمية بسبب تآكل النسخة، وتقدر بنحو ٦ كلمات .

(٣) لقبه في ثبیر الفرائد بالقائم بأمر الله (ص ٢١٥)

(٤) (محمد) زيادة عما أورده في ثبیر الفرائد .

(٥) في ثبیر الفرائد نصير، ولعلها من تصحيف النسخ .

(٦) ما بين معقوفتين غير ظاهر تماماً في نسخة الرباط .

(٧) تآكل من الأصل بمقدار ٥ كلمات تقريباً .

يروى ذا القلب المعنى من فائق اللفظ ورائق المعنى . وأطلق من وثاق^(١) الحرمان نفس الجعد البنان^(٢) إلى طلاقة^(٣) وسباحة^(٣) .

وأخص بالصلاة سيدنا ومولانا محمداً سراج البيان^(٤) مصباحه ، وأعم به [آله]^(٥) ذوي الأخلاق الساطعة الإشراف والصباحه . وأسلم عليهم كثيراً عجباً ، مساء الزمان وصباحه .

وبعد فإنه لما كان الشعر أعذب ما تطمح إليه الهمم الهمامية^(٦) ، وأسنى ما تعتمد أنفوس أولي الفعال الاهتامية ، [لما يشتمل]^(٧) عليه من ضبط القوافي والأوزان ، ويحتوي عليه مسرحه من بديع الحلاوة والتغيات [المذهبة]^(٨) الأحران . [ولما كان]^(٩) ديوان العرب الذي خلدت به مآثرها^(١٠) به تتفاوت في الناس الأخطار وتتشرف النفوس وإن اختلفت بهم الأقطار . وإذا هو أشرف زي وأرفع لباس ، وأجلب شيء لنفع وأدفع لباس^(١١) ، ولما كان في المرتبة العالية في نفوس أهل العقد والحل ، وبلغ عند ذوي الألباب المنزلة الرفيعة وسني^(١٢) الحل ، وصار يعتلق بها اعتلاق الحرباء بالأعواد ، ويسلك منها مسلك السباحة في أجساد الأجواد ، وكانت العيون

(١) في الأصل: وثائق . وهو تحريف .

(٢) جعد البنان : كناية عن اللبخل .

(٣) كلمة غير ظاهرة .

(٤) كذا بغير واو العطف . وانظر الفقرة الموازية بعد .

(٥) غير واضحة في الأصل .

(٦) نأكل بعض أجزاء الكلمة في الأصل .

(٧) غير واضحة في الأصل .

(٨) نأكل بعض العبارة في الأصل .

(٩) عبارات لم تظهر بتأكل شديد في النسخة ، تقدر بنحو ٣ أسطر .

(١٠) سطران غير واضحين في نسخة الرباط .

أبدأ إلى (١) المخترع منه طامحة ، وإلى رؤية (١) ما نجم من محاسنه لامعة ،
والأنفس بقبول حفظه ساحة ، وكان في هذا العصر الذي أفا فيه من يأتي
في (٢) نظمه بالبديع ويوفيه . من محب متغزل ، ومادح للمطلوب مستنزل ، صنعت
لأهله نصيحتي وسمحت بعمله قريحتي .

فسألت الله التيسير في كل عسير ، فزال عني الالتباس ، وذهب أكثر
الباس . فجمعت في هذا التأليف ما وجدته لهم متمحفاً شعاعه ، وألفته من
نفائس [جواهرهم] (٣) متفرقا شعاعه لأطلع منه على بدائع جالبة للسوان (٤)
في كل أوان . معولا في ذلك على ما طاب فصله ، وفرع ثرى الإجازة
فرعه وأصله .

واقصرت فيه على من لنفسه أنشدني ، ومن بنظامه البارع استرشدني
[من رأيته بالعيان من الشعراء الأعيان] (٥) ومن بسني لحقته (٦) . وغرضي أن
أكتب ما أجده من الرسائل لمن ثبت اسمه ، وأضمنه (٧) أنواعا شتى من
المكائبات ، وأحسن رسمه

إذ [هذا] (٨) النوع الإنشائي من الطبقة العليا بالموضع الذي لا يُجهل علوه ،
ولم [يتفقد حليه] (٩) من الجنس الإنشائي إلا الآحاد فلا ينبغي أن يهمل سموه .
وسميت كتابي هذا ، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان وألفته

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) كلمة (في) زيادة على الأصل .

(٣) الكلمة متأكلة في الأصل ، واستدركت من نثير الفرائد (في عبارة مشابهة) .

(٤) سقطت عبارة تقدر بنحو ٣ كلمات ، ظهر منها : وأثبت ، بمحاسن

(٥) من نثير الفرائد (في عبارة مشابهة) .

(٦) سقطت ثلاثة أسطر تقريباً .

(٧) في الأصل : ونضمنه . وقد ورد كذا في نثير الفرائد في عبارة مقاربة . قلت : انظر

للعمل التالي .

(٨) غير واضح في الأصل ، والمثبت من : نثير الفرائد .

وأنا ببرّ العدوّة، في كنف الملك المريني والحفوة^(١)، حين أخرجنا من الأندلس
بنو عمنا الملوك الأحمريون وعشيرتنا السلاطين النصريون، خوفاً منا على
سلطانهم^(٢) بأوطانهم. [لأجل]^(٣) واش مرود^(٤) متملق بذلك [غير]^(٥)
ودود. يظهر لهم النصيحة حالية، ويخوفهم بما^(٦) وقع في الأيام الخالية. وإن
الملك عقيم. وإذ كل من هو من بيته من حوله مقيم.

ولما كان الحلول بملوك المغرب [أمطروا]^(٧) علينا محائب كرمهم
المغرب، وحسنت الأحوال، وذهبت الأهوال. وطاب المقام، ونجم الأمن
واستقام

ومع هذه^(٨) الفضائل السامية والمفاخر النامية، فكثيراً^(٩) ما أنشد في
الحنين إلى الوطن :

بلادي وإن شطت عليّ عزيزة وقومي وإن شعوا [علي كرام]^(١٠)
إذ هو من وطن آبائه، ومحل قومه وأحبائه. ومن مروءة المرء حنينه

(١) في الأصل : الحفوة . قلت والمصدر من حفي به حفاوة - بفتح الحاء وكسرهما -

ولتحفاية. وأما الحفوة بضم الحاء وكسرهما فهو مصدر حلمي: مشى بغير خوف ولا نعل.

(٢) نأ كل بمقدار كائنين . والأشبه أن تكرنا إذ كنا (؟)

(٣) ظهر نصف الكلمة

(٤) في القاموس : مرد فهو وارد ، ومريد .

(٥) ظهر نصف الكلمة .

(٦) واقرأ أيضاً : بما

(٧) غير ظاهرة في الأصل .

(٨) بعض حروف العبارة متآكل من الأصل .

(٩) في الأصل : فكثير .

(١٠) البيت ناقص في الأصل بتآكل الصفحة والمحفوظة فيه: وإن جارت.. وإن ضنوا.

إلى وطنه^(١) . وقد حن رسول الله ﷺ إلى مكة إذ هي دار مولده^(٢)
 [وقد أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب ،
 فقالت له عائشة رضي الله عنها] : كيف تركت مكة ؟ قال تركتها وقد
 (اخضرت جنباتها)^(٣) ، وابيضت بطحاؤها ، وانتشر سلمها ، وأعذق
 إذخرها ، فقال النبي عليه السلام^(*) [١/ب] : دع القلوب تقر .

وحدثني بفاس في سنة أربع وسبعين وسبع مئة ، شيخنا الفقيه المحدث
 الراوية المسند الحاج الرجال الصالح المعمر أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني
 المعروف بالسراج ، وشيخنا الفقيه القاضي الخطيب العالم المفتي المدرس أبو عبد
 الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ قال : حدثنا الفقيه الخطيب الحاج الرجال
 المحدث الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد القهري السبكي
 نزيل فاس ، عن الفقيه الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن
 محمد الكناني الشاطبي عن الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن

(١) جملة ظهر منها وإن ؟ ... متوطنه .

(٢) ذآ كات ثلاثة أسطر وظهر نحو سطرين ، ثم تعانقت النسختان المخطوطتان . وما بين
 موقوفين غير ظاهر في نسخة الرباط . وفيه أصيل الخزاعي والحديث : قدم أصيل الغفاري
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة (رضي
 الله عنها) كيف تركت مكة ؟ قال اخضرت جنباتها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق
 إذخرها ، وانتشر سلمها . الحديث . وفيه : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويها يا أصيل ، دع القلوب تقر ، أخرجه الخطابي في غريب الحديث من طريق
 الزهري ، وأبو موسى المديني من وجه آخر . وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ١٨٣
 وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ : ٦٤ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ : ٣٣
 والإذخر : حشيشة طيبة الراححة ، تسقف بها البيوت فوق الخشب . وأعذق أي
 صار له أعذاق . والسلم : شجر .

(٣) في الأصل : وقد (اخضر ؟) ثامها . وكلمة (اخضر) غير واضحة . والتمام نبات .
 (*) من هنا تبدل أنسخة (دار الكتب المصرية) وإحالات الأرقام عليها .

يوسف بن قطرال عن الحافظ محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري عن الراوية أبي عبد الله أحمد بن محمد الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمي القبيحطيلي قال : حدثني أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى قال : حدثني عمي أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عن أبيه يحيى ابن يحيى عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال . قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت : كيف تجدك ؟ ويا بلال : كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل أمرىء مصبّح في أهليه والموت أدنى من شرك نعليه
قالت : وكان بلال إذا أقلمت عنه يرفع عقيرته ويقول (١) :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل (٢)

[١/٢] قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماتها فاجعلها في الجحفة (٣) .

وأنشدني في الحنين إلى الأوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب الكاتب

(١) لم يظهر ما بين معقوفتين في الأصلين لطمس فيما وهو مستدرك من صحيح البخاري ج ٤ : ٢٦٤ وهو في معجم ما استعجم ٢ : ٣٦٩ والعقد ٥ : ٢٧٢ . والبداية والنهاية ٣ : ٢٢١
(٢) نآ كات حروف قليلة من الشعر في نسخة ط . وذهب الشعر كله من م .
(٣) الحديث في صحيح البخاري ٤ : ٢٦٤ ، وفيه حبيب إلينا . و : بالجحفة . والجحفة كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة . وهي مبرات أهل مصر والشام إن لم يروا على المدينة . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩ : ١٠٥

أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماي الأندلسي^(١) بفاس يتشوق
معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا
السلطان الغني بالله محمد^(٢)

أحبك يا منى الحقوق بواجب وأقطع في أوصافك الفر أوقاتي
تقسم منك التراب أهلي وجيرتي ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي
وقلت أنا في ذلك ، حين مقامي ببر العدو في حضرة ملوك مرين لما
أخرجنا عن الأندلس بنو عمنا الملوك الأحمريون النصريون لما قدمناه :

فؤادي يشتكي داءً دفيناً لبعدي عن مزار الظاعيننا^(٣)
وأكبادي من الأشواق ذابت ووجدني فاق وجد العاشقيننا
ولي جسم أضرب به سهام^٤ وقلبي بعدم أليف الشجوننا
ورب البيت لا أنسى هوام وكيف ؟ وهم بقلبي ساكنونا
لعمري [ما النوى] إلا عذاب وإني قد بليت به سنينا^(٤)
يهيئ زفرتي تذكرك أرضي ويفجعني ويستهمي الجفوننا
حنيني ما حبيت لها عظيم وما بسوى محبتها بئلينا
فما صبر وإن بعدت بياق كذا سن الكرام الماجديننا
وما بمراد نفسي كان عنها بعادي ، لا ، ورب العالمينا !

فواجب على الحر الطاهر أن يحن إلى وطنه في السر والظاهر ، ويردد
بالشوق العظيم ما إني أردده من قصيدة ابن عبد العظيم :

(١) هو لسان الدين بن الخطيب ، وسبرد عنه حديث مفصل .
(٢) هو الأمير محمد بن يوسف ، حكم غرناطة مرتين ، الأولى من ٧٥٥ - ٧٦٠ والثانية من ٧٦٣ - ٧٩٣ وهو مخدوم لسان الدين . انظر اللوحة البدرية : ٨٢ .
(٣) في الأصلين : لبعدي . ورجحت ما أثبت .
(٤) (ما النوى) زيادة أقترحها ، لطمس في الأصلين مكانها .

حنيني إلى تلك المعاهد أنها معاهد أحبابي تذكرتها حبا
ويتأوه حزنا عليه ، ويكثر من تذكار الأوبة إليه . فلولا أن هدر الملوك
بنو عمي بوطني دمي ، لسرت إليه على راسي لا على قدمي !
على أن مثلي لا تنهيه الزواجر ، ولا تصده عن مطلبه السيوف والحتاجر ؛
بل يقتحم من مراده الأهوال ، ويعمل بقول الشاعر في كل الأحوال :

أزور ولو أن السيوف شواهر^(١) وأدون ولو أن الجحيم مزارها
إذ كنت من بيت الملك الرفيع السعيد ، ومن أحفاد السلطان الرئيس الأمير
أبي سعيد . وقصدي في هذا الكتاب عند ذكر الملوك والأمراء والكبراء
وغيرهم من سائر الشعراء أن أغضي عما آخذه لهم من القبائح ، وأذكر ما امتازوا
به من الفضائل والمناخ ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ، ولا يحل له
تتبع العثرات . غيرة على أعراض الموحدين^(٢) ، [اتباعاً للشرع في تحريم
الغيبة ، وضرباً عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرغبة^(٣) .

تركت مثالب الرجال لأنني أفضل أن ألقى بفضلي للناس^(٤) [
وأرجو بذاك السر يوم فضيحة إذا جل خطب في القيامة بالناس
مع أنه ليس في كشف عورات الناس مسرة . وربما نال ما أثبت^(٥) ذلك
بوسى ومضرة . فماضره لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما فرط من حوبه ، وستر
الميوب وكف الباس ، وقال كما قال ابن طاهر عامل آل عباس :

وما السر من قلبي كئار بحفرة لأنني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما أحطت به خبيرا

(١) سقطت جملة ، لم تستين في الأصلين

(٢) ما بين موقوفتين من نسخة ط . وقد استجليت بعض الكلمات من ترجمة لسان الدين بن

الخطيب في نثر الفرائد ٢٢٣-٢٢٤ ، فقد كرر هناك هذه الفقرة بمناسبة ترجمته له

إدلالاً بذكر محاسنه دون مساوئه . (راجع الترجمة) .

(٣) الكريهة : الداهية الشديدة . والنقيبة ، النفس والطبيعة .

(٤) كذا فيها .

وقد قال بعض الناس مَنْ تعرض للأغراض^(١)، صار عرضه هدفاً لسهام الأغراض. وأرجو من الله بتركي لذلك، أن يقيني من المهالك.

وكتابي هذا قد أينعت أفنان رياضه، وملئت بالآداب الرائقة أرجاء حياضه، فأدابه فائقة، وصفحاته بالحسن رائقة، وقد قلت في وصفه:

هذا الكتاب له فضل على الكتب كتب القريض مع التاريخ والآدب

لأجل تركي مساوي من به، ومما سمو واضعه في أشرف الرتب

لم أرض ذكر مساوي الناس عن كرم فإتني لست للفتحنا بمنتسب

يبدي السرور لقاريه، ويبعده عن التفكير والأحزان والكرب

له فوائد مثل الروض في جيدة وفوق أزهاره في الحسن والنسب

يروى الظما (ويداوي؟) كل ذي وآله وليس جدواه عن راج بمحتجب^(٢)

... ..

علم البيان بأشعار مزخرفة جئنا بها مثل نظم الماء بالحب

تنافس الصبح فيه عند بهجته وعندما تم منه منتهى أرب^(٣)

قاريه في لذة. ما تنقضي أبداً إلى انقضاء الأمانى البيض في الطلب

من جاء يقبس منه نور فائدة يلقى الهدى وهو لا يخشى من الريب

تهديسه للعق في كل بارقة تفوق بارقة الأمطار والسحب

أبدت فيه عجباً من محافظتي على العلوم ومن بحثي على العجب

حق ملأت عياب الطرس من طُرف ومن علوم ومن شعرو من نسب^(٤)

فخذّه واصلح به ما جاء من خلل واعذر، هديت إلى الإرشاد والقرب^(٥)

(١) رسم كلمة أشبه بـ (أن) غير مدمجة قبل صار . ولا معنى لها هنا .

(٢) بعد هذا البيت بيت لم يتضح . وكذا صدر البيت التالي له ، وبعض عجزه .

(٣) كذا في الأصل؛ واقرأ : أرب .

(٤) العياب جمع عيبة ، ما يجعل فيه الثياب ، وغيره .

(٥) في م : القرب وفي ط الغرب .

ولعلي أن أكون قد خرجت عن حد الصواب ، فيما ألفتة ؛ وتركت من فصل الخطاب ، أضعاف ما عرفتة . وإنما ذلك من عوائق تبدد الذهن ، وموانع للنشاط توقع في الفكر الصحيح الوهن . ولم لا ؟ والدهر قد جار بالبعد عن الأهل والجار ، وتبدد شمل الألفة بالأحباب ، ومنع الحياة في القرب منهم والأسباب . والخروج عن الأوطان ؛ والربط من عدوانه بأشطان . فأني صواب يوجد مع هذه الهن ، وأي فصل خطاب معها بما جرت من الإحسَن . وإيم الله لولا لهتجي بالأدب ، وكلفي بمن جدي طلبه ودأب ، لم أسارع في تأليف كتاب ، بل لكنت ممن عن وضعه تاب ؛ لهذه المصائب التي غدا سهمها صائب^(١) . فمن تصفح كتابي هذا ، ووقع على خلل في تركيبه ، أو عدلني في تبويبه^(٢) :

[٤/أ] فمِن الرضا عن كل عيب كَلِيلة ولكن عَيْن السخط تبدي المساويا

ومع ذلك فلم أخل أن جمعت ما تستملح ، وأحسن شيء في فنه العيون تستملح^(٣) . وجئت ببيان السحر ولبابه . وبدائع تنسي عهد الصبا وحسن شبابه .

بدائع جلّت عن مثال لأنها - لعمر ك- إسماعيل ألف حسنها !
فجئت بمجموع قد أشرقت أمرة براعته الفائقة ؛ وهب عطر نواصم جودته الرائقة . قل ما يسمح الزمان بمثاله ، أو ينسج على منواله . لم تقدر على الإتيان بمثله أيدي المصنفين ، ولا شنت آذان إبداعه أنامل المشنفين !

(١) كذا في الأصلين ، مراعاة للسجع

(٢) في الأصلين نحو سطرين ، طمساً في نسخة م بورق لاصق محال الأصل ، وبتاً كل

نسخة (ط) نأ كلاً شديداً .

(٣) فيهما : في فنه العيون تستملح .

وبوّبته أحد عشر باباً^(١) :

الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد ،

الباب الثاني : في شعر ملوك بني مرين وأبنائهم ،

الباب الثالث : في شعر ملوك - بني الأحمر من بني نصر - قومي - وأبنائهم .

الباب الرابع : في شعر ملوك الموحدين الحفصيين وأبنائهم .

الباب الخامس : في شعر ملوك بني زيان من بني عابد الوادي وأبنائهم .

الباب السادس : في شعر ملوك بني العزّافي وأبنائهم

الباب السابع : فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر من بني نصر ، ملوك الأندلس .

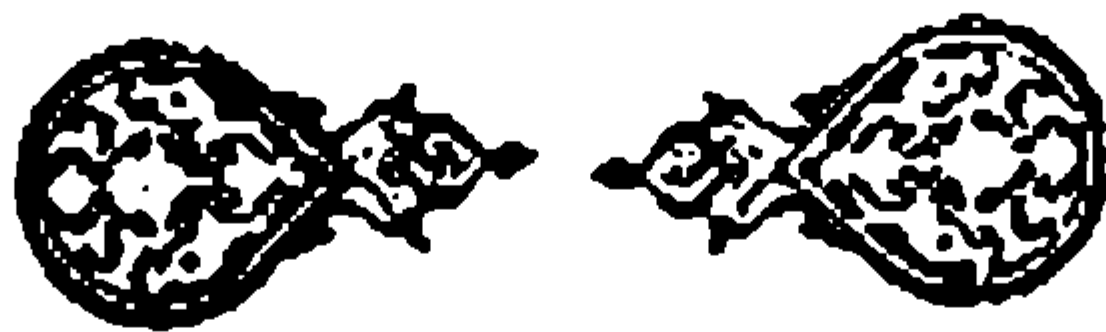
الباب الثامن : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية ، وفقهاؤها .

الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر كتّاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس .

الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتّاب بني مرين ملوك المغرب .

الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاؤها .

الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع [٤/ب] القرويين من مدينة فاس .



(١) فيها : أحد عشر باباً . والحسب أن المؤلف أضاف إلى تراجم الشعراء باباً للشعر الذي قيل في السيف الذي كان بصومعة جامع القرويين بفاس (انظره فيما بعد) .

الباب الأول

في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد

نقول - والله المسدد - : الشعر لا يقوله إلا أهل الفضل والذكاء ، ولا يرتاح لسماعه إلا الكرام . وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يحب أن ينشد بين يديه قصيدة امرئ القيس (١) :

ألا عم صباحاً أيها الطفل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فإذا وصل منشدها بين يديه إلى قوله (٢) :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
يقول رسول الله ﷺ : « أمسيك » ، نزاهة منه ﷺ أن يسمع الفحش الذي بعد ذلك في القصيدة .

وبعض المتفقيين الذين لا أدب عندهم ، ولا هو في طبعهم ينكرون الشعر ويذمون ، ويرون أنه قبيح ، وقائله مذموم . فليت شعري لم أنكروه وهذا رسول الله ﷺ - وهو الأسوة والقدوة - كان يحب سماع قصيدة امرئ القيس المذكورة ، وكانت في أكثر الأوقات تنشد بين يديه . وقد أنشده كعب بن

(١) مطلع قصيدة له (الديوان بشرح الأعم الشنتمري) : ٢٧ .

(٢) قال الأعم « قوله ألا زعمت بسباسة هي امرأة غيرته بالكبر ، وأنه لا يحسن اللهو » ، فنفي ذلك عن نفسه بقوله - في البيت التالي - كذبت لقد أصبي على المرء عروسة .

زهير بن أبي سلمى بالمسجد قصيدته التي أولها (١)

بانت معاد فقالي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
فأصغى إليها صلوات الله عليه وأثابه عليها ببردته ولو كان الشعر - مدحاً
أو غزلاً - نكراً ما سمعه عليه السلام بالمسجد ولا بسواه ، ولا أصغى إليه .
وحسب الشعر رفعة وعزة أن كان رسول الله ﷺ قد حظي عليه وندب
أصحابه إليه ، وتجند على المشركين به ، فقال لحسان بن ثابت : شق القوافي على
القطاريف من بني عبد مناف ، فوالله لشمر ك أشد عليهم من وقع السهام في
غيش الظلام (٢)

ومن فضل الشعر وشرفه أن النبي ﷺ أردف الشريد بن سويد يوماً
فامتنته من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشده مئة قافية ؛ يقول النبي عليه
السلام عند كل قافية : هيه ! استعساناً له (٣)

ومن فضل الشعر أن رسول الله ﷺ قال : إن من الشعر لحكماً (٤) ؛
قاله للعلاء بن الحضرمي وقد سأله : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ ، فأنشده
العلاء (٥) :

(١) ديوان كعب بن زهير : وانظر خبر إسلام كعب ، وقصيدته في السيرة النبوية لابن
مشام (بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ورفاقه) ٤ : ٥٠١ وانظر العمدة ١ : ٧

(٢) انظر للعمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق (ط الخانجي) ١ : ١٢
والقطريرف : السيد الشريف والسخي للسري .

(٣) الخبر في العقد ٥ : ٢٧٧ ، وفيه « فقال - النبي صلى الله عليه وسلم - هذا رجل آمن لسانه
وكفر قلبه » .

(٤) قال في كشف الخفا : رآه أحمد وأبو داود عن ابن عباس . وهو عند مالك وأحمد
والبخاري وأبي داود والترمذي عن ابن عمر بلفظ إن من البيان لسحراً . وفي رواية
البخاري قال جاء رجلان من الشرق فخطبا فقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً : (كشف الخفا ومزيل الإلباس : ٢٩٦) وانظر العمدة ١ : ٩

(٥) الخبر في معجم الشعراء للمرزباني ١٥٦ ، والعمدة لابن رشيق ١ : ١٨٠
وفي رواية الأبيات بمض خلاف .

وحي "ذوي الأضغان تسب قلوبهم
فإن دحسوا بالكروه فاعف تكروماً
فإن الذي يؤذيك منه سماعه
وإن الذي قالوا وراءك لم يقل
ومن فضل الشعر : روى عيسى بن طلحة أن النبي عليه السلام قال

الشعر الحسن مما يزين الله به الرجل المسلم

ومن فضل الشعر : لما قدم وفد تميم (١) على رسول الله ﷺ فنادوه من
وراء الحجرات (٢) ، خرج إليهم عليه السلام فقال : ما تشاؤون ؟ قالوا :
جنناك بخطيب وشاعر نفاخرك (٣) ، فقال عليه السلام : قولوا ماشتم . فقام
الزبرقان بن بدر (٤) فقال : قد علم الله أنا أكثر أهل الأرض عدة وعدداً ، ولو
شئنا أن نقول قلنا ، ولكنه لا يحمل بنا فيما آتانا الله الإكثار . فقال رسول
الله ﷺ لزيد بن قيس بن شماس (٥) الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج :
ثم فأجبهم . فقام فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض بأمره ، ولم
يكن له شيء فيما مضى إلا بعلمه ؛ بعث خير خلقه رسولا ؛ أكرمهم حسبا

(١) السيرة النبوية ٤ : ٦٠ .

(٢) انظر في ذلك ما ساقه المفسرون في سورة الحجرات . كالقرطبي ٣٠٥ : ١٦ .

(٣) ورد ذكر الخطبتين والشعرين في مصادر كثيرة ، منها تاريخ الطبري : ١١٥ - ١٢٠ .
والسيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٥٦٠ - ٥٦٧ . وديوان حسان : ٢٤٣ - ٢٥٢ وتفسير
القرطبي ١٦ : ٣٠٢ - ٢٠٦ والأغاني ٤ : ١٥٠ .

وقد تصرف المصنف في نقل الخطبتين فاجتزأ ، واختصر .

(٤) في السيرة النبوية وتاريخ الطبري ، وديوان حسان ، وغيرها من المصادر اتفاق على أن
خطيب تميم يومها هو عطار بن حاجب ، وأن شاعرهم هو الزبرقان بن بدر . بيد أن
القرطبي ذكر أن الخطيب هو الأقرم بن حابس . وأجمعت المصادر على أن الأقرم بن
حابس هو الذي شهد لخطيب المسلمين بالقلية .

(٥) الصحيح أنه ثابت بن قيس بن شماس أخو بلحارث من الخزرج .

وأوسطهم نسباً في عترته من قريش، وذوي رحمه من الأنصار. فلم يزل يقاتل
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا ماله ودمه، ومن أبي
قتلناه، وكان قتله من الله يسيراً. ثم جلس، فقالوا للأقرع بن حابس^(١)
ثم فأنشده، فقام فقال: [ه/ب]

نحن الملوك فلاحي يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
ونحن نطعم يوم المحل جائعكم من السنام إذا لم تبصر القزع^(٢)
فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت ثم فأجبه، فقام فمد لسانه
فضرب به أرنبة أنفه، وقال قصيدته التي يقول فيها^(٣)

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد شرعوا سنة للعق تتبع
يرضى بها كل من كانت سجيته تقوى الإله ويرضى كل ما صنعوا
أكرم بقوم رسول الله قسائدهم إذا تفرقت الأمسواء والشيعة
خذ منهم ما أتوا عفواً فإن منعوا فلا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم - فاحذر - عداوتهم سيما يخاض عليه الصاب والسلع^(٤)

(١) الشاعر كما سبق هو الزبرقان بن بدر (انظر الحاشية ٤ صفحة ٣٣)

(٢) رواية البيهقي في السيرة النبوية (٤ ٥٦٣)

نحن الكرام فلاحي يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزع
وبينهما بيت ثالث في أبيات أخرى . ورواية المؤلف هنا غريبة (والبيع : مواضع
الصلوات والعبادات واحدها بيعة . والقزع السحاب الرقيق . يريد : إذا لم تطرم السماء
فأجديت أوضاعهم)

(٣) ديوانه : ٢٤٨ . والأبيات هنا مختارة على غير ترتيب رواية الديوان . وبين روايته
ورواية الديوان خلاف في مواضع كثيرة .

(٤) الصاب والسلع : ضربان من الشجر ممران . يقال : أمر من السلع .

فقال التميميون نشهد أن خطيبك أخطب من خطيبنا ، وأن شاعرك أشعر من شاعرنا وأنتك امرؤ مهياً لك الخير ، وأنتك لرسول الله . فأسلموا من حينهم . وكان شعر حسان سبب إسلامهم . فلأي شيء يذم الشعر وهو يفعل هذا؟ (*)
ومن فضل الشعر خرج الترمذي عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم تضربكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة ! بين يدي رسول الله ﷺ ، وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله ﷺ : خـلّ عنك يا عمر ، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل .

ومن فضل الشعر ، روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ [يقول] فجاءهم حسان - يعني قريباً - فشفي واشتفى (٢) ؛ حين قال (٣) حسان (٤) : [١/٦]

(*) في السيرة النبوية (٤ - ٥٦٧) أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما فرغ من قوله قال الأقرع بن حابس : « وأني إن هذا الرجل لمؤني له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصراثهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا وجوزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم » .

(١) انظر العمدة لابن رشتي ١ - ١٢

(٢) في الديوان (١ - ١٠) أن حسان رضي الله عنه قال هذه القصيدة قبل فتح مكة ، والأبيات المختارة هنا في الرد على أبي سفيان بن الحارث ، وكان هجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل إسلامه .

(٣) روى أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة حسان (دار الثقافة ٤ - ١٤٧) بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب ابن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى » .

(٤) الأبيات المختارة ، وفي رواية الديوان خلافاً عما ذكر المؤلف هنا . وفي ترتيب المؤلف هنا للأبيات تقديم وتأخير .

هجوتَ محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً برأ حنيفاً رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بُنيّتي إن لم تروها تثير النقع غايتها كداء (١)
(تبارين) الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظباء
تظل جيادنا متطبرات يلطمهن بالخمثر النساء
فإن أعرضتم عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجيلاد يوم يُعزف الله فيها من يشاء
وقال الله قد يسرت جنداً هم الأنصار عُرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد قتال أو سباب أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس كفاء

ومن فضل الشعر، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نصر الله وجهه إلى
أبي موسى الأشعري: «مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق،
وصواب الرأي ومعرفة الأنساب» (٢).

وقال أيضاً - رضوان الله عليه - الشعر جزل من كلام العرب يسكن به
الغيظ، وتطفأ به الشائرة، ويتبلغ به القوم في ناديتهم، ويعطى به السائل (٣).

(١) كذا فيه، وفي الديوان: «مدنا خيلنا إن لم تروها».

(٢) الخبر في المدة ١: ١٠٠. والمقدد ٥: ٢٨٦.

(٣) في المدة ١: ١٠٠: «وروى ابن عائشة يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشعر كلام من كلام العرب، جزل تتكلم به في نواديها، ونسل الضغائن من بينها وأنشد
ابن عائشة قول أعشى بني قيس...»

وقال أيضاً - رضي الله عنه - [خير] ما تعلته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها اللثيم ، ويستعطف بها الكريم وقال الأعشى^(١) :

قلدتك الشعر يا سلامة ذا فإشـ والشـء حينما جعلـا

والشـر يستنزل الكريم كما استنـ..... نزل رعد السحابة السبـلا^(٢)

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخيلا

ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله - [٦/ب] الشعر ميزان القول . ورؤي ، القوم ؛ وكلاما حسن^(٣) .

ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنها - يحب على الرجل تأديب ولده ؛ والشعر أعلى مراتب الأدب^(٤) .

ومن فضل الشعر كان عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب . وكان رضي الله عنه إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً^(٥) .

ومن فضل الشعر ، قيل لسعيد بن المسيب - رضي الله عنه - إن قوماً من العراق لا يرون إنشاد الشعر ، فقال لقد نسكوا نسكاً أعجبياً^(٦) .

ومن فضل الشعر ، قيل لابن سيرين إن قوماً يرون إنشاد الشعر ينقض الوضوء فأنشد^(٧) :

(١) ديوان الأعشى : ٢٣٣ (وفيه جاء البيت الثالث قبل الآخرين) يمدح سلامة ذا فائش .

(٢) السبل : المطر .

(٣) الخبر في العمدة ١ ١

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ١ ١١ .

(٦) العمدة ١ ١١ .

(٧) البيت في ديوان جرير : ٨٨ وانظر حواشي المحقق .

لقد أصبحت عير من الفرزد ناشراً ولو رضيت رمح استه لاستقرت !
وقام يصلي (١)

ومن فضل الشعر ذكر أن رجلاً من الشعراء قال للحسن البصري: وهو
في المسجد [يا] أبا سعيد هل ينقض الهجو الرضوء ؟ فأنشده الحسن :
شهد الفرزدق والقبائل كلها أن الفرزدق نالك أم جرير !
ثم قام فصلى ركعتين ؛ جعلها جوابه

ومن فضل الشعر قيل لابن السائب المخزومي رضي الله عنه - أترى أحداً
لا يشتهي النسيب ؟ فقال : أما ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ! .
ومن فضل الشعر كان عروة بن أذينة (٢) - رضي الله عنه - على نبذه زهرة
الدنيا، وترك نعيمها وورعه وزهده، رقيق القول ؛ وهو القائل (٣) :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فمن ليحتر على الأحشاء يتقد؟ (٤)
ومن فضل الشعر عن ابن عباس - رضي الله عنه - في حديث قس بن ساعدة
الإيادي (٥) - وإنما أوردنا الحديث بكماله لما تضمنه من البلاغة والحجة في إنشاد
[النبي ﷺ الشعر] (٦) [٧/أ] وسماعه - قال قدم على رسول الله ﷺ وقد
فقال أي وفد أنتم؟ قالوا وفد عبد القيس . قال أيكم يعرف قس بن ساعدة؟

(١) المصدر نفسه ١ ١١

(٢) عروة بن أذينة «من فقهاء المدينة وعبادهما ، وكان من أرق الناس تشبيهاً»

(٣) البيتان في العقد ٢٨٩

(٤) في العقد: فن لنار.

(٥) أورد ابن عبد ربه في العقد صدرأ من هذه الخطبة ، والشعر الذي فيها ٤ : ١٢٨

(٦) كلمة (النبي) مطموسة في م . وفي ط القس، والظاهر من سياق النص ما أثبت .

قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله فماذا فعل ؟ قال : لست أنساء بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا ، فإذا اجتمعتم فاسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فقولوا ، فإذا قلم فاصدقوا . إنه من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . إن في السماء خبراً . وإن في الأرض لعبراً ، بحاراً^(١) لا تغور ، ونجوم لا تمور . وسقف مرفوع . ونهار موضوع . ومطر ونبات . وذاهب وآت . وأحياء وأموات . وعظام ورفات . وليل ونهار . وضياء وظلام . ومسي . ومحسن . وغني وفقير . يا أرباب الغفلة ! ليصلح كل واحد منكم عمله . تعالوا نعبد إلهاً واحداً ليس بمولود ولا بوالد . أعاد وأباد ، وغداً إليه المعاد . أقسم قس بالله ، وما أثم ، لأن كان في الأرض رضى ليكونن سخطاً . إن لله ديناً هو أَرْضِي من دينكم الذي أثم عليه

يا أهل إباد ! مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

فقال رسول الله ﷺ : وسمعت يثمل بأبيات الشعر ولساني لا ينطلق بها فقام إليه رجل منهم فقال : يا رسول الله أنا سمعتها منه ، فهل عليّ فيه من إثم إن أنا قلته ؟ فقال رسول الله ﷺ : قل ؛ فإن الشعر كلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، فقال : سمعته يقول

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قسومي نحوها	يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقي غابر

[٧/ب] أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

(١) في النسختين : بحاراً .

فقال رسول الله ﷺ : من يزيدنا في إيمان قس بن ساعدة ؟ فوثب إليه رجل من القوم فقال : يا رسول الله ، بينا نحن في ملاعبنا إذا أشرف علينا من شرفة الجبل متجلجل بشملة مرقد بأخرى وبيده هراوة ، وهو واقف على عين ماء وهو يقول : آلا وإله السماء ولا يشرب القوي قبل الضعيف . وليشرب الضعيف قبل القوي .

فوالذي بعثك بالحق نبياً يا رسول الله لقد رأيت القوي من الوحش يتأخر حتى يشرب الضعيف . فلما تنحى ما حوله هبطت إليه من ثنية الجبل فرأيتته واقفاً بين قبرين يصلي . فقلت : انعم صباحاً ماهذه الصلاة التي لاتعرفها العرب ؟ قال : صليتها لإله السماء . قلت : وهل للسماء من إله (١) سوى اللات والعزى ؟ فانتفض وانتقع لونه ثم قال : إليك عني يا أخا إباد . إن للسماء إلهاً عظيم الشأن هو الذي خلقها فسواها . وبالكواكب والقمر المنير والشمس أشرقها . أظلم ليلاً وأضاء نهارها ، يسلك بعضها في بعض . ليس له كفوية ولا إنسية ولا كيموسية . فقلت ما أصبت موضعاً تعبد إله (٢) السماء إلا في هذا المكان ؟ فقال : إني لم أصب في زماني غير صاحبي هذين القبرين ، وإني لمنتظر ما أصابها وسيعمكم حق من هذا الوجه ، وأشار نحو مكة فقلت له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب ، يعني محمداً ﷺ ، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ، وإن استصرخكم فانصروه ، وقد وصف لي علامات شق وخلائق حسناً قال إنه لا يأخذ على دعواه أجراً . قلت فما لك لاتسير إليه ؟ قال إني لا أعيش إلى مبعثه . ولو علمت أني ممن يعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه .

(١) في م : الله . والصواب من ط .

(٢) فيها : الله . والصواب ما أثبت . راجع الحاشية السابقة .

فأضرب بصفقة كفي صفقة [٨/أ] كفه ، فأقيم بين يديه حكم الله تبارك وتعالى ، فقال رسول الله ﷺ : حسبك حسبك ، فإن قس بن ساعدة كان أمة يبعثه الله يوم القيامة وحده .

ومن فضل الشعر^(١) : لما انتهى شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب إلى النبي ﷺ شق ذلك عليه ، فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده ، فقال : أنت شاعر كريم . ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده فأنشده فقال : أنت تحسن صفة الحرب . ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي ميثوقاً من معدن^(٢) ، ولو أن لساناً فرى الشعر لفراه^(٣) . ثم سأل رسول الله ﷺ أن يمس من أبي سفيان . فقال : وكيف وبينني وبينه الرحم التي قد علمت؟ فقال : أسلك منه كما تسلك الشعرة من العجين . فقال : اذهب إلى أبي بكر الصديق ، كرم الله وجهه ، [فذهب إليه] فذكر له معانيبه ، فقال حسان^(٤) :

وإن سنام المجد من آل هاشم	بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم	كرام ، ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمية	ولكن لئيم لا تقوم له زند ^(٥)
وإن امرأ كانت سمية أمه	وسمراء مغموزة إذا بلغ الجهد
وأنت زعيم نيط في آل هاشم	كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(١) انظر الخبر في الأغاني ط دار الثقافة ٤ : ١٤١ وديوان حسان البرقوقي، المقدمة.

(٢) كذا في الأصلين . وفي الأغاني - بروايات الخبر المتعددة - (والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء) .

(٣) في الأغاني . لو شئت لفريت به المزاد . والمزاد ج مزادة وهي التي يحمل فيها الماء .

(٤) الأبيات في ديوانه ١٠٩ : ١ ، والأغاني ٤ : ١٤٦

(٥) في الديوان : ولكن هجين ليس يورى له زند .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال :
 هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^(١) ، يعني أبا بكر الصديق نضر الله وجهه .
 - يعني ببني بنت مخزوم : عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب
 ابن هاشم ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم^(٢)
 وأميمة [ب/٨] والبيضاء جدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه ، أم أمه
 أروى بنت كرز . وقوله : ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ، يعني حمزة وصفية
 أم الزبير بن العوام رضي الله عنه ، أمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة^(٣) .
 وقوله : ولست كعباس ، ولا كابن أمه ، أم العباس نائلة^(٤) من النمر ابن
 قاسط وأخوه ضرار بن عبد المطلب .

وقوله « وإن امرءاً كانت سمية أمه وسمراء ؛ سمية أم أبي سفيان ، وسمراء
 أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب في رفع الأنساب ، تحامياً على الطول .
 والعاقل لا ينكر أن الشعر جائزٌ إنشاده واستنشاده . وقد قدمنا من الأدلة
 الناصعة والبراهين الواضحة على ذلك ما لا يسع رده .

ومن الدليل أيضاً على ذلك أن الخلفاء الراشدين الأربعة ، وهم أبو بكر
 الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي أبو السبطين عليهم السلام
 قالوا الشعر ، وقاله أيضاً جملة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم الصلاح .

(١) الأغاني ٤ ١٤٣

(٢) اسم غير ظاهر ، وانظر أسماء أبناء عمرو بن عائذ في جمهرة أنساب العرب لابن

حزم ١٤١ : وانظر ما في الأغاني ٤ ١٤٦ والخواشي . وما في الديوان

(٣) النسختين أهيب ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب

(٤) في النسختين ، نائلة . والصواب من جمهرة أنساب العرب ، والأغاني .

قال أبو بكر - رضي الله عنه (١) - .

أمن طيف سلمى بالبطاح الدُمَاث
وهي طائلة ، وفيها يقول :

ونحن أناسٌ من ذؤابة غالبٍ
وفيها يقول :

فإن تشعثوا عرضي على سوء رأيكم
فلإثني من أعراضكم غير شاعثٍ

وقال : أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (١)

هون عليك فإن الأمور . . . بكف الإله مقاديرها
فليس بآتيك منيها ولا قاصر عنك مأمورها

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (٢) :

تقى اللذاة ممن نال صفوتها
تبقى عواقب سوء من مغبتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
لا خير في لذة من بعدها النار

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [٩/أ] :

إذا عقد القضاء عليك أمراً
فما لك قد أقمت بدار ذل
فليس يحلّك إلا القضاء^{١٣}
وأرض الله واسعة فضاء
تبلغ باليسير فكل شيء
من الدنيا يكون له انقضاء

(١) من أبيات رواها في العمدة ١ : ١٣ . وقال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنشدها في غزوة عبدة بن الحارث .

(٢) في العمدة ١ : ١٣ . قال : ويروي الشعر للأهول الشني . ونسبها في العقد (٣ : ٢٠٧) لابن أبي خازم ، وفيه ولا تحرصن فإن الأمور ...

(٣) في النسختين : إلى في موضع إلا .

وقال: أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام^(١)
 ومارست هذا الأمر خمسين حجة وخمساً أرجتي قابلاً بعد قابل^(٢)
 فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى علقت بطائل
 وقد أشرعت في المنايا سهامها وأيقنت أنني رهن موتٍ معاجل
 وقال أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
 عنهما في بنته سكينه ، وأمها امرأته الرباب بنت امرئ القيس الكلبية^(٣)
 لعمر ك إنني لأحب بيتاً تحل به سكينه والرباب
 أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتبٍ عندي عتاب
 ولست لهم - وإن عتبوا - مطيعاً حياتي ، أو يغيبني التراب
 وقال حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -^(٤)
 عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
 فلما تراءينا أناخُوا فمقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
 وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالة من حبل !
 فثار أبو جهل هنالك باغياً فخاب ورد الله كيد أبي جهل
 وما نحن إلا في ثلاثين راكباً وهم مثنان بعد واحدة فضل

وقال أخوه العباس بن عبد المطلب ، رضي الله تعالى عنه^(٥)

ألا هل أتى عيرسي مسكرتي وموقفي بوادي حنسين والأسنة تشرع

(١) الأبيات في العقد ٤ : ٢

(٢) في العقد : قائل بعد قائل . وفي الأبيات الأخرى روايات مختلفة .

(٣) البيتان الأولان في العمدة (١ : ١٥) وفيه : وليس للأي

(٤) في العمدة (١ : ١٥) أن حمزة رضي الله عنه قال هذا الشعر يذكر إقامه أبا جهل وأصحابه .

(٥) قالها كما في العمدة (١ : ١٥) يوم حنين يفتخر بشباهه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

[٩/ب] وقولي إذا ما النفس جاشت لها قري وهام تدهدي والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا^(١)
وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(٢)

إذا طارقات الهم ضاجعت الفقى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها سواي، ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي منه من مقامة وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل علي بظنه بي الخير، إني للذي ظن شاكر !

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، وحسب من ذم^(٣) ، أن من قدمنا من
الصحابة قد قالوه وكانوا^(٤) يتمثلون به ، ولا يرون أنه مذموم . فإن احتج
عاطل من حلية الآداب وقال : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقل الشعر ،
وأن الله تعالى قال فيه ﴿ وما علناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٥) قلت : لو كان
النبي صلى الله عليه وسلم شاعراً لكان متهماً بالقرآن ول قيل إنه من عنده ، وإنه
اختلفه ؛ فيكون ذلك نقصاً في حقه ، ومدخلاً للطعن في نبوته . فمنعه الله
عز وجل من قوله ، ونزهه عن ذلك . وهذه معجزة في حقه عليه السلام .
وقد قيل للإمام القاضي عبد الوهاب إن النبي عليه السلام لم يقل الشعر
فقال له : ذلك في حقه معجزة ، وفي حقلك معجزة^(٦) .

(١) في المدة : سبعة .

(٢) في المدة (١٦:١) .

(٣) أي الشعر وإنشاده

(٤) في النسختين : وكان .

(٥) يس ٣٦: ٣٩ (وما علناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٦) انظر البيان النبوي (٥ . عدنان زر زور) الطبعة الأولى ٢٨ - ٣٤ .

وإن احتج بقوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾^(١) الآية . قلت :
قد قال الضحاك^(٢) إنها نزلت في رجلين أحدهما أنصاري ، مع كل واحد منهما
غواة قومه - وهم السفهاء - وقال به ابن عباس : وعنه أنهم الرواة^(٣) . وعنه
أنهم كفار الجن والإنس . قال أبو عبد الله هم الذين يشعرون^(٤)] ولا يتبعون
سنن الحق] ، [١٠ / أ] وأراد بهؤلاء شعراء الكفار عبد الله بن الزبير ، وهبيرة
ابن أبي وهب ومسافع^(٥) بن عبد مناف وأبا عزة الجمحي وأمية بن أبي الصلت
كانوا يهجون النبي عليه السلام ، ويتبعهم الكفار .

وقال غضيف من أصحاب النبي عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه
وسلم « من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه »

وقال ابن عباس :^(٦) لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة رن إبليس رنة
فاجتمعت إليه ذريته فقال : يا أسوا أن تترد أمة^(٧) محمد على الشرك بعد يومكم
هذا ، ولكن أفسحوا فيها - يعني مكة^(٨) الشجر والنشوح

(١) الشعراء ٢٦ - ٢٢٤ (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم
يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا
من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

(٢) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ ١٥٢

(٣) في المصدر السابق رواة الشعر

(٤) فيها مسافر ، والمثبت من القرطبي

(٥) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ ١٥٢

(٦) في القرطبي أن تريدوا أمة محمد .

(٧) في القرطبي : فيها يعني مكة والمدينة .

(٨) في ط يشعرون «قلوب؟» وسقط بمقدار ٣ كلمات ، وفي م يشعرون وسقط بمقدار ٤
كلمات . والعبارة مشبهة من تفسير القرطبي بحسب السياق .

يخرج من هذا كله أن (الغاوون) هم السفهاء، أو هم الكفار من الجن والإنس أو هم الرواة فإذا كان هذا كذلك ، فأبي ذم يلحق شعراء الإسلام إذا لم يهجووا ؟ لاسيما والنبي عليه السلام قال لشاعره كعب بن مالك لما سأله رأييه في الشعر حين أنزل الله فيه هذه الآية : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ماترمونهم به نضح النبل^(١)، فإذا كان شاعر الإسلام لا يهجو إلا الكفار فهذا هو المطلوب .

وفي هذا الحديث تقرير الشعراء على قول الشعر على الوجه الجائز إذا حملنا خطاب النبي عليه السلام عموماً على ما يرد في بعض الأحكام الشرعية ، أن يكون الخطاب لشخص والحكم متوجه على الجملة^(٢)

وأما إن كان الذم المفهوم من قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ ليس على عمومته بل كما قيده أبو عبد الله بالشعراء الكفار ، فلا مدخل للإسلاميين فيه ؛ وبالله التوفيق .

وإن احتج أيضاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً حتى يرى خيراً له من أن يمتلئ شعراً »^(٣) . قلت : الجواب ما قاله الإمام أبو عبد الله المازري والقاضي عياض في ذلك الحديث ، ونقلته من الإكمال

(١) ورد الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٣ .

(٢) في الأصلين : أن . قلت ، ولعله أيضاً أن يكون الخطاب... متوجهاً .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وفي فتح الباري : قال ابن

بطال ذكر بعضهم أن معنى قوله « خير له من أن يمتلئ شعراً » يعني الشعر الذي

هجى به النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عبيد والذي عندي في هذا الحديث غير

هذا القول ، لأن الذي هجى به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطراً بيت لكان كفراً .

فكانه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه ، ولكن

وجهه عندي : أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر

الله فيكون الغالب عليه . فاما إذا كان القرآن والعلم غالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً

من الشعر . ١٠ / ٤٥١ - ٤٥٣ . وانظر تفسير القرطبي ١٢ : ١٥٠ .

[١٠/ب] للقاضي أبي الفضل، وهذا نصه «قال الإمام، قال أبو عبيد قال الأصمعي: هو من الوري، على مثال «الرّمي»، وهو أن يورى جوفه، يقال منه: رجل موري؛ مشدد غير مهموز: هو أن يأكل القيح جوفه قال صاحب الأفعال وري الإنسان والبعر وري، دوى جوفه، ووراه الداء ورياً فسد جوفه. ووري الكلب: سمر أشد السعار

قال أبو عبيد: وقوله صلى الله عليه وسلم «خير له من أن يمتلىء شعراً». قال بعضهم: يعني من الشعر الذي «هجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان شطر بيت لكان كفراً. فكانه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، فقد رخص في القليل منه ولكن وجهه عندي أن يمتلىء قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله عز وجل فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان. فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوف هذا عندنا بمتلىء من الشعر.

وقال القاضي عياض في الإكمال ذكر مسلم استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم الشريد بن سويد شعر أمية بن أبي الصلت^(١)، وقوله هيه إلى أن أنشده مئة بيت؛ وقوله إن كاد ليسلم، فيه جواز سماع أشعار الجاهلية، وأخبارها، والتحدث بها، وإنشادها. و (هيه) مكسورة الهاء، ساكنة الياء والهاء الآخرة كلمة للاستزادة أي: زد وأصلها إيه، فهي استزادة لما تعرف.

وفيه أن الشعر بنفسه ليس بمنكر، وإنما المنكر منه المذموم: الإكثار منه، أو ما يتضمنه من الهجاء للمسلمين وقذف المحصنات، والتشبيب بالحرم، وذكر أوصاف الخمر وأنواع الباطل [بما يبيح] المرتكبين لذلك، ويحرثهم على المعاصي. وقد جاء من ذلك أشياء في شعر حسان وكعب وغيرها مما

(١) في خزائن الأدب للبغدادي ١: ٢٢٧. وتفسير القرطبي ١٣: ١٤٥. وانظر مقدمة ديوان أمية بن أبي الصلت (بتحقيق الدكتور ح. السطلي).

مدح به النبي صلى الله عليه وسلم [١١ / أ] في وصف الخمر والتشبيب^(١) بغير معين^(٢)، جرياً على عادة العرب فيُستحب منه القليل ولم يَر أصحابنا بمثل هذا رد شهادة الشاهد ، ولا جعلوه جرحاً فيه .

وقال أيضاً : القاضي عياض فيه - في الإكمال - وإنه كالكلام فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح^(٣) ؛ كما روي عن الشافعي . وقد روينا هذا الكلام مرفوعاً للنبي عليه السلام ، وقد أنشد النبي عليه السلام الشعر وتمثل به واستنشده ؛ وقاله أصحابه ، وحضُّهم على قوله في هجاء المشركين .

وقد روي عن الخلفاء ، وأئمة الصعابة ، وفضلاء السلف في استشهادهم به وإنشاده^(٤) ، وقولهم الجيد منه^(٥) .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : ولا مزية في جواز إنشاد الشعر والتمثل به ، وإنما المذموم منه ما قدمنا للإمام المازري ، وللقاضي عياض من هجاء المسلمين وقذف المحصنات وغير ذلك مما قالوا ، رحمها الله تعالى .

وأما إن كان الشعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو في هجاء المشركين ، أو غزل بغير معين ، فذلك جائز لامطعن فيه . وحسبك ما قدمنا على فضله وجوازه من الأدلة ، وقول القاضي عياض . وقد أنشد النبي عليه

(١) في النسختين : والتشبيب .

(٢) راجع رأي ابن حزم القرطبي الأندلسي في هذا الموضوع : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس .

(٣) في تفسير القرطبي خبر عن ابن سيرين فيه « وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام

إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح » . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح

الكلام » ١٣ : ١٥٠

(٤) في الأصلين : وإنشاد . « بدون الهاء » .

(٥) زاد في النسختين ما رسمه « والرقبي والمتقف في ضروب أقانيه ما يعني » يعني ؟ » بن

خلف « ؟ » ، وبالله التوفيق .

السلام الشعر ؛ وتمثله به صحيح أخرجه أهل الصحة ولكنه صلى الله عليه وسلم ، مهما أنشد الشعر وتمثل به لا يذكره إلا غير موزون ، لكونه لم يكن في طبعه ، وقد قدمنا سبب ذلك . فكان عليه السلام يتمثل بقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتئك بالأخبار من لم تزود
ينشده غير موزون ، يقول ، (ويأتئك من لم تزود بالأخبار)^(١) فيقول [١١ / ب] أبو بكر الصديق : ليس هكذا يا رسول الله وإنما هو (ويأتئك بالأخبار من لم تزود) فيقول له عليه السلام ، إني لست بشاعر ولا ينبغي لي قوله ، عليه السلام .

« ولا ينبغي لي ، أي ما هو بحسن في حقه ، لأنه لو كان يقول الشعر لكان يورث الشبهة في الطعن فيما أتى به من القرآن ، ولقيل إنه من عنده . وقد قال المشركون فيه : شاعر ، ولم يكن بشاعر . قال الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٢) فنزّهه عن ذلك انظر قولهم ، وهو ليس بشاعر ، فما ظنك لو كان شاعراً ؟

وقال الحسن^(٣) : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً » ؛ فقال أبو بكر : ياني الله إنما قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً^(٤) *

فقال أبو بكر وعمر^(٥) : أشهد أنك رسول الله ؛ لقوله تعالى ﴿ وما علمناه

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١٥ : ٥١-٥٢

(٢) سورة يس ٣٦-٦٩ . (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٣) الخبر في تفسير القرطبي .

(٤) هجر بيت لسحيم عبد بن الحساس (ديوانه ١٦) ونظمه :

عميرة ودع إن تجهزت فازابا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً
(٥) يعني تعقياً على ذلك .

الشعر وما ينبغي له ﴿ وقال الحكم : كان النبي صلى الله وسلم يتمثل بقول العباس بن مرداس^(١) :

أجعل نبي ونهب العبيد... بين الأقرع وعينية
فقالوا يا رسول الله إنما قال : بين عينة والأقرع ، فأعادها فقال : بين الأقرع وعينية . فقام إليه أبو بكر فقبل رأسه فقال : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

ولإذ قد فرغنا من ذكر جواز الشعر وفضله ، والأدلة على ذلك ، فلنشرع في بعض ما يتعلق به من علم البديع ؛ من تجنيس وترصيع وغير ذلك مما يندرج تحته . فمن ملك زمام ذلك فهو المقدم لمحل راية الأدب ، ومن كان خلياً منه فباعه في الإجابة^(٢) لا محالة قصير ، إذ لم يتمتع من ذلك بقليل ولا كثير . ولا بد للشاعر^(٣) من معرفة اللغة والعربية ، فإن كان قاصراً عنها كان شعره دون من يكون بها عالماً لا محالة .

[١٢ / أ] والعربية أهم للشاعر من اللغة لأنه إن تكلم بشعر أو غيره لم يلحن ، وإن خلا منها لحن ضرورة .

واللحن من أقبح الأشياء . أتى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على قوم يرمون رثقاً لهم ، فأسأؤوا الرمي^(٣) . يا أمير المؤمنين نحن قوم متعلمين !

(١) الخبر مفصل في تفسير القرطبي ١٥ : ٢٠٣ . والبيت على جهته :

أجعل نبي ونهب العبيد بين عينة والأقرع

والعبيد اسم فرس عباس بن مرداس ، والبيت من جملة أبيات في العقد ١ : ٢٨٦ .

وانظر البيت ورواياته في « ديوان العباس بن مرداس » جمعه د . يحيى الجبوري .

(٢) لم تتضح الكلمات في نسخة دار الكتب ، وهما من نسخة الرباط .

(٣) سقط نحو سطر تقديرأ ، ولم ينسب إلى ذلك في المخطوطتين .

وفي ألف باء لأبي الحجاج البلوي ، عرف بابن الشيخ ١ : ٣٤ « مر عمر رضي الله عنه =

فقال عمر رضي الله عنه لإساءتكم في لحنكم شر من إساءتكم في رميكم أو رشقكم، رحم الله امرءاً أصلح من لسانه. وقال أيضاً: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل. ولا بد له من معرفة العروض، وعلم القوافي، إذ بالعروض يقيم صنفاً^(١) الأوزان الموجودة للعرب. ومن كان جاهلاً به، والوزن في طبعه، ربما وقع في غير أوزان العرب، وخرج للأوزان الطبيعية من الدوائر وغيرها مثل أوزان الموشح وغيره. ولولا غفلة التطويل لذكرنا دوائره وبحوره، وأعاريضه، وضروبه، وتفصيلاته في التقطيع.

ولنذكر ما عليه يبني علم البيان^(٢) - ولا بد أيضاً للشاعر من معرفته - وهو أربعة أشياء: الكناية والاستعارة، والتمثيل والإشارة.

فالكناية على نوعين^(٣): النوع الأول أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له، وتأتي بتاليه وجوداً لتوميء به إليه، وتجعله شاهداً له ودليلاً عليه مثاله: فلان كثير رماد القدر، وطويل النجاد. فهذه الكناية أبلغ من التصريح.

النوع الثاني: أن تأتي بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل على من هي له حقيقة. مثاله قول زياد الأعجم^(٤):

إن الساحة والمروءة والندی في قبة ضربت على ابن الحشرج

= يقوم يتناضلون ورمى بهضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت، فقال يا أمير المؤمنين نحن متعلمين أ فقال: والله لخطوك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك. احفظوا القرآن وتعلموا اللحن». قال ابن الشبخت: واللحن في هذا الموضع: اللغة.

(١) الصفا المبل.

(٢) راجع: الدكتور شوقي ضيف في: (البلاغة تطور وتاريخ) عن اضطراب مفهوم علم البيان في بعض الدراسات البلاغية.

(٣) بحث الكناية في تحرير التعبير: ١٤٣.

(٤) في مدح عبد الله بن الحشرج (الأغاني ١٢: ٢٠).

والاستعارة (١)

وهي مأخوذة من العارية ؛ لأن الشاعر يعبر المعنى ألفاظاً غير لفظه الموضوع له ، كقول بشار بن برد (٢) :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
وكقول بعضهم : (٣)

وكالسيف إن لا ينته لان منته وحده إن خاشته خشنان

والتمثيل (٤)

وهو إنما يكون مجازاً إذا جاء على حد الاستعارة . وقد جاء به القرآن ، مثاله من القرآن قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ (٦) . وقد جاء به الحديث ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء » وقد جاء في كلام العرب ، وهو قولهم للمتخير (٨) : « فلان يقدم رجلاً »

(١) في تحرير التعبير ٩٧ .

(٢) هو من شواهد التشبيه التمثيلي في التلخيص للقرظيني : ٢٥٤ ، والإيضاح له . وهو في الديوان : ٣١٨ وانظر رواياته .

(٣) البيت في العقد ١ : ٥٢ وفيه : هو السيف

(٤) جعله ابن رشيقي في العمدة من ضروب الاستعارة (١ : ١٨٧) . وانظر تحرير التعبير ٢١٤ وقال القرظيني إنه يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، أو التمثيل مطلقاً .

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٢٤ .

(٦) سورة مريم ١٩ : ٤

(٧) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ؛ والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا . أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم . »

(٨) هو من كلام الخليفة الأموي الوابد بن يزيد ، كتب إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه يتلصقاً في بيعته « أما بعد فلاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت ، والسلام ! » .

ويؤخر أخرى ، . وقد جاء في الشعر ؛ قال عمرو بن كلثوم :
 ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فمجدك حولي^(١) ولؤمك قارح
 وقال العباس بن الأحنف :^(٢)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
 فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

والإشارة^(٣)

قال قدامة هي اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمحة الدالة .
 قال زهير بن أبي سلمى^(٤) :

فإني لو لقيتك فاجتمعنا لكان لكل منكرة كفاء
 وقال امرؤ القيس^(٥) :

على م بكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولاواني

ذكر القاب في صناعة البديع^(٦)

وهي ستة وعشرون لقباً التجنيس ، والترصيع ، والاشتقاق ،
 والتطبيق ، ولزوم ما لا يلزم ، والتضمن المزدوج ، والالتفات ، والاعتراض ،

(١) الحولي : ما أتى عليه حول من ذي حافر وغيره . والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل .

(٢) ديوانه (طبعة الجواثب : ١١٣) . وفي البيت الثاني فجاهل قد رمى بالظن غيركم

(٣) الإشارة من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى (نقد الشعر : ٥٥) وانظر تحرير التعبير ٢٠٠ والعمدة ١ : ٢٠٦ .

(٤) البيت لزهير في ديوانه ٨١ طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) ديوان امرئ القيس ٣١١ (بشرح الأعلام الشتري دار المعارف بمصر) .

(٦) اكتفى المؤلف بهذه الأنواع من فن البديع ، وسأحيل على بعض المصادر مثل العمدة وتحرير التعبير . ويلاحظ أن هذه الأنواع هي أعيانها التي ذكرها ابن الزمكاني في كتابه « التبيان » المطبوع في بغداد والذي رد عليه ابن عميرة المخزومي الأندلسي (انظر دراسة صديقنا الدكتور محمد بن شريفة عن أبي المطرف بن عميرة المخزومي - طبع المغرب)

واللف والنشر ، والتفسير ، والتعديد ، والتخييل ، والمتواتر ، ورد المعجز على الصدر ، والمساواة ، والمكس والتبديل ، والاستدراك ، والرجوع ، والاستطراد ، والاستهلال ، والتخليص ، والترديد ، والتتميم ، والتفويف ، والتجاهل ، والهزل المراد به الجد ، والتنبيه .

أما العجنىس (١)

فهو مناسبة بين لفظين فأكثر ، في كل حروفها ، أو في أكثرهما ، مع اختلاف المعنى ؛ وسواء اتفقت الصيغ أو اختلفت . من ذلك قول ابن المعتز :
وإني للشعر المخوف لكالي وللشعر يحري ظله لرشوف
انظر ما أحسن هذا البيت ، كيف جمع فيه بين الشجاعة والفزل .

وأما الترصيع (٢)

فهو أن تكون الكلمات متقاربة في الأوزان ، متفقة الأعجاز ، مثاله قوله تعالى (٣) ﴿ إِنْ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴾ . وقول الخنساء (٤) :
حامي الحقيقة محمود الطريقة نفثاع وضرار
[وقولها]
جواب قاصية ، جزأز قاصية عقاد ألوية ، للخييل جرار

(١) تحرير التعبير : ١٠٢

(٢) باب التصريع في تحرير التعبير ٣٠٥

(٣) الفاشية ٢٥/٨٨

(٤) استشهد المؤلف بالبيتين على أنها في درج واحد . والبيت الثاني في الديوان « ط بيروت

١٨٨٩ » ص ٢٧ ، برواية :

شهاد أندية للجيش جرار

حال ألوية هباط أودية

وفي قصيدة أخرى « ص ٤٣ » :

صحح اليد بن جواد غير مقتار

جواب أودية حال ألوية

وأما الاشتقاق (١)

فهو أن تأتي بالفاظ يجمعها أصل واحد ، يكون معناه مشتركاً ، كما [تكون] (٢) حروفه [١٣/ب] الأصول مشتركة ، ويزيد على معنى الأصل بوجه مع تغير اللفظين. مثاله: ضرب ، ويضرب ، واضرب ، وضارب ، ومضروب . وضروب ، وضرباب ، ومضراب ، ومضرب ، فإن ذلك كله مشتق من الضرب . ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ ﴾ (٣) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيباً » . ومنه قول الشاعر (٤) :

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليك عما ناب قومك فائم ؟ !
فكان الشاعر يقول ينبغي أن يكون (بدر) سمي بهذا الاسم من ابتدار سيوفنا فيه إليكم ، وإن كان الاسم سابقاً .

وأما التطبيق (٥)

فهو أن تأتي بالشيء وضده ، كقوله تعالى (٦) ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ . وكقول دعبل الخزاعي (٧) :

لا تمجبي يا سلم من رجسٍ ضحك المشيب برأسه فبكى !

(١) هو داخل عند ابن أبي الإصبع في باب التجنيس ، وقال فيه قدامة إنه اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . (نقد الشعر ٦١ . وتحرير التعبير ١٠٢-١٠٣)

(٢) في مكان الكلمة طمس في النسختين .

(٣) الروم : ٤٣/٣٠

(٤) هو النعمان بن بشير ، والبيت في نقد الشعر « ٦١ » .

(٥) العمدة ٢ ٦ ، وتحرير التعبير : ١١١

(٦) التوبة ٨٣/٩

(٧) صفحة ١٦٠٠ « بتحقيق : الدكتور عبد الكريم الأثر » .

وقول زهير بن أبي سلمى (١) :

ليث بعثر يسطاد الرجال إذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي (٢) :

فرد شعورهنّ السود بيضاً وردّ وجوههنّ البيض سودا

وأما لزوم ما لا يلزم (٣)

فهو ما في الاصطلاح أن الناظم أو النائر يضيق على نفسه في التزامه مؤاخاة ألفاظ التسجيع . مثاله قوله تعالى ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ ، وأما السائل فلا تنهر ﴿٤﴾ . وفي قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه « لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً » ومنه قول ذي الوزارتين الأمير أبي بكر [١٤ / أ] محمد بن عمار المهري في وصف هبوب نسيم الشحر على الرياض (٥) :

بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم .
يبلغنا أنفاسه فتدّها بأعطر أنفاس وأذكي منام

وأما التضمن المزوج (٦)

فهو أن يقع في أثناء قرائن النثر أو النظم لفظان مسجمان مع مراعاة حدود الأسجاع الأصلية التي يسميها الأكثر الفِقَر . مثاله قوله تعالى ﴿وجئتكم

(١) ديوانه «طبعة دار الكتب المصرية ٥٤» وفيه: ما الليث كذب . «وكذب الليث» لم يصدق الحملة ، وكذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه .

(٢) البيت من قطعة له في العمدة ٧:٢ . وساقه ابن أبي الأصبع مثلاً على العكس والتبديل : ٣٢٠ .

(٣) ويسمى الالتزام ، كما في تحرير التعبير ٧١٥ .

(٤) الضحى ٩/٩٣ - ١٠

(٥) ديوانه صفحة ٢١١ : وفيه تبلفنا .

(٦) ورد عند ابن أبي الأصبع في تحرير التعبير : ٣٠٢ بعنوان «الترصيع» .

من سبأ بنبا ﴿٢﴾ . ومنه قوله بعض الشعراء البلغاء ، وهو ابن نباته .
قال : ﴿٢﴾ أيها الناس :

احضروا . بصفاء الأذهان . لعظات الزمان .
فقد لخصها على قدمه . لمستمعها .
وتدبروا . قوارع القرآن . ببصائر الإيمان .
تكتفوا بزواجر . نواهيها .
وادرؤوا . سوابق العصيان . بلواحق الإحسان .
تسلموا من داوثر . مهاويها .

وعلى هذا الأسلوب أنشأ الفقيه القاضي الكاتب أبو الحسن علي بن القائد
أبي عبد الله محمد بن الصباغ العقيلي الأندلسي خطبة كتابه المترجم مجليس
الأديب وأنيس الفريب ، وهي :

الحمد لله معتمد الإنسان . بعميم الإحسان . عناية .
لاتحد ، ولطفنا .
ومعلمه من البيان . وملهمه إلى التبيان . رعاية .
لاتصد ، ولا تجفى .

هجز عنه كل لسان . فلو اجتمع الإنس والجان . نهاية
فالرد . أن لم يبلغوا حرفا .

أحمد ، حمد من أقر على نفسه ، أنه أولاه نعمه ، إنعاماً وافى فوقى
وأشكره شكر من أمر على طرسه ، بذكر مولاه قلعه ، فيما قنع ولا استكفى
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعدّها :

(١) النمل ٢٧/٢٢
(٢) يعني من خطبة له .

شهادة تخلد في جنته لنا قراراً يؤنسنا بحلمه فنأمن خوفاً
وإفادة تجدد من منته لنا جواداً يلبسنا حليته الرائقة شفا .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله :

أفضل ، مخصوص ، بقوله ، وخطابه ، والخاتم ، لمصطفيه ، أقر بها ألفاً .
وأجل منصوص على فضله من كتابه ، بالمكانم ، تصار إليه ، ليست بهرجاء ولا زيفاً .
وأصلي عليه ، وعلى آله وصحبه ، وعترته ، وحزبه . صلاة تامة أجدها
وقاية يوم لا أملك لنفسي عدلاً ولا صرفاً

وأما الالتفات (١)

فهو أن تعدل من الخطاب إلى الإخبار ، ومن الإخبار إلى الخطاب ، أو
من الغيبة إلى التكلم مثاله قوله تعالى (٢) : ﴿ ملك يوم الدين . إياك نعبد وإياك
نستعين ﴾ وقوله تعالى (٣) : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم
في الفلك وجرين بهم ﴾ ومنه ، قال إسحاق الموصلي قال لي الأصمعي :
أتعرف التفات جرير ؟ قلت لا . فأنشدني (٤) :

أتنسى إذا تودعنا سليمي بفرع بشامة ، سقي البشام

ألا تراه مقبلاً على شعره ، ثم التفت إلى البشام ؟

و [منه] قول جرير (٥) :

(١) العمدة ٢ : ٤٤ . ونحوه التعبير ١٢٣ .

(٢) فاتحة الكتاب ١ - ٤ - ٥

(٣) يونس ١٠ / ٢٢

(٤) دبرانه : ٥١٢ ، وهو من الشواهد المشهورة .

(٥) ديوانه ٥١٢ : وهو مطلع قصيدة له .

مق كان الحيامُ بذى طلوحٍ سقبت الغيث أيتها الحيامُ !

والاعتراض^(١)

هو أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ، فيعدل عنه آخذاً في غيره ، قبل أن يتم الأول . ثم يعود إليه فيتممه ، فيكون ما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه :

قال النابغة : - وقيل للجمدي -^(٢)

ألا زعمت بنو عبسٍ بآني ألا كذبت كبير السنّ فانٍ
و [منه] قول كثير^(٣) :

لو أن الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا
وقال الآخر :

فإني إن أفتك بفتك مني - فلا تسبق له - علق نفيس

وأما اللف والنشر^(٤)

فهو أن تذكر شيئين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع يرد كل تفسير إلى اللائق به ؛ كقوله تعالى^(٥) : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ ولم تقل الطائفتان ذلك ؛ وإنما قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى .

(١) أورده القزويني في علم المعاني : التلخيص ٢٣١ .

(٢) ديوان الجمدي : ١٦٢ من قصيدة له وفيه : بنو كعب ... كذبت .

(٣) البيت في ديوان كثير ٥٠٧ وانظر العمدة ٢ ٣٦ .

(٤) التلخيص للقزويني ٣٦١ .

(٥) البقرة ٢ : ١١١ ونظامها : « تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وأما التفسير (١)

فهو أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصه فتعديه مع ذلك المخصص ؛ مثاله قوله تعالى (٢) : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ ﴾ ثم قال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَشَقِيحٌ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ﴾ الآية . وقول طريح (٣) :

إِنْ حَارِبُوا وَضَعُوا أَوْ سَالُوا رَفَعُوا أَوْ وَاغَدُوا ضَمِنُوا ، أَوْ حَدَّثُوا صَدَقُوا

وأما التعديد

فهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد . مثاله قوله تعالى (٤) : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

وأما التخجيل

فهو تصوير حقيقة الشيء حق يتوهم أنه ذو صورة تشاهد أنه مما يظهر في العيان مثاله قوله تعالى (٥) : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَةً بِيَمِينِهِ ﴾

وأما المتواتر (٦)

فهو أن يتفق آخر الكلمتين اللتين بهما تكمل القرينتان وزناً ولفظاً في الحرف الأخير . مثاله قوله تعالى (٧) : ﴿ فِيهَا مَرَرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ .

(١) انظر باب التفريق والتقسيم في التلخيص : ٣٦٦

(٢) هود ١١ - ٣٠٦ .

(٣) البيت من قصيدة مطولة في مدح الخليفة الأموي الوليد بن يزيد « الأغاني ٦ : ٩٨ » قال أبو الفرج ذكر يحيى أن الشعر لطريح ، وذكر ابن السكيت أنه لابن هرمة .

(٤) البقرة ٢ : ٢٥٥

(٥) الزمر ٤٩ : ٦٧ .

(٦) انظر باب التسجيع في تحرير التعبير : ٣٠٠

(٧) الفاشية ٨٨ : ١٣ - ١٤

وأما رد العجز على الصدر^(١)

فهو أن يلاقي آخر الكلام أوله بوجه ؛ مثاله قوله تعالى^(٢) : ﴿وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه﴾ . [١٥ / ب] وقول الشاعر :
سكران سكر هوى وسكر مدامة أتني يفيق فتي به سكران ؟ !

وأما المساواة^(٣)

فهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان ؛ مثاله
قول زهير^(٤)

ومها تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وأما العكس والتبديل^(٥)

فهو كل ما كان من قبيل ما يحمل على غيره لقصد المدح أو الذم فتجعل
ما ينبغي أن يوصف به موصوفاً ، وما ينبغي أن يكون موصوفاً صفة ؛ مع
إجرائها على الأصل في ذلك الكلام . مثاله :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا !

وأما الاستدراك والرُّجوع^(٦)

فهو أن يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والإبطال . مثاله :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكُلاً ليس منك قليل

(١) تحرير التعبير ١١٦

(٢) الأحزاب ٣٣ ٣٧ .

(٣) التلخيص : ٢٠٩ وأورده القزويني في علم المعاني .

(٤) ديوان زهير ٣٢

(٥) تحرير التعبير ٣١٨

(٦) تحرير التعبير ٣٣١

وأما الاستطراد^(١)

فهو كل كلام خرجت منه ، وأخذت في غيره مما يناسبه ويلابسه ، مع أنه دخيل فيما عقد له التصدير . ومنه : قال البحتري أنشدني أبو تمام هجو عثمان بن إدريس الشامي^(٢)

وسابح هطل التعدادِ هتانِ على الجيراء أمينٍ غيرِ خوَّانِ
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه فخلَّ عينيك في ظمآنِ رَيَّانِ
فلو تراه مشيحاً والخصى فلقُ تحت السنايك من مثقٍ ووحدانِ
حلفت إن لم تثبت أن حافيرهُ من صخر تدمر أو من وجه عثمانِ!

ثم قال : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ؛ فقال هذا هو الاستطراد . فقلت : فما معنى ذلك ؟ [١٦ / أ] قال : يريك وصف الفرس ، وهو يريد هجاء عثمان . فأخذها البحتري فقال :^(٣)

يهوي كما تهوي العقابُ وقد رأت صيداً وينصبُ انصبابِ الأجدلِ
ما إن يعافُ قذًى ولو أوردتهُ يوماً خلألق حمدويه الأحولِ !
وقال بشار بن برد^(٤)

خليلي من كعبٍ أعينا أخاكها على دهره إن الكريم ممسينُ
ولا تبغلا بخل ابن قزعة إنَّه مخافة أن يرجى نداءُ حزين^(٥)
إذا جئتهُ في حاجةٍ سدَّ بابهُ فلا تلقه إلا وأنت كمينُ !

(١) تحرير التعبير : ١٣٠

(٢) ديوان أبي تمام ٤ ١٢٥

(٣) ديوان البحتري ٣ ١٧٤١ . وهما من قصيدة في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب . وفي أخبار أبي تمام أنه كانت بين المدوح وبين حمويه عداوة . وبين البيتين السالعين ، في الديوان ثالث .

(٤) ذكرهما المبرد في الكامل ، وهما في ملحق ديوانه ٤ ٢١١ .

(٥) بعد هذا البيت بيتان آخران قبل الخامس . (الثالث هنا) .

وأما الاستبدال^(١)

فهو أن تبدىء بما يدل على الغرض . مثاله قول الخنساء^(٢)
وما بلغت كفاً امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وأما التخليص^(٣)

فهو أن تخرج من التغزل إلى ذكر المدح مع امتزاج بين النوعين بحيث يتلاءمان تلاؤم أجزاء النوع الواحد . مثاله قول محمد بن وهيب: (٤)

ما زال يُلثمني مرأشفي ويعلني الإبريق والقدر
حتى استردّ الليل خلعتي وبدا خلال سواده وضع
وبدا الصُّباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح!

وأما الترديد^(٥)

فهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردّها بعينها ، وتعلقها بمعنى آخر . وأكثر ما يستعمله المحدثون . ومنه قول أبي حية النميري^(٦) ، وهو المقدم في ذلك ، إذ أجمعوا أنه [١٦/ب] سبق إلى الإحسان جميع من تقدمه أو تأخر عنه^(٧) :

-
- (١) في تحرير التعبير بعنوان : حسن الابتداءات : ١٦٨ .
(٢) من أبيات ترثي أخاها (الديوان : ٥) وانظر روايات البيتين .
(٣) في تحرير التعبير بعنوان : براعة التخلص .
(٤) في النسختين : محمد بن وهب . والشاعر هو محمد بن وهيب ؛ ترجم له في الأغاني ١٩ : ٢٦-٢٧ والأبيات من قصيدة له بمدح بها المأمون العباسي .
(٥) تحرير التعبير : ٢٥٣ .
(٦) ترجمته في الأغاني ١٦ : ٢٣٦ .
(٧) البيتان الأولان في الأغاني ١٦ : ٢٣٥ ، وفي العقد ٦ : ١٦٤-١٦٥ برواية أخرى .

ألا حي من أجل الحبيب المغانبا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوم "ليلة" تقاضاه شيء لا يمل "التقاضيا
كلانا غني عن أخيه حياته" ونحن إذا متنا أشد تغانبا
وقال الخليلع الباهلي

لقد ملئت عيني بحسن محاسن ملآن فؤادي لوعة وهموما

وأما التعميم^(١)

فهو أن تأخذ في بيان معنى، فلا تترك شيئاً يتم به ذلك التبيين ويتكامل
الإحسان معه فيه إلا أتيت به . مثاله قول ابن الرومي^(٢) :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح تجلوالدجى والأخريات رجوم
وقول طرفة^(٣) :

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديعة تهمي

وأما التفويف^(٤)

فهو أن تصف المذكور بما يدل على مدحه من صفات المكارم مثلاً ، ثم
يدل على ذمه ؛ لكن تقرر بذلك الذم ما يرشد بأنه مديح ، مثاله قول جرير^(٥) :

هم الأخيار منسكة وهديا وفي الهيجا كأنهم صقور
بهم حذب الكرام على الموالي وفيهم عن مساءتهم فتور
خلائق بعضهم فيها كبعض يؤم كبيرهم فيها الصغير
عن الشكراء كلهم غبي وبالمعروف كلهم بصير

(١) في تحرير التعبير بعنوان باب التمام ١٢٧

(٢) لم ير في ديوانه (ط الكيلاني)

(٣) ديوان طرفة : ٩٣

(٤) تحرير التعبير ٢٦٠

(٥) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٢٣٤ يمدح بني أمية . وانظر اختلاف الروايات .

وأما التَّجاهلُ^(١)

فهو أن تسأل عن شيء تعرفه ، موثماً أنك لا تعرفه ، وأنه بما داخلك فيه الشك ، وخابلك لقوة شبه حصل بين المذكورين . مثاله^(٢) :
أيا ظبية الوعساء بين جلاجيلٍ وبين النُّقا أنت أم أمٌ سالم

وأما الهزلُ الذي يُراد به الجحد^(٣)

فهو أن تعلم لمن أذاك يُفاخرك عيباً ، فتعرض له إذا فاخرك بذلك العيب . مثاله^(٤) :
إذا ما تيمى أذاك مُفاخراً فقل عَدَّ عن ذا ، كيف أكلُّك للضب ؟ !

وأما التَّنبيه

فهو أن تطلق كلاماً للانتقاد فيه متسع ، ثم تنيطه بما [يدفع] ذلك ويدل على استقامته ، مثاله

هو الذيب ، أوللذيب أوفى أمانةٍ وما منها إلا أزل خؤونُ
وقال الآخر

إذا ما ظمئتُ إلى ريقها جعلتُ المُدامة منه يديلاً



(١) تحرير التعبير ١٣٥ بعنوان تجاهل العارف .

(٢) البيت في الخصائص ٢ ٥٨ ؛ وانظر تحريجاته فيه .

(٣) تحرير التعبير : ١٣٧

(٤) البيت لأبي نواس من قصيدة له في الهجاء « الديوان ٥١٠ » .

الباب الثاني

فيما بلغنا من شهر كتاب بني مريين طوك المغرب

أمير المسلمين أبو الحسن علي بن أمير المسلمين عثمان بن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق^(١) .

(*) بنو مريين من قبائل زناتة . كان موئلهم الأول بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى
سجلماسة ، وكانوا في طاعة الموحدين فلما كانت هزيمة العقاب سنة ٦٠٩ ، وضعف أمر
الموحدين ، بدأ نجم المريين بالظهور ، وبرز فيهم أبو محمد عبد الحق بن محيو المريني الذي
تنسب الدولة أحياناً إليه فيقال الدولة المرينية العبد الحقية .

واستمر نجم المريين بالظهور ونجم الموحدين بالأفول حتى استولى بنو مريين على أمصار المغرب
الرئيسية كمراكش وسلا والرباط وفاس وغيرها ، وانتهت محاولات فلول الموحدين نهائياً بقتل
أبي دبوس سنة ٦٦٧ على يد يعقوب المريني .

واستقر المريون في المغرب «الأقصى» وامتدت حدودهم في مدد كثيرة حتى شملت
المغرب كله ، وكانت بين دول المغرب الثلاث المرينية ، والزيرية ، والحفصية علاقات متشابكة
بين التصافي والتعاون من جهة ، والحروب والفتن - وهو الأقل - من جهة أخرى .

واستمرت الدولة المرينية إلى أواسط القرن التاسع الهجري حيث خلفهم بنو وطاس .
(راجع في ذلك روضة النسر لابن الأحمر «الرباط-المطبعة الملكية» وقاريخ ابن خلدون
«العبر» ، والاستقصا للناصري) .

(١) أبو الحسن المريني «٦٩٧-٧٥٢» يلقب بالنصور ، بوسع له بفاس سنة ٧٣١
بعد وفاة أبيه . كانت حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية وامتد سلطانه إلى قلمسان
«عاصمة بني زيان» وتونس «عاصمة الحفصيين» . وامتد ملكه من مصراته إلى السوس الأقصى ، وأنحـد

حاله - رحمه الله - (هو) ^(١) محرز قصب سبق الكال ، المستولي على أمد الإجمال . له المناقب الجميلة ، والآثار الجميلة من العدل في الرعية ، وبذل الغيرة المرعية ، واتباع الأحكام الشرعية . وحسبك من فضائله الجسيمة ، ومحامده الجملة الوسيمة ، أنه ماتناول من الخمر كاساً ؛ ولا اتخذ منه خماساً ولا حل مآزره على حرام ، بل تبرأ من الفحش والآثام .

فمن قوله يفتخر - رحمه الله - ^(٢)

أرضي الله في مسرتي وجهري وأحمي العرض من دنس ارتياب
وأعطي الوفير من مالي اختياراً وأضرب بالسيف طلي الرقاب

== الأندلس يحيوشه وأساطيله بعد اشتداد حملة الدول الإسبانية ، وكانت عليه مع جموع الأندلسيين هزيمة منكرة سنة ٧٤١ قرب طريف . وجهر جيشه للعودة إلى الجهاد في الأندلس ، فلم يوفاة صاحب تونس أبي بكر الحفصي ونشوب الخلاف بين ابنه ، فقصده إلى تونس سنة ٧٤٨ ، وزار مدناً أخرى وحصلت بينه وبين قبائل العرب خلافات ومعارك ، ثم تصالح الطرفان . وفي هذه المدة بويج لابنه أبي عنان بعد انتشار خبر يقول بموت والده ، وخرج من المنصورة إلى فاس ، وتخلص أبو الحسن من طريقه بعد أهوال طويلة إلى قرب فاس ، ولكن مؤيديه يخسرون معركتهم أمام جيوش أبي عنان ، فيخرج إلى جبل هنتاكة ويقع في قبائله زماناً يسيراً ، ويمتل ويتوفي سنة ٧٥٢ . وقد دفن بمراكش ونقل بعد ذلك إلى فاس . وبعد أبو الحسن المريني في أشهر ملوك المرينيين ، وأبعدهم أثراً في الحضارة والممران (انظر روضة النسر بن لابن الأحمر ٢٥ ، جذوة الاقتباس لابن القاضي ٢٩١ ، والاستقصا في أخبار المغرب الأقصى للناصري ١١٨ : ٣ وما بعدها ، والمحة البدرية للسان الدين بن الخطيب ٩٢ - ٩٣ . ورقم الحلل في نظم الدول له : ٩٢ والعبر « تاريخ ابن خلدون » ٧ : ٢٧٨ ، ومشاهدات لسان الدين : ١٢٣) .

(١) كلمة هو لم ترد في ط .

(٢) البيتان في روضة النسر : ٢٦ .

ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس رحمه الله*

يكنى أبا عنان . ورأيت ، وكنت في حضرته بفاس تحت إيلته ، وسيب
إنعامه مدة حياته . وأعطى عني صداق ابنة عمي حين تزوجتها ، بحبة منه
إلي - رحمه الله تعالى - .

وكان كمثل أبيه سمياً وهدياً ، و(؟) ضخامة الملك واتساع البلاد . ملك من
السوس إلى إطرابلس وبلاد إفريقية مدة . وحين ارتحل إلى أرض إفريقية من
فاس ليملكها في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة سرت معه ، فأناحني من العطايا
ماقرت به عيني ، ولم أزل معه تحت يده ، حتى فرق الدهر بيننا بموته ، رحمه الله .
حاله - رحمه الله - :

هو الملك العالم بالمفروض والمندوب . الهمام الذي لم يزل لأذيال الشهامة
سحوب . من أشرقت بهائه ، وظهر بظهور روائه ، غياهب الظلم . ونجم
بتدقيق ذكائه ، وتحقيق آلائه ، مآثور العلم والكرم . فلا جهة من جهات البر
إلا عم علمه لديها ، ولا ناحية من نواحي الفقر إلا غطى كرمه عليها . وكانت
الملوك تبجله ، ومقصده تعجله ولا تؤجله ؛ لما كان أسداه المصور ، وفارسهم
المنصور .

(*) أبو عنان المريني (٧٢٩ - ٧٥٩) فارس بن أبي الحسن علي - صاحب الترجمة
السابقة - ولاء أبوه مدينة تلمسان ، ثم بويع بالملك سنة ٧٤٩ في حياة أبيه لما جاء الخبر
بوفاته ، واستتب له الأمر سنة ٧٥٢ بعد وفاة والده . ومن أعماله إعادة إخضاعه لبني زيان
ملوك تلمسان ، وللحفصيين أصحاب قسنطينة وتونس . وقد توفي مخنوقاً على يد وزيره الحسن
ابن عمر القودودي .

اشتهر أبو عنان بحب العلوم والآداب ، وإثابة أهل العلم ، ومناظرتهم . وكانت له عناية
بجمع الكتب وبناء المدارس .

(راجع في حياته روضة النسرين ٢٧ ، جذوة الاقتباس : ٣١٤ ، والاستقصا ٣ : ١٨١
ورقم الحلل : ١١٢ ، واللحة البدرية : ٩٣ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، والعبر لابن خلدون ٧ : ١٥١) .

ومن قوله في الحكمة

وإذا تعرض للرياسة خاميل^(١) جرت الأمور على الطريق الأعوج!

[١٨ / أ] وكنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء من فاس

[قدخل]^(١) عليه رجل من المنعرجين في سلك المتصلحين ، فلما نظر إلى

المتصلح قال بديهية

تراهم في ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعاً!

وأخبرني الفقيه الإمام المفتي المدرس قاضي الجماعة بفاس ، وقاضي الحضرة

المرينية المدينة البيضاء أبو عبد الله محمد القرشي المعروف بالمقري^(٢) ، بفتح الميم ،

كنت يوماً عند أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، فقال لي يا أبا عبد الله ؛

كنت يوماً بقصري ، وكان في يدي تفاحة ، فحضرت عليّ جارية من جواري ،

كنت أحبها حباً مبرحاً فأرمتها^(٣) بالتفاحة ، وقلت على البديهية

خذهما إليك هديةً من كفتك ملك ممالك

يُبدي العطايا دائباً ويُبدي شمل الفاتك^(٤)

(١) غير واضحة في الاصلين .

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تولى قضاء فاس أيام السلطان أبي عنان —

وهو الجلد الأعلى للمقري صاحب نفح الطيب — له ترجمة في (المرقبة العليا ١٦٩ ،

والتعريف بابن خلدون ٥٩ ، والإحاطة ٢ : ١٣٦ ونفح الطيب ١ ٥٥٦)

(٣) كذا فيهما .

(٤) قال في روضة النسرين ومن شعره الحلو

رمى تصوب حي حي تصوب رمي

نهي تقاصد خلي خلي تقاصد نهى

أخوه لأبيه أمير المسلمين عبد العزيز - رحمه الله* -

يكنى أبا فارس . ورأيت . وكنت محضرته وتحت إيلته ، وكاد أن يكون
كأبيه المنصور بالله وكأخيه - أبا عنان - المتوكل على الله في هديهما وضخامة
ملكتهما ، لو لم تخترمه المنية .

حاله - رحمه الله -

هو الملك المتحلي بالتقوى ، المستمسك في ذلك بالحبل الأقوى . ظهر له في
الدين ما بهر به العقول ، وخرج عن الحد والمعقول . وسار بسيرة المنصور
أبيه ، ولم يقصر في ذلك عن مدى المتوكل أخيه . وجد في نجوم الحق وعدل ؛
وعن سنن الطاعة ماعدل .

فمن قوله - رحمه الله - ؛ زادها [على قول] أبيه ؛ قال والده رحمه الله

[١٨ / ب]

أرضي الله في سرتي وجهري وأحمي العرض من دنس ارتياب^(١)
وأعطي الوفر من مالي اختياراً وأضرب بالشيف طلي الرقاب

(*) أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني ٧٥٠-٧٧٤ . أحد ملوك بني مرين المعدودين .
جدد سلطة الدولة وبسطتها ، جاء به إلى الملك الوزير المتسلط على دولة المرينيين عمر بن عبد
الله ، ولكنه نقم عليه وتخلص منه ، وسام في استرداد الجزيرة الخضراء مع بني الأحمر وأعاد
الاستيلاء على تلمسان من أصحابها بني زيان وتوفي شاباً سنة ٧٧٤ وكان ولي الحكم ٧٦٧ .
(روضة النسرین لابن الأحمر ٢٣ ، الاستقصا للسلاوي ٤ : ٥٢ ، وجذرة الاقنباس
٢٦٨ ، والتعريف بابن خلدون ١٣٣) .

(١) راجع ترجمة أبي الحسن . وقد نقل الناصري في الاستقصا الأبيات عن ابن الأحمر

« الاستقصا : ٤ / ٥٩ » وفيه : « في سر وجهه » .

فقال هو - رحمه الله -

وأرغب خالقي في العفو عني وأطلب حيلمه يوم الحساب
وأرجو عونيه في عز نصره على الأعداء محروس الجناح
وعبدك واقف بالباب فارحم عبداً خائفاً ألم العقاب

ابن عمه الأمير منصور*

ابن أمير المسلمين أبي علي عمر بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان
ابن أمير المسلمين المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق .

يكنى أبا علي ، ورأيت . وكان قد بعثه ابن عمه أبو عنان إلى الأندلس مع
إخوانه الأمير المؤيد بالله عبد الحلیم ، والأمير عبد المؤمن ، والأمير الناصر .
فلم يزل بغرناطة تحت إيالة بني عمنا الملوك بني الأحمر إلى أن بعثه ابن عمنا
السلطان أمير المسلمين الغالب بالله ، المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن أخي
أبينا الرئيس الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي عبد الله محمد بن جدنا أبي
سعيد فرج ، مع أخيه السلطان المؤيد بالله عبد الحلیم ، حين قدّم ابن عمنا عبد
الحلیم المؤيد بالله أميراً ، وجوزة البحر لطلب ملك آباءه بني مرين بالعدوة .
فلما استقر الأمير منصور بغساسة قبض عليه ، وسبق لابن عمه أمير المؤمنين

(*) الأمير منصور بن أبي علي عمر . وأبوه أبو علي أخو أبي الحسن ، وكان والياً
- لعهد أبيه - على جنوبي المملكة ، وكانت بينه وبين أخيه فتنة انتهت بمقتله . وغرب أبو
عنان بن أبي الحسن أبناء عمه منصور وعبد الحلیم وعبد المؤمن والناصر وجملة من أهل
إلى الأندلس .

وفي جملة المشكلات التي طرأت بين بني الأحمر وبني مرين محاولة محمد الغني بالله النصري
الاندخل في شؤون الربنيين ، وتنصيب سلطان يدين له بالولاء ، ولكن محاولاته هذه لم تفلح
كما ذكر ابن الأحمر . وكان هذا سنة ٧٦٣ . وكان لمؤامراته سنة ٧٧٦ شأن آخر .

راجع الاستقصا ٤ : ٤٣ ، ونفاضة الجراب ٢٩٩ .

المتوكل على الله أبي^(١) [زيان] محمد^(٢) بفاس ، فقتله بالسيف .

حاله - رحمه الله -

كان يوصف بالكرم الفائق ، والنبل الرائق . مع الفصاحة في اللسان ،
والبلاغة في البيان . ومشاركة في العلوم ، ومعرفة بالمجهول والمعلوم [١٩ / أ]
وسمت ووقار وكلام ألد من كاسات العقار . لا تراه إلا جائداً بالجد^(٣) . . . عن
البغل في كل منتدى . أخبرني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو الحسن علي بن محمد ابن
معاود البلوي ، قال خرجت يوماً مع الأمير أبي علي منصور لمتزّه بخارج بلدنا
غرناطة (فلقينا)^(٤) وسيماً ، فقال فيه بديهة :

لو اطلّعت على قلبي رأيت به من لحظ عينيك أو من تغرك الأثرا

الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين

ابن موسى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأمير عبد الحق المريني ،
كان ببلادنا الأندلسية ، وقدمه على جيوشه الغزاة شيخاً ابن عمنا أمير المسلمين
الغني بالله ، أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي الحجاج يوسف ، بن أمير
المسلمين أبي الوليد إسماعيل أخيه جدنا ، بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن
جدنا الأمير إسماعيل بن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ، بن جدنا أمير
المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

(١) كلمة (زيان) لم ترد في النسختين

(٢) المتوكل على الله محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن ، حكم من صفر ٧٦٣ إلى ذي
حجة ٧٦٧ .

(٣) كلمة غير واضحة في النسختين .

(٤) الكلمة مطموسة في (ط) .

وهو من بيت الملك المريني . وبالأندلس ولد هو ووالده وجدته موسى ابن عبد الرحمن هو الداخل إلى الأندلس فرمى بر العدوّة أمام ابن عمه أمير المسلمين، الناصر لدين الله يوسف المكنى بأبي يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس خوفاً من الملك . فقدمه شيخاً على الغزاة جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس، ابن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن خنيس ابن نصر الخزرجي

حاله رحمه الله -

(كان) (١) بالشجاعة موصوفاً ، وبالبراعة معروفاً . وله في الأدب باع مديد [١٩ / ب] ورأيه مستعمل مديد . وفعاله وسيمه ، وصنائه جسيمه . وكان عارفاً بالتعديل ، لم يكن له عديل . وخط بيده من التقاويم الحسنة ما يخبر بتحويل كل سنة

أنشدني نفسه - رحمه الله - ملغزاً في مملوك له وسيم من أبناء الروم يسمى فارحاً

اسم فلان هين	يُصبي النهى تقريبه
حروفها ثلاثة	ثلثها مقلوبه (٢)

وأنشدني أيضاً لنفسه ملغزاً ، يقرأ أول كل بيت فيخرج : اشتقول لمن يحبك ؟

أرقت وقد نام الخلي المسلم	وبي من أليم الشوق ما ليس أكرم
شهودي نجوم راكدت كأنما	عدت عن طريق القصد والليل مظلم (٣)

(١) كلمة كان محسوة في (م) .

(٢) كذا فيها

(٣) في الاصلين : عدت عن طريق القصر ، وهو تصحيف ظاهر .

تذكرني من قد بليت بحبه
قضيب من الريحان غصن منعّم
وضعت له خدي وقلت ليعبرني
لزمت البسكا والشوق بعد فراقه
له مقلة ترمي إذا اللحظ نالها
مريض عليل الطرف من غير علة
نهيت فؤادي عنه فازداد لوعة
يسرك يامولاي إن مت بالهوى
حكمت على قلبي فعذبت مهجتي
بعينيك ما ألقاه فيك من الأمل
كنت فعوذ من كل بيتي أو لا

وفي القلب والأحشاء نار تضرّم
ولكنه بالوصل لي ليس يُنعم
هي فوق خدي عله لي يرحم
وقلت لذي بث ودمعي يسجم
وثغر كمثل الدر حين ينظم
فما أحد من شعر عينيه يسلم
وهل يستطيع الصبر صبّ مثمّ؟
وحسبك ما ألقاه والله أعلم
والحب سلطان على الصب يحكم
وإني في حي إليك مُصنّم
ودبره أحياناً لملك تفهم!



الباب الثالث

في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر قومي وأبنائهم *

أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله محمد (**)

(*) يطلق اسم دولة بني نصر أو دولة بني الأحمر على المملكة التي أسسها أبو عبد الله محمد بن يوسف ، الملقب بالغالب بالله . نشأ بأرجونة من أحواز قرطبة ، ونسب له شأن في المدة التي شغل فيها الجور السياسي الأندلسي بتداعي دولة الموحدين ، وكان واحداً من ثوار الأندلس المنازعين في الوصول إلى رياستها . وقد تملك جيان وخضعت له إشبيلية وقرطبة برهة يسيرة ، كما ذكر ابن الخطيب

وفي خضم الأحداث استدعاه أهل غرناطة وملكوه عليهم ، فجعلها عاصمته واستمر فيها وأرربها عقبه من بعد ذلك . وفي زمانه استقرت الحدود بينه وبين جيرانه من الدول الإسبانية في حديث طويل

وكانت بداية الدولة النصرية مع تملك الغالب بالله لها سنة ٦٣٥ هـ وكانت نهايتها مع تسليم أبي عبد الله الصغير مفاتيح المدينة إلى الملكين الإيبانيين سنة ٨٩٧ هـ وبين هذين التاريخين أحداث كثيرة تزخر بها الدولة النصرية .

(راجع الإحاطة لابن الخطيب ، واللمعة البدرية له ، ورقم الحلل له ، ونفاضة الجراب ومشاهدات لسان الدين » وقاريغ ابن خلدون «المبر» ، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان

(**) هو محمد بن إسماعيل بن (القائم بأمر الله المتغلب على أندرش) محمد . وكان قد تزوج الأميرة يوسف ابنته ، فاقبل بالفرع الحاكم اتصالاً وثيقاً . وفي سنة ٧٦٠ هـ بر مؤامرة أفضت إلى تنصيب إسماعيل بن يوسف أخيه الأمير آنذاك الغني بالله محمد بن يوسف ، وقام بالامر معه ، من وراء ستار . ثم جدت أمور أدت إلى مقتل إسماعيل المتغلب على الحكم باسمه

ابن عمنا الرئيس الأمير الذي بويع بالطشأتين^(١) أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ؛ ابن جدنا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي .

بكنى أبا عبد الله ، وأدر كته . وهو ملك الأندلس وهو ابن أخي أبي - رحمه الله - .

حاله - رحمه [الله] -

و صفته في كتابنا (فريد العصر من شعر بني نصر) ما نصه :

« هو الملك الذي قدح زند الفضائل فأورى . وأعاد على الملة الحمدية عهد الشباب وقد أصبح ماؤه غورا ؛ والبهمة الذي تحدث الركبان بشجاعته نجداً وغورا ؛ الأريحي الذي جاد بجراه^(٢) رياض الآمال فراق نضرة ونورا . المتألق عطر ذكره تألق الصبح ، والذي كان له في تجارة الجهاد أوفر ربح . فإن ذكر الكرم فهو ابن يجده ، وإن وصف الإقدام فهو عين نجدته :

== وارتقائه إلى السلطنة من سنة ٧٦١ إلى جمادى الثانية ٧٦٢ . فقال لسان الدين « وشعر الصهر المذكور - وهو ما هو من الإقدام ومداخلة ذؤبان الرجال - عن ساعد جده وراش وبرى واستعان بمن هفت به الأطماع . » وجمله رأي لسان الدين فيه أنه أجلب بالفتنة وأفسد الدولة ، وقاد نفسه إلى الهلكة .

(راجع اللوحة البدرية ١٠٨ و أعمال اعلام ٣٠٨ والإحاطة ٢ و تنفاضة الجسراب ١٨٣) .

(١) لم أقف على هذا الاسم ، وهو كما يظن ، مكان في غرطة .

(٢) في القاموس : من جراك وجرائك وجريرتك : من أجلك .

حدث به عن حاتم يوم الندى واسمع يزيد الخيل يوم المغنم
 ولا مرية في أنه بحر الجود المتلاطم الأمواج . ومنتهى الآمال حين تضيق
 بالمعتفين المسالك والفجاج . جادت من سماء جوده على العلماء كل خاطلة ثره ؛
 وجرت أنهار عطائه لهم لأنهر المجره أنسى - حقاً - ما يؤثر عن الطائي ، ووسع
 - صدقاً - بإشاره القريب والذائي . فعادت أخباره أحلى من الأناشيد ، وأملك
 للقلوب [٢٠ / ب] من الأغاريد ، ومنادته الفراقيد^(١) ، وأعذب من ماء العناقيد .
 وحين خطبته الخلافة ليكون لها بعلا ، لما تخيرته كفؤاً وأهلاً ، زهد في
 زهرة الدنيا وخاف النار ؛ وتسربل لحلل السكينة والوقار . وأمر بإراقة
 الخمر ، وقطع الملاهي ؛ فكان وجه الإمارة يشرق به ويباهي . لما أظهر من
 الحلم والعفاف ، وغمر المعتفين في إمارته من الإسعاد والإسعاف . مخالفاً لشهوات
 قلبه ؛ في مرضاة ربه . لا يثني العنان لريبة ، ولا يأسف - في غير الدين - على
 مصيبة . عفيف الفرج والبطن عما يشينها من الحرام ، متبرئاً من كل موبقة
 تجلب له الآثام . مضى في إحياء الشريعة على سبيل الخلفاء الراشدين ، وأربى
 في الشجاعة على من عاصره أو تقدمه من المتقدمين ؛ فكانت النصارى تفرق من
 خوفه ، وترى أن الحنف ملك لكفه

فعليت تأليني هذا بما انتهى إلي من مآثره المألوفة ، ومكارمه الجملة الجميلة
 الموصوفة ؛ لكونه زهد حين أقبلت عليه دنياه ، ولم يستغزه هواه . وكان
 يقتدي بالسلف الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبس ثياب
 الصوف . ولولا قصدي الإيجاز والاختصار لألفت في آثاره ومآثره أسفار^(٢) .
 ففى " جمعت فيه الفضائل " كلها ولا بد من نقص فكان من العمر !

(١) كذا فيها .

(٢) كذا لضرورة السجع .

فمن قوله - وكتب به مجاباً -

قُلْ لِّلّٰى نَبَأُكَ هٰذَا قَدْ صَحَّ هٰذَا بِدَّ صَحَّ هٰذَا (١)
فَلَا تَبَالِي صُدُودَ قَوْمٍ يَرُومُ فِي صَدِّكَ التَّذَاذَا (٢)
وَسَلَّمَ الْأَمْرَ وَالْمَقَاضِي لَخَيْرٍ قَاضٍ قَضَى بِهٰذَا

وعلى هذا الأبيات حكاية . وذلك أن كاتبه الفقيه أبا القاسم (٣) محمد ابن قطبة [٢١ / أ] الدوسي طلب منه أن يقلده رياسة كتابه ، وخطه العلامة وكانت علامة كتبه ، وكتب آباءه الملوك بني الأحمر من بني نصر : (صح هذا) تكتب بقلم غليظ القطة . فكتب له ابن قطبة هذا ، في ذلك ، بقوله (٤) :
تقولُ ليلي .. وقد رأيتني كسيف بال - : فُدِيت ، ماذا ؟
فقلتُ مهلاً ، فعن قريبٍ يصحُّ هذا بِدَّ صحَّ هذا !
فجابه ابن عمنا السلطان الغالب بالله ، المتوكل على الله ، أبو عبد الله المذكور بأبياته المقدمة .

-
- (١) قال ابن الأحمر - مؤلف هذا الكتاب - في كتابه الآخر (مستودع العلامة) ص ٢٣-٢٤ إن علامة دولة بني الأحمر (التي بوقع بها ملوكهم على الصكوك وغيرها) كانت « ولا غالب إلا الله » ثم كانت « وكتب في التاريخ » ثم كانت « صح هذا » .
(٢) كلمة « في » جاءت في الأصلين قبل « صدود » وتحت البيت نظر .
(٣) أبو القاسم محمد بن قطبة الدوسي ، من أسرة مشهورة بالأدب والخدمة السلطانية ترجم لسان الدين بن الخطيب لعدد منهم في كتبه المختلفة كالإحاطة والكتيبة السكامة وغيرها . وانظر أيضاً نثر فرائد الجمان ٣١٨ في ترجمة ابنه أبي بكر محمد .
(٤) البيتان في مستودع العلامة .

الرئيس إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج^(١)

ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أبينا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر ، رحمه الله .

يكنى أبا الوليد . ورأيت ، وصحبته ، وبني وبينه وداد عظيم .

حاله - رحمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد العصر من شعر بني نصر » بما نصه طلع في مماء البراعة نجما . وبرز في ميدان البلاغة ضيغما شها . وحاز من الفصاحة مالم يحزه سواه ، ومن الذكاء ما هو ألد من الشهد في الأفواه . ومن الهمة ما يسمو أدناها فوق الشاهد ، ومن الفكاهات ما يلتذ بسماها الغائب والشاهد . ومع ذلك فهو بالأدب عارف ، وعلى محبته عاكف . وربما نظم القصائد فتأتي كالقلائد في أجياد الخرائد . وتشبيهاته في الأدب ملوكية ، تلوح عليها مخايل العروبية . ومن علو همته وجلالة رتبته أن نفسه شغفت بحب الإماره ؛ ولا يتكلم في غيرها ليله ونهاره . قد تمكن من قلبه هواها ، ولا يميل في دنياه لشيء سواها . فانظر [٢١/ب] همة هذا الذئب ما أسماها ، ونفسه النفيسة ما أسماها . وهو فوق الجلالة ومحلي جيدها ، ومبدئ أسرار الفضائل لموعودها^(٢) .

(١) يلتقي المؤلف ، والمترجم به هنا عند جدما الأمير أبي سعيد فرج (صاحب مائة) .

فالمؤلف هو إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج ، والآخر هو إسماعيل بن فرج بن

إسماعيل (خامس ملوك بني الأحمر) بن فرج .

(٢) مكذا في النسختين .

أنشدني لنفسه - رحمه الله -

أردد في ليلى فرائد فيكرني فيحسبني صحي بليلى مولعا
ولو علموا ما يقتضي بعد همتي لخرثوا أمامي كلما لحت ركعا
وليت بجمراء البلاد ولم يكن فؤادي بجمراء الحدود ليولعا
أراد بجمراء البلاد دار الملك بفرناطة

وأنشدني لنفسه أيضا - رحمه الله - وكان قد بلغه عن أحد بني عمه
- وهو الرئيس أبو عبد الله محمد الأبكم - كلام قبيح في جنبه فقال
يفتخر :

يقولون إني بالبطالة مولع ولست ، ورب البيت ، أعرفها بتا
ولكنهم لما رأوني سدتهم وكان جوابي في مجالسهم صتا
تقول كل في جنابي ضلّة وما عرفوا وصفا لذاتي ولا نعتا
وأنشدني أيضا لنفسه :

يتوق لمن يهواه قلبي صباية فيمنعني عما أحب حياء
وأرسل طرفي محاسن وجهه فيمنعني عن قصده الرقباء
فلاحول لي قد ضاق ذرعي والهوى إذ البعد عني واللقاء سواء

وأنشدني أيضا لنفسه ، يداعب شاعره الفقيه الكاتب أبا العباس أحمد بن
محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ عند زواجه ، وكان قد تزوج
امراة مسنة

أما المعجوز فقد شغلت بكاهها عن مدحنا والسين دون اللام
فاقصير وقصير ما استطعت فإنها باب السقام ومشتهى الآلام
(لا تكثرن من النكاح فإنه ماء الحياة يراق في الأرحام)

أخونا الرئيس محمد بن والدنا^(١) .

يكنى أبا عبد الله ، وهو أكبر مني سناً ، يفوتني بعشرين سنة .

حاله - أحرمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد من شعر بني نصر » ، بما نصه :

هو أحد أبناء الملوك الموصوفين بالبراعة الفائقة ، والفصاحة الرائعة المعجبة الرائقة . ممن يشار إليه في فك معميات الأدب ، ويلجأ إلى معين فطنته في كشف مغيبات الطلب . متحل من الدين بشعاره المعجب ، مترنم بالقرآن ترنماً مستحسنًا مطرب . إن خط مهرقاً^(٢) فأين منه ابن مقلة في التتميق ؛ وإن شعر فما المرقش في التزويق . وإن خطب أنساك بلاغة سحبان ؛ أو أنشأنا العماد وبديع الزمان . وإن شدا مغنياً شغف القلوب وأذهلها ، وإن تكلم منشداً خدع العُصم في المعازل وأنزلها . فلو سمعه الموصل لسم إليه على ياس ، وكذلك ابن شكله إبراهيم بن المهدي صيت^(٣) آل عباس .

ومع ما حباه الله به من هذه الخصال البديعة ؛ التي لا تجتمع إلا في كل ذي نفس ذكية رفيعة ، لا تراه إلا مطرقاً من الحياء ، ولا متكلماً إلا في هبات الجزيل من العطاء .

لا يرفع الطُرف إلا عند مكرمة . من الحياء ولا يُغضي على عار .
إن عقد حبة خلته رضوى الوقار ؛ وإن نطق فكأنمسا سقي كؤوس
العقار : سمت همته الشريفة إلى حب الطاعة ، فلم يُلَف من أبناء الأمراء الزهاد

(١) لم أقف له على ترجمة ، غير ما ذكره ابن الخطيب عرضاً في جملة بني الأحمر الذين لجسوا إلى المغرب بعامة وإلى بني مرين بخاصة (اللوحة البدرية في الدولة النصرية) .

(٢) المهرق الصعيفة .

(٣) رجل صات وصيت : (مشهور) .

مصادما . وسرت جنود ورعه إلى ميدان الفضائل ، فلم تلق له مقاوما .
أيقابل السيل بالوشل ، أم يعارض الجد بالفشل ؟ ومكارمه قوت بها كل
[٢٢/ب] عين . وانتظم في لبه الدهر واسطة زين .

أنشدني لنفسه

يا نازحا ولعهد الحب قد نقضا لا تستحل حراما رمته غرضا
ناشدتك الله هل في العيش مستفعا يوما إذا ما جفا المحبوب أو رفضا؟
ولقي يوما ببعض الأزقة من فاس امرأة بارعة الجمال ، وقد لبست ثياب
حزن زرق ، وهي سافرة عن وجه كالقمر ، وهي تلطمه بيديها ، ومن حوالها
من النساء يرمن أن يبرقمنه فتنمنهن بيديها ، فقال بديهة :

ألبسوها ليحجب الحسن فيها ثوب حزن فزاد حسنا ومعنى
عجبا للسحاب تستر شمس فتقت غيمه شملا ويمنى ا

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

ولما نظمني معهم سلك الآداب ، وسلك بي مسلككم شرف الانتساب ، ولم
أكن ممن قصر عن ذلك المرام ، ولا ممن تبدد من ذلك النظام ؛ رأيت أن ترك
اسمي وعدم إثبات نظمي ، ثلة في جمع ، ووترأ من شفع ، وفلا في حسام ،
وحظا من أسقام بل كنت في ذلك ، من فريق هنالك ؛ قاده طبعه إلى تولج
هذا الباب ، وحداه عقله إلى مطالعة نوع من الآداب .

فمن قولي - لطف الله بي - وكان قد بلغني عن بعض بني عمي بعض القول
بما يقبح :

رمانى بنو عمي بزور مزور وما زلت أوفاهم وأحسنهم سمنا
رموني حقدأ بالذي لست أهله وإني عن مجر لأكثرهم صمنا
وإن جدودي كالجمال رزاة وما إن ترى فيها اعوجاجا ولا أمنا

[٢٣ / أ] وقلت أيضاً - خار الله لي - :

يومَ بانَ الظلَّاءُ عَنُونَا لا تَسَلْ ماذا لَقِينَا
أَيُّ شوقِ أَيٍّ وَجَدَ فضح السرِّ المَصُونَا
وأشدُّ من تَشَكُّي مَنْ بِهِمْ جُنْ جنُونَا
فرحَ الحاسِدِ مِمَّا آلمَ القلبَ الحَزِينَا
يا فراقَ الحِلِّ ماذا مِنْ ولوعٍ لكَ فِينَا ؟ !
كَلِمًا رُمْنَا بِمَعَادَا مِنْكَ أَدْنَيْنَا الشَّجُونَا
جثَّ في فَعْلِكَ هذا بخلافِ المَغرَمِينَا !

وقلت أيضاً في مدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله محمد* المخلوع : (١)

أبي الله إلا أن يَمْلِكَكَ الدُّنْيَا ويحمي بك الإسلام إذ حطته رعيَا
حميت جناب الله فضلاً ولم تَزَلْ تراقبُ فيه أمرَ ربِّكَ والنَّهْيَا

(١) سبقت الإشارة إليه (انظر إلى الحاشية ٢ صفحة ٢٥) . وقد امتد العمر بالأمير النصري الغني بالله ، وحكم الاندلس أكثر من أربعين عاماً على فترتين . وفي شعراء العصر عدد كبير من مدحه بالشعر والموشحات ، وفي أدبائه من رفع إليه مؤلفاته وطرزها باسمه . وفي هذا الكتاب تراجم عدد من الشعراء الذين مدحوه (انظر : الكتبية الكامنة للسان الدين بن الخطيب ، والإحاطة له ، ونثير فرائد الجمان ، وتفتح الطيب ، مثلاً) وتلقيبه بالمخلوع غير مشهور . وهو يشير إلى الحادثة عليه التي سلبته ملكه من ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ إلى ٢٠ جمادى الآخرة ٧٦٣ ، ولجأ في أثنائها إلى المغرب ، ودخل فاس فاتح محرم ٧٦١

والمعروف بلقب المخلوع منهم ثالث ملوكهم محمد بن محمد بن محمد بن يوسف فهو ولي السلطنة سنة ٧٠١ ، وخلع عنها في حديث طويل سنة ٧٠٨ .

(راجع في ذلك : اللوحة البدرية ، والإحاطة ، وأعمال الاعلام - القسم الثاني) .

وأعززت دين الله لما نصرته
وسرت لعمري سيرةً عمريةً
وقد خضعت صيد الملوك لأمركم
ومن حاد منهم عن مراميك كلها
سقيت بغيث الجود ما كان ماحلاً
ألا يا عفاة الأرض طراً تبادروا
هو الفدء في الأملاك طراً لأنه
همام إذا ما الروح عب عبابهُ
[٢٣ / ب]

ولاحت بروق الهند وامتلا الفضا
وطاطأت الأرماح تدمى أنوفها
أراك محبباً تالياً سورة الضحى
على فضله قد أصفق الناس مثلها
بني حرماً للمكرمات تحجته
وأذهب بالتقوى القبائح كلها
وأدرك بالعزم الذي أعجز الورى
تعز من الدين لما أقامه
كفيل بتيسير الأمانى وضامن

بصلصال رعد الطبل أعظم به شيئاً^(٢)
وأحكم طير النبل مرسله الرُميا
وقلباً على الأعداء قدر كب البغيا
على ملكه حتماً تطابقه الفُتيا
عفاة الورى أكرم بمورده رُميا
وبدد بالرشد السفاهة والغيا
وجاء بما أعشى سواه وإن أعشى^(٣)
ولم يشك منه الملك وهنا ولا وهيا
عن الدهر ألا يمتنع السائل الرُعيا

(١) يريد الرؤية ، وأعجزته القافية

(٢) في اللسان « صلصل صلصلة ومصلصلاً » قال ويقال للعمار الوحشي صل-

وصلصال ، يريد ، الصحيحة الأجساد الشديدة الاصوات لقوتها ونشاطها ، والصلصلة

صفاء صوت الرعد .

(٣) كذا في الاصلين .

غدا المدح صعباً في سواه وإنه
غدا فيه سهلاً إذ لداثره أحيى
أفاض على العافين طراً مواهباً
بأفضاله وعداً لهم منه ما تيا
حلفت يميناً برة ليس في الدنيا
ملكاً سواه للمعالي تسعى سعياً
أبناء نصر حُرِّمٌ بليكنكم
فخاراً بما يلقى مدى الدهر مخفياً
أشاد لكم ملكاً وعزاً مؤبداً
فلا زال مأثوراً - مدى الدهر - مروياً
لنا الله كم حُرِّمنا به من مفاخير
تنافى بها عنتا العنا في الوارى نفياً
تسامت به العلّيا منه بقربنا
إليه وأضحى فعلنا منه مرضياً
فيا فخر أملك الدنيا والذي حوى
لعمر المعالي الحزم والعزم والروايا
تدوّت يتشيد المفاخر مثلاً
شأوت ملوك الأرض طراً بلا ثنيا
منعت به الباغين بالعدل رحمة
فلئیس يخيف الذيب في قفره الظبنيا

[٢٤ / أ]

وقتلتم أهل الشرك في عقر دارهم
وأبنت ولم تشرك بأحيائهم حيناً

وملئك النصارى ذلّ قسراً لعزكم
 يعساود في سلم له النشر والطبّا
 ولولا ظبائك القاهرةات لملكه
 لما كان نحو الحق مستعماً وععبا
 فلا زلت يا أسمى الملوك مؤيداً
 ولدت لك البقيا وطاب لك الهنيا

وقلت أيضاً

سهرت فيمن جفنته نائمٌ وذبت فيمن جيسمه ناعمٌ
 ظبني ظباً عيشيه فعالةٌ بالقلب ما لا يفعل الصارمٌ
 يستل من مقلته صارماً للصبر مني أبداً صارمٌ (١)
 ينشأ عن عينيه سكر الهوى فكلنا من ثل هائمٌ
 يهزأ بي كأنه جاهلٌ بما ألقى وهو العالمٌ
 شكوته (٢) ما بي من حبه من ولله لعله راحمٌ
 فظل والجسم غداً ناحلاً ودمع عيني أبداً ساجمٌ
 يضحك في الحب وأبكي أنا الله فيما بيننا حاكمٌ !

وقلت أيضاً فيه (٣)

هاجت لبعدك لوعة وغليلٌ والقلب بعدك وإله تحبولٌ
 يا نازحاً نزع الكرى لفراقه رفقاً فقد تصبرني محلولٌ
 وابتعث ولو بالطيف في سينة الكرى
 ليزورني في النوم عنك رسولٌ

(١) الصارم في البيت السابق السيف ، و صارم هنا « فاعل » من صرم قطع .

(٢) في النسختين شكوت ، ولعل الصواب ما أثبت

(٣) في غرض النزول ، أو المحبوبة المذكورة في القطعة السابقة .

فاسألْ نَجْمُومَ اللَّيْلِ تَخْبِرُ قِصَّتِي
فَالنَّجْمُ عَنْ سَهْرِي (١) بِكَ الْمَسْؤُولُ
فإلى من قلبي مروعٌ بالنوى فلقد رثى لي حاسدٌ وعذولُ
قد هامَ قلبي في هواك (وإني) دَنِفْتُ على جمر الغضا نَجْمُولُ
[٢٤ / ب]

يا مُلبِسي ثوب السقام ، تمطشفاً يوماً بصَّبٍ من نواك عليلُ
فلقد قضى أهلُ الفَرامِ دُيونَهُمْ
وغريمُ حُسْنِكَ في الهوى تمطولُ !
أدركتُ من مرِّ الفَرامِ حقيقةً

ما ظالها قَبَسُ الهوى وجميلُ
إنَّ الذَّيْنَ جِمالَهُمْ يَحْمالُهُمْ سَارَتْ إلى نحو الأراكِ قيلُ
وَعَدَّتْ تَجِدَ السَّيرَ لَمَّا شاقها من نحو رامةٍ إذخِرُ وجيلُ (٢)
أَقْوَتْ معاهِدُ حَيْثُ مِنْهُمْ كما ملحوبُ أقوى رَبْعُهُ المأهولُ (٣)
لَا عَيْشَ بَعْدَهُمْ يَلْذُو وَإِنَّهُمْ روحُ الحياةِ لهائمٌ والسَّوْلُ
عَلَّلْتُ قَلْبِي بِاقْتِرَابِهِمْ فَسَلِمُ يَنْفَعُ مَشْؤُوقًا بِالنَّوَى التَّحْلِيلُ
يَفْنِي الزَّمانُ وما قُضِيَتْ لِبَاقِي يا لَيْتَ شَعْرِي هلْ لَدَيْكَ سَبِيلُ ؟
هَمَلْتُ نَجْمًا أَدْمَعِي (٤) يَوْمَ النَّوَى وقد اسْتَقَلَّتْ لِلوَداعِ مَحْمُولُ

(١) في م صهر ، وفي ط سهر . ولعل الصواب ما أثبت ، وقد يغفل الناسخان بقاء المتكلم .

(٢) الإذخر حشيش طيب الريح ، واحدها إذخرة ، وهي شجرة صغيرة .

الجليل : نبت الثام ، ضئيف « يحشى به خصاص البيوت » .

(٣) يشير إلى بيت عبيد بن الأبرص

أقفر من أهل ملحوب فالقطبيات فالذنوب

وملحوب : اسم ماء لبني أسد ، والقطبيات والذنوب مواضع لهم أيضاً . (الديوان

١٠ ، وانظر المعلقات بشرح التبريزي ٣٢٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٢ : ٤٧٣

(٤) في الأصلين (أدمع) .

وَمَرَّتْ رَكَائِبُ لَوْعِي مَنَشَالَةٍ ۚ وَالْوَجْدُ هَادٍ وَالْغَرَامُ دَلِيلُ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْمَشُوقِ لَشَدَّتْ مَا خَلَّتْ فُتْمُوهُ ۚ وَقَلْبُهُ مَتَبُولُ
يَهْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ حَدِيثَكُمْ ۚ وَكَثِيرُهُ ۚ فَيْكُمُ لَدِيهِ قَلِيلُ
أَمَّا الْحَبِيبُ فَلَا يُحِلُّ حَدِيثُهُ ۚ وَحَدِيثُ مَنْ أَبْغَضْتَهُ مَمْنُولُ !
لَكُنِّي آوِي (١) إِلَى حَرَمِ الَّذِي مَا إِنَّ لَهُ فِي الْمَالِكِينَ عَدِيلُ
مَنْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ بِعَمْدٍ عَفَايَا ۚ وَأَنَالَ مَا قَدْ كَلَّ عَنْهُ مُنِيلُ
مَنْ لَمْ يَزَلْ يَرْعَى إِلَاهَهُ وَعَقْلَهُ ۚ عِنْدَ الْمَشُورَةِ شَامَهُ ۚ وَطَفِيلُ (٢)
مَلِكٌ ۚ إِذَا رَكِبَ الْمُطَهَّمُ طَالِبًا ۚ لَعْدَاتِهِ فَعْدُوَّةٌ مَتَفْلُولُ (٣)
مَلِكٌ ۚ إِذَا مَا صَالَ يَوْمًا صَوْلَةً ۚ كَادَتْ لَهَا شَمُ الْجِبَالِ تَزُولُ
سَائِلُ (٤) عَنْ وَثْبَاتِهِ وَثْبَاتِهِ ۚ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ وَالذَّوَابِلُ غَيْلُ

[٢٥ / أ]

تُخْبِرُ بِمَا أَعْيَى الْفَوَارِسَ كُلَّهَا ۚ وَحَدِيثُهُ فِي الصَّالِحَاتِ يَطُولُ
أَجْرِي مِيَاهَ الْعَنْدَلِ فِي أَحْكَامِهِ ۚ وَأَقَادُ صَعْبِ الدَّهْرِ فَهُوَ ذُلُولُ
قَدْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ وَهِيَ طُلُولُ ۚ قَدْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ وَهِيَ طُلُولُ
مَلِكُ الْقُلُوبِ حَبَّةٌ وَمَهَابَةٌ ۚ وَلَيْسَ فِيهِ فِي الدَّارِ عَيْنٌ صَلِيلُ
سَادَ الْمُلُوكِ بِنِسْبَةٍ سَعْدِيَّةٍ (٥) ۚ فَفَخَارُهَا أَبَدًا لَهُ التَّفْضِيلُ
وَمَا يَبْهَاقُوقُ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ ۚ لَا يَبْعَثَرِيهِ فِي الْهِيَاجِ ذُهُولُ
بِعَلَى الْمَعْلَى جَدُّهُ سَعْدُ الرِّضَا ۚ مُوَلَّى النَّدَى ۚ قَدْ أَفْصَحَ التَّنْزِيلُ

(١) في نسخة م « أر » ، ولم تظهر في « ط » لطمس في رأس الصفحة .

(٢) شامة وطفيل : جبلان مشرقان على مجنة ، وهي على بريد من مكة .

(٣) واقراً « مفلول » بالفاء .

(٤) في الأصلين سائل كما أثبت ؛ ولعله سائله .

(٥) نسبة الممدوح إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادَةَ الأنصاري .

حامِي الرُّسُولِ وَسَيِّدُ الْأَنْصَارِ مَنْ صَحَّيْبُ الرُّسُولِ وَسِيفُهُ مُسْلُولُ
أَعْطَى أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ سَطَا بِالْمَعْتَدِينَ وَوَعْدُهُ مَفْعُولُ

وطلب مني الفقيه الشريف محمد بن أحمد الحسني^(١) المديني رسالة ذي
الوزارتين الفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي ،
التي كتب بها عن ابن عمنا السلطان أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد
المخلوع ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ مرفأً يجهاده الروم ونصره عليهم
وأخذ بلادهم . فبعثتُ بها إليه ، وكنت قد صححتها بيدي ، وطفى القلم في
لفظة وهي الأغوار بالواو فجعلت مكان الواو دالاً مهماً جاء منه «الأغدار» .
فلما وقف على ذلك كتب عليه طرة ينهي عن نسياني ويعتذر ، فجوابته بقولي:
حبوتَ جَنَانِي يَا سَلِيلَ مُحَمَّدٍ بعذراء ما أسنى سَنَاهَا وَأَعْجَبَا^(٢)
بَدَتِ شَمْسُهَا فِي هَالَةِ السُّعْدِ مِثْلَهَا تَضَوُّعَ رِيَّاهَا مِنَ الْمَلِكِ أَطْيَبَا
فَلَا زِلْتَ تُسَدِّهَا عَلَى الْخَلْقِ نِعْمَةً وَلَا زِلْتَ تُسَمُّوُنِي الْفَضَائِلَ مَنَصِبَا
[٢٥/ب] وصلت - أعزك الله - عقيلتك السالبة للعقول ، الخارجة
بنظمها البديع ، المسكت للبديع عن الحد والمعقول . وهي من الأصل الوسيم
والفضل الجسم ، ترفل في حلل ؛ وتنمي بنسبها العلي ، وحسبها النبوي في
أشرف الحلل .

إِلَى السَّادَةِ الْأَخْيَارِ أَبْنَاءِ هَاشِمٍ بَنِي الْحِجْرِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُتَجِدِّ
هُمْ آلُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَحْمَدُ وَالْأَلَى بِهِمْ عَزٌّ دِينُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْتَدِّ
فَقَبَّلْتُهَا أَلْفَا ، وَلَمْ أَرْضَ - دَهْرِي - غَيْرَهَا إلفا . وقلت لها مرحباً بذات

(١) القاضي الفقيه أبو القاسم محمد بن أحمد الشهير بالشريف الغرناطي ، ويعرف بالسبق أيضاً ؛

وسيرجم له المؤلف في الورقة ١/٤١ .

(٢) القاضي أبو القاسم من الأشراف الحسينيين .

الجزالة ، وأخت غزالة^(١) والغزالة. والبارعة الجمال والفارعة ذرى الإجمال.
ومصرح الناظر ومصرح المناظر . وبنت سليل الرسول ، ومنتهى الأمل
بالسول : الرافعة من شاني ، والخافضة في طلق الفصاحة ، وميدان الصباحة ،
من جاراني وماشاني . التي أذهبت عني الأتراح وتسربت لها ثياب الأفراح.
وأزاحت الكرب ، وامتلا بها دلو السرور إلى عقد الكرب. وزدت بها أنسا.
وكلفت بحسنها الذي لأنسى. نفرت عن جلي عذرك فقبلته. وتأملت على سطرها
مرور يدك فقبلته. وقلت إن سيدي صدر المجالس ، والتحفة التي ألقاها الدهر
إلى المجالس. ما صدرت منه تلك الطرة لتعريض ، ولا لأن يظهر علمه الطويل
العريض ؛ بل ليصلح ما طغى به لسان البراعة ، وذلك بما وهبه الله من فائق
الحكمة ورائق البراعة . فما الظبية الوعساء ، ولا العزة القعساء عندي بأبدع^(٢)
من تنبيه معظمي العذب الشائل ، المزدهي عرفانه بزهر الخائل ، تهديه
الصبا والشائل. فلا زال في صعود سيدي علم البلاد، والنحرير الذي أسلم وجهه
لبلاغته وسلم لفصاحته صاحب [٢٦ / أ] بن عباد. ما عطرت رياض الحزن
غيب سواكب المزن الرياح النواسم ، وأومضت في حندس الليل بروق الثفور
البواسم ، والسلام

وقلت أيضاً ، معزياً لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل بن الأمير
أبي سعيد فرج :

لا تَجْزَعَنَّ أبا الصَّدْقِ الأميرَ عَلى يَحْنِي سَلِيلُكَ ؛ في الباقي لك الخَلْفُ
كان الذي قد مضى نجماً فغاب و مَنْ بَقِيَ بُدُورٌ - اعْتَرِي - ما بها كلف

(١) غزالة ، على وزن سحابة ، علم على الشمس .

(٢) في الأصلين : عند .

مثلك - أعزك الله - لا يذكّر عند المصيبة، إذ سهام صبرك مسددة مصيبة.
 وإيم الله لقد فجعت لرزتك في نجلك، وعظم فقده عندي من أجلك. ومهما
 أمر بناديه، أتفجع فأناديه:
 (إذا مادّ عونا الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعاً ولم يحجب الصبر
 فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر)
 والله يحزل بمصابه أجرك؛ ويرفع - بالصبر عليه - في الدارين ذكرك.
 والسلام.

وقلت أيضاً:

- وبعثت بها إلى ابن عمنا أبي الوليد هذا رحمه الله تعالى - وكل ما في
 رسالتي هذه من الأبيات هي نظمي - :
 أكتبكم يا أهل ودّي وبيننا كما حكّم البين المشيت فراسخ^(١)
 فأما منامي فهو عني مشرد^(٢) وأما الذي بالقلب منكم فراسخ^(٣)
 الأخ الوفي الذي لا ارتياب في صحة إخائه، وابن العم الصفي الذي لم يشب
 الكدر صفو صفائه، والولي الحفي الذي يشهد خالص محبته بحسن ولائه
 الذي صحح وداده الاختبار، وصرف عنان المحبة إليه الاختيار. المبرز في
 إحراز غاية الإعجاب والإعجاز، الواحد الذي به فخار صدور القوافي
 والأعجاز، المنزهة حقائق عزائمه الصادقة عن شوائب المجاز. الذي كان له
 [٢٦/ب] سعد بن عبادة أبا، واكتسب من المعالي ما امتنع عن غيره وأبى.
 واعترف له بالفضل من أهل عصره أعلامه؛ وأطاعته في الحرب سيوفه، وفي
 الكتب أقلامه. إنسان عين الكمال، وفلذة كبد المجد الباهر الإجمال

(١) فراسخ في البيت الأول جمع فرسخ، و «راسخ» في الثاني اسم فاعل من رسخ: ثبت.

سلامٌ عليكم من مَشْوقٍ مُتَيْمٍ أخِي حُرُوقِ رِقِّ الْجَهَادِ لِمَا يَلْقَى
يَكْفِكِفْ دَمْعَ الْعَيْنِ مَهَادُ كَرْتَمٍ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَفْنَى لِرُؤْيَةِكُمْ شَوْقَا
بِرَاهِ الْهَوَى وَاسْتَأْصَلَ السَّقَمُ جِسْمَهُ
وغيثُهُ نَائِي الحَبِيبِ فَمَا أَبْقَى
يَتَنَادِي إِذَا مَا اللَّيْلُ أَرخَى سُدُولَهُ

يَسْرُكُكُمْ يَا أَهْلَ وَدِّي أَنْ أَشْتَقِي ؟
لَنْ سِرْكُمْ هَذَا فَرَاخَةٌ مُهْتَجِي
إِذَا قِيلَ إِنِّي مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِكُمْ عِشْقًا !

خُذُوا مَهْجِي بِالرَّقِّ أَهْلَ مَوَدِّي
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ أَسْأَلَ الرَّقَّ
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْطَنُّ بِحُبِّ جَمَالِكُمْ
فَتَرْقُوا لِلْهَوَى غَدًا لَكُمْ رِقًّا

كُتِبَتْهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَالْدَّمُوعُ سَوَاجِمُ . وَالْقَلْبُ مِمَّا اعْتَرَاهُ وَاجِمُ ؛
لَمَّا أَجَدْتُ مِنَ التَّوَقُّقِ إِلَى حَسَنِ مَزَاحِكُمْ ، وَمِنَ الْأَلَمِ مِنْ طَوْلِ انْتِزَاحِكُمْ .
وَبَعْدَ فَنَائِي أَصْرَفَ إِلَيْكَ عَنَانَ الْمُتَعَاتِبَةِ ، لَعَدَمِ الْمِرَاسِلَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ . وَقَدْ
أَضْرَبَ بِي الْأَسَى وَالتَّبَرُّيحُ ، حَقٌّ صِيرْتُ أُبْعَثُ السَّلَامَ مَعَ الرِّيحِ . فَلَا أَدْرِي
أَمَلَلْتُ صَدَّكَ عَنْ جَوَابِي أَمْ أَرَدْتُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيَّ جَوَى بِي (١) . فَارْفُقْ
بِمَلْهَوِي تَضْطَرُّمِ أَحْشَاؤِهِ لَوَارِدِ الْأَغْرَاضِ ، وَيرْضَى بِكَلَامِ الْمَحْبُوبِ وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ عَنْ تَرَاضٍ . فَلَوْ أَنَّ مَا بِهِ بِالصَّغْرَةِ الصَّمَاءُ لَذَابَتْ ، أَوْ بِاللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءُ
لَانْجَابَتْ . قَسَمًا بِمَحَبَّتِكَ الَّتِي تَيْمَنِي ، وَفَضَائِلِكَ الْعَمِيمَةِ الَّتِي مَلَكَتْنِي . لَوْلَا
أُمْنِيَاتُ نَفْسٍ بِالْوَصَالِ نَعَلَتْهَا ، وَاسْتِثْنَاءُ (٢) بَلْقِيَاكَ نَوْمَهَا ؛ لَعَدَمُ مَا بَقِيَ

(١) رَسِمْتُ فِيهَا « جَوَابِي » ، وَفَضَلْتُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) لَمْ تَضَفِ الْكَلِمَةَ إِلَى شَيْءٍ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَقَارِنْ بِالْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ .

من خيال الجسد، ولذاب الفؤاد من جمرة الكمد^(١) وإلى كم نار شوق جوانحي
أوريتها، ودموعاً سواجماً على الخدين أسلتها^(٢). فهذه حالي [٢٧ / أ] يرق
لها الجلمود، ويدوب لها الجلمود. فأحني مهجتي من إماتة الشوق بالفاظ
أسكن إليها، ورسائل اعتمد عند تأجع نار الشوق عليها. وأنا - وان
تباعدت المساكن والأشباح، فقد تقاربت منا القلوب والأرواح. والصبر
عليك قد ارتحل، والجفن بالسهاد لا بالإثم اكتحل. فلورأيت حالي من
ذلك، لعنت أني في أشد المهالك.



(١) في د ط « الكمد

(٢) كذا في الأصلين. وفي د م « أوريتها ».

الباب الرابع

في شعر ملوك الموحدين المحفّيين وأبنائهم *

أمير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله محمد بن أبي بكر ابن
اسحاق بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن أبي حفص**

يكنى : أبا عبد الله ، وهو ملك تونس ؛ ورأيت بفاس ابنه الأميرين أبا
حفص عمر ، وأبا محمد عبد الواحد . ونحن جميعاً في حضرة الملوك من بني مرين .
حسالة - رحمه الله -

كان عفواً كاملاً ، وعالماً عاملاً له شعر يصبي النفوس ، ويلتذ بسماعه

(*) بنو أبي حفص ، أصلهم من هنتاتة ، وهي من أعظم قبائل المصامدة ؛ ودولتهم
متشعبة من دولة الموحدين . وكان الشيخ أبو حفص من أوائل القاطنين بدعوة المهدي
ابن تومرت والناصرين له ، وتداول أبنائه من بعده الإمارة بالأندلس والمغرب وإفريقية
مع بني عبد المؤمن - أمراء الموحدين - وكان أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي
حفص أول من ولي إفريقية ، وذلك برغبة من الناصر الموحدي سنة ٦٠٣ هـ . ومن
أشهرهم في القرن السابع أبو زكريا يحيى ، الذي استنجد به أهل بلنسية واستصرخه
ابن الأبار بسينيته المشهورة . واستمرت دولتهم إلى حوالي منتصف القرن العاشر
الهجري .

(**) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمارور ١ : ١١٦ .

نثر الجمان - ٧

الرئيس والمرؤوس . وخطبه تستلب العقول براعته ، كما أذهلت الفوارس شجاعته أنشدني له الشيخ القائد المعدل أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر الموحد ، قال أنشدني لنفسه أمير المؤمنين المستنصر أبو عبد الله :

(جَزَى اللهُ الحِوَادِثَ كُلَّ خَيْرٍ) وإن كانت تُغصُّني بِرِيقِي
وما شُكْرِي لَهَا إِلَّا لَأَنِّي (عرفتُ بها عَدُوَّتِي من صَدِيقِي)

أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبو بكر* ابن الأمير المنتخب^(١) لدين الله يحيى [٢٧/ب] ابن الأمير إبراهيم بن الأمير يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص .

يكنى أبا يحيى . وأدر كته وهو ملك إفريقية ورأيت بفاس ، في حضرة الملوك من بني مرين جملة من أحفاده ، وابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، صاحبنا .

حاله - رحمه الله -

هو الملك الذي تليت في المحافل سور ذكره ، وجلت في النوادي صور فخره . إذ لم يُبتقِ للمعالي غاية إلا جازها ، ولا للمحامد راية إلا حازها . كما فاق بهمته الهامية ، وساد بشيمته الاهتمامية . وبرز في ميدان الشجاعة ليثاً ، وكان للبائس غوثاً وغنيماً . وله معرفة بقرض القريض . وصوته يُنسي ابن عائشة والغريض^(٢) . ولا ميرية في أنه أسد الكستائب ، ومن أتى في الحرُوبِ بالمعائب .

فمن قوله - رحمه الله -

بذِيَالِكَ الوادي وذِيَالِكَ الحمي
سُلبت فؤادي واغتديتُ مُتَيْبَا

(*) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١ ١١٦ .

(١) فيها : المنتخب . (٢) من مشهوري المغنين في الشرق .

سكوتٌ ولم أعلمُ أَمِنْ خمرة الهوى
 عرايى هذا السكر أم خمرة اللثام
 علقتُ كحيلَ المقلتين مَهْفَهَفًا
 رخيماً يلدين الصخرُ منها تكلتها
 تعلم سحر الجفن من أرض بابل
 وليس ليفتري في الأنام تعلمنا !
 رماني بسهم من مذائب لحظه
 شديد فلم يخطيء فؤادي إذ رمى (١)
 وصاد بأشراك الفوار مَهْجَتِي
 فواعجبا من شادن صاد ضيغها
 له وجنتنا شمس ويدري إذا بدا
 وأقبل من خلف الستور مسلها
 تراه ضعى في القصر شمساً منيرة
 وعند الدجاء تلقاه بدراً متمها
 ألا تني لومي إذا شئت أو دعي
 فمن يهوى هذا الحُسن لم يغش لوما
 وحاسدة قالت لأخري تعبه
 لقد تاه حتى قال من قال أجرمنا
 وظنتُ بأننا نحسب التيه زلة
 ولم تدر أنا نجتنيه تنعها
 [٢٨ / أ] فلولاً التجني والتدلسل في الهوى
 لما كان بردُ العشق بالمشق معلها

(١) في الأصلين : يخط .

ولا هاج مُشتاقاً إلى جيرة اللوى
ومنزّل مَنْ هوى حَمَامٍ تَرَنَّمَا
والطفُ شيء في الهوى أنس خمسة
«مَنْ؟ أو عسى! أو هل؟ وكيف؟ وربّما!»
إذا لم يكن منها شعورٌ لعاشقٍ
فليس له نحو الهبتين مُنْتَمَى
إليك حديثي بالتي لم أُنْمِهَا
وعنك حديثي حيثما قلتُ حيثما
ومنك هيامي والفضى لي شامدٌ
وفيك هيامي بعد كتمى له نَمَا
ولم يعلم الواشونَ إلا تسهّدي
ولم يدركوا الأسبابَ إلا توهّما
ملكْتُ الداني شرقاً وغرباً بأسرها
ولكنني أمسيتُ فيها مُتَبِّها
يغالِبني ظيٌّ، وأغلبُ كلَّ مَنْ
تَمَلَّكَ فيها ، وارتدى ، وتعمّها
كنتُ هواها عن فؤادي ومهيجي
وعن سُدِّ جَفَنِي ما استنطعتُ تَكْتُمَا
ولكنَّ لي نفساً تذوبُ صَبَابَةً
وتصبرُ عند الحادثاتِ تَكْرَمَا
وتألمُ من طولِ الصُّدُودِ ولا ترى
لدى الحربِ من مَسِّ الحديدِ تَأْلُمَا
وتهجرُ في نيل المعالي مَنَامَهَا
وتتخذُ المكروهَ للفَخْرِ سُلْمَا

فتدرك ما تبغني من الحظّ سالماً
ولو كان خلف البحر والبحر قد طما
وما هي إلا رفعة عمريّة
إلى ذروة القليابها المتجدد قد سنا
فإن صعد الأملاك بالإرث منبراً
فمنبرنا أعلى وأكرم مُنتمى
وأباؤنا في الملك والبأس والندى
تداولتها الورّاخ عرباً وأعجبها (١)
ولا فخر والأعداء تشهد أنني
أجيء وغامها مسفراً متجهاً
وأقدم والأبطال ينصرون وجنّها
هناك عبوساً منكراً متفياً
فكم قائل لي في الرياس (٢) وغيره
وصدر القنا في القوم أوردته دما
[٢٨ / ب] وللنصر سيف من يميني مؤيد
فيقطف أرواحاً ويحطم أعظماً
وكم وادياً بددت فيه سرائهم
وخلقت ذاك الماء ماءً متحرّماً
فإن تجهل الحرب الزبون سكينتي
فتعرفني (٣) منها حططت التلثا

(١) هكذا في الأصلين : الورّاخ ، مشكولة بضم الواو وتشديد الراء .

(٢) فيها : في الرياس . (٣) كذا فيها .

جواد الوغى والفخر والذكر حقه
 لمثلي من دون الورى أن يفخها
 وإني أمير المؤمنين متوجاً
 من الملك تاجاً بالأمانة كرمها
 جعلت بجدي ثم لفظي وصارمي
 فخاري يجيد الدهر دراً منظماً
 يراه ولا يرقى إليه معانيد
 ويُبصره كالنجم في كبد السما
 بنينا بناء الملك والعيز والعلا
 مماء على بُنيات قوم تهدما !

ابنه أمير المؤمنين أحمد (*)

يكنى أبا العباس ، وأدركته . وكان أبوه أمير المؤمنين المتوكل على الله
 أبو يحيى اقتطعه (١) مدينة توزر (٢) ، وولاه عهده ، وصحبت بفاس
 في حضرة الملوك من بني مرين ابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، وابنُه الآخر
 الأمير أبا البقاء خالداً .

حاله - رحمه الله :

برز في الجمال الرائع ، وحاز من الفصاحة ما تستغربه المسامع . وكان من

(*) انظر معجم الأنساب والأمراء الحاكمة : ١١٦ .

(١) في النسختين اقتطعه .

(٢) توزر : مدينة في أقصى إفريقية (بلاد تونس) من نواحي الزاب الكبير من أعمال

الجريرد (باقوت معجم البلدان ٢ : ٥٧ - ٥٨) .

مُجِيدِي الشُّعْرَاءِ ، وَمِنْ أُولَى الشُّجَاعَةِ فِي الْأَمْرَاءِ ، مَعَ مَا حَوَى مِنْ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَمِنْ الشِّمِّ الَّتِي لَمْ تَزَلْ مِنَ الْقَبَائِحِ بَرِيَّةً (١)

أُنشِدْنِي لَهُ ابْنَهُ صَاحِبَنَا الْأَمِيرَ عَمَدٍ فِي أَخْذِهِ تَوَزَّرَ :

بِالْمَشْرِفِيَّاتِ يُحْمَدُ الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ وَمِنْ صُدُورِ الْمَعَالِي تُقْتَنَى الطَّرْفُ

وَالْفَتْوحِ رِيَاضَاتٌ مُزَخْرَفَةٌ لَكُنْهَا بَرْقَاقِ الْبَيْضِ تُقْشَطَفُ

[٢٩ / أ]

وَفِي حَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي

حُزْنَا الْخِلَافَةِ إِرْثًا عَنْ أَوَائِلِنَا

لَا يَبْلُغُ الْوَصْفَ فِي عَلَيَانَا أَحَدٌ

نَاهِيكَ مِنْ حَسَبٍ مَا مِثْلُهُ حَسَبٌ

تُخَالِفُ النَّاسُ إِلَّا فِي مَفَاخِيرِنَا

حَمَى الشَّرِيعَةَ مِنَّا سَمِيٌّ مُجْتَنِّدٌ

فِينَا التَّوَاضُّعُ وَالْإِعْضَاءُ شِمْتُنَا

وَرَافَةٌ فِي جَنَابِ اللَّهِ صَالِحَةٌ

تَوَاضَعًا عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هَيْبَتُهُ

نَهَى الْحُرُوفَ الَّتِي مَجْمُوعُهَا نَعَمٌ

مَا إِنْ بَنَى سَرَفٌ إِلَّا مَوَاهِبُنَا

لِبَاسِنَا يَرْعَدُ الصَّمْصَمُ مِنْ رَهْبٍ

يَوْمِ الْوَعْيِ وَوَشِيحِ الرَّمْحِ يَنْتَعِطِفُ

يَحْيَى أَيْتَانَا سَعُودٌ مَا لَهَا طَرَفٌ

فَالْمُلْكُ مِثْلُ الدُّنْيَا فِينَا وَمُطَّرَفٌ

إِلَّا وَسُودَدْنَا فَوْقَ الَّذِي يَنْصِفُ

وَكَيْفَ لَا وَأَبُو حَقْنَصٍ لَنَا سَلَفٌ

وَفِي الْمَعَالِي مَا شَكُّوا وَمَا اخْتَلَفُوا

فَلَيْسَ بِالْدِّينِ لَا حَيِّفٌ وَلَا جَنْفٌ

وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ مِنْ أِبْنَانَا عَرَفُوا

فَلَا تَرَانَا لَغِيرِ الْحَقِّ نَهْصِيفٌ

إِنْ التَّوَاضُّعُ فِي أَنْفِ الْعُلَى أَذْفٌ

وَلَيْسَ فِي لَفْظِنَا لَامٌ وَلَا أَلِفٌ (٢)

إِنْ الْمَوَاهِبَ فِيهَا يُحْمَدُ السَّرَفُ

يَوْمِ الْوَعْيِ وَوَشِيحِ الرَّمْحِ يَنْتَعِطِفُ

(١) برينة .

(٢) يتضمن البيت معنى قول الحزین الكناني (وينسب لفرزدق) :

ما قال (لا) قط إلا في تشده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

سيوفنا من تمادي سلتها نخلت^١ حتى كأن بها من عيشقها دنف^٢
وما ارتضىينا عديد الجيش يكتفنا

بل الجيوش^٣ بنا في الحرب تكتنف^٤
جيش تضيق به الغبراء^٥ متسع^٦ فالأرض ترّجف والأطواد تنسف^٧
مين الفوارس طعانين إن وقفوا يوم الكربة ضرّابون إن وقفوا
بكل هندية رقّ الفيرار^٨ بها وكل خطية قد زانتها هيف^٩
يقودها النصر خفاق^{١٠} ذوائبه

إذ ليس إلا^{١١} بريح العدل ينطفئ^{١٢}
حق أطال^(١) على سكان توزر لا
يخيمهم منه سور^{١٣} لا ولا كنف^{١٤}
ظنوا الحفير^(١) حفيراً مانعاً لهم^{١٥}

حق رأوا سمعها عزماً وم هدف^{١٦}

[٢٩ / ب]

تواقّعوا فيه أمثال الفراش ردى^{١٧} كأنهم بأكف^{١٨} الجين قد خطفوا
لكن عفونا أدناه اعترافهم^{١٩} والعفوا طيب ما يجنيه^{٢٠} مستترِف^(٣)
نعفو ونصفح عن عز ومقدرة^{٢١} فإن خير السجايا الحيلم^{٢٢} واللاطف
أطاعت العرب لما أوردت حملاً^{٢٣} وإن أرواحها بالذعر^{٢٤} تخطف^{٢٥}
لاذوا بخدمتنا في ظيل^{٢٦} حرمتينا

قصرأ^(٤) وعند التلافي يؤمن^{٢٧} التلّف^{٢٨}

(١) في الأصلين : أطال ، وهو تحريف .

(٢) فيها : ظنوا الحفير حفير مانع لهم .

(٣) فيها لكن عفوا .

(٤) في الأصل : قصرأ (بالقاف) ، ولعله كما أثبت .

يَا سَعْدَ مَتَبَعِ آثَارِ دَوْلَاتِنَا وَسُوءَ عَقْبِي شَقِيٍّ عَنْهُ يُنْعَرِفُ
وَيَاطْلُقُ فَتَحَ فِي أَسْرَرْتِهِ رِذَاذَ نَوْرِ بِهِ الْآفَاقُ تُخْتَلِفُ
فَتَوَزَّرُ الْيَوْمَ مَا لِلسَّعْدِ مُنْفَرَجُ

عَنْهَا وَلَا لَعْدِيدِ النَّصْرِ مُنْصَرَفُ

وَنِعْمَ عَمَّتِ الْأَقْطَارُ سَابِقَ وَجَدُوتْ لَذَوِي الْأَمَالِ مَا أَلْفُوا
دَامَتْ يَا لَيْتُنَا الْعِلْيَاءُ فِي سَعَةِ فَالْسَّعْدُ وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مُؤْتَلِفُ
وَلَا بَرَحْنَا طَوِيلَ الْعُمُرِ فِي دَعَاةٍ وَالْخِلَافَةِ (١) مِنْ أَبْنَائِنَا الْخَلْفُ

أخوه لأبيه أمير المؤمنين الناصر

لدين الله المنصور بفضل عمر (*)

يُكْنَى أَبَا حَفْصٍ . وَأَدْرَكَتْهُ وَهُوَ مَلِكُ تُونِسَ . وَصَحِبَتْ بَفَاسِ ابْنَهُ
الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا .

حاله رحمه الله تعالى :

هو الملك المنصور ، والأسد المسلط المنصور . والكمني المنجد ،
والبهمة الأريحي المجتهد . مهتد الإمارة العمريّة ، ومشيد منار المملكة
الحفصيّة . صمصام الدولة ، المرهوب البأس والصولة

أنشدني له ابنه صاحبنا أبو عبد الله محمد - أعزه الله - [٣٠ / أ] وقال
إنه قالها بديها بين يدي أبيه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى ، يخاطب

(١) في النسختين : ولا الخلافة ، وهي تحريف .

(*) معجم الأنساب والامرات الحاكمة : ١١٦ وإتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف

أباه المتوكل لما سيق له رأس المعز بن مظاعن العربي ، وكان الذي ساقه
أخوه أمير المؤمنين أحمد بن المتوكل أبي يحيى

لِيَهْنِكَ أَنْ اللَّهَ فَوْقَكَ مَا لَكَ ۖ وَدُونَكَ كُلُّ الْمَالِكِينَ عَبِيدُ
وَأَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِينَا وَأَنْتُمْ فَرُوعُكَ يَنْمِي فَضْلُهَا وَيَزِيدُ

وكان بيني وبين ابنه الأمير أبي عبد الله محمد وداد عظيم نفاس في حضرة
الملوك من بني مَرِّين ، وكان المطر قد حال بين لقائنا أربعة أيام فكتب
لي بقوله

وحياة حبك إني	مَنْذُ غَيْبَتٍ لَا أُدْرِي النَّامُ
لي ما رأيتك مدة	فكأنما هي ألف عام
لا بدع إن حجبك هـ	ذي السحب يا بدْرَ السَّامِ (١)
والدهر من عادته	أن يحجب البدر الغمام

فجاوبته بقولي

يا أيها الخيل الذي	أرعاه ما بين الأنام
وصلت إلينا قطعة	تنبني بقطعك للنام
فظفرت منك بتحفه	قد جددت فرط الغرام
فكأنها إذ أقبلت (٢)	تفتر عن زهر الكيام
فطمحت نحو جوابكم	رعيا لودك والذمام
فوجدت شعري قاصرا	عن شكر ودك والسلام
فالنظم لا يستطيع أن	يحصي أياديك الجسام
لازلت في عز وفي	عيش هنّي مستدام

(١) في الاصلين هذا السحب .

(٢) فيها : إذا أقبلت .

[٣٠ / ب]

أمير المؤمنين المستنصر بالله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى (*)

يكنى أبا عبد الله . وأدركتته ورأيتُهُ وهو ملك بجاية وصحبته
بنفس في حضرة الملوك من بني مَرِّين حين خلعه أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبو عنان ملك المغرب عن ملكه ببجاية . وكان يُظهر لي من الوداد
ما جلُّ عن الوصف

حاله - رحمه الله تعالى -

طلع في سماء الإمارة بدرًا وسما بذنبيه العربي قدراً وفاق ببارع
جماله كما ساد بحظه وإجماله . وظهر له من العطاء ما أنسى به الطنائي ، ومن
الشهامة ما أذهلت القريب والناثي ، ومن الفصاحة ما أسكت الغائب
والرائي .

عزم على ظهور ملكه فخانه جده ، ولم ينفعه حزمه وجده . بل
سطا الدهر به سطوة حاقد ، ونبت له جفنه الرأقد . ففتك به ابن عمه ،
واحتز رأسه عن جسمه .

أنشدني لنفسه في العتاب

لما وقفتُ على حقيقة أمركمُ	وعلمتُ أن الودَّ فيك مُضَيِّعُ
وجعلتُ جلَّ وسائلي حيي لكم	ورأيتُ أن وسائلي لا تنفع
أنشدتُ فيك معزياً بل سالياً	وجيلاً صبري للشدائد يرفعُ :
« إني وهبتك للذين تحبهم	هبة الكرام فإنها لا ترجعُ ! »

(*) معجم الأنساب والأمراء الحاكمة : ١١٦ .

صاحبنا الأمير زكريا بن أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد
ابن أمير المؤمنين ، القائم بأمر الله المنصور بفضل الله أبي يحيى زكريا بن
أحمد بن الأمير أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الموحّد .
يكنى أبا يحيى ، ورأيتُه [٣١/أ] وصحبته بفاس في حضرة الملوك
من بني مرين

حاله - أعزه الله -

حاز من العلوم أوفر نصيب . وسهمُ تقننه فيها مسدّد مصيب . وجنى
بحفظها ثمر غرسها وأشرق له وجه انقيادها وبهاء شمسها . فلو أبصره إياس
لبات من ذكائه على ياس . ولو أدركه القعقاع بن شور ، وابن مامة^(١) ،
لَسَلَّمَا له في الجود ، وحفظَ ذمامه^(٢) . وفيّ إن وعد ، وصادق إن عهد
غير متكبر على صاحبه ، ولا متأبٍ له عن توفية مأربه

أنشدني لنفسه :

تقض ؟ ضلوعي كلما حنت الحشا عليك وأنفاسي إليك تميلُ
وبالقلوب مني حرقه وصبابة^(٣) يفكر منها عروة^(٤) وجميل !^(٥)



(١) القعقاع بن شور الذهلي كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من المال .

وكتب بن مامة يضرب به المثل في الجود .

(٢) عروة بن حزام وجميل بن معمر من مشهوري عشاق العرب .

الباب الخامس

في شعر طوك بني زيان من بني عابد الوادي وأبنائهم *

(*) دولة بني عبد الوادي (عابد الوادي) أو دولة بني زيان ، إحدى الدول الثلاث الرئيسية التي استغلت ضعف دولة الموحدين - بعد هزيمة العقاب - وظهرت في المغرب الأوسط . وهم من زغانة مثل بني مرين ؛ ووطنهم الذي انتشروا فيه هو المغرب الأوسط ، وعاصمتهم التي اتخذوها مركزاً طوال مدتهم هي مدينة تلمسان . وكانوا - أيام الموحدين - مواليين لهم ، داخلين في جماعاتهم وجنودهم ، ثم استقلوا بين دولتي بني مرين غرباً وبني حفص شرقاً . وبدأت دولتهم مع أوائل القرن السابع ، واستمرت - بين مد وجزر - إلى أواسط القرن العاشر .

ونظراً لتوسط هذه الدولة بين دوائين طامعتين في التوسع شرقاً وغرباً ، وبسبب ظروف متعددة أخرى ، عاشت دولة بني زيان في حروب معها ، ونشبت في داخل الأسرة الحاكمة خلافات طالما أذكاه المرينيون أو الحفصيون . وقد أثرت الخلافات بين هذه الدول على جدية دور المغرب في الجهاد في الأندلس . وكان يغمراسن بن زيان هو أول من أفل دولتهم ، واستقل بها ، واتخذ تلمسان حاضرة .

(راجع في ذلك بنية الرواد ليحيى بن خلدون ، وروضة النسر بن لابن الأحمر - وهو مغال في ذكر مثاليهم - ، وقارينغ ابن خلدون « المبر » ، ودم الحلل لابن الخطيب ، والاستقصا للناصري) .

أمير المسلمين المتوكل على الله موسى بن يوسف

ابن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان .
يكنى : أبا حمو ، وأدر كتبه ، وهو الآن ملك تلمسان* .
حاله - أكرمه الله -

هو الملك الذي ابتهجت بدولته الإمارة ، والهام الذي لم تزل فيه
لحفظ المجد الإمارة . تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي ، وتحلّى بالحلم فعلا
على المعالي . وبرع في نظم القريض ، وجمع ثور روضه الأريض . وجاز من
الشرف بذلك ، ما أنسى به شرف كل مالك . وعقله عقل به جماح
الأمور ، وبهاؤه بذكره الركبان [تدور؟] (١) .

فمن قوله - وهي من النظم الحسن - [٣١ / ب] وجئدت مكتوبة
في حائط قصره ، حين خرج (٢) فاراً من تلمسان أمام أمير المسلمين أبي فارس
عبد العزيز بن أمير المسلمين علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير
المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٣)

(*) أبو حمو الثاني من مشهري أمراء بني زيان . ترجم له ابن الأحرار في روضة النسرين ،
وقلب ما أثبت له هنا من فضائل ومكارم (٥٤ - ٥٨) ، وهو في ذلك يصدر عن رأي
السلطة الرينية التي كان في ظلها (وانظر تفاصيل أخباره أيضاً في تاريخ ابن خلدون
« العبر » ٧ ١٢٢ ، وبغية الرواد لبحي بن خلدون ج ٢) .

(١) في الأصلين رسم بشبه (تبور) .

(٢) كان خروج أبي حمو أمام جيش عبد العزيز المريني في ١٤ محرم سنة ٧٧٢ ، ولم يطل
ذلك ، فلم يلبث أن عاد إلى تلمسان في ٢٥ محرم ، (وقيل يوم عاشوراء) .

(٣) قال في روضة النسرين إن الأمير المريني أبا فارس عبد العزيز أمر بتغييرها ، فقالوا في تبديلها :

سكنّاها ليالي خائفينا	وأياماً تسوء الناظرينا
بناها جدنا شيخ المعاصي	وكنا نحن شر الوارثينا
فلما أن جلانا السيف عنها	تركناها لقوم غالبينا

سَكَنَّاها لِيَالِي آمِنِينَا وَأَبْنَامَا تَسْرَ النَّاطِرِينَا
بَنَّاها جَدُّنَا الْمَلِكُ الْمُعَلَّى وَكُنَّا نَحْنُ بَعْضُ الْوَارِثِينَا
فَلَمَّا أَنْ جَلَانَا الدَّهْرُ عَنْهَا تَرَكْنَاهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَا !

صاحبنا الأمير الحاج يوسف بن عمر بن يعقوب

ابن الأمير عامر بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان .

يكنى : أبا يعقوب . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوك بني مرين . وارتحل إلى المشرق فحجّ وقفل إلى المغرب . وقد تبرّع (١) في العلوم حتى جاء نسيج وحده . فلما بلغ إلى جهة بـسكرة (٢) من بلاد الزاب بإيمه من هنالك من الأعراب ، وقَدِمُوا به ملكاً إلى بـسكرة ، فوقع بينه

(١) كذا فيها : بمعنى : برع

(٢) بـسكرة : ذكرها صاحب « الاستبصار في عجائب الأمصار : ١٧٣ » وتحدث عن مركزها الزراعي والحضاري وظهورها في مدن الزاب وقراه . ونقل ياقوت « في معجم البلدان » عن الحازمي أنها تضبط بكسر الباء والكاف ، وعن غيره بفتحها ؛ وقال : فيها نخل وشجر وقصب جيد .

وكانت بـسكرة مركزاً رئيساً في دولة الموحدين ، ثم تنازعها الحفصيون ومتغلبون من بني زيان وبعض القبائل العربية المنتشرة . وحصلت في أيدي بني مرني مدداً من الزمن في القرنين السادس والسابع . وفي عهد أبي هنان المريني ظهر يوسف بن مرني الذي شاع المرينيون فمقد له أبو عنان على بـسكرة عاصمة بلاد الزاب وما يلحق بها من بلاد ريفية وواركلي . قال ابن خلدون في تاريخه (٤١٢ : ٦) إنه قام بالأمر بعد يوسف ابنه أحمد « وهو لهذا العهد - وقت تأليف ابن خلدون كتابه - أمير على الزاب بمحل أبيه من إمارته » . وبـسكرة اليوم من مدن القطر الجزائري ، ولا زالت تحتفظ بأهميتها الزراعية والتجارية .

الحربُ وبين أميرها أبي يعقوب يوسف بن مُزني^(١) . ثم قبض عليه وسيقَ لابن مُزني ، فعمَّفا عنه ، وخلَّس سبيله . ثم خرج يجهة المدينة^(٢) على ابن عمه أمير المسلمين المتوكل على الله أبي حمو ملك تلمسان^(٣) ، وبُويغ هناك . ثم تخلَّس عن الأمر من غير منازع ، وقصد إلى ابن عمه أبي حمو المتوكل على الله فخيَّره^(٤) أن يقيم معه بتلمسان ، أو يعبر البحر إلى الأندلس ، فاختار الأندلس . فعبر البحر إليها ، واستقر بقرطبة ؛ فأحسن نزوله ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد الخلويع . ثم عبَّر البحر إلى العدو فاستقر بحضرة ملوك بني مرين من فاس ، فأكرم مشواه أميرها أمير المسلمين أبو فارس عبد العزيز . ثم ارتحل عنها وقصد إلى جهة سجلماسة ، فبويغ هناك ، وأقام أشهراً ملكاً ، وقتل رحمه الله .

[٣٢ / أ] حاله - رحمه الله تعالى - :

هو علم الأملاك ، وواسطة الأسلاك ، وإنسان عين المفاخر ، المتلفع من الدين بردائه الفاخر . قرأ العلوم ودرسها ، وشيَّد الفضائل وأسسها . وحصل من علم الحدثن على طائل . وحاز من الفصاحة ما أسكت به الأواخر والأوائل . وتحلَّى في منصَّة الجمان وحيداً ، وترفع في مراقي الكمال صنديداً .

أنشدني لنفسه - رحمه الله - :

رعى الله أيثاماً تقضتْ وحياتها بأنس حبيب كان أنس محبتها
ورَدَ ليالينا التي سلفتْ لنا وحيثى فؤاداً لا يعلْ لذكرها

(١) راجع أخبار بني مُزني في تاريخ ابن خلدون ٥/٦ ٤-٤١٢ .

(٢) المدينة - مدينة تقع الآن في القطر الجزائري

(٣) أبو حمو سلطان الزيانيين ومعيد رسوم دولتهم - سبقت الإشارة إليه في أول هذا الباب .

(٤) هكذا فيها .

وحيتي الرُبوع الدارساتِ بفقدِ مَنْ
 تملكُ قلبي والحُشاشةُ أفناها !
 وكانت ليالينا يُنافِرُها الكرى
 فعادَ الكرى من بعد ذا يتلافها
 ليالٍ قطعنا الوصلَ عَذْباً بقُرْبِها
 فواحسرتنا ما كانَ الطّفْ مَعْنَاهَا
 تملكُ قلبي قلبُ هيفاءٍ إذ هَما
 بتذكاريها يوماً ، دعتهُ قلبُها
 فلولاً مُحَبِّبَاها لما صيرتُ مُفْرَماً
 ولا صار قلبي - للصَّابةِ - يَها
 ولا سكبتُ عَيْنَايَ مِنِّي دُمُوعَهَا
 ولا ذُقتُ فِرطَ الحُبِّ والوَجْدَ لولاها
 فقد صارَ قلبي مُسْتَهَاماً بِحُبِّها
 وعادَ فُؤَادِي وإِلَهاً يَتَمَنَّاها
 ولما أتى حادي رِحالِ نِياقِها
 سَبَانِي لما أنْ حَدَا بِمَطَايَاها
 سرّتْ حينَ سرّتْ عن فُؤَادِي هُومَةً
 وأودى بقلبي شوقُها عندَ مَسَرَاهَا
 وصرتُ حزيناً ذا غَرَامٍ وَذا ضَنَى
 أسأِّلُ عنها رَتْدَها^(١) وخُزَامَاهَا

(١) في الأصاين : زندها .

فيا سائلي عن شرح حالي أما ترى
 نحولي وسقمي والدُموعَ وتجراها
 لقد خَطَّطت الآماق من فوق وَجَنَتِي
 سَطُوراً فمن شاء الحقيقة يقرأها
 فلا تَكْثِروا فيها المَلَامَ فإن لي
 فؤاداً على طول النُوى ليس ينساها !

صاحبنا الأَخاص محمد بن الأمير أبي سرحان مسعود :

ابن أمير المؤمنين العادل بالله أبي تاشفين عبد الرحمن بن أمير المسلمين أبي
 حمو موسى ابن أمير المسلمين عثمان بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان (*)

يكنى : أبا زيان . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة الملوك من
 بني مرين .

حاله : هو صاحبنا الصفي ، ونخليلنا الوفي ، المظهر لنا من الوداد
 أطيبه ، والواهب من الاعتقاد أعذبه . الخالص صفاؤه من الأكدار ، الموفي
 حقوق الصَّحبة بالابتدار . والذي نجم في المعالي فساد ، ولم يدنس درنُ الفساد .
 كنتُ قد بعثتُ له بأبيات من قولي ، طالباً منه أن يبعث لي بشعر أثبتته
 في كتابنا : المنتخب من دُرر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك ، وهي :
 قرئت (*) بفضلك السن الأعداء

يا ابن الملوك ذوي التقي الفضلاء

(*) ورد ذكر أبيه مسعود في جملة الذين قتلوا في حملة أبي الحسن المريني على تلمسان سنة

٦٣٥ ، حيث كان جده أبو عثمان عبد الرحمن هو الأمير ، صاحب دولتهم .

(١) قرئت : في الأصلين .

أنتَ الذي حُزَّتْ الشُّجَاعَةُ والنُّدَى
وعُلاكَ أَرْبَى فوقَ كُلِّ عَلاءِ

أبشِرْ فقد لاحتْ طلائعُ مُلِكِكُمْ
وأهنا بِمُلْكٍ شامخٍ ، وبقاهِ

إن الإِمارةَ لا تقوتُك ، إنها
تأثبكَ دونَ توقُّفٍ وثناءِ

أنتَ المرادُ بها لما قد حُزَّتْ مِنْ
فضلٍ وإحسانٍ وحُسْنِ ثناءِ

نَدَبٌ نَمَتَتْهُ مِنَ الحَلَاثِفِ عَصْبَةٌ
أَكْرَمُ بها من عَصْبَةٍ غَرَاءِ

شَهْمٌ إذا ما الحربُ شَبَّ ضِرَامُهَا
يَمْشِي إليها مِشْيَةُ الحَبَلَاءِ

يحكي إذا ما لاحَ نورُ جَبِينِهِ
شمسُ الضُّحَى والبدرُ في الظُّلُماءِ

راقتْ محاسِنُهُ وطابَ ثَناءُهُ
وهو المعظَّمُ في بني العُظَماءِ

(٣٣ / أ)

كم حازَ في يومِ الوَغَى مِنْ مَفْخَرٍ
وفضيلةٍ جلَّتْ عَنِ الإحصاءِ

يا ابن الأمير القرم مسعود الرضا
 وأخا السّماح وفارس الهيجاء (١)
 أبعث إليّ قريضك الحلوى الذي
 حاكى رياض الحزن غيب سماء (٢)
 واعلم بأنني فيك ذو وجدٍ لما
 بيني وبينك من لزوم إخوان
 أنت الحبيب المخلص الغد الذي
 يرفع المودة في بني الأمراء
 فرياض ودّي نخصب جنباته
 وجميل عهدي مشرق الأرجاء
 خذها أبا زيان ميني قطعة
 غراء ذات طلاوة وبهاء
 وعليك مني ما حيت مجدداً
 أزهكي التهيئة خضعت بيناه

فجاوبني بقوله :

الله ما بلغت في الإطراء
 فاتحسنا بالمدح نظماً حاز من
 مالي يدان بشكر تلك أيادياً
 وبشئت من ودٍ وطيب ثناء (٣)
 حسن حواء كواكب الجوزاء
 يا مسدي النعمى لغير جزاء

(١) القرم : السيد .

(٢) في القاموس : الحزن ما غلظ من الأرض ، وموضع فيه رياض وقيعان .

(٣) فيها : بلغت بالتضعيف . قلت والأقرب أن تكون : بالفت .

أنت الحبيب المحض أنت أخو الندى
أنت الأمير ووارث الأمر
أنت الذي ما تحت خضراء السما
فلتسم إسماعيل ذروة نيقها
ولتعدن على مراتب ملكها
أبا الوليد نداء مشفوف بكم
ماذا بعث لنا؟ أزهر يانيع
أم لؤلؤ رطب تناسق نظمته
أم ذلكم حر الكلام وعذبه
من ذا يحاربكم لدى ميدانه
ملك سواك أحق بالحمراء! (١)
ولتقطعن أزاهير العلياء (٢)
تبعاً إلى الأجداد والآباء
كفأ بذكراكم مدى الآاء
أم زهر أفق لحن في الظلماء
في جيب باهرة السنا غيداء
وبلفه (٣) المزري على البلغاء
ولكم به حوز السباق النائي؟

[٣٣ / ب]

أصبح عند ذوي البصائر والنهي
عذراً فملك من تسامح مفضيا
وإذا تحققت المودة من أخ
فانظر بعين رضاك عيب نظامه
أن تفرن الأنعام بالشعراء؟
إذا المحيي السمع والإغضاء
سقط التكلف، شرعة الفضلاء
واخفض جناح مذلة الرهماء

واكتبه ، بل فاكتبه خيفة حامد
لي أن أرى في جملة الشعراء !



(١) يتقارض الأميران النصري والعبد الوادي الشناء ، ويتبادلان التمنيات الطيبات . وليس من شك في أن ابن الأحمر - صاحب الكتاب - لم يخطر له أن يتقلد أمور الحمراء على أي وجه ، وإنما هو الشعر وخواطره .

(٢) النبق - بالكسر - أرفع موضع في الجبل ج نياق وأنباق ونبوق .

(٣) فيها وبلغة « وهو تصحيف » .

الباب السادس

في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم *

(*) بنو العزفي أسرة مشهورة من أعيان مدينة سبتة وعلماؤها والمستقلين بها . وهم ينتمون إلى لحم في اليمن . وأول من كان له شأن في السلطة منهم أبو القاسم محمد بن أبي العباس أحمد . وكان أبو القاسم في زمانه - كما قال ابن خلدون - كبير الشيعة بسبتة ، وعقد له المرتضى الموحدي على سبتة ينفرد بحكمها في خبر طويل سنة ٦٤٢ هـ . وبقيت المدينة تحت نظر آل العزفي إلى أن احتلها أبو سعيد لرج صاحب مالقة ، من بني الأحمر ، ونقل بني العزفي إلى غرناطة ، وضم سبتة إلى دولة بني الأحمر . وكان احتلالها في جملة لواحق المنافسة والخلاف بين بني مرين وبني الأحمر ، وكان العزفيون قد دخلوا في طاعة يعقوب النصور المريني ، وأخذت منهم سبتة في زمن خليفته يوسف . وماد العزفيون إلى المغرب بعد انتهاء الخلافات المرينية الغرناطية ، وعقد أبو سعيد المريني لأن زكريا يحيى بن أبي طالب عبد الله العزفي - حفيد أبي القاسم - على سبتة ، وبقيت في طاعته حتى توفي في خبر متشعب . وخلفه ابنه محمد الذي لم تدم دولته طويلاً ، وانتهت مكانة أسرته السياسية على يده .

وقد انتشر بنو العزفي في فاس على الخصوص ، وسبتة وغرناطة ، وبقي لهم ذكر وصيت في علوم الشريعة واللسان وغيرهما .

(راجع ابن خلدون ج ٧ والاستقصا للناصري ج ٣) .

الأمير محمد بن الأمير يحيى :

ابن الأمير أبي طالب عبد الله بن الأمير أبي القاسم محمد بن الفقيه القاضي الإمام المجتهد أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي* .

يكنى أبا القاسم ؛ وأدركته ، ورأيت به فاس في حضرة الملوك من بني مرين وهو ملك مدينة سبتة ، وابن ملوكها .

حاله - رحمه الله - :

قال إمارة قومه بسبتة ، أشهر أسته . وقام عليه أحد بني عمه ، فخلعه عن ملكه وحكمه ، فاستقر ببلادنا الأندلسية ، في كنف دواننا الأحرية النصرية . فنال بها جاهاً مكيناً عند أمير المسلمين إسماعيل (١) عمّ أبينا . ثم قوض عن الأندلس الرجال . واستقر بالمعدوة ، ولم يكن له عنها انتقال إلى أن أتته بها المنية فألقت عليه رداها ، وانصرفت أيامه وسقته رداها . وكان في الآداب يماً لا يسبح ؛ بنظم القصائد التي هي أصبح من الخرائد وأملح . [٣٤ / أ] مع قوة نفس في استخراج معانيات الأدب ، ومعرفة بالتاريخ ، ومشاركة في فنون شتى من الطلب

أنشدني لنفسه ، طالباً من بعض الأعلام الربّ بالراء المهمة

قلّ لأبي يحيى لنا حاجة	بالربّ من صنعة أربابه
فابعثه لي صرفاً بلا نقطة	تكن أتيت الفضل من بابه
ودعه إن كانت به نقطة	فأنت للحاجة أولى به

(*) هو آخر من حكم مدينة سبتة من بني العزفي تولى السلطة بعد أبيه أبي زكريا يحيى ولكنه « لم يستقم له حال » كما قال فيه الأستاذ كنون في أثناء ترجمته عمه أبي العباس فأخبره السلطان أبو سعيد ، وكان ذلك نهاية رياسة بني العزفي بسبتة (تاريخ ابن خلدون - أبو العباس العزفي للأستاذ عبد الله كنون) .

(١) الأمير النصري إسماعيل بن هرج ، حكم غرناطة ما بين ٧١٣ - ٧٢٥ .

وأنشدني أيضاً لنفسه يخاطب... (١)

يا ماجيداً ما جئتُه في حاجةٍ إلا وكان له الكريم المفضيلاً
ومؤملاً ما شكوتُ بواقعٍ داوى ولو ألفاهُ داءُ مُفضيلاً

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يداعب :

بالله خيبرني وكن صديقاً هل نلت شيئاً ليلة البارحة
أو كنت أيضاً عاجزاً قاصراً ولم تقم منك لها جارحة
وحالة المرء بسلا حيلةٍ لئست لعمري حالة صالحة!

ابنه صاحبنا محمد - سلمه الله - :

يكنى : أبا يحيى ، ورأيت ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوك
بني مرين (*) .

حاله : ظهر بفخره الإماري على الظهراء ، وسما بمجده العربي على
النظراء ، وساد بشرفه العلمي في بني الأمراء ، وله همة عالية ، ونفس عن
محبة الفخر غير آبية

أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز بن أمير المسلمين
أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق بمدينة [٣٤ / ب] تلمسان ، حين دخلها أمير المسلمين
أبو فارس عبد العزيز مالكا لها ، وفر أمامه منها أمير المسلمين المتوكل على

(١) فراغ في الأصلين

(*) هو أبو يحيى محمد بن أبي القاسم محمد بن أبي زكريا يحيى.

الله أبو حمّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يغمر اسن بن زيان إلى الصحراء (١) ؛

حنّ المشوق إلى ديار أحبّته فسقى الثرى شوقاً لذاك بدمعته
واهتاجه وجداً هبوب نسيمها لما سرى يديه طيب تحيته (٢)
وشجاء تذكّار العقيق وبانه وعهود تأنيس بظل أثيلته (٣)
لله منا طيب عيش قد مضى ياليت لو سمح الزمان بعودته
فلكم بلغت من السرور به منى ولكم نعمت بطيبه وبلذته

مسح جيرة بانوا وما تَرَ كوا سيوى
قلب لفرط الشوق هام بسكرته

لم يودعوا يوم الوداع سيوى البكا
فيه وصلت نهاره مع ليلته

أترى الزمان يحود لي بوصول من
أهوى فأحبه له من نعمته

أو من سبيل للورود بزمزم
كي ينقع الصادي لواعيج غلته

أو من سبيل للحلول بطيبة
يقضي بها المشتاق أقصى منيته

حيث النبي الهاشمي محمد أسنى عباد الله خير بريته
اختاره الله العظيم وخصه في الأنبياء بعزه وبحظوته

(١) انظر تفاصيل هذا الخبر في تاريخ ابن خلدون ٧ ١٢٢-١٣٥ .

(٢) في الأصلين : اهتازه (بالزاي بدل الجيم) .

(٣) الأئيلة تصغير : الأثلة، واحدة الأثل .

وحبناه بالقرآن أعظم آية
والبدْرُ شقْ إليهِ لما أنْ بدا
والجِذعُ حنْ إليهِ شوقاً بعد أن
وكذاك سكن روع ظي عندما
وأبادَ ملكَ الفرسِ صادقٌ وعده
فأذلَّ كسرى وهو فتوقَ أسيرته

[٣٥ / أ]

والنارَ أخذها الإلهُ لبعثه
هذا هو الفضلُ العظيمُ فمنْ يَلْذُ
يحنأ به نال المفازَ يحنأ به
ياربَّ عفوك عن عبيدٍ مذبذبٍ
يرجوك تغفر ما قضى من زلتيه
فارحمْ لديك خضوعه وأزيله ما
يرجوه من سرِّ المزار ودعوته
بمقام خير الخلق هادهم إلى
طرق الرُّشادِ بفرضيه وبسنتيه
فبجاهيه نرجو المفازَ غداً إذا
أضعى المسيءُ هناك رهناً خطيئته
صلّى عليه الله ما هبت حبا
وأمدت بالنصر العزيز إمامنا
ملكهم دین الهدي سلطانته
وأذلَّ دين الكفر قاهر عزته

(١) كلمة (سر) أقرب ما يقرأ في الأصلين .

فهو الكريمُ الماجيدُ الشهم الذي تَعَسُّوْا الملوكُ له مخافةً سَطَوَاتِهِ
 قد حازَ أمرَ الملكِ عن آبائه وهو الكفيلُ له بِرَعْنِي أَذِمَّتِيهِ
 ماشئتَ من خُلُقٍ كَأَزْهَارِ الرُّبَا إِذْ جَادَهَا صوبُ الغمامِ بِدِرِيْمَتِيهِ
 تبدو عليه من أبيه شمائلُ في بذلِ نَعْمَاءٍ ، وعاليِ رِهْمَتِيهِ
 (١) للعطاء لِرِفْقَدِهِ لله منك ، مؤيدٌ في دولَتِيهِ
 حكمتُ سعودك بالثدي أمشت من تهيد هذا القطر أو مِن هُدُوثَتِيهِ
 والأعورُ الأشقى إليك يُساقُ كي يُسقى بِكَأْسِ حَمَامِيهِ وَمَنِيَّتِيهِ (٢)

إنْ كانَ للصحراءِ وجْهٌ وَجْهَتُهُ

لا بَارِكَ اللهُ لَهُ في وَجْهَتِيهِ
 الأمرُ أمْرُكَ لا يُخَالِفُ حَكْمَهُ

والقطرُ قطرك قد دَعَاكَ لِتُصْرِتَهُ
 مولاي يا عَبدَ العزيزِ وَمَنْ غَدَا

بذل الندي بين الوري من شيمتِيهِ
 [٢٥ / ب] وافاك ميلادُ النبي مُحَمَّد

بزيارة أكرِمُ بِهِ وبِزَوْرَتِيهِ
 فاخلدُ ودُمُ ما أَصْبَحْتَ أمداحهُ

يسري لها حادي الرّكاب [(٣)]

مارنُمتُ فوق الغُصونِ حَمَامَةً أو حنَّ مُشْتاقٌ .. لذكرته (٤)

(١) بياض في الأصلين .

(٢) قال ابن الأحمر في صفة أبي حو (روضة النسرین ٥٥) إنه كان أبيض ، وفي عينه
 البنى فكنته بياض . ولعل هذا هو ما ينبزه به الشاعر هنا .

(٣) لم يتم البيت في الأصلين .

(٤) هكذا ورد البيت وفيه سقط كلمة .

الباب السابع

فيما بلغنا من شعر كتاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس

فو الوزارتين(*) الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى (١)

علي بن محمد بن سليمان بن الجيَّاب الانصاري

يكنى: أبا الحسن، وأدركته، وهو من أهل غرناطة من صدور أعيانها

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الجيَّاب كاتب، وشاعر، من أشهر كتاب الدولة النصرية (٦٧٣ - ٧٤٩) خدم عدداً من أمراء الدولة النصرية فكتب لهم وترقى في المناصب وحاز من الثقة حق صار رئيس كتاب الحضرة. وكان شيخ طلبة الأندلس في زمانه رواية وتحقيقاً ومشاركة في كثير من العلوم والفنون، ووصف بأنه كان قائماً على العربية إماماً في الفرائض والحساب عارفاً بالقراءات متبحراً في الأدب والتاريخ مشاركاً في التصوف. وعليه تتلمذ لسان الدين بن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها بعده.

له ديوان شعر محفوظ في دار الكتب المصرية، وفيه ما يدل على أنه عن أصل الديوان الذي قال لسان الدين إنه صنعه، كقوله: « وقال (ابن الجيَّاب) يحاوبني عن قصيدة في الرري » الورقة ٦٤ منه، وذكر لسان الدين الأصبغيين في كتابه « الكتيبة الكامنة »

١٨٨-١٨٥

(ترجمته في: نثر فرائد الجمان : ٢٣٩ ، والكتيبة الكامنة : ١٨٣ ، والديباج المذهب

٢٠٧ ونيل الابتهاج : ٤٠٢ ودرة الحجال ٢ ٤٣٥ ونفع الطيب ٥ : ٤٣٦) .

(١) صاحب القلم الأعلى لقب لكاتب علامة السلطان النصري (راجع مستودع العلامة) .

وكتب في الحضرة النصرانية لستة من ملوكنا ، وقلمده الوزارة السلطان أبو
الحجاج يوسف ابن عم أبينا مضافة إلى رئاسة الكتّاب

حاله - رحمه الله - كان قد امتطى من ديوان الإنشاء جواداً تقدّم به
مجلّياً ، وغدا كل منتتم لهذه الطريقة له مصلياً . وطلع في سماء الإحسان
غيثاً ، وبرز في ميدان العلوم ليثاً . وفي تصريف الأفعال يُنسبك سبويه ،
وفي علم اللّغة يعفي أثر ابن درستويه ، وفي الصنعة البديعية والبيانة يزري
بابن ممالك ، ويُنسي مآثر ابن سكاك . وشعره وسط ، وفهمه مرتبط ، وهو
عارف بأيام العرب ووقائعها ، محصل لما أثرها وبّدائعها .

فمن قوله - رحمه الله - يمدح أمير المسلمين الغالب بالله ، الناصر لدين الله
أبا عبد الله محمد المخلوع^(١) ابن جدنا أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه ابن
جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا
الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله
أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خنيس بن نصر الخزرجي^(٢)

زارت تجرّر نخوة أذيالها هيات تخط بالنفار دلالها^(٣)
والشمس من حسد لها مصفرة إذ قصرت عن أن تكون مثالها^(٤)

(١) هو الأمير الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد ، الملقب بالمخلوع ، ثالث ملوكهم . ولي
الإمارة سنة ٧٠١ هـ ، وخلعه السلطان نصر سنة ٧٠٨ هـ . (اللّحة البدرية : ٧٠٨) .

(٢) ذهب جزء من مطلع القصيدة في الديوان ، وبقيتها فيه (الورقة ٦٩ ، ٧٠) . والقصيدة
في نثر فرائد الجمان ٢٤٠ ، ونقح الطيب ٤٣٦ ، وفي روايات القصيدة اختلافات
طفيفة . وقدم المقرئ للقصيدة بقوله « وقال يمدح ويصف مصنفاً سلطانياً » .

(٣) في النسخ : بنخوة .

(٤) في النسخ : فالشمس .

وافتك - تزجُ لينها بقساوةٍ قد أدرجت طي العتاب نوالها
 كم رمت كم مزارها لكنه صحت دلائل لم تطق إعلاها
 توكت على الأرجاء عند مسيرها أرجأ كان المسنك فت خيلاها
 ما واصلتك محبة وتفضلاً لو كان ذلك لوصلت إفضالها
 لكن توقعت السلوة فجددت لك لوعة لا تنقي ترخالها
 فوحبها قسماً بحق برور لتجشمتك في الهوى أهوالها
 حسنت نظم الشعر في أوصافها إذ فتحت لك في الهوى أقفالها (١)
 يا حسن ليلة وصلها ما ضرها لو أتبع من بعدهما أمثالها
 لما سكرت بريقها وجفونها أهلت كاسك لم ترد إعمالها
 هذا الربيع أذاك ينشر حسنه فافسح لنفسك في مداه مجالها
 واخلع عذارك في البطالة جامعاً واقرن بأسعار المنى آصالها
 في جنة تجعلو محاسنها كما تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
 شكرت أيادي للحيا شكر الوارى

شرف الملوك ممامها مفضالها
 وصميمها أصلاً وفرعاً خيرها
 الطاهر الأعلى الأمين المرتضى
 ذاناً وخلقاً سمعها بذالها
 حاز المعالي كابراً عن كابر
 بحر المكارم غيشتها سلالها
 وجرى لغايات الكرام قنالها

[٣٦ / ب]

إن تلقه في يوم بذل هباته تلق الغائم (٢) أرسلت هطالها

(١) في نشر الفرائد والنفع : * إذ قبعت لك في الهوى أفعالها .

(٢) في النسختين الغمام . والصواب من النفع

(١) أو تَلَقَّه في يوم حرب عدائه
ملك إذا ما صال يوماً صولة
فبسيبِهِ وبسيفِهِ نيلُ المنى
الواهبُ الآلافِ قبلَ سُؤالِها
إن قلتَ : بَحْرٌ كَفُّهُ ، فصرَّتْ إذْ
ملاً البسيطة عدله وأمانه
وسقى البرية فيضٌ كفيه فقد
جمع العلومَ عنايةً بيفنونها (٢)
منقولها ، معقولها ، وأصولها
فإذا عفاتك عاينوك تهللوا
وإذا عداتك أبصروك تيقنوا
بددتْ شملهم ببيضِ صوارمِ
وابحتْ أرضهم فأصبح أهلُها
فتحت إمارتك السعيدة للورى
وبنتْ مصانع رائقات ذكُرت
وأجلها قدراً وأرفعها مدى

تلقَ الصراغم فارتقت أشبالها
خيلتَ البسيطة زُلزلتْ زلاها
واستمجلتْ أعداؤه آجالها
فكفى العفاة سُؤالها ومِطالها
شبهتْ بالملح الأجاج نوالها
قالو حشْ لا تعدو على من غالها !
عمُ البلادَ سهولها وجبالها
آدابها ، وحسابها ، وجِدالها
وفروعها ، تفصيلها ، إجمالها
لما رأوا من كفك استهلالها
أنَّ المنيّة سلطت ربّالها
رويتَ من علق الكُماة ذِصالها
جزراً (٣) تغادر نيةً أموالها
أبوابَ بشرى واصلتْ إقبالها
دارَ النعم جِنانها وظلالها
هذا الذّي سامى النجوم قَطالها

(١) من هنا يبدأ الموجرد من القصيدة في الديوان ، فإن ورقة واحدة منه ... على الأقل ...
مقطت من حرف اللام .

(٢) في الديوان ونثر الفرائد « بفقونها » وفي النفع : بعيونها .

(٣) في الديوان ونثر الفرائد : جزراً ، وفي النفع خوراً .

هو جنة فيها الأمير مُخلَّدٌ بلغت إمارته به آمالها
ولأرض أندلس مفاخر أنتم أربابها أضفيتم سيربائها
فحميتهم أرباءها وكفيتهم أعداءها ، وهديتهم ضلالتها
فبال نصر فاخرت لاغيرهم لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمدٍ ومحمدٍ ومحمدٍ قصرت على الخضم الألد ذصالها
فهم الألى ركبوا لكل عزيمة جرّداً كُسيّن من التجميع جلالها
وم الألى فتحوا لكل ملّة باباً أزاح بفتحهِ إشكالها
(١) متقلّدون من السيوف عِضابها متأبطون من الرماح طيولها*

(١) بقي من القصيدة في الديوان - والنفع - أربعة أبيات .

(*) كان منهاج المؤلف يقتضي أن يترجم هنا للوزير الخطير أي عبد الله محمد بن الخطيب الشهير بلسان الدين بعد ترجمة شيخه وسلفه أبي الحسن بن الجياب . وقد بقي في المخطوطتين من نشر الجمان فراغ في آخر ترجمة ابن الجياب . وتجد بعد ذلك صفحة ونصف الصفحة لأشعار عباسية اختارها المؤلف أو غيره . مقطوعة عن غرض الكتاب . ثم يأتي الباب الثامن . وبجمل القول أن ترجمة لسان الدين لم ترد . ويظهر أن السبب في ذلك هو أن المؤلف صنف كتابه هذا في حدود ٧٧٥-٧٧٦ (راجع تفاصيل ذلك في نشر فرائد الجمان ١٠٥-١٠٦) وهي المدة التي كان فيها المؤلف قائماً على لسان الدين ، الذي كان قد غادر الأندلس مزروراً عن أمير غرناطة الغني بالله منذ ٧٧٣ في خبر طويل . ويبدو أن المؤلف لم يترجم لسان الدين منتظراً انتهاء الخلاف ؛ فالغني بالله ابن عم للمؤلف المتعصب لأسرته الإمارة . ولقد انتهى الخلاف بعد ذلك بوفاة لسان الدين على أيدي جماعة الغني بالله ورفده إلى فاس . وما ندري أعاد المؤلف إلى كتابه فأضاف إليه ترجمة لابن الخطيب أم أرسل كتابه هذا ناقصاً ، كما هو الحال مع النسختين اللتين وصلتا إلينا منه .

ولسان الدين بن الخطيب هو من أسرة شهيرة في غرناطة ، وأصلهم من مدينة لوشة القريبة من غرناطة . ولد سنة ٧١٣ ، وانتظم - بعد أن اشتد عوده - في جملة الكتاب =

نشر الجمان - ٩

= في ديوان بني نصر بغرناطة، وأعجب به شيخه ورئيسه ابن الجياب، ومهد له. ولما توفي ابن الجياب في طاعون سنة ٧٤٩ قدم الأمير النصري يوسف، لسان الدين بن الخطيب على كتابه. وما لبث أن ترقى في المناصب وحاز الثقة. فلما تولى محمد بن يوسف (محمد الخامس، الغني بالله) أمور غرناطة استأثر بلسان الدين وقربه وقلده المهم من أموره. فاتخذ رسوم الوزارة ورئاسة الكتاب والسفارة، وما يليق به على رضى الأمير ورغبته. ولما وقع الانقلاب على الغني بالله سنة ٧٦١ لحق به لسان الدين إلى المغرب، وعاد معه ٧٦٣ بعد استرداد ملكه، وبقي معه أثراً إلى أن أحس من غدره فقيراً، فلبى إلى المغرب ٧٧٣، وكان الملك المريني ووزرائه من أنصار لسان الدين. ولما تبدل السلطان المريني الملقب بالسعيد وجاء أبو العباس أحمد المستنصر - وكان من صنائع الغني بالله - جاء وفد غرناطي فيه ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب وخلفه، وانتهى ابن الخطيب إلى السجن، ثم قتل فيه صبراً. رحمه الله.

انظر في ترجمته: نثر فرائد الجمان ٢٤٢، والدرر الكامنة ٣: ٦٩، والتعريف بابن خلدون ٨٥ - ٩٢ أما تفح الطيب للمقري فقد ألفه أساساً للترجمة لسان الدين ثم اتسع الكتاب (راجع مقدمة المؤلف ج ١)؛ وكتاب الأستاذ محمد عبد الله هنان عن لسان الدين (ط الحانجي) وانظر فيه ثبت مؤلفاته؛ وبروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢: ٢٦٠ والملاحق ٢: ٣٧٢).

الباب الثامن

فيما بلغنا من شعروزيار قومي بني الأحمر
من بني نصر ملول الأندلس

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى

أحمد بن إبراهيم بن صفوان (*) :

يكنى : أبا جعفر ، ويُعرف بابن صفوان ، وهو من أهل مالقة ؛
وأدركته ، وكتب في الحضرة السلطانية لجدهنا أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه
ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله [محمد] صاحب الدبوس ، ابن

(*) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان من أهل مالقة ويعرف بابن صفوان
(٦٧٥ - ٧٦٣) وصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة فقال إنه صدر من صدور
كتاب دولة غرناطة وشيوخ طليتها ؛ ناظم ، فائر ، ثاقب الذهن ، قوي الإدراك ، إمام
الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذاكر للتاريخ واللغة ، مشارك في الفلسفة
والتصوف ، كثير النظر والتقييد والتصنيف . ومن كتبه ؛ مطلع الأنوار الإلهية ، وبغية
المستفيد . وقد جمع ابن الخطيب ديوان شعره سنة ٧٤٤ أيام إقامته بمالقة (بلد المترجم
به) مع الركب السلطاني الذي خرج لإنجاد الجزيرة الخضراء ، وسماه : الدرر الفاخرة
واللجج الزاخرة .

(انظر الإحاطة ١ : ١٠٠ ، والكتيبة الكامنة ٢١٦ ، ونفع الطيب ٣٩ : ٦)

جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وكتب أيضاً لعم أبينا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا [٣٨ / ب] الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف (الشهير) بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وقلّده علامته ، ورياسة كتابه حين بويع بمالقة ، وبعض أشهر بغرناطة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

له في التصوف قدم راسخة ^(١) ، وفي أحكام النجوم آية ناسخة . وبرع في الحساب وإحكامه ، وأصاب في الفقه وأحكامه . ولا ميرة في أنه أبرع من أصاب في التعاليم وعلمها ، وخط في ألواح الإجابة قلمها . والأدب نقطة من بحره الزاخر ، وزهرة من أزهار روضه الناضر .

فمن قوله يعارض قصيدة الإمام الصوفي أبي القاسم عمر بن الفارض ^(٢) الفائية ^(٣) :

(١) قال ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة في ترجمته لابن صفوان « وله بالمقاصد الصوفية كلف وبالأقوال الشهيرة بها زلف » .

(٢) عمر بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاء ٥٧٦ - ٦٣٢) أبو القاسم ، وأبو حفص من شعراء الصوفية المعدودين ، قال الذهبي « كان سيد شعراء عصره » ولابن الفارض ديوان مطبوع

(٣) ومطلعها (الديوان : ١٠٦) :

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فذاك عرفت أم لم تعرف ا

ببهاء عزك عند ذلّة موقفي
أخفاء إخفاء الفرام فتشخصه
ما إن لغض جفونه من زورة
أيزور جفني غمضه من بعد ما
والنوم في حكم الهوى ما انفك مذ
يشفي الهين الخيال إذا سرى
ويروهم عنداهم ويذكر من
فأعد حديثك عاذلي واقترع به
سمني وصرح باسم حبي واهتف
فسماع ذكر أحبيتي لي مبتهج
وبه من الشوق المبرح أشتفي

[٣٩ / أ]

10 (معنى) (١) الحبيب بسر ذاتي قائم
والعدل يبدى ما يسري قد خفي

لو كان يعلم عاذلي قدر الهوى
وبمن كلفت لقال لي: اعشق واكلف!

كل الحسن لائح في وجه من
أضحى به شغفي ، وكل العشق في !

لهوى أرباب الهوى قد سلموا
ولحسنه تعنوا البسود وتختفي

فأصرح غريب جهاليه ومحبتي
وانشر حالي ذاك الغريب وصنف

(١) لم تظهر الكلمة في « ط » وظهر شطر الكلمة الآخر في « م » .

- 15 وقفَ الهوى بالعاشقين مواقفاً
أدركتُ من صرّ الهوى ما لم يُرمَ
فأنا المحبُّ حقيقةً والمحبُّ لي
يا ملبّسي خلع الضئنا أهلاً بما
بتجرّدي عمتما سواك رفلاتُ في
20 وبمهجور ما خطته أقلام المنى
واهاً لأوقات التّداني ، حقّ يا . . . عيني ليفقد رطبها أن تذرني (١)
ظلماته خلف الحجاب الأكثف
وبحسرة الإبعاد طال تأسفي
وتلهجي الأغيار شئت مألقي
عني ويسمح بالقبول معنفي
يُجدي عليّ تحسّري وتلهفي
وتجلّ نارُ هواي عن أن تنظفي !
وضنّاي من داء القطيعة ما شفي
وعلى ضنّاي فلا سلّبتُ شعوباً ما

بي من ضنّي ، لبسي حُلّاه مشرّفي

[٣٩ / ب]

- 30 لا أبتغي بشعاره بدلاً ولا
بأقلّ من وّلي (٢) به أنا مكثف
وليتّ قلبي شطر مَنْ أحببته
وأبى الوفاء قلبي وتحرّفي
فالله قصدي حيث كنتُ وقيلتي
وتوجّهي ، ما عنه لي من مصروف

(١) في النسختين : تذرني . (٢) واقرأ : واحسرتني .

كيف انصيراني عن هوى من لو بدا
للسمس قبل لها: اضمحلتي واختفي !
ملكنته نفسي وروحي والمنى
والسر والنجوى ، ولست بمُسْرِفِ

- 35 وإذا الحب صفت موارد حبه
أهمل ودي والذين بأنني
أنتم أحبائي وغاية مقصدي
وعلى محبتكم فطرت وإني
ووحقكم قسا أؤكد وما
40 ارضاكم أشهى إلي وإن نأى
ولهطفكم من كل ما ظفرت به
ولقد أجلت الفكر فيما أرتجي

وتحرقني بلهب نار جوانحي
وتجرحني غصص الدموع الذرف

- 45 وحنو أضاعي على قلب شج
فعلت أني حال إقدامي على
مالي سوى فقري أنكم وغيناكم
ترجوك حال الخوف تقنطه فيا
فلئن عطفتم فالتعطف شيمة
ولئن طردتم من أبيتم قرينة

[٤٠ / أ]

- 50 أرضي لنفسي ما رضيتم لي به
ومن الذي استكفي الثقات فما كفي ؟

إني ليجودكم عليّ لوائقٌ وجميلٌ ظنّني فيه ليس بمُخْلِيفِ
ولئن سموتُ لما رجوتُ من المنى مُستنزلاً غيث الرّضا بتلطّفِ
فأحقّ من رُمت استالةً عطفيه بخضوع مضطربٍ وذلةٍ مُصتَفِ
ذو قدرةٍ مرفَعٌ بكّالهُ وجلّاله عن قدركَ المُستَضَمِّفِ

55 ولئن غدا حتماً على العشاق في
شرع الهوى تَلَفُ العَيدِ المُدْتَفِ

فلقد تَلَفْتُ وعِفتُ قولَ مُسَوِّفِ
« نَفْسي تُحدّثني بأنّك مُتَلَفِي » !

وله أيضاً في التورية (١) :

كففتُ عن الوصالِ طويلاً شوقي إليك وأنتِ للروح الخليلُ
و« كفّك » للطويل قدّتك نفسي قبيحٌ ليس يرّضاه « الخليل » !

وله أيضاً في التورية بالعروض :

يا كاملاً شوقي إليه وافرٌ وبسيطٌ خدّتي في هواه عزيزُ
عاملتُ أسبالي لديك « بقطعها » والقطع في « الأسباب » ليس يجوزُ

وله أيضاً في العِذار

ولما ثناني عن هوى مَنْ أحبّه عِذارٌ بدا في الحَدِّ أسودُ فاحِصُ

لحائي على هجرانه بعد وصله

ومن سحر عينية لما شدتُ هاجم (٢)

(١) التورية ببعض ألقاب العروض

(٢) في الأصلين : هاجم . ولعله : هادم .

وقلت له والحق أبلغ واضح
إلى ضوئه الملتاح يمشو المخاصيم
أيا عبد شمس من محيالك أشرققت
ثنائي سواد من عذارك فاحيم
ومن قبل ما أخفى ظهور السواد من
إلى عبد شمس ينتمي وهو راغيم!

الفقيه الخطيب القاضي الكاتب صاحب القلم الأعلى :
عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي (*) :

يكنى : أبا محمد ، وأدركته ؛ ومسقط رأسه مدينة وادي آش . وهو
من كبار صدور أعيان الأندلس ، وبيته بيت القضاة والعلماء والخطباء .
وهو من ولد الإمام العالم المجتهد ابن عطية المفسر لكتاب الله عز وجل ؛
وكفاه شرفاً هذا الجد^(١) .

وولي ببلده وادي آش^(٢) الخطابة والقضاء ، ثم قدم على الحضرة

(*) ذكره لسان الدين في الإحاطة ٢ : ٥ ، وفي اللوحة البدرية : ١٠٣ و ١٠٦ .
وترجم له في الكتيبة السكامة : ٢٦٩ . وقال في اللوحة البدرية إنه استخدم في الكتابة
ابن عطية المترجم به فأحمد عمله « لحل الكل والمبر على الخدمة » . وقال في الكتيبة
إنه اشتغل بعد ذلك بالقضاء . ووصف شعره وشاعريته فيها بقوله : « شعره سهل على المعاني
مؤثر لحظوظ الألفاظ على حظوظ المعاني » .

(١) هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٤٨١-٥٤٦ هـ) وله التفسير

المشهور « المهرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » وهو يطبع في الرباط بالمغرب .

(٢) وادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة ، ينحط نهرها من جبل شابر
(جبل الثلج) . وبينها وبين مدينة غرناطة أربعون ميلاً .

السلطانية النصرية الأحمرية بفرناطة ، فكتب بها ورأس كتابها مع ذي
الوزارقين الفقيه الحاجب القائد الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله محمد بن
عبد الله الخطيب السلمي ، في دولة أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد بن
أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أبينا
ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج .

فلما ولي الملك ابن عمنا أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد
الله محمد بن أخي أبينا، الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن جدنا أمير المسلمين القائم
بإذن الله أبي عبد الله محمد ابن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي
الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن
جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نصر الخزرجي ، قلده العلامة ورياسة الكتاب؛ ونال لتديه جناها مكيًا .

حاله - سلمه الله - :

هو في المحاسن قد ثنى عليه الحناصر ، وقدم لا تحصى مفاخره الألسن
ولا يحصرها الحاصر . وبته زاحم النجوم بكاهله ، وورد نسبه من الشرف
أعذب مناهله . ملأ الأبصار جلاله وتسميًا ، وحاز هديًا لا عوج [٤١ / أ]
فيه ولا أمتا . وبلاغة ينبوعها مسترسل ، وفصاحة فرس إجادتها مستنسل .
وخط تميز به ، وعلم تشرف بسببه .

فمن قوله يمدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبا عبد الله :

يا قاطع البيد يطوي السهل والجبل
ومنضيًا في القيا في الخيل والإبل
يحوب آفاق أرض لا يؤنس
إلا تذكر عهد الحبيب خلا

أو ظبية^١ أذكرت عهد^٢ التواصل إذ^٣
تحكي السحاط^٤ التي عاهدت^٥ والمقتلا
أستغفر^٦ الله في تلك السحاط^٧ فقد^٨
أربنى^٩ (١) بها الحسن عن ضرب المما مثلاً!
أو هادل^{١٠} فوق غصن^{١١} البان^{١٢} تحسبه^{١٣}
صباً^{١٤} لفقد^{١٥} حبيب^{١٦} كان^{١٧} قد^{١٨} ثكلا
أو لامع^{١٩} البرق^{٢٠} إذ^{٢١} يحكي^{٢٢} إنارته^{٢٣}
كفا^{٢٤} خضيباً^{٢٥} مشيراً^{٢٦} بالذي^{٢٧} عدلا
ماذا^{٢٨} عسى^{٢٩} أن^{٣٠} تُقضي^{٣١} من^{٣٢} زمانك^{٣٣} في
قطع^{٣٤} الفياقي^{٣٥} ترجو^{٣٦} أن^{٣٧} تنال^{٣٨} عللا
فكم^{٣٩} معالم^{٤٠} أرض^{٤١} أو^{٤٢} تجاهلها^{٤٣}
قطعت^{٤٤}ها لا^{٤٥} ثمل^{٤٦} الرئيث^{٤٧} والمعجلا
إن^{٤٨} كنت^{٤٩} تأمل^{٥٠} عزاً^{٥١} لا^{٥٢} نظير^{٥٣} له^{٥٤}
وتبتغي^{٥٥} السؤل^{٥٦} فيما^{٥٧} مئت^{٥٨} والأملا
10 فالعز^{٥٩} حرف^{٦٠} بعيد^{٦١} لا^{٦٢} ينال^{٦٣} سوى
يعزم^{٦٤} من^{٦٥} شد^{٦٦} عزم^{٦٧} البين^{٦٨} وارثعلا
والدر^{٦٩} في^{٧٠} صدف^{٧١} قلت^{٧٢} تقاسته^{٧٣}
ولم^{٧٤} يسبن^{٧٥} فخره^{٧٦} إلا^{٧٧} إذا^{٧٨} انتقلا
فاربأ^{٧٩} بنفسك^{٨٠} عن^{٨١} أهل^{٨٢} وعن^{٨٣} وطن^{٨٤}
عهد^{٨٥} أنس^{٨٦} به^{٨٧} قلب^{٨٨} الحب^{٨٩} سلا
وعد^{٩٠} عن^{٩١} ذكر^{٩٢} محبوب^{٩٣} شفت^{٩٤} به^{٩٥}
ولا^{٩٦} تلم^{٩٧} به^{٩٨} مدحا^{٩٩} ولا^{١٠٠} غزلا

(١) كذا فيها . ولعله ربا (مسألة من) ربا به عن كذا : رفعه ونزله .

واقصد إلى الحاضرة العليا وحط بها
رحلاً ولا تبغ عن أرجائها حوًلا
15 غرناطة (١) لا عفا رسمٌ بها أبداً
ولا سلا قلبٌ من يبغي بها تبداً
فهي التي شرف الله الأنام بمن
في مقعد الملك من حمراء (٢) نزلاً

[٤١/ب]

خليفة الله مولانا وموثلنا
وخير من أمّن الأرجاء والسبلا
محمد بن أبي الحجاج أفضل من
قد قام فينا بحق الله إذ عدلاً
من آل نصر أولي الملك الذي بهرت
علاه كالشمس لما حلت الحملا
20 هو الذي شرف الله البلاد ومن
فيها بدولته إذ فاقت الدولاً
أقام عدلاً ورفقاً في رعيتيه
وكان أرحم من آوى ومن كفلاً
فهو المتجار به من لا يجير له
لم ينشأ أخرى الليالي فادحاً جلاً

(١) يقال غرناطة وأغرناطة. اتخذها بنو الأحمر عاصمة للدولة منذ آل الحكم إليهم سنة ٦٣٥هـ .
وصارت غرناطة منذ أوائل القرن الخامس مركز كورة البيرة بعد انتقال أهل مدينة
إلبيرة إليها .

(٢) قصر الحمراء ، دار الملك النصري بغرناطة .

إنَّ المدائحَ طراً لا تقي أبداً
ببعض ما قد تعلت من نقيس عُلّا
فالحزمُ والمزمُ والإقدامُ شيعنةُ
والجُودُ تما على أوصافه اشتلا
25 إن قالَ أجملَ في قولٍ وأبدعهُ
والفعلُ أجملُ منه كلما فعلا
يُولي الجميلَ ويعطي عزَّ نائله
مَن قد رجاهُ ولا استجدى ولا مالا
مَن سائلي عن بني نصرٍ فلا أحدُ
منهم بأبلغَ مِنِّي كلما سُيلا
همُ الذينَ إذا ما أمتحوا ابتهجوا
أسنى العطاءِ وأبدوا إثره الخجلا
همُ الألى مهدوا أرجاءَ أندلسٍ
لإذ حكموا في الأعادي^(١) البيضَ والأسلا
30 فإن تسلَّ عنهمُ يومَ الرمانِ فلم
تعدلْ بأحدثهمُ في سنهٍ بطلا
من ذا يُجارهمُ في كلِّ مكرمةٍ
أيشبهُ البعثرُ في تميله الوشلا^(٢) ؟

(١) في « ط » الأعاد وفي « م » الأعداء ، ونرجح ما أثبت
(٢) الوشل : الماء القليل « يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره » .

مولاي يا خير من للتصريح قد رفعت
 راياته ولواء الفخر قد حملا
 لله عيني لما أبصرتك وقد
 أعددت بين يديك الخيل والحوالا^(١)
 وأنت في قبضة يسمو بها عمدا
 أقام مناد أمر الدين فاعتدلا
 35 الجيش يعشي عيون الخلق منظره
 لما اكتسى منك نور الحق مكملا
 لا غرو أن شعاع الشمس يشمل ما
 أضحى عليه إذا ما لاح مستدلا

[٤٢ / أ]

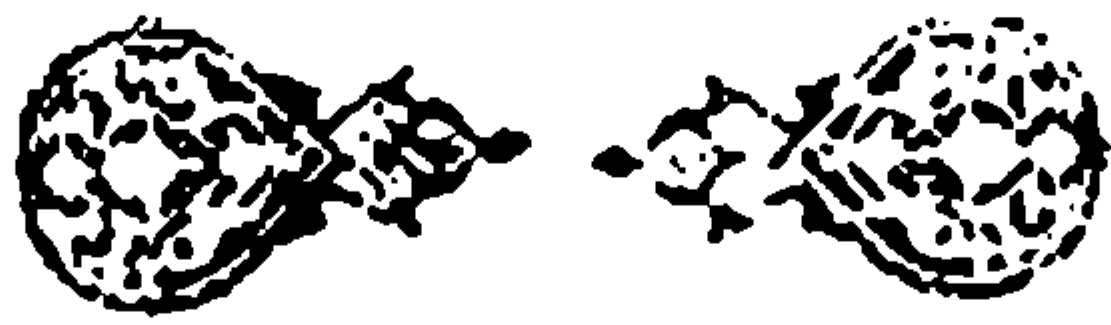
وراية التصريح والتأييد خافقة
 قد أسبل الله منها النصر فائسدا
 والخيل قد كسيّت أثواب (...)^(٢)
 (فمن براقعها)^(٣) قد ألبست حلا؟
 ترى الحماة عليهنها يوم عرضهم
 يمشون من فرط زهو مشية الخيلا
 40 فمن رماة قسي العرب عدتها
 تحكي الأهلة منها ، نورهما اكتملا

(١) الحول : الأتباع .

(٢) كلمة لم تظهر في « ط » واضطرب ناسخ « م » في رسمها .

(٣) أقرب ما يمكن أن يستخلص من رسم « م » ، وهي متأكلة في « ط » .

ومن كآة شِداد البأسِ شأنهم
أنْ يعملوا البيض والخطيئة الذبلا
يسعدك انتظمت تلك الجيوش لأن
أشبهت في نظمها أسلافك الأول
لا زلتَ تزدادها نغمى مضاعفة
(لها .. (١)) الأرض منها السهل والجبال
44 وخلق الله ملئكا أنت ناصير
ما عاقبتْ بكثرة من دهرنا الأصلا



(١) فيها «لها» ، ولا يستقيم بها الوزن ، ولا يظهر المعنى .

الباب التاسع

فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية وفقرائها

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب :

محمد بن أحمد الحسيني *

يكنى أبا القاسم ، وأدركته ، ورأيت

ونفسه : هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم بن عبد

(*) أبو القاسم محمد بن أحمد ، الشريف الحسيني ، أصله من سبتة ، ونزل غرناطة . (ولد ٦٩٧ ، وتوفي ٧٦٠ ، وقيل ٧٦١) . واشتهر بالشريف الغرناطي لطول ملازمته إياها وقوليه القضاء زماناً بها ، وتكليفه بالكتابة والخطابة . كان في رؤوس القضاة والكتاب الشعراء . شهد له تلامذته ومعاصروه بالفضل والتقدم إلى ديانة وتعاون . وقد توفي في غرناطة وهو على قضاها . للشريف مؤلفات منها شرح على مقصورة حازم القرطاجني سماه : رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (ط) . وشرح على الخررجية في العروض (خ) .

(ترجمته وأخباره في : نثر فرائد الجمان : ٢٣٩ ، والإحاطة ٢ : ١٢٩ ، والمرقبة العليا : ١٧١ ، والديباج المذهب : ٢٩٠ ، والدرر الكامنة ٣ : ٤٥٢ . ودرة البحال : ١ : ٢٨٤ ونفع الطيب ٧ : ٣٣٩ وجنوة الاقتباس : ١٩٣ ، والتعريف بابن خلدون : ٦١ . وللأستاذ العلامة عبد الله كتون عدد في سلسلة مشاهير رجال المغرب عن الشريف ، برقم ٢١ . وهو يتشدد في تسميته بالشريف السبتي) .

نثر الجمان - ١٠

الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن جثون بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب ، كرم الله وجوهم .

وهو من أهل سبته (١) ، وارتحل عنها إلى غرناطة ، فاستكتبه في الحضرة السلطانية أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل عمّ أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد ، وجعله من كتاب الإنشاء ، ثم قلّده القضاء والخطابة بغرناطة . وولي أيضاً مالقة (٢) القضاء ثم ولي أيضاً القضاء بغرناطة ثانية في دولة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد (المخلوع) .

حاله - رحمه الله -

احتوى على "جمل" من الآداب راقصة ، وطرائق في الإنشاء فائقة . وشعره يشبه بالشجور لو نظمت سلكا ، ويحري مع النفوس فيملكها ملكا . وحصل من علم البيان مفيدة وعجيبة ، ومعرفة باللغات الغريبة . وقوة نفس في استخراج المعنى ، ولو أنفذ (٣) فيه المثلغز مرمى . وتفنن في جميع العلوم ، والمعرفة منها بالجهول والمعلوم ، وثقوب ذهن في الآداب والفهوم (٤) .

(١) سبته مدينة عظيمة على بحر الزقاق ، وهي تقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس . وهي مدينة قديمة والبحر يحيط بها من كل جهة إلا من جهة الغرب . وكان للمدينة شأن أيام ازدهار الأندلس ، وأيام الدولتين الموحدية والمرينية .

(٢) مالقة من مدن الأندلس ، وتغر بحري هام لدولة غرناطة ، على شاطئ البحر المتوسط .

(٣) في الاصلين : أنفذ (بالبدال المهمة) ونرجع ما أثبت .

(٤) كذا وردت العبارة فيها .

فمن قوله يتغزل (١) :

دَعَيْني من مقالِ العاذِلَيْنِ
ومَنْ يَكُ سائِلًا (٢) فلديَّ حبٌ
علقتُ ، فمقلتي للنوم حربٌ
مليحُ الدَلِّ شاقَّتْ كلُّ قَلْبِ
5 جَنى وَحَمى فلم أَطْلُبْ بشاري
أَهمُّ بَخذَه وبِيسْمِه
عقدتُ مع الغرامِ فبعتُ فيه
وهمتُ بناعمِ العِطْفَيْنِ فيه
تُدِيرُ عَليَّ عَيناهُ حَكْووساً
كأنَّ سَلافَها من رأسِ عَينِ (٥)
وأعلام الصفا والمأزمين (٦)
تكون دموعها في الحب عَوْنِي

10 فأحلف بالمُحَصَّبِ والمُصَلِّي
لأنتصِرَنَ بالأجفانِ حَتَّى

(١) أورد ابن الأحمر معظم القصيدة في كتابه الآخر، نثر فرائد الجمان، ومنقابل عليه. وأوردها

الأستاذ كنون في ترجمة « الشريف السبي » نقلاً عن الكتابين .

(٢) في نثر الفرائد : سائلاً .

(٣) شاكي المقلتين ، من قولهم « شاكي السلاح » : ذو شوكة واحدة .

(٤) الحمى والأبرقان : مواضع . والأبرقان أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى بطريق البصرة إلى مكة

(٥) رأس عين أو رأس العين من مدن الجزيرة وبقرية من نصيبين ، ذكرها الشمرء بجودة الحمر ، ومنهم حسان في شعره الجاهلي .

(٦) المأزمان بين عرفة ومزدلفة .

وحين تعرفوا كَلَفِي وَقَلِي
كففتُ المقلتين لِشَهِدَا لي
يَصُونُ السَّرَّ عَنْهُمْ كُلُّ صَوْنٍ
[٤٣ / ١]

فلو أبصرتَ نَظِيرَيَّ المَعْنَى
وماءُ الدَّمْعِ فوق الوجنتينِ
15 بَصُرْتُ بوردتينِ يَسَحُ مِنْهَا
سَكِيبُ القَطْرِ فوق بهارتينِ (١)

إذا أَعْرَضْتَ أَعْرَضَ كُلُّ صَبْرٍ
وَأَذَتْ قَوْمُ أَحْدَاقِي بَيِّنٍ

ولم تَبَأْ (٢) الرِّبَاضُ بِحَسَنِ زِيٍّ
ولم تَرَهُ الرُّبَا بِكَمَالِ زَيْنٍ

كَأَنَّ نَسِيمَهَا يَمَسُّ أَقَاسِي
تَهْبُ عَلَيْهِ بِالْأَبْرَدَيْنِ (٣)

كَأَنَّ الزَّهْرَ غَبَّ سَمًا بِكُنْهٍ
لَا أَبْدَى حَمَامِ الشَّاطِئِينَ (٤)

20 أَهْيَجُ لَهَا الهَوَى وَتَهِيجُهُ لِي
وَقَدْ هَاجَ الحَمَامُ الوَجْدَ قَبْلِي
فَسَلَقِي فِي الهَوَى مُتَطَارِحِينَ
لِتُوبَةِ عِنْدَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ (٥)

(١) البهار: النرجس .

(٢) في نثر الفرائد: تَبَد . والبأو : الفخر والتعظيم .

(٣) الأبردان : القداة والعشي .

(٤) في نثر الفرائد ، وفي الأصلين المخطوطين لنثر الجمان غب بها . وقراءها الأستاذ كنون (غب سما) وهي قراءة مناسبة اعتمادها .

(٥) قوبه بن الحخير (ت ٨٨٥) شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلي الأخييلية

(وهي من شواعر العرب) ، وخطبها فردة أبوها ، وزوجها غيره . فتغزل بها واشتهر

أمره . وله مع ليلي حديث طويل (الأغاني ١١ ٢٠٨ دار الكتب) وهو القائل:

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر النوادي مطبرها

- بميشك هل ترى ثاني وحيد
يرى بك ثالثاً في النيرين ؟
- وهل يدنو من الآمال صب
بعيد بين هذب الناظرين ؟
- فإن يكن الجال حباك ملكاً
وأشد ناظريك بحاجبتين
- 25 فما أرضى للملك أن كسرى
وقبصر في مقام الحاجبتين (١)
- وإن أقل حظ يبثني من
رضاك يفي بملك الحارثين (٢)
- تخبرني وفي عطفيك لين
فعالك أن قلبك غير لين (٣)
- وأعرف في لحاظك ما رأت في
ظبي الثقي قاتلة الحسين (٤)
- وألقي في الهوى بيدي ومالي
على فتكات لحظك من يدين
- 30 علام الغيب عني؟ لا أغبت
بك الخيبرات هامة اليتيم
- ولا جرت الرياح عليك إلا
صبا وسقى محلك كل جون (٥)

(١) الحاجبان في البيت السابق هما المروfan فوق العينين. والحاجبان هنا مثق حاجب، وهو

من يقوم على حجابة الملك، وتنظيم الصلة بينه وبين الناس.

(٢) قال الهبي في جنى الجنتين (٣٧-٣٨) الحارثان هما: الحارث بن ظالم بن جنيعة بن

بربوع (من فتاك العرب في الجاهلية) والحارث بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحملة

(من فرسان الجاهلية).

(٣) في تثير الفرائد: «فعالك عن فؤاد غير لين».

(٤) خرج المختار بن عبيد الثقفي على بني أمية فدعا باسم محمد بن الحنفية، وغلب على الكوفة

والوصل، وتبع قتلة الحسين بن علي رضي الله عنها، فقتل كثيراً منهم

(٥) الجون: الأسود، وإذا كان السحاب جوناً كان أكثر ملاءمة للطر الغزير.

الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسني (*) :

[٤٣ / ب]

يكنى : أبا الحسن ، وأدركته بسنتي ، ويُعرف بالأحيمر ، وهو من أهل مالقة .

حاله - رضي الله عنه - :

هو صدر الصدور ، وواسطة الشذور ، ورضيع ثدي الدين ، ومعدن الورع المتين . راح في ميدان الصلاح وغدا ، وتوشع بفضل عن الفلاح . وارتدى . وطلع في سماء الأدب شهاباً ، وبرز في ميدان الفصاحة ليثاً مهاباً . وهو في العلوم مشارك ، وآخذ في حفظها غير تارك .

فمن قوله يمدح (**):

الآن تطلبُ وُدَّها وِرْصَها

من بعد ما شغلَّتْ بهَجْرِكَ بآلها (١)

(*) ترجم له في نثر الفرائد ، وأثنى عليه ، وقال فيه «الشریف الفقيه الخطيب الصالح». وترجم له لسان الدين في الكتيبة الكامنة في الباب الذي خصه للخطباء والصوفية ، وقال « رجل وقار وسكون له إلى الخير ركون . . . وله شعر بحيد وبحيد » . ولم يذكر ميلاده ووفاته .

(نثر فرائد الجمان : ٢٣٥ ، والكتيبة الكامنة : ٦٢) .

(**) القصيدة - كما قرر في نثر فرائد الجمان - في مدح صاحب غرناطة السلطان إسماعيل

ابن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف (حكم ٧١٣ - ٧٢٥) .

(١) القصيدة في نثر الفرائد (ص ٢٣٦ - ٢٣٨) عدا الأبيات : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤

وورد منها في الكتيبة الكامنة الأبيات (١ - ٢٢) بزيادة بيت بعد البيت الأول .

و (٤٢ - ٤٦ - ٤٧) ، بزيادة (٧) أبيات في قسم المديح .

وَأَتَيْتَهَا مُتَلَبِّئًا بِرَوَائِعِ
نُكْرِ بِفُودِكَ أَصْبَعَتْ^(١) عَذَاهَا
بِيضُ تَحْيَلٍ لِلنَّفُوسِ نَصُولَهَا
سَمْرًا تَحُولُ لِلشُّحُورِ نِصَالَهَا
مَثَلُ الْأَفَاعِي الرَّقِطُ تَنْفَتْ فِي الْحَشَا
وَأَرَى بِفُودِكَ جِثْمًا^(٢) أَصْلَاهَا
نَارُ تَضَرَّمْ فِي الْفُؤَادِ حَرِيقَهَا
لَكِنْ تُبِيرُ^(٣) بِمُفَرِّقِكَ ذُبَابَهَا
جَزَعَتْ لِهَذَا الشَّيْبِ نَفْسِي وَهِيَ مَا
زَالَتْ تُهَوِّنُ كُلَّ صَعْبٍ نَالَهَا
وَلَكُمْ صَدَعَتْ بِذَاوَدٍ مِنْ عَزَمَتِي
يَهَاءَ^(٤) لَا يُهْدِي الْعَلِيمُ ضَلَالَهَا
صَادَمْتُ مِنْ كُرْبِ الدُّنَى أَشْتَاتَهَا
مَا خَفْتُ غُرْبَتَهَا وَلَا إِقْلَالَهَا^(٥)
وَلِئِنْ تَقَلَّصَ عُسْرَتِي فِي الْغِنَى
عَنِّي ، فَلَئِنْ نَفْسٌ تَمُدُّ ظِلَالَهَا

(١) فِي نَثِيرِ الْفَرَائِدِ : صَبَعَتْ .

(٢) فِي الْكُتَيْبَةِ : كُنَا .

(٣) فِي الْكُتَيْبَةِ تَشَبَّ .

(٤) الْيَهَاءُ : الْمَفَازَةُ لَا عِلْمَ (لَا أَثَرَ) بِهَا .

(٥) فِي الْكُتَيْبَةِ : إِخْلَالَهَا .

10 ما مزقت^{*} ديباجتي عين^{*} امرئ^{*}

عَرَضْتُ عَلَيْهِ النَّفْسُ قَطُّ سَوَّالَهَا !

ألقى الليالي غير هيتب^(١) صرفها والأسد غير مجنب^{*} أغيالها

أمشي الهوَيْنِي والعداة تمر^{*} بي مرءاً^(٢) يطير عن الجياد نسالها

علت^{*} لي الخلق الجميل محققاً وتسيء^{*} في^{*} على عَمَى أقوالها

[٤٤ / أ]

تبغي اثنيانتي ، هل سمعت^{*} بنسمة^{*}

مرت^{*} على نجد تهز^{*} جبالها !

15 ولربما عَرَضْتُ لِعَيْنِي نَظْرَةً^{*}

يَرْضَى الْحَكِيمُ غَرَامَهَا وَخَبَالَهَا

من غادة مرق^{*} الصَّبَاحُ بِهَاءِهَا

والبدر^{*} في ليل التمام كالتها

تهوى المجرة^{*} أن تكون نجومها

من حَلْيِهَا ، وهلالها خَلْسَخَالَهَا

عرضت^{*} كما مرت^{*} بعينك^{*} مَظْفِلٌ^{*}

ترعى بناظيرها الكحيل غزّالها

ما تَهْنَهَتْ^{*} نفسي وإن ضمنت^(٣) لها

عبراتها يوم الوداع^{*} وصالها

(١) في الكتيبة : غير طيب .

(٢) في الكتيبة : تمر في جري . والنسال ماسقط من الشعر عند نسله .

(٣) كذا في نثر الفرائد أيضاً . وفي الكتيبة : ظمنت .

20 من كان يأمل أن يقوم بمجلس.

حطت به شهب السها أنقالها

يحيى (١) أحاديث السراة أولى النشي

نصلي ويتضرب في الملا أمثالها

ألقى هواه جانباً وهوت (٢) به

وجناء تدمن في الدجى إعمالها

منها في المدح :

ألبست دين الله حلقة آمين

أضفت على أسرابه (زلزالها) (٣)

أتم بني نصر نصرتم ملة ..

.. إسلام حين شكت لكم خذالها

25 كنتم لنا أهلاً ورحبتم بنا

في العدوتين (ومنهم انزالها) (٤)

نزلت على سعد (٥) ليسعد جدّها

وأوت إلى نصر لينصر آلها

أحرزتم يوم السقيفة (٦) قودها

دون الأثم وقيدها وشكالها (٧)

(١) في الكتيبة : يحيى .

(٢) في الكتيبة : وسرت به .

(٣) في الأصلين : زلزالها . ولم يرد البيت في المصادر الأخرى .

(٤) كذا وردت العبارة في الأصلين ، وفي ثير الفرائد . ولعلها : وصنتم .

(٥) الإشارة إلى جد الأسرة النصرية الصحابي الجليل سعد بن عبادة .

(٦) سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة ، والإشارة واضحة .

(٧) القود ، الناقة ، والشكال : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .

لكن حبوتكم من أجرتكم مينة
 بخلافه الله التي بعشى لها (١)
 إذ تؤثرون سواكم فمالت بهذا
 آي الكتاب (٢)، فمن يرد مقالها؟
 30 حتى إذا عثرت ولم ينهض بها
 إلاكم بادرتم إنشالها
 أويثتم خير البرية كلها
 ومغيشها ونجاتها وئمالها
 من ألبس الشرف الرفيع وضيعها
 وكسا معصفرة الحيجا جنبها لها

[٤٤ / ب]

ومنها

لما تحققت النبوة أنها
 وتفاعست عن منعمها أعمامها
 35 فوثبتهم مثل الليث لنصرها
 فأدرتم منها زبونا أصبحت
 قد زلزلت منها الورى زلزالها
 أمت أئمة نصرها أخوالها (٣)
 والحرب تخطف خلفها أمثالها
 ترمي رؤوس الملأحين ثفالها

ومنها :

« بدر » وما بدر وردم قلوبها
 يحنادل الطاغوت تملأ جالها (٤)
 ولكم « بأوطاس » (٥) وقد حي الوطيس على العبدى يوم أطاح بحالها
 فتزعتم أرواحها ، وسبيت أولادها ، وستبتم أمواتها

(١) عشى إلى النار رأها من بعيد فقصدها .

(٢) يشير إلى الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

(٣) الإشارة إلى خرولة النبي صلى الله عليه وسلم في الخرج

(٤) الجال : جانب البئر . والقلب : البئر . والإشارة إلى وقعة (بدر) .

(٥) أوطاس : واد بديار هوازن فيه كانت رقعة حنين .

40 وَذَهَبْتُمْ بِالْمُهَنْطَفَى لِدِيَارِكُمْ

وَحَبَابِ سِيَوَاكُمْ شَاءَهَا وَجَمَّالَهَا (١)

فَزِتُمْ بِهِ فَوْزَ الْمُعَلَّى مَنَحَةً أَحْرَزْتُمْ دُونَ الْأَنَامِ مَنَاحَهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ مُلْكِهِ جَنَّتِ الْمُلُوكُ تَجَمَّالَهَا وَجَلَّالَهَا

مَا زَالَ حَزْبُكَ فِي الْوَرَى يعلُّو عَلَى

مَرَّةٍ الدُّهُورِ وَيُعْتَلِي أَجْبَالَهَا

حَتَّى حَلَمْتَ مِنَ الْمَهَادَةِ ذُرُوءَهُ

مَا حَلَّ غَيْرُكَ فِي الْمَهَادَةِ حَالَهَا

45 تَحْمِي الْهُدَى، تَهْمِي النَّدَى، تُؤَلِّي الْجَدَا

وَتَقِي الرَّدَى، وَتُرِي الْعِدَا أَوْجَالَهَا (٢)

خُذَهَا كَمَا دَارَتْ بِكَاسِ سُلَافِهَا

حَوْرَاءَ تَمْزِجُ بِاللَّسْمِ جِيرَانَهَا (٣)

تَهْنِي عَلَى السَّحَرِ الْحِلَالِ وَشَاحِبَهَا

وَتُسَدِّرُ مِنْ تَحْرِ الْفُتُونِ حَلَالَهَا !

(١) الإشارات كثيرة إلى ما كان في حنين وبعدها .

(٢) في تثير الفرائد : ترمي العدا أوجالها .

(٣) الجريال : صبغ أحمر !

الفقيه القاضي الخطيب محمد بن محمد السلمى (*) :

يكنى أبا البركات ، ويُمرّف بالبليقي ، وبابن الحاج . وأدركته ورأيت . وأصل سلفه [٤٥ / أ] من بليقي (١) ، من بيت العلماء والمحدثين والحفاظ . وكان أبوه محمد بن إبراهيم محدثاً حافظاً متفناً في العلوم .

وإبراهيم : والد محمد كان فقيهاً إماماً عالماً محدثاً حافظاً ؛ رأيت .

ونسبه : هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف ابن محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير ابن أبي عيشون عياش بن محمود بن عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(*) أبو البركات ابن الحاج البليقي ، (ت ٧٧٣) وقيل ٧٧١ واحد من شيوخ غرناطة وقضاها المعدودين في القرن الثامن . كان شيخ لسان الدين بن الخطيب وطبقته . وهو ينتمي إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمى .

نشأ بمدينة المارية وتلقى علومه فيها وفي مدن الأندلس الأخرى. ورحل إلى المغرب أكثر من رحلة قاصداً العلم والعلماء ووصل حتى بجاية . وعاد إلى الأندلس فولى القضاء في عدد من بلدانه كالمارية ، ومالقة ورحل إلى المغرب في أغراض سلطانية . ولأبي البركات تصانيف متعددة الأغراض منها : تاريخ المارية ، والمؤتمن على أنباء أبناء الزمن . وخلف ديوان شعر كان متداولاً معقوبه .

أنشأ عليه الذين ترجموا له بالفهم والفضل وإفادة طلبة العلم ، وكان أصحابه وطلابهم يقدمونه ويقدرونه غاية التقدير والتبجيل .

(انظر ترجمته وأخباره في : الإحاطة لابن الخطيب : ١٠٢ ، والكتيبة الكامنة له ١٢٧ والرقبة العليا للنباهي ١٦٤ ، والديباج المذهب لابن فرحون : ١٦٤ ، والتعريف لابن خلدون ٦١ ، ونفح الطيب ٤٧١) .

(١) بليقي : حصن من عمل مدينة المارية .

والداخل من أجداده إلى الأندلس من المشرق هو محمود بن عنبسة ؛
دخلها مع موسى بن نصير .

وولاه القضاء (١) في سنة سبع عشرة وسبع مئة بشبالش ، أمير المسلمين
أبو الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج . ثم لم
يزالوا يوالونه (٢) القضاء والخطابة بقرنطة وغيرها من البلاد ، أبناء عمنا
الملوك من بني الأحمر آل نصر .

فلما ولي الملك ابن عمنا أمير المؤمنين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد
الله محمد قدمه على قضاء الجماعة بقرنطة بطول دولته . وبعثه رسولا للملك
العدوة ؛ وهو أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم . فلقيه بفاس ، وأنا
إذ ذاك بها في حضرة الملك من بني مرين حين أخرجنا بنو عمنا الملوك من
بني الأحمر آل نصر ، فطلبت منه أن ينشدني من شعره فأنشدني ما نذكره إن
شاء الله تعالى .

حاله :

هو علم أعلام القضاة ، وصاحب الخلال المرتضاة . ورجل الحديث
وأسد رجاله ، وعلامة العلم وفارس مجاله . وعالم الرواية ، والمحصل للدراية .
ورب البلاغة والفصاحة ، ومبرز ميدان الذكاء والسباحة . وباعه في
القراءات مديد ، ورأيه في الأحكام مدبد . وبيته بيت عليم محب من
الصون ذبلا ، وتضوعت من عرف عرفانه نواسم الجلال نهارا وليلا .

(١) عود الحديث إلى صاحب الترجمة .

(٢) كذا في النسختين : وترى أنه استعمل لغة « أكلوني البراغيث » .

أنشدني لنفسه (١) :

يَفْتَنِي الهَوَىٰ وَغَرَامُ عَزَّةَ بَاقٍ وَالشَّوْقُ يَتَذَهَبُ مَا عَدَا أَشْوَاقِي
حَلَفَ الهَوَىٰ أَلَّا يُفَارِقَ مُهْجَتِي طَوْلَ الزَّمَانِ إِلَى بُلُوغِ تَرَاقِي
فَالْوَجْدُ مَا طُوِيَتْ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

وَالدَّمْعُ مَا جَادَتْ (٢) بِهِ آمَاقِي

أَنَا فَارِسُ الْمُشْتَاكِ مَا مِنْهُمْ فَتَى يَهْتَزُّ بَيْنَ يَدَيَّ يَوْمَ مِيقَاتِي
5 وَإِذَا هُمْ يَمْدُونُ خَلْفِي مُرْعَاً لَمْ يَظْفَرُوا يَوْمَ الهَوَىٰ بِإِلْمَاقِي
فَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الرِّجَالُ مَقَامَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي مَصْرَعِ الْمُشْتَاكِ
قَالُوا لِمَا ذَلَّلْنَا وَعَاذَرْنَا وَمَا بِي مِنْ غَرَامٍ مِنْهُمْ وَوَفَاقِي (٣)
قَدْ صُمْتُ أَذِنِي عَنْ حَدِيثِكُمْ كَمَا عَمِيتُ إِذَا شَاهَدْتَكُمْ أَحْدَاقِي !
إِنْ شِئْتَ تَعْلَمْ هَلْ شَعَرْتُ بِأَمْرِكُمْ

أَمْ لَا ، فَهَسَاكَ أَنْظُرْ إِلَى اسْتِغْفَاقِي
10 الْحَالُ أَغْلَبُ وَالِدَلِيلُ مُؤَخَّرُ وَالْحُكْمُ فِي ذَا الْبَسَابِ لِلْأَذْوَاقِ
دَعْنِي وَعَزَّةَ وَالْغَرَامَ فَإِنَّهُ تَثْلِيثُ تَوْحِيدٍ بَغِيرِ نَفَاقِ !
دَاءُ الهَوَىٰ مَا إِنْ أَدِينُ بِبِئْرَتِهِ مَا لِلطَّبِيبِ وَلِي ، وَمَا لِلرَّاقِي ؟ !

(١) قال النباهي في ترجمته له (١٦٥) : وكان التكلم بالشعر من أسهل شيء عليه في كثير من أجماعاته وفتون مخاطباته . وله منها ديوان كبير يحوي من ضروب الأدب على جسد وهزل ، وسمين وجزل سماه بـ «العذب والأجاج» .

(٢) في النسختين : ماجأت ، ولعله تحريف عما أثبت .

(٣) كذا البيت في النسختين ، ولعل مطلعه : قولوا .

هي عيلةٌ أو سكرةٌ لا ترتجي
صَحَوًا ، وكيف وما عَدَمْتُ الساقِي ؟
لله ساقٍ في حنلاوةٍ كاسِهِ لصدئفِ الهيانِ مرُّه مَذاقِ
15 وأمره من محنِ الهوى أن لم أبَلْ
بِعَظِيمِ ما في جَنبِ ذاك الأقي
يا قلبُ كم أَسْمَى وَمالي تَخْلَصُ
نحو التفلتِ من شديداً وثاقِ
لله ما يلقاهُ أربابُ الهوى
من كَلٍّ ما يَفْري عُرَى الأعناقِ
لا غرو أن يَشْقَى الحبَّ ببعدهِ
إن لم يَدِنْ محبوبُهُ بِتَلاقِ
الموتُ كُلُّ الموتِ أَنِّي مُبْتَلَى
بِفراقٍ من يَشكو أَلِيمَ فِرَاقِي !

[٤٦ / أ]

20 يا مَنْ فَوَّادِي في وصالِ جِمالِهِم
ما زالَ في طَمَعٍ وفي إِشفاقِ
إن كان دهرٌ قَدْ قَضَى بِفِراقنا
فَعَساكُمْ لا تَنقُضوا (١) ميثاقِي !

(١) لا هنا : النافية . وأظن الوزن ألجاء إل الضرورة .

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يخاطب بعض الطلبة معتذراً له وقد
[غفل عنه] في بعض حلق العلم ^(١) :

إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو أني لستم أشاهدكم فالعين لا تبصر إنسانها !

وأنشدني أيضاً لنفسه في البعاد ^(٢)

قالوا تغربت عن أهل وعن وطن
فقلت لم يبق لي أهل ولا وطن
مضى الأحياء والأهلون كلهم
وليس لي بعدهم سكنى ولا سكن
أفرغت دمي وحزني بعدهم فإذا ^(٣)

من بعد ذلك لا دمع ولا حزن !

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قد كنت أحسب قدوة في سادة
عدوا بغير رضاي من أكفائي
فاجتاحهم رب المتون فأصبحوا
رهن الثرى نبأ من الأنبياء
وأقام بعدهم الزمان صغارهم
رغماً أمامي ، والكبار ورائي !

(١) البيتان في الإحاطة ٢ ١١٢ وفيه : إنه قالها بسبته . وما في تفح الطيب ه :

٤٨١ ، وفي المرقبة العليا : ١٧٦ .

(٢) البيتان في المرقبة العليا : ١٦٦ .

(٣) في المرقبة : فأنا .

لم أرضَ بالطيرفِ العتيقِ مُسابقاً
فبليتُ بالجرّيانِ خلفِ الشاءِ !
وأنشدني أيضاً لنفسه في المُجَبَّنة (١) :
ومصفرةِ الحَدَّيْنِ مَطْوِيَّةِ الحِشَا
على الجنبِ والمصفرِ يؤذنُ بالخوفِ
لما هيئةُ كالشمسِ عند طُلوعِها
ولكنّها في الحينِ تغربُ في الجوفِ !

الغنيه الكاتب القاضي محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي (*) :
[٤٦/ب]

يكنى : أبا بكر . وأدركته ، ورأيتُه وكتب في الحضرة السلطانية
لأبناء عمنا الملوك من بني نصر . ووصلني بالسلطان منا بمسجد قصره في
تراويح شهر رمضان . ثم صلّيتُ بالناس بالمسجد الأعظم من الحضرة بعد
ذلك ثم ولي قضاء الجبل من غرناطة ، ثم عزل عن ذلك الموضع وولي
قضاء بسطة (٢) .

(١) البيتان في الإحاطة ٢ ، ١١٣ ، والمرقبة العليا ١٦٦ ، ونفح الطيب ٥ ، ٧٨١ ،

(*) ترجم لسان الدين بن الخطيب في الكتبية الكامنة (ص ٥١) لوالد المترجم به هنا وهو
أبو علي عمر بن علي بن عتيق القرشي ، وقال إنه رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج
وأنه «له شعر قليل» . وترجم في الكتاب نفسه ص ٢٠٠ «للكاتب أبي بكر محمد
ابن محمد بن عمر بن علي القرشي» وكانت بينه وبين لسان الدين مراسلات ومطارحات
شعرية (ص ٢٠١) . ويرجح عندي أنه أبو بكر محمد بن عمر بن علي صاحب الترجمة
عند ابن الأحرار . ويكون مافي الكتبية من أنه (محمد بن محمد) سهواً من ناسخ النسخة
المتعمدة هناك ، حين زاد (محمد) بين الأب عمر وابنه أبي بكر محمد .

(٢) بسطة : مدينة بالقرب من وادي آش ، وهي من كور جيان .

حاله - رحمه الله تعالى -

كاتب الإمارة وقاضيها ، ومنفذ أحكام الشريعة وممضيها ، وخطيب
الحفل ، وإمام الفروض والنفل . وفريد البلاغة التي لا يشح بثبوعها ،
ووحيد الفصاحة التي لا تقفر من البراعة ربوعها . وروضة العلم التي
تفتحت فيها للفنون أزهير ، ورافع راية الأدب التي عجز عن حملها
كل ماهر .

فن قوله يهنئ أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، بإبلا
من مروض .

عادت بيسرتك بهجة الأيام
واستقبلتك بشفرها البسام
وغدت عليك وفود راحتك التي
نهبت جيوش الشقم والآلام
فانزاح عنك الضير غير معاود
وأتيح بالآمال كل مرام
فاستأنف العمر الطويل فهذه
بشرى السعادة آذنت بدوام

ومنها :

5 فتلأنت حائر خصل (١) كل فضيلة
في الدين يوم تراهن الأقوام

(١) أحرز خصله ، وأصاب خصله : غلب .

ولأنتَ أزهامهم وأطولهم يَبدأ
في الخالنين النُقْضِ والإبرامِ
برزت فوق النجمِ في طلب العُلا
والفَيْزِ كع^(١) ومالَ للإحجامِ
أفعالُ أمرتكَ الذين تَسْتَمُوا
مرقَى العُلا فَعَلُوا على بهرامِ^(٢)
وتَمَيَّزُوا بين الأنامِ بِمَجْدِهِم
كَتَمَيَّزِ الأعيادِ في الأيامِ
[٤٧/أ]
10 قَومٌ إذا افْتَخَرَ الكِرَامُ فإِنَّهُمْ
غَوَتْ الصَّرِيخُ وَقَاتِلُوا الإِعْدَامِ
فَضَحُوا البِحَارَ وَكَلَّ طَوْدِ راسِخِ
بِئْسَ دَامُ وَرَجَاحَةُ الأَحْلَامِ
وَكَفَى بِهِمْ شَرَفًا عَلَى مَنْ غِيَرَهُم
حُبُّ النَّبِيِّ وَنُصْرَةُ الإِسْلَامِ
أَمَّا بَنُو نَصْرٍ فَأَرْوَاحٌ ، رِيحُهَا
حَيِّى الرِّى ، وَالنَّاسُ كَالْأَجْسَامِ
وَالْقَوْمُ رِجْسٌ ، يَوْسُفٌ هُوَ رُوحُهُ
وَصِلَتْ لَهُ الأَعْوَامُ بِالْأَعْوَامِ
15 قُطِبَ إِذَا دَارُوا ، وَوَاسِطَةُ إِذَا
نُظِمُوا ، وَشَمْسُ ضُحَى وَبَدْرُ تَمَامِ

(١) كع : جبن وضعف .

(٢) بهرام : كوكب المريخ .

هو واحد الدنيا الذي إن يرتجى
كالغيث أو يخشى فكالضرغام

طلق الجبين محبوبه فكانه
جذب القلوب لنفسه بزمَام

يا أيها الملك الذي إنعامه
أبدأ يسح ، ولا انشكاب غمام !

غفل الأنام فأهلوا شكر الذي
وهبوه منك ، فأنت خير إمام

20 وتنبهوا لما اعتراك تألم
بالحال أذك غايه الإنعام

فلقد تشكى من شكاتك من نأت
أسبابه فضلاً على الخدام

والآن صح لك الشفاء وكلهم
قاموا بفرض الشكر أي قيام

وتكفلت لهم السعود بما ابتغوا
فالحير أجمع في البسيطة نام

فاستشهدوا البشرى لذلك بينهم
وأصاخ سمعاً مفروق وشامي

25 نسا (١) الإله لنا حياتك إنها
ذخيرة الأنام وبهجة الأيام

(١) نسا الله في أجل فلان ، من : نسا الأمر إذا أخره .

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن جزّي الكلبي (*)

يكنى : أبا بكر ، وأدركته ؛ وهو من أهل غرناطة من أعلامها ، من
بيت العلماء والقضاة والخطباء (١) .

وأبوه ، أبو القاسم محمد كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة (**)

(*) أبو بكر أحمد بن محمد بن جزّي ، خطيب ، فقيه ، قاض ، كاتب ، من وجوه
غرناطة ، وهو واحد من أسرة بني جزّي ، ويرجع أصل أسرة بني جزّي إلى حصن
البراجلة من ولبة . واستقر أسلافه بغرناطة منذ أن صارت هي الحاضرة . وكان أبو بكر
في جملة كتاب الدولة النصرية وقضاها وله - إلى ذلك - مشاركة في شيء من التصنيف
والتأليف ، قال ابن الخطيب « له تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين
الفقهية ، ورجز في أفرائض » ومن جملة أعماله القضاء بحضرة غرناطة والخطبة
بمسجد السلطان ، وكان موصوفاً بالنزاهة والمضاء ولد سنة ٧١٥ وتوفي سنة ٧٨٥
وكنيته في الإحاطة واللمحة البدرية أيضاً أبو بكر ، وكناه في الكتيبة الكامنة وبعض
نسخ اللوحة البدرية (حاشية ص ١١٦) بأبي جعفر .

(الإحاطة ١ ٥٢ ، واللمحة البدرية ١١٦ ، ١١٩ ، والكتيبة الكامنة ١٣٨ ،
وبغية الوعاة ١ ٣٧٥ والدرر الكامنة ١ ٢٥٣ ، والديباج المذهب ٤١)

(١) بنو جزّي أسرة مشهورة من الأسر التي كان لها ظهور في دولة غرناطة في القرن الثامن
على الخصوص . وتمود شهرتهم في غرناطة إلى نبوغ عدد من رجالهم في علوم الشريعة ،
وفنون الأدب المختلفة ، ولاصطناع السلاطين النصارى لهم في خطط الكتابة ،
والقضاء ، والخطابة ، وغير ذلك . وأشهرهم أبو القاسم محمد بن أحمد (المفسر)
وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الذي ولي القضاء ، والخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة
ومحمد بن محمد بن أحمد الكاتب لدى النصارى والمرينيين ، ومدون رحلة ابن
بطوطة بقله .

(*) الفقيه الخطيب المفسر ؛ علامة عصره ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزّي ،
صاحب التصانيف في فنون الشريعة والعربية ، الشهيد في معركة طريف مجاهداً محتسباً =

وكان [٤٧ / ب] فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم ، محصلاً ، قارب درجة الاجتهاد ، ودون وصنف في كل فن . وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة ، وقُتل شهيداً بطريف في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولجده السلطان الأمير أبي بكر بن جزى الظهور بمدينة جيان^(١) . بُويع بها في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مئة .

= قال تلميذه لسان الدين في ترجمته « من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها . كان رحمه الله على طريقة مثلى من المكشوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب . حافظاً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، ملوكي الخزانة ، حسن المجلس بمتع المحاضرة ، صحيح الباطن . تقدم خطيباً على حداثة سنه ، فاتفق على فضله ، وجرى على سنن أصالته . »

وله مؤلفات كثيرة ، منها : وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب الأقوال السنية في الكلمات السنية ، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار . وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية والحنفية ، وكتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول . وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين ، وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع ، وكتاب أصول القراء الستة غير نافع ، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة . وله فهرسة كبيرة . وأبو القاسم بن جزى هو مؤلف التفسير الشهير - التسهيل إلى علوم التنزيل - (انظره محققاً بمناية الدكتور عدنان زرزور والدكتور محمد رضوان الدابة) .

كانت ولادة ابن جزى سنة ٦٩٣ ونوفي شهيداً في معركة طريف التي جرت سنة ٧٤١ بين دولة بني نصر المتحالفين مع بني مرين من جهة وتحالف الدول الإسبانية البرتغالية والمطروحة معهم من جهة أخرى ، ومحض الله فيها المسلمين . قالوا في ترجمته إنه فقد وهو يحرض الناس... على الجهاد - ويقاثل مجاهداً . تقبل الله شهادته .

(١) جيان مدينة كبيرة ، كانت حاضرة كورة باسمها .

والقاضي أبو بكر ^(١) هذا استكتبه بالحضرة السلطانية ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف ، ثم بعد ذلك ولي القضاء بـبـرـجة ، ثم بـأندـرـش ، ثم بوادي آش ^(٢) . وولي أيضاً قضاء الجماعة بغرناطة بمسجدها الأعظم في دولة ابن عمنا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل .

حاله - أكرمه الله -

قدم للقضاء فعدل ، وما عن النهج القويم عدل . ولا وُجد له جورٌ ولا ذوى للحق بعده تور . فطابت يميل ذكره الخواطر ، وتضوع من حسن سيرته المسك العاطر . وقلند الكتابة فأجال قداحها ، وأبان بالإجادة مساءها وصباحها . وسلك من الفضل الجسيم ، الواضح الوسيم ؛ على السنين المأثور ، وركض في ميدان الآداب جياذ المنظوم . والمتثور . إلى ما شئت من سكبنة وعفاف ، وتخلّق بالحامد وإنصاف . ونسب قصر عن وصفه الحافظ المجيد ، وشرف تحلّى به للفخر الزهر والجيد .

فمن قوله ينتى بها ابن عم أبينا ، أمير المسلمين أبا الحجاج ^(٣) ببعض المغازي ^(٤)

(١) حود إلى الترجم به .

(٢) برجة من أعمال المرية ، وهي على واد يعرف بوادي عذراء . وأندرش : مدينة من أعمال المرية . ووادي آش مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة .

(٣) هو الأمير النصري أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج . حكم غرناطة (٧٣٤ - ٧٥٥)

(٤) في مدة الأمير المذكور كانت وقعة طريف (٧٤١) وأدت إلى استيلاء صاحب قشتالة ألفونسو على الجزيرة الخضراء وحاصر المسلمين وجاس خلال ديارهم . ونازل جبل الفتح سنة ٧٥١ ولكنه هلك حتف أنفه دون ذلك فانقض جيشه وطورد فله .

معودُ بها الإسلامُ قال أمانِيَّةُ
 أشادتُ ببشْراءُ وشادتُ مِبانِيَّةُ
 هَنِيئاً لهذا الملكِ نصرٌ مؤزَّرُ
 وحقٌ علينا أن نُديمَ تهانيَّةُ
 ضمانٌ على الأيامِ أنكِ غالبُ
 وأنتِ لا تُبقي من الشُّركِ باقيَّةُ
 لقد نصر الإسلامَ منكِ مؤيَّدُ
 معالِمُهُ أحيى ، وأعلى مَراقِيَّةُ
 [٤٨ / أ]

5 فِيا غَزوةً ما كان أسعدُ يَوْمَها
 ويا نعمةً للدينِ والمُلكِ ضافيَّةُ
 ويا بَطْشَةً ما كان أعظمُ صَوْهَها
 ويا عِزَّةً كانتُ على الرُّومِ قاضيَّةُ

ومنها :

لقد عزَّ دينُ كُنتَ أنتَ حُمامَةُ
 وناصِرُهُ إن قابَ خطبُ وحامِيَّةُ
 هو المُلْكُ زانتهُ مكارمُ جُمَّةُ
 لَدَيْكَ وصانَتُهُ عِزائِمُ ماضيَّةُ
 فأولِيَّتُهُ الإعزازُ لَمَّا وَلِيَّتُهُ
 وأخصَّبتُ مرعاهُ وأعشَّبتُ وادِيَّةُ
 10 وسدَّدتُ مرماهُ وأعليتُ أمرَهُ
 وشيَّدتُ مَبْنَاهُ وشرقتُ نَاديَّةُ
 وحلَّيتُ بالإسلامِ والجودِ جيَّدةُ
 وجلَّيتُ بالتَّوفيقِ والرُّشْدِ داجِيَّةُ
 ألا في سَبيلِ اللهِ ما أنتَ صانِعُ
 وللهِ والإسلامِ ما كنتَ آتيَّةُ
 قضى لكُ بالفضلِ كُلُّ مُجربِ
 عليمٍ بأخبارِ الأوائلِ راوِيه

وله أيضاً في العذار ، وهو أحسن ما قيل فيه . وسبب ذلك أن كُتّاب
الحضرة السلطانية اليوسفية تذكروا معنى غترعاً في العذار لم تسبق إليه
الشعراء فأتى كلُّ بما في قدرته فقال هو - على البديهة :

أتى أولو الكُتُبِ والحرب الألى عَزَمُوا
من بُعدِ سِلْمِي على تحرّبي وإسلامي

واستطردوني لتشبيهِ العذار لَهْمُ
وجادلوني فيه دونَ أحلامِ

فقال ذو الكُتُبِ لا أرضى الكُتّابَ في
تشبيهِ لا وأنقاسي (١) وأقلامي

وقال ذو الحربِ ما إِيحْرَابُ مُشْتَبِهاً
عندي به لا وأسياني وأعلامي

فَقُلْتُ أجمع بينَ الحَالَتَيْنِ إِذَا
بالام ، فاستحسنوا التشبيه باللام !

وقال أيضاً مورياً بالكُتُبِ

(أمالِي) الشُّوقُ تَمْلَأُ لي الدُّفَاتِيرُ
أقول هي (الصُّحاح) هي (النُّوادرُ)

ومن حُبِّي (خِلَاصَةٌ) كُلُّ حُبٍ
ومن صَبْرِي (مَعُونَةٌ) كلُّ صَابِرٍ

[٤٨ / ب]

ومن قَلْبِي (المُخَاصَصُ) (٢) و (المُوطَّأُ)
ومن دَمْعِي (المُفَصَّلُ) و (الجَوَاهِرُ)

(١) فيها أنقاسي (بالفاء) وأنقاس جمع نقس (بكسر النون) : المداد يكتب به .
(٢) في النسختين : المخلص .

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب علي بن عبد الله بن الحسن
الجنذامي (*)

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيت ، ويصرف بابن الحسن ، وبالبني .
وهو من أهل مالقة ، من بيت رفيع المجادة ؛ من أولي علم وقضاء
وخطابه .

وقدّمه قاضياً بغرناطة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد
الخلوع واختطبه به ، واستكتبه ، ثم قدّمه على قضاء الجماعة ثانية

ولجده الفقيه القاضي ابن الحسن المالقي أخبار شهيرة مع الحاجب المنصور
بالله ، أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري ، حاجب هشام المؤيد بالله أمير

(*) أبو الحسن علي بن عبد الله ، الشهير بالقاضي النباهي . من رجال الدولة النصرية في
النصف الثاني من القرن الثامن . ولد بمدينة مالقة سنة ٣٠٤ هـ ، واستكمل علومه في مدينة
غرناطة . روي القضاء في بعض مدن دولة غرناطة ثم التحق كاتباً بالديوان . وقد حظي
عند الغني بالله محمد الخامس بمكانة مرموقة فصار قاضي الجماعة على أيامه . ولا يذكر القاضي
النباهي دون أن يذكر معه لسان الدين بن الخطيب . فقد بدأ صديقين ، يتقارضان الثناء .
وذكره ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمة مدحيه لم يضمن فيها بالإطراء ، ولكنه نقض
كلامه في (أعمال الأعلام) وفي (الكتيبة الكامنة) وهجاء هجواً مرأ . ولما اشتد
بينها الخلاف ألف فيه «خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن» . وكان النباهي من
أهم المحرضين على ابن الخطيب ، لا يبدله في ذلك غير ابن زمرك الوزير الذي جاء بعد
ابن الخطيب واشتدت الحملة بينهما بعد أن غادر لسان الدين إلى المغرب تاركاً وزارته
بغرناطة ومقاطعاً السلطان النصري . للنباهي «المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»
ط - القاهرة - وشرح المقامة النخلية - خ - قال في «نيل الابتهاج» إنه كان حياً
سنة ٧٩٣ هـ .

(انظر نيل الابتهاج ٢٠٥ والكتيبة الكامنة ١٤٦ ، وأزهار الرياض ١ ٢١٢ ،
ونفع الطيب ٥ : ١٢٢ . وفيه كتاب النباهي إلى لسان الدين يلومه ويفند مواقفه) .

المؤمنين الأموي ، خليفة الأندلس ، أثبت هنا منها حكاية طريفة . ولم أثبتها إلا ليعلم منها أصالتها^(١) ، وعلو منصبه . وهي ما قال^(٢) محمد به موسى بن عزرون عن أبيه موسى . قال : اجتمعنا يوماً في منزلة لنا بجهة الناعورة بقرطبة مع المنصور بن أبي عامر^(٣) في حادثة سنة ، وأوان طلبه ، وهو مُرجىء^(٤) مؤمل . ومعنا ابن عمه عمرو بن عبد الله بن عسقلان^(٥) ، والكاتب ابن المرعزي ، والفقيه ابن الحسن الملقب^(٦) وكانت معنا سفرة فيها طعام . فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي يتكلم به : لا بد أن أملك الأندلس ! وأملك الرجال ! وأقود الجيوش ! وينفذ حكمي في جميع الأندلس ! ونحن نضحك من قوله^(٧) ونتعجب من حديثه . فقال^(٨) :
يتمنى كل واحد منكم ما شاء ، فتمنى كل واحد منهم ، فقال عمرو بن عبد الله ، نتمنى^(٩) أن توليني المدينة لضرب الظهور والجمانة^(١٠) ، ونفتحها مثل هذه الشاردة^(١١) . وقال ابن المرعزي : أنا أشتي هذه الإسفنج ، توليني أحكام السوق حتى نشتفي منها ! وقال ابن الحسن ، أحب هذا التين تمنى

(١) في النسختين : أصالتها . ولعله : أصالته .

(٢) الخبر في المرقبة العليا للنباهي (المترجم به) : « ٥٨١ » .

(٣) في المرقبة العليا « وهو في حادثة سنة »

(٤) في النسختين : (مرجىء ، مهموزة) وفي المرقبة مرجىء . قلت كأنه يريد : راج

(٥) في نسخة ط : عسقلان . والمثبت من م ، ومثله في المرقبة .

(٦) في المرقبة العليا : الحسن بن عبد الله بن الحسن الملقب .

(٧) في المرقبة العليا : ونضحك معه .

(٨) في المرقبة العليا : تمنوا علي .

(٩) في المرقبة العليا : أتمنى .

(١٠) اختصر للنباهي : في « المرقبة » من القصة الحديث من المآكل الواردة بعد .

(١١) في « ط » : الساردة .

تُولِيتَنِي الْقَضَاءَ بِرُيَّةٍ (١) حَقٌّ أَتَشْفَى مِنْ ذَلِكَ .

[٤٩ / أ] قَالَ مَوْسَى بْنُ عَزْرُونَ : فَقَالَ لِي تَمَنُّ أَنْتَ ! قَالَ فَشَقَقْتُ لِحْيَتَهُ ، وَضَرَطْتُ بِهِ وَقُلْتُ قَوْلًا قَبِيحًا مِنْ أَقْوَالِ السَّفَالِ . قَالَ فَلَمَّا صَارَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَا صَارَ مِنْ مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ وَلَى ابْنُ عَمَتِهِ الْمَدِينَةَ ، وَوَلَّى ابْنُ الْمَرْعُزِيِّ أَحْكَامَ السُّبُوقِ ، وَوَلَى ابْنُ الْحَسَنِ الْمَالِقِي قَضَاءَ رُيَّةٍ ، وَبَلَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا تَمَنَّى ، وَأَغْرَمَنِي أَنَا مَالًا عَظِيمًا أَجْحَفُ بِي وَأَفْقَرُنِي لِقَبْحِ مَا جَنُثُ بِهِ ! (٢) .

حاله :

ملك من الطريفة الأدبية الصدور والأعجاز ، وضرب القيداح في منشورها ومنظوماتها بعلامها وفاز . واهتز قضيب براعته في المسائل الفقهية أي اهتزاز . ذو إصابة في الأحكام الشرعية ، ووقوف عند حدودها السنية . إلى سميت ووقار ، وكلام ألد من كاسات العقار .

فمن قوله ما كتب به لأشرف الفقيه القاضي أبي القاسم محمد بن الفقيه القاضي أبي علي حسن الحسيني السبكي المعروف بالتمساني
يا عمادي الذي له القدر العالي ، والفضل المستوالي ؛ والمكارم التي صححت منها الأسانيد وحسنت الأمالي . خصمكم الله بدوام السعادة ، وحباًكم من عوارفه بالحسنى والزيادة . وصلت العقيلة الجليلة التي قادت الجدال ، وسحرت بجهاها المثل . وهبت أسرار معانيها هبوب الرياح ، وسرت أطيافها الشريفة مسرى الحياة في الأرواح أكرم بها من زهرة سعيدة ، وزهرة لشرخ الشباب سعيدة . لم تكدر صفو شهدها (٣) إبر النحل . ولا شكت دوحه مجدها

(١) رية : كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة . قال في المغرب : وتعرف الآن بالقة ، والتين

فيها مفضل على سائر تين الأندلس (المغرب ١ - ٢٣) .

(٢) اختصر في «المراقبة» هذه الفقرة .

(٣) في (م) ثلثها .

الباب التاسع - فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية وفقهاائها ١٧٣

ألم الهل . يمينا لقد أنست صباحتها محاسن أدباء بغداد ، وأزرت فصاحتها
بخطباء إباد . فمن سطور تحاكها الشذور ، وتنقص بمرآها البُذور ، ومن
طُرف أغراض تذهب بعلل القلوب المراض ، ويقصر عن طيب شذاها
أنفاس [٤٩ / ب] الرّياض . ومن معانٍ تطلق من ربة الجهل كلّ عان .
فنزّهت فيها الناظر والحاطر ، ونافعت بها الرّوض الماطر ، والمسك
العاطر . وناديت بأعلى صوتي : بثل هذه الحريّة ، الفضة الفريدة ؛ يكاثّر من
يكاثّر ؛ ويفاخر من يفاخر . ثم إني أقبلت أناجيها بالضمير ، وأقول في مراجعتها
بلسان التقصير

يا تحفة القلم الذي زان الزّمن
من ذا يقومُ بشكر من أهداك من ؟
إن خطّ مَهْرَقَه فَقَد سَعَرَ النّهي
وأراك فيه وَشْيَ صَنَعاءِ اليَمَنِ
وكلامه نظماً ونثراً لؤلؤ
لكنه يُربي على غالي الثمن
أبدى وأظهر من صفاء كماله
ما كان لي في القلب منه قد كمن
لا زال يبلغ في الزّمان مرادة
ويبيت من طرق اللبالي في أمن

وعذراً يا سيدي في الاختصار والاقتصار من الكلام على هذا المقدار .
فلا خفاء عليكم بما لدي من القصور في المنظوم والمنثور . على أني لو كنت
أشعر من حبيب ، وأخطب من شبيب ، وأحكم من أكثم ، أو عمرو بن
الأهم ؛ وأطرف وأطبع من المنقلب في عدوان بندي الإصبع ، وأصبحت

بعلوم البيان أعلم من الشيخ أبي عبد الرحمن ، أو (...) (١) عمرو بن أبي عثمان (٢) أو الأخفش علي بن سليمان لاستقصرت كل لسان ، ولرأيت الواجب لكم فوق ذلك الإحسان .

بيد أن المُعْظَمَ يُعَانِبُ مَثَابَةَ الْجَمَالِ وَالْإِجْمَالِ مَعَاتِبَةَ الْإِدْلَالِ ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْمُنْفَاكَةِ وَالْإِجْلَالِ ، وَالْإِحْمَاضَ وَالْإِخْلَالَ . فنقول : العقيلة المعبر عنها أصاب كمالها سهم النقص ، إذ دُفِعَتْ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهَا بِالْقِيَاسِ وَالنَّصِّ ؛ فَلَيْسَ لِمِثْلِي عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّهَا مِنْ يَدَيْنِ ، وَلَوْ أَنِّي عَلَوْتُ الْفَرْقَدَيْنِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ السَّنِيرَتَيْنِ الْأَكْبَرَيْنِ ، وَسَقَيْتُ لَهَا النُّعْمَانِ وَالشُّعْرَيْنَيْنِ ، وَالزُّبَانِيَّ مَعَ الْبُطَيْنِ . وَأَمَّا قُرْطَا مَارِيَّةَ فَمَا إِنْ رَضِيتُ بِهِمَا لَهَا مِنْ قُرْطَيْنِ ، وَلَوْ كَلَّلْتُهَا بِالْفُفْرِ وَالشَّرْطَيْنِ [٥٠ / أ] وَلَمْ لَا وَهِيَ بِنْتُ فِكْرِ إِمَامِ الْمُتَغَرَّبَيْنِ ، وَجَمَالَ الْمَشْرِقَيْنِ ، وَقَدْوَةِ الْمُتَدَوِّتَيْنِ . فكيف جرى هذا الواقع ، ومق حلّ السبب القاطع ، حتى ظهر على الشمس المنيرة التُّسْرُ الْوَاقِعُ . هنا يحمل تعصب الفقيه ، ويحمد تكلّمه بملء فيه ، وإظهار ما يرويه ويدّعيه ؛ مِنْ سَنَدٍ وَثِيقٍ ، وَنَكْتٍ تَحْقِيقِيٍّ ، وَنُصُوصٍ تَوْثِيقِيٍّ . فهو محلّ القبول والردّ ، والحلّ والعقد ، والاستدراك والنقد .

إليه ، أيها المنعم بالتشعفة المعطارة ، قد آنَ للمُعْظَمِ أَنْ يَكْفَ مِنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ (٣) . ويراجع نفسه ، فبُئِست الجارة ، والعصيّة الأمارّة ، والمكرهة المختارة . فأقول - وبالحقّ - أصول - صنّعة العباد إنما هي درر وشذور . ثبت عدم قارون عندها وإن العديم لمعذور . وغير نكير على البعير الكبير

(١) في ط كريمة ، وفي م : لريمة . ولم تتوجه لي في قراءتها .

(٢) فيها عمرو بن عثمان ، قلت لعله عمرو أبي عثمان (الجاحظ) .

(٣) في النسختين : الغزارة ، « بنين وزاي » .

أن يهود على فقير أو حقير بمذخور. فسيتدي أولى من تَطَوَّلَ بالهبة السُّمعة
والنعمة السُّعة ، من غير من ولا أدى ، ولا تعلُّل بفتح باب « حتى »
و « إذا » . فهو ربُّ الأيادي ، ومسلّاذ الحاضر والبادي . أبقاه الله شرفاً
للأيام ، وفخر الدولة السامية المقام . وهذا ما حضر من الكلام ، والسَّلام .

الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد بن علي

ابن محمد بن محمد بن خاتمة الأنصاري (*)

يكنى أبا جعفر ، وأدركته .

(*) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة ، الشاعر ، الفقيه ، الكاتب (٧٠٠-٧٧٠) كان
مشاركاً في ضروب من العلوم والمعارف ، مشهوراً بالبراعة والإتقان ، سالكا خطة حميدة
من الزهد والتقوى ، بارعاً في الأغراض الشعرية . أثق عليه معاصره ، وخصه لسان
الدين بن الخطيب بعد من التراجم في كتبه التي ألفها ، وكانت بينهما مراسلات تدل على صداقة
وطيدة . وقد شارك ابن خاتمة في التأليف وكان من وجوه العصر وأدبائه الممدودين .
فمن كتبه « تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد » مخطوط ، ومزية المربة على
غيرها من البلاد الأندلسية ، منه نقول عند المقرئ وغيره ، و « إيراد اللآل من إنشاد
الضوال » في لحن العامة ، مطبوع ، ورسائل متفرقة . كما جمع تلميذه ابن زرقاله طائفة
حسنة من شعر أستاذه ابن خاتمة في غرض التورية في كراس سماه « رائق التحلية ورائق
التورية » مخطوط ، وقد حققت ديوان ابن خاتمة معتمداً على نسختين إحداهما عن مخطوطة
بخط المؤلف نفسه ، (طبع بوزارة الثقافة والإرشاد القومي - بدمشق - ١٩٧٢) .

(انظر ترجمة ابن خاتمة في الإحاطة للسان الدين ١ ١١٤ ، والكتيبة السكّانة له :
٢٣٩ ، ودرة المجال لابن القاضي ١ ٤٠ ، ونيل الابتهاج ٧٢ . وانظر أخباراً
رافية عن حياته وأدبه وديوانه في مقدمة الديوان) .

وهو من المريّة^(١) ، وكان يكتب على أهلها إلى السلطان ويقرىء
العربية وسائر العلوم بها .

حسبه - سلمه الله -

أمد ميدان الطلب ، وربّ الفصاحة والأدب . وفارس البيان والبراعة ،
ورب الكتابة والبراعة . إلى خطرٍ يستوقف من حسنه الأبحار ، وقريض
يقرض شعراء الأعصار . وإنشاء نشأت منه الإجابة في الأمصار . وشعراء
الأندلس يقدمونه على أنفسهم ، ومع ذلك يلتزم التواضع لأدنانهم
وأنفسهم .

[٥٠ / ب]

فمن قوله يتفزل^(٢)

أكل شاكٍ بدام الحبّ مُضْناكٍ
ماذا جَنَّتْهُ على العشاقِ عَيْنَاكِ
قد كان لي عن سبيل الحبّ مُنْصَرَفٌ
حتى دعوتِ له قلبي فلبّاكِ

(١) المريّة مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي من الأندلس، كانت فرضة رئيسة في دولة
غرناطة تقصدها المراكب من الإسكندرية والشام وغيرها . والمريّة مدينة عربية
أسسها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ .

(انظر في التعريف بها الروض المطار للحميري : ٥٣٧ ، ومعجم ياقوت ٥ : ١١٨
والغريب لابن سعيد ٢ : ١٩٣ ، ومشاهدات لسان الدين : ٤٣ - ٤٤ ومقدمة ديوان
ابن خاتمة)

(٢) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة (نقلا عن نثر الجمان) ، انظر ٢٠٣ .

أيقظته لأساة^(١) ثم نمت وما
باليت ، إياك شكوى الصب إياك !

أحبي ذمائي وما أتلفت من رمتي
إن قلت عطفك قالا بل دلالك

5 كائنني لست أدري من أراق دمي
والله ما بفؤادي غير مرماسك

أستغفر الله لا أبغيك مظلمة
فأنت مني في حل ومن ذاك

كل علي له جند مجندة
يكفيك يا هيند أني بعض قتلاك !

كيف الخلاص لي من هواك وقد
رمتي بي الوجد في أشراك أسراك

أعدت جفونك قلبي حيرة وضى
فهل دليل لقلب حائر شاك ؟

10 قد كنت أطمع أن تصبحو صبايته
لو قد صحت من حميا التبه عطفك

زجرت فيك رسول الطرف عن نظري
فهل على القلب عتب إن تمناك ؟ !

يا طلعة الحسن تزهو في ملبسه
رحمك في أنفوس العشاق ! رحك !

(١) كذا في الأصلين ، ولعلها ، لأساء

تيمهي على الشمسِ وامسبي البدر مطلقه
 فإنما روضة الدنيا مُحَبَّاتُكَ
 أقولُ والروضُ يُجلى في زخارفه
 من علم الرّوض يحكي حُسن مغناك؟
 15 في فيك راح وفي عطفيك مزتها
 فهل تثنّيك سُكراً من ثناياك؟
 أليس من أعظم الأشياء موجدة
 أن تضحكي بي وطرفي دائم (١) باك
 وأقطع العُمرَ ما لي في سواك هوى
 وليس لي منك يوماً حظٌ مِسواك !
 أومي بفيّ لتثقيّل الصُّبا ولها
 أقولُ شوقاً عساها قبّلتُ فاك !
 وأملأ الصُّدر من أنفاسها كلّفا
 بما أشمّ بها من طيب ريّاك

[٥١ / أ]

20 هل بالاثيل وبان الجزع تسلية
 وما الأثيل وبان الجزع لولاك ؟
 إني لأهواه والشاوي بجلته
 ولست أهوى على التحقيق إلاك !
 أحبّ تنجداً إلى جرّاء ساكنه
 وما محبته إلا بجرّاك

(١) في الأصلين: دائم .

يا مَنْ نأتْ وبأحناء الضلوع ثوتْ
تراك تنسَمِينْ صبّا ليس يفساك ؟
أما ومرتْ بجمالِ أنت رونقه
لو صوّر الحسنُ شخصا ما تعدّاك !
25 حَبِيتِي عَلَى الْبُعْدِ تُحْيِي نَفْسَ ذِي كَمَدِ
ما إن تهبْ صبّا إلا وحيّاك !

وكتب إليه صاحبنا الفقيه العالم الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي
القاسم محمد بن جُزَي الكلي (١) الأندلسي قصيدة حذف منها الراء المهمة
للشغ يعترى لمانه ؛ يجعل مكان الراء غينا معجمة وهي :

وَعَدَ الْوَفَاءَ وَلْتَهُ مَا نَجَزَا (٢)
طيفُ أَلَمْ بِمُقْلِي مُسْتَوْفِرَا
ماذا يُفِيدُ الطُّيْفُ إِذْ يَنْتَابُنِي
وَالنُّومُ قَدْ أَعْيَى الْجُفُونَ وَأَعْجَزَا
يا قاتِلَ اللهِ الزَّمانَ فَإِنَّهُ
ما زال في عُنْوَانِهِ مُشْجَوَزَا
وإذا تَغافلَ عَنْكَ حينًا خَطْبُهُ
فَكَيْدُهُ حَتَّى يَصَادَفَ مَنْهَرَا !
اللهِ أَيَّامٌ خَوَالٍ لَمْ أَكُنْ
فِيهِنَّ إِلَّا لِلْهُوى مُتَّحِيرَا

(١) سبق الحديث عنه ، وعن أسرة بني جزي .

(٢) في الأصلين « مانجزا » .

5 أتتبعُ اللذات حيثُ وجدْتُها
وأميلُ نحو الأنس حيثُ تحوزا (١)
وأظلُّ حيثُ اللّهُو يبسطُ ظلَّهُ
حتى عَزاني للبطالةِ من عَزَا
والعيشُ غَضُّ والحبيبُ مُسَاعِدُ
بالوصلِ عفواً قبل أن يُستنجِزَا
إنَّ الشبابَ ، إذا سموتِ اللذَّةُ
وجعلتهُ مفتاحهُ لن تعجزَا !
10 ومُعلِّلِ قلبي بِخُلْبِ لفظِهِ
وعندَ الجميلِ ووعدُهُ لن يُنجزَا
قد كنتُ أحملُ صدَّةُ وجفَاءهُ
حتى أعيشنا بالبيمارِ وعُزْرَا
[٥١ / ب]

ها إنني من بعده لا مَيِّتُ
أبكي ، ولا حيُّ ، فهلا أجهزَا ؟
يا عيشةُ ألوى بِجِدَّتِها النوى
كانتُ كما أنشأت لفظاً مُوجِزَا
ومحاً محاسنها البعاد فقد سلا
عنها فُرَادِي بالتعلُّلِ واجتِنَزَا
15 خدعَ الزمانُ بها وكنتُ أظنُّني
خادعتهُ فأبان عَمَّا أَلْفَزَا

(١) تحوز كتحيز : تنحى . يريد : أميل نحو الأنس حيث مال .

مَنْ "مبلغ" عني ابن خاتمة الذي
خُشيت به البلغاء فذأ مُعجزا
إن البلاغة قد ملكت زمامها
وفتحت مقلها الذي قد أعوزا
جلست في مبدانها وفضحت مَنْ
كان انتمى قديما إليها واعتزى
ولك البيان سحبت من أذياله
في حالته مُطنبا أو مُوجزا
20 قاده القوافي طائعات فهو لا
يخشى عقائل نظمها أن تنشزا
خُذها أبا العباس من ذي خلة (١)
لك قد غدا يغلوصها مُتميزا
حسنا كالذهب المصفى خلصت
لنخط في صُحف القلوب وتكندزا
حاشيت أخت الزاي منها عامدا
حتى لكدت إخال ذلك معوزا
وافتك مبلغة سلامي بعدما
طال البعاد فأور لها حُسن الجزا !

(١) الخلة : الصداقة والهبة .

فجاوبه بقصيدة هجر فيها الرأء المهمة ، ورسالة مثلها زائفة ، معجمة ،
وهي (١) :

مزجَ البلاغة بالجزالة مُوجِزا
وأتى به في الحُسْنِ بدْعاً مُعْجِزا
يَنسابُ بَيْنَ حلاوةٍ وطلاوةٍ
جمعَ البديعِ به البديعَ فأوجِزا
وافى يُجاذِبني الحديثَ وإِنما
وافى يُجشِّمُ بَذْلَ نَيْلٍ مُعْوزا
هلا وملعبُ خَيْتلي الآدابُ إذْ
أسمو لها من قبلِ أنْ تُثَنِّجِزا
5 تهفُّو بِمِطْفي نَعَمَوما خَلَقَ الصَّبَا
مَيْلا طَيِّزَ حُسْنِها وتَحْيِيزا

[٥٢ / أ]

أما وقد جذبتْ عَيْنانَ عِنايتي
أَيْدي الحقائقِ فانتَبَذتْ تَجْوِزا
نَمي تَلَقَّي عِلْمَ أو إلقاؤه
يَمّا يَوْمِلُ نَفْعُه يومَ الجزا
وعقائلُ الآدابِ ما لم تُصْطَنعْ
بعدَ التَّشْني أوشكتْ أنْ تَنْشِزا
وتعزِيزةَ الأبياتِ أودعَ نَظْمَها
من واضحِ الآياتِ ما قدْ أعجِزا

(١) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة : ١٩١ نقلا عن نثر الجمان .

10 لو واصل بن عطاء (*) أعطي وصلها
لم يعتزل عن محسنا ، ولها اعتزى !
ولأصبحت فيها آناه أسوة
يعتادها من جد قولا أو هزاً (١)

حتى بها (كالا بن) (٢) بل أحسبها
ماضي البدية مسهباً أو موجزاً
قسماً بما خطت غوالي نقيبه (٣)
في وجه صفحتها الذي لا يؤتزى (٤)
ما جئته بالحزن دبج وشبهها
وكثاف (٥) مزن لم يبت مستوفزاً

15 قد عمها وجه الزمان محاسناً
تستوفى الأعداء أن تتجوزاً (٦)
لغناء ساجمها افئتان مساجل
يثنى عليها مفصيحاً أو ملغزاً

(*) واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣٠) من رؤوس المعتزلة . كان من أئمة البلغاء والمتكلمين ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ؛ فتجنب الراء في خطابه ، وضرب به المثل في ذلك .

(١) يريد : من جد أو هزل . وقد ورد مثل هذا الحذف في الشعر .

(٢) فيها : كالا بن . ولم تظهر .

(٣) وردت الكلمتان في الأصلين « عوالي نقيبه » . ولعل ما أثبتته هو الصحيح لسياق المعنى . والفوالي جمع غالبية « ضرب من الطيب » . والنفس : الخبر .

(٤) آزي الشيء : حازه وجاراه

(٥) في م : وكف

(٦) يريد : محاسن تجتذب النظر اجتذاباً .

سَحَبَ النَّسِيمُ بِهَا فُضُولَ ذِيولِهِ
 فَتَضَوَّعَتْ طَيْبًا وَلَانَتْ مَفْمَزًا
 بَأْتَمَ أَنْفَاسًا وَأَعَذَبَ نَفْثَةً
 مِنْهُ ، لَدَى سَمْعٍ ، وَأَنْقَ حَيِّزًا
 إِيَّاهُ مُهَيَّجَةً الْجَوَى بِجَوَانِحِي
 شَوْفًا لِمَنْ يَحْمِلُ عُلاَهُ تَمَيِّزًا
 20 بِحَيَاةٍ وَدِّي فِي امْتِدَادِ حَيَاتِيهِ
 وَوَفَاءٍ عَهْدٍ صُنَّتُهُ أَنْ يَغْمَزَا (١)
 قُيُولِي وَزَيْنُودِي وَابْسُطِي لِي حَالَهُ
 لَا تُؤْجِزِي ، مَا حَقَّقَهُ أَنْ يُؤْجِزَا
 وَصِفِي فَتَفِي أَوْصَافِهِ مَا يُجَعِّلِي
 صَدْعًا بِهَا فَبِوَحْشِيهَا لَا يُجَعِّلَا (٢)
 لِحَمْدِ بْنِ جُزَيٍّ آيَةً سُودَ (٣)
 قَدْ ظَلَّ فِي الْعَلْيَا بِهَا مُتَمَيِّزًا
 نَدَبٌ إِذَا مَا الْمَجْدُ نَزَلَ بِمَهْنَةٍ (٤)
 لَمْ يَأَلُ أَنْ يَحْظَى بِهِ مُتَمَيِّزًا
 25 أَضْحَى ذَكَاءَ بَنِي جُزَيٍّ (غَدَوًا) (٥)
 شَهَبَ الْعَلَامَ بِكُلِّ أَفْقٍ حَيِّزًا

(١) يريد وفاء عهد صادق لا مطعن فيه .

(٢) اجتزأ به اكتفى .

(٣) أضلها بالهمز ، وسهلت

(٤) الندب : النجيب ، الخفيف في الحاجة . واستعمل الشاعر « المهنة » هنا بمعنى المهانة .

(٥) في الأصلين : غدواء ، ولم يتوجه .

[٥٢ / أ]

وعدّ الزمانُ بهِ اعتدالَ محاسنِ
والآن آنَ لِوَعْدِهِ أنْ يُنجزا
وإليكها مِنِّي تَعْلَةٌ مُعْوزِ
فلقد سموت إليه سَهْلًا مُعْوزًا
جانبتُ ما جانبتَ فيه تَشْبَعًا
فمن انتبذت فتنبذهُ عِنْدِي الجَزَا^(١)

يا أخي ، الذي سماوده أن يُجازي ، وتبيدي ، الذي علا مَجْدُهُ من
أن يُوازي . وصل الله تعالى لك أسبابَ الاعتلاء والاعتزاز . و « كاف »
مالك من الاختصاص بالفضائل والامتياز . أما إنه لو وسع التخلُّف عن
جواب أخٍ أعزّ ، ولم يجيب التكلُّف على توسّد المعجز ، لَسَطَّيْتُ
عَجْزِي عن عَيْنِ تعجيزك ؛ ولَمَّا تعاطيتُ المشولَ في زِيّ مُناهِزك أو
مُجيزك . لكنّه في حُكمِ الوُدِّ المكنونِ المكنُوزِ ؛ ممّا لا يحلُّ ولا
يجوز . فلکم الفضلُ في الإغضاء عن عاجِز ، دَعَاه حُكمُ التكلُّفِ
إلى القيام مقام مُناجِز . وإن لم يكن ذلك عند الإنصاف ، وحيد الأوصاف
من الطائِع الجائز . فمَنْ جَهد ما بَلَغَ ولَبِثك إلى هذه الأجواز ، ولم يحصل
من الحقيقة إلا على المجاز . أما ما ذهبتُم^(٢) إليه من تخميسي القصيدة التي

(١) تجنب حرف الراء .

(٢) لم يثبت ابن الأحمر غير قصيدة لابن جزي ولم يصلها برسالة كما صنع في إيراد قصيدة ابن

خاتمة ورسائله . ويبدو من الكلام أن ابن جزي كان قد أثق على قصيدة غمسة لابن خاتمة

كما ترى . قلت ، وفي ديوان ابن خاتمة تخميس ١ (تسميط) لطيف لقصيدة ابن الخيمي

مطلعي :

أعجزت ، وبلغت من البلاغة الغاية التي عزت منهاضتها ، وأعوزت ، فلم
أكن لأستهدف ثانياً لمضاضة الإعجاز ، وأسجل على نفسي بالإفلاس
والإعواز !

شيخنا الفقيه الخطيب فرج بن قاسم
ابن أحمد بن لبّ التغلبي (*) .

يكنى أبا سعيد ، وأدركته ، وبعث لي بالإجازة العامة من غرناطة إلى
فاس ، وأنا قاطنٌ بها في حضرة الملوك من مرين ، حين أخرجنا عن الأندلس
بنو عمنا الملوك من بني نصر . وهو من أهل غرناطة . وولاه الخطابة
بجامعها الأعظم أمير المسلمين يوسف ابن عم أبينا . وهو الآن يخطب به على
حاله - أعانه الله تعالى - .

= منك التجلي ومنا السر والحبج وكل نعى فمن عليك ترتقب
وأنت أنت الذي أبغى وأطلب « يا مطلباً ليس لي في غيره أرب
إليك آل التقصي وانتهى الطلب »

انظر ديوان ابن خاتمة ٣ وما بعدها .

(*) قال في نفع الطبيب في التعريف به شيخ الشيوخ العلامة أبو سعيد فرج بن لب ، وذكره
لسان الدين في الإحاطة بالمدح والثناء وقال إن عليه مدار الشورى وإليه مرجع الفتوى
لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه ، إلى المعرفة بالعربية واللغة ، ومعرفة التوثيق ،
والقيام على القراءات والتبريز في التفسير ، والمشاركة في الأصول والفرائض والأدب .
وقد ولي الخطابة بالجامع (بغرناطة) وقعد للتدريس ، وأقرأ بالمدسة النصرية . ووصفه
مترجموه بالذكاء وحسن الخلق وإصابة التعليم ، وسعة المعلومات .

(ترجمته في نفع الطبيب هـ هـ ٥٠٩ وأكثر نقله عن الإحاطة لسان الدين . وفي نبل الابتهاج
٢١٩ ، وبغية الوعاة . وترجم له في الكتيبة السكّانة ولكنه انقلب عليه وثلبه ٦٧) .

حاله - نسأ الله في أجله -

هو معيد البلاغة ومبديها ، وعالم الأندلس ومفتيها ، ومظهر مشكلات العلوم ومجليها . وشيخها وفتاها ، وحامل لواها ، وفارس البراعة والمتلفع برداها . قد تحلى بالسكينة والتقوى ، والتزم الطاعة في السر والنجوى . إن حضر مع الفقهاء مجلساً ، واحتل للأدباء مكاناً ؛ فله يتبعون ، وعلى قوله يمولون . وهو المصيب في كلامه ونظمه ، بثقوب ذهنه واتساع علمه . مع باع مديد في النحو واللغة الفريية ، وحفظ للآداب والتواريخ العجيبة ، ومعرفة شديدة ، بالأصول والفروع والحديث ، مصيبة . ونبل فائق في العروض والمنطق والبيان ، وعلم الكلام والقراءات وتفسير القرآن . وهو (يرى) ؟ (١) في كل هذه (٢) العلوم قارياً ، ولتدريسها ملازماً ، وعلى نهج تبيانها جارياً . وينظم القصائد النفائس ، فتأتي كالقلائد في أجياد المرائس . ولعمري ما تكلم مع أحد من الناس ، في توجيهه مسألة فقهية أو قياس ؛ إلا كان له عليه الظهور ، شهد له بذلك الخاصة والجمهور .

أنشدني لنفسه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا البرقُ ثارَ آثارٍ أدكارا	لقلبي فأذكي عليه أوارا (٣)
ترومُ جفوني لنار الهوى	تخمد أفتهمي دموعي غزارا
فما جفوني يسحُ انهمالاً	ونارُ فؤادي تهيجُ استيعاراً

(١) كلمة لم تنضح لي ، وهذه أقرب قراءة تبينتها .

(٢) في النسختين : لهذا ، ولعله كما أثبت .

(٣) نقل المقرئ في تفح الطيب (٥ : ٥١٠ - ٥٢١) القصيدة عدا البيت ١١ .

أطيلُ العَوِيلُ صباحَ (١) مساء
 5 رقيتُ مراقبيَّ للحُبِّ شتى
 كَثِيباً ولستُ أُطِيقُ اصطباراً
 أُحِرنُ اشتياقاً لريحٍ تمرّتْ
 فأفنى مِراراً وأحْيى مِراراً
 وأبدي هياماً لِبَرْقٍ آثارا
 [٥٣ / ب]

حنيناً وشوقاً إلى معلّمٍ
 بهِ أمكنَ اللهُ أسمى الوري
 نحوى شرفاً خاليداً لا يُجاري
 نبيّاً كريماً ، وصعباً خياراً
 هو المصطفى المنتقى المجتبي

أرى معجزاتٍ وآيا كباراً
 10 يحقُّ علينا ركوبُ البحارِ
 وجوبُ القِفارِ إليه ابتداراً
 وأمّ ذراهُ فَمَنْ يُعطيه
 كفاهُ اعتلاءً ، أَجَلٌ ، وافتبخاراً
 فيافوزَ مَنْ فازَ في طيّبةٍ
 وألصقَ خدّاً على قُرْبِها
 بِلِشْمِ المغاني جِداراً جِداراً
 وأكملَ حجّاً بها واعتباراً
 على حينِ وافي عليه فزاراً
 ليومٍ يري الناسُ فيه سُكاري
 15 لأنّ الوسيلةَ والمرتجى
 وما هم سُكاري ولكنّهم
 ترى المرءَ للهولِ مِنْ أُمّةٍ
 وكلُّ يخافُ على نفسه

فيكسوه خوفُ الإلهِ انكساراً
 فتصلّي الإلهُ - رسولَ الهدى -
 عليك ، وأبقى هُداك منارا

(١) في النسخ : صباحاً .

20 وَقَدَسَ رَبِّي تَمَرِي رَوْضَةَ
يَعْمُ الْجِهَاتِ مَنَاهَا انْتِشَارَا
أَعِيرَ شَذَى الْمَسْكِ مِنْهَا الثَّرَى
بَلِ الْمَسْكُ مِنْهَا شَذَاهُ اسْتَعَارَا
هَنِيئًا إِنْ بِسَهْدَاكَ اهْتَدَى
وَمَعْنَاكَ وَافِي وَإِيَّاكَ زَاوَا

قال إسماعيل بن الأحمر ، مؤلف هذا الكتاب : أخبرني شيخنا أبو سعيد هذا ، أنه عارض بقصيدته (١) هذه قصيدة الفقيه الإمام القاضي الرئيس شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي (*) صاحب « ديوان الإنشاء بالشام » التي هي :

وَصَلُّْنَا الشَّرَى وَهَجَرْنَا الدِّيَارَا
وَجِثْنَاكَ نَطْوِي إِلَيْكَ الْقِفَارَا
وهذه القصيدة نظمها الرئيس أبو الثناء بالحجاز الشريف في طريق

(١) في م : قصيده ، وفي ط قصيدة ، ولعله كما أثبت .

(*) شهاب الدين محمود بن سليمان (وقيل سلمان) بن فهد الحلبي الحلبي ثم الدمشقي ، من كتاب ديوان الإنشاء المشهورين . ولد بجلب سنة ١٦٦٤ ، وولي كتابة الإنشاء في دمشق وانتقل فعمل في مصر مدة ثم عاد إلى دمشق ، واستمر فيها إلى وفاته سنة ٧٢٥ . وولي كتابة السر ثماني سنوات قبل وفاته . قال في الأعلام « وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره . وعرف الشهاب محمود كاتباً بليفاً - لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله - وشاعراً مشهوراً » . له كتب ومصنفات في الترتيل والأدب والتراجم ، وشعر غزير . وقال ابن حجر إن شعره يقع في ثلاثين مجلدة .

(ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٣٢٤ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤٤ والبداية والنهاية ٤ : ١٢٠)

١٢٠ وشذرات الذهب ٦ : ٦٩ والأعلام ٨ : ٤٩)

المدينة شرفها الله - وعلى ساكنها السلام . وقد شرحتها ، وشرحي لها
أذكره هنا معها .

وحدثني بالقصيدة شيخاي الفقيهان الإمامان العالمان المحصلان المفتيان
القاضيان الخطيبان : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي قاضي
الجماعة بفاس (١) ، والشريف أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الحسني
المعروف بالمومناني الفاسي عن الفقيه الإمام المحدث الرواية المسند الحافظ
الحاج الرحال محب الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن
محمد بن رشيد الفهري السبتي (٢) ، نزيل فاس . قال أنشدني لنفسه
الفقيه الإمام العام العلامة الرئيس القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود
ابن سليمان بن فهد الحلبي في سنة تسع وثمانين وست مئة بطريق
المدينة

وَصَلُّنَا السُّرَى وَهَجَرْنَا الدِّيَارَا
وَجِئْنَاكَ نَطْوِي إِلَيْكَ الْقِفَارَا
أَتَيْنَاكَ نَحْدُو الْبُسَا وَالرَّكَابَ
وَنَبْعَثُ إِثْرَ الْقِطَارِ الْقِطَارَا

(١) ترجم له لسان الدين في الإحاطة (٢ ١٣٣) وأحمد بابا في نيل الابتهاج (٢٦٥)
وغيرهما . ووصفه ابن الخطيب بأنه مديد الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد وكاتب بليغ
وقال إن أبا عنان المريني قدمه قاضياً بحضرته . وهو توفي سنة ٧٧٩ كما في نيل الابتهاج .

(٢) من أهل سبتة ولد بها سنة ٦٥٧ ، وتوفي بداس سنة ٧٢١ ، يعرف بابن رشيد . أثنى
عليه ابن فرحون في الديباج المذهب (٣١٠) وقال إنه برع في علوم كثيرة رواية
ودراية وهو صاحب الرحلة المشهورة باسمه ، وعنوانها :

«ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة» .

قال في درة الحجال (٢ : ٩٦) إنه بدأ رحلته من المرية سنة ٦٨٣ .

إذا أخذت هذه في الرُّبَا
 صُعوداً أبى ذاك إلا انحداراً
 وإن فاض ماءً لِفِرْطِ الحنين
 ورجع حادي السرى عاداً تاراً
 كأنني به وهو يجري دماً
 وقوفاً على الخفيف ترمي الجِماراً

قال إسماعيل بن الأحمر مؤلف هذا الكتاب - لطف الله به - :
 قوله « أتيناك نحدو » إلى آخره . الحادي هو السائق من خلف العيس
 مُنشدّاً لتقوى على السير . والهادي السائق من أمام . والبكا يد ويقصر
 بمعنى . وقيل البكاء (ممدود) ، [هـ / ب] هو العويل والصياح .
 [والبُكا] (مقصور) البكاء بالدمع من غير عويل . والركاب : الإبل تحمل القوم ،
 ويقال لراكبيها وراكبي سائر الدواب الركب ، على وزن الضرب ،
 والأركوب ، بضم الهمزة ، والركبان . ويقال في جمع راكب السفينة رُكَّاب
 بضم الراء ، وإضعاف الكاف . والقطار الأول جمع قطر (مفتوح القاف ،
 ساكن الطاء المهملة) : الاسم لما يقطر من الماء . يُقال قطر الماء (بالفتح) قطراً
 يسكون الطاء . وقطراتنا . والاسم القطر ، والجمع القطار . والقطار الثاني تقطير
 الإبل على نقي حتى تكون كالسطر .

وقوله : « إذا أخذت هذه في الرُّبَا » إلى آخره . جمع ربوة ، بضم الراء
 وهي الأكمة . والأجمة التل . ويقال : الرابية ، والربوة ، بكسر الراء .
 والرباوة على وزن المراوة . و « الصُّعود » بضم الصاد والعين المهملتين الارتفاع
 يقال : صعد ، بكسر العين صعوداً . أو أصد أيضاً - على وزن أكرم ،
 إذا ارتقى مشرفاً ، أي موضعاً يُشرفُ عليه . والصُّعود - بفتح الصاد -

الطريق إليه . والجمع أصددة . وقيل ، يقال : صعد في الجبل ، وأصعد في الأرض لا غير . والانحدار الهبوط من علو إلى سفلى .

يقول : إذا طلعت بهذه الإبل ربوة بعد ربوة زادت الدموع جرياناً وهبوطاً . يصف بذلك وبالبيتين بعده : الدمع .

أَتَيْنَاكَ سَعِيًّا نُنَادِي الْبِيدَارَا	إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ الْبِيدَارَا
إِلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي تَحْتِيدِ	وَحَامٍ (١) جَوَارَا ، وَأَعْلَى نَجَارَا
إِلَى مَنْ بِهِ اللَّهُ أُسْرَى إِلَيْهِ	وَمَا زَاغَ نَظِيرُهُ حِينَ زَارَا
وَلَمَّا تَزَعْنَا شَعَارَ (٢) الرَّقَادِ	لَبَسْنَا الدُّجَى وَادْرَعْنَا النَّهَارَا
نَمِيلُ مِنَ الشَّوْقِ فَوْقَ الرَّحَالِ	كَأَنَّا سَكَارَى وَلَسْنَا سَكَارَى !
نُجَافِي عَنِ الطَّيْفِ أَجْفَانَنَا	فَلَا نَطْعُمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا (٣)

وَنَسْرِي مَعَ الشَّوْقِ أَنْتَى صَرَى

وَتَتَّبِعُ حَمَادِي السَّرَى حَيْثُ سَارَا

وَنَسْأَلُ وَالِدَارُ تَدْنُو بِنَا	عَنِ الْقُرْبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَزَارَا
وَمَا ذَاكَ أَتَا سَمْنَا السَّرَى	وَلَكِنْ دَنَوْنَا فَزِدْنَا انْتِظَارَا
إِذَا الْبَرْقُ عَارَضَنَا مَوْهِنَا	حَسَبْنَا سَنَى طَيْبَةٍ قَدْ أَنَارَا
فَنَفْرِي بِأَذْرَعِ تِلْكَ النِّيَاقِ	أَدِيمِ الْفَلَا غُدُوَّةً وَابْتِكَارَا
وَنَرْمِي بَيْنَ صُدُورِ الْفِجَاجِ	كَأَنَّا نَشْنُ عَلَيْهِا مَفَارَا

قوله « موهنا » يريد ساعة مضت من الليل . يقال لذلك الوقت وَهْنٌ ؛

(١) في الأصلين : حامي (بالياء) .

(٢) في م : شفار (بالفاء) .

(٣) الغرار : القليل من النوم .

بسكون الهاء ، وموهن ؛ و « نفري » : قطع . و « أذرع » جمع ذراع .
و « النِّياق » جمع ناقة . و « أديم الفلا » : وجهها ، أراد ظاهرها .
و « الغدوة » : بضم الغين المعجمة ، معروفة . وبفتحةا المرة الواحدة من
الفعل في ذلك الوقت . و « الابتكار » المضي بكرة ، وكذلك البُكور .
و « الإبكار » على وزن الإكرام اسم للبكرة . والقيجاج : الطُّرق الواسعة
في أقبال^(١) الجبال واحدها فج ، بفتح الفاء وإضعاف الجيم . والأقبال : جمع
قبل ، وقبلك ، على ما لم يسم فاعله ، أي استقبل وجهك . « نشن » أي نبث
تخيلا . يقال شن وأشن . والمنغارُ اسم المصدر من أغار ؛ هذا بفتح الميم ،
والاسم الفارة ؛ وهو إتيان القوم للقتال .

إذا رقصت في الفلاة المطي^٢ جعلنا الدموع عليها نثارا^(٣)
تسند أرجلها في السرى لتديها وتشكو اليمين اليسارا
ونجمع بين السرى والمسير
ونجفؤ الكرى ونعاف القرارا
وكيف القرار إلى أن نراك
وتدني المطي إليك المزارا
ومن كان يأمل منك الدنو
أملكك دوت اللقام اصطبارا ؟
تري تنظر العين هذا البشير
يريني على البعد تلك الديارا

(١) الأقبال جمع قبل (بضم وضم) وهو من الجبل سفحه .

(٢) النثار والفتارة ماتناثر من الشيء .

[٥٥ / ب]

لأعطيه رُوحِي سُوراً بِهَا
وأوطيه طرْفِي وَتَخْدِي اعْتِذاراً
وَأَمْحَ عَنْ أَرْجُلِي الْبَعَثَاتِ
بِأَجْفَانٍ عَيْنِي ذَاكَ الْفُبارا
وأهدي - عَلَى الْقُرْب - مِنِّي السَّلَام
حَسْبِي بِهَا رُتْبَةٌ وَاقْتِصَاراً
وَأَكْتُبْ شَوْقِي بِمَاءِ الدَّامِوعِ
بَسِيطاً إِذَا اللَّفْظُ كَانَ اخْتِصَاراً
وَأُقْدِي بِمَا طَالَ مِنْ مُدَّتِي
بَطِيئَةً تِلْكَ اللَّيَالِي الْقِصَاراً
مَرَى مَلْ أُنَاجِي هُنَاكَ الرَّسُولَ
جِهَاراً كَمَا أُرْتَجِي أَوْ سِرَّاراً ؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَلَى بَابِهِ
وَقَفْتُ وَقَبِلْتُ ذَاكَ الْجِداراً
وَمَاذَا أَقُولُ وَكُلُّهُ الْوَرَى
تَشَاوَى هُنَاكَ مِثْلِي تَحِيَاراً
وَأُنْشِدُ يَا شَافِعَ الْمُذْنِبِينَ
أَجِيرُ مَنْ بِيَابِ حِمَاكَ اسْتِجاراً
أَجِيرُنِي فَقَدْ جِئْتُ أَشْكُو الذَّنُوبَ
إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَقِيلُ الْمِثَاراً
فَكُنْ شَافِعِي يَوْمَ لَا شَافِعَ
سِوَاكَ يَفُكُّ الْعُنَاةَ الْأَسَارَى

فما لي سوى حقّ هذا الجوارِ لديك ومثلك يروعي الجوارا
وإني قطعتُ إليك القِفارَ فقديراً أقلّ^(١) ذنباً كيارا
وفي قطعها لك فضلٌ عليّ
ولو خضتُ دون اللّقاء البيحارا
ولو أستطيعُ قطعْتُ الزّمانَ
- وأنتَ المنيّ - حجةٌ واعتبارا
وما كنتُ أظنُّ إلا إليك
إذا ما ملكْتُ لِرُوحِي اختيارا

قوله : « البِعمَلات » هي الإبل التي تعمل حملاً وركوباً وغير ذلك.
و « المنة » جمع عان ، وهو الأسير . و « الظّاعن » : الشاخص . يقال
ظعنٌ يظعنُ ظعنًا ، بفتح العين فيها ، وظعنوناً على وزن خروج ، إذا
شخص . وشخص هنا صار من مكان إلى مكان ، شخصاً .

حيّ حِلّ فيه نبيّ الهدى
فأضحى به أشرف الأرض دارا

[٥٦ / أ]

فيا فوز من كلّ عامِ أناه
ويا قوتٍ من غاب عنه خسارا
شيمنا الشّذى من مبادي الحجازِ
فخيلنا العبيرَ أعار المرار^(٢)

(١) أقل الشيء : حمله ورفعته .

(٢) المرار : بهار طيب الرائحة الواحدة حرارة .

فواهاً (١) لها نفعة أذكّرت
 هوايَ وأذكّنتْ بِقَلْبِي الشراراً
 إذا خطرتْ في الرُّبَا سُحُورَةٌ
 وجرتْ ذُبُولاً على الفار غاراً
 « الفار » هنا نبت طيب الريح . وغار : الماضي من « الغيرة » . تقول
 غار الرجلُ يغارُ غيرةً وغاراً فهو غيران . وامرأة غيور وغيري ، والجمع
 الغُيُور على مثال الشرر ، والغيارى على مثال الحيارى .
 يمانية زانها أنهما بيضية تمرّتْ وجرتْ إزاراً
 على مَنْ سرتْ من حماء السّلام
 وتحيى الحيا ذلك الرُّبع داراً

الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشّدِيد (*) :

يكنى : أبا عبد الله . وأدركته ، وهو من أهل مالقة ؛ وارتحل عنها
 ويعرف بالشّدِيد .

حاله - رحمه الله تعالى - :

شاعر طلق اللسان ، وأديب أحسن في القريض كل الإحسان . وسابق
 ركض في ميدان الفصاحة فجلّس ، وأريب طلع في سماء البراعة فتجلّى .

(١) فيها : فهو . وأرجح أنها معرفة عما أثبت .

(٢) ترجم له لسان الدين في « الإكليل الزاهر » ، ونقل عنه صاحب النفح (٦ ٢٣٧)
 وفيه شاعر مجيد حول الكلام ، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز
 لأول مرة فطال في البلاد الشرقية ثراؤه ، وعييت أنبأؤه . ونقل قصيدته هذه التي
 رواها ابن الأحمر .

فإن مدح أصاب ، وإن تغزل أهل المصاب (١) . ولم تزل روضات إجادته
ذات أزهار ، وبدائع قصائده في سمو واشتجار . فمن شعره الذي يخبر
بإجادته ، ويدل على براعة أدبه ومجادته ، قوله يمدح ابن عم أبينا أمير
المسلمين أبا الهجاج :

لَسْنَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَقَامٌ وَمِنْ فَوْقِ النُّجُومِ لَنَا مَقَامٌ
رَوَيْنَا مِنْ مِيَاهِ الْمَجْدِ لَنَا وَرَدْنَاهُ (٢) وَقَدْ كَثُرَ الزُّحَامُ

فَتَنَعْنُ هُمْ وَقُتِلَ لِي تَمَنُّ سِوَانَا
لَنَا التَّقْدِيمُ قِدَمًا وَالْكَلامُ

[٥٦ / ب]

لَنَا الْأَيْدِي الطَّوَالُ بِكُلِّ ضَرْبٍ (٣)
يَهْزُ بِهِ لَدَى الرُّوعِ الْحُسَامُ
وَنَحْنُ الْأَبِيسُونَ لِكُلِّ دِرْعٍ
يُصِيبُ الشَّمْرَ مِنْهُمْ أَنْثِيلَامُ
بَأَنْدَلَسٍ لَنَا أَيَّامُ حَرْبٍ
مَوَاقِمُهُمْ فِي الدُّنْيَا عِظَامُ
تَوَى مِنْهَا قُلُوبَ (٤) الرُّومِ خَوْفُ
يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي الْمَهْدِ الْقُلَامُ
حَمِينَا جَانِبَ الدِّينِ احْتِمَابًا فَهَاهُوَ لَا يَهَانُ وَلَا يُضَامُ

(١) كذا فيها .

(٢) في النسخ : وردناها .

(٣) في النسخ : بكل صوب .

(٤) كذا في النسختين ، وفي النسخ أيضا .

- وتسحت الراية الحمراء ميتا
10 بتو نصر وما أدراك ما هم
لهم في حربهم فتسكات عمرو
يقول عداتهم بها ألتوا
إذا شرعوا الأسنة يوم حرب
فحقق أن ذلك هو الحمام !
كان رماحنا فيها نجوم
15 أناس تغلف الأيام ميتا
رأينا من أبي الحجاج شخصا
مؤقتي العرض ، محمود السجايا
يجول بذهنيه في كل شيء
قوم الرأي في نوب الليالي
20 له في كل معضلة مضاء
رؤوف قادر بغضي ويتعفو
تطوف بيت سودده القوافي
وتسجد في مقام علاه شكرا
كثائب لا تطلق ولا ترام
أسود الحرب والقوم الكرام
فلأعمار عندهم انصيرام
أتونا ما من الموت اعتصام
إذا ما أشبه الليل القتام
يحيي منهم ، فلهم دوام
على تلك الصفات له قيام
كريم الكف ، مقدم همام
فيدركه وإن عز المرام
إذا ما الرأي فارقه القوام
مضاء الكف ساعدها الحسام
وإن عظم اجتناء واجترام
كما قد طاف بالبيت الأنام !
ونعم الركن ذلك (١) والمقام (٢)

[٥٧ / أ]

أفارسها إذا ما الحرب أختت على أبطالها ودنا الحمام

(١) في النسختين ذلك المقام ، والمثبت من النسخ .

(٢) تجاوز الشاعر في الثلاثة الأبيات إلى مبالغات شديدة !

25 ومُنْطَرِهَا إِذَا مَا الشَّعْبُ كَفْتُ
- وكف أخى النشوى أبداً غمام! -

لك الذِّكْرُ الجميلُ بكلِّ قَطْرِ
لَكَ الشَّرَفُ الأصيلُ المُستدامُ

لقد جُبِنَّا (١) البلادَ فحيثُ سِيرنا
رَأِينَا أَنَّ مُلْكَكَ لَا يُرَامُ

فضلتَ ملوكَهَا شَرْقاً وَغَرْباً وَبَيْتُ الْمُلْكِهَا يَقِظُ، وَنَامُوا !
فَأَنْتَ لِكُلِّ مَعْلُوءَةٍ مِدَارٌ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ إِمَامُ

30 جعلتَ بِلَادَ أَنْدَلُسٍ إِذَا مَا ذُكِرَتْ دِفَارُ مِصْرَ وَالشَّامُ !
مَكَانٌ أَنْتَ فِيهِ مَكَانُ عِزٍّ وَأَوْطَانٌ تَحَلَّتْ بِهَا كِرَامُ

وهبْتُكَ مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ بِكْرًا
لَهَا مِنْ حُسْنِ لِقَاكَ ابْتِسَامُ

فَتَزُوْهُ طَرْفَ مَجْدِكَ فِي عُحْلَاهَا
فَلِلْمَجْدِ الْأَصِيلِ بِهَا اهْتِمَامُ



(١) في م : جبت ، وفي ط : جئت ، والمثبت من النسخ .

الفقيه الضرير

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري (*)

يكنى : أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، وهو من أهل المرية . وارتحل عن الأندلس إلى المشرق ، فحج ، واستوطن مدينة حلب من الشام ؛ ودرس بها العلوم ، وكان^(١) أهل الفتيا فيها .

حاله - رحمه الله -

تعلّى بعلوم بارعة ، ومحاسن لأشتات الفوائد بجامعة ، وهو مسراج الأدب المتوقد الضياء ، والمستولي على أمد المكارم والحياء . وشعره مهما فري يستلم أرق وأجزل من شعر الرثي بذي سلم^(١) . مع النثر البديع ، الذي فاق به البديع ، الذي أنجم في الأندلس قسما بأدبه ، وطلب العلوم فحازها بطلبه . وارتحل عن الأندلس للطلب ، فاحتل من الشام بحلب . فدرس العلوم بها ، [٥٧ / ب] ونجح مطلوبة بسببها .

فمن قوله يمدح ابن عم أبينا أمير المسلمين أبا الحجاج :

عليّ اكل مكرمة ذمامٍ ولي بمدارك الجدى اهتمامٌ
وأحسن ما لديّ لقاءٌ حرّ وصحبةٌ معشرٍ بالمجد هاموا

(*) ممن ارتحلوا إلى المشرق أبو عبد الله بن جابر الضرير (ت ٧٨٠) وعرف في المشرق بلقب شمس الدين . صاحب بديعية العميان ، ارتحل مع صاحبه الرعيني . قال في النفع (٢ - ٦٦٤) له أمداح نبوية كثيرة ونوالمف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك ، وله ديوان شعر . وأمداحه النبوية في غاية الإفادة .

(ترجمته في نفع الطيب ٢ : ٦٦٤ ، والدرر الكامنة ٣ : ٣٢٩ ، وثكت للهيان

٢٤٤ ، والوافي للصفدي ٢ : ١٥٧ ، وبغية الوعاة ١ : ٣٤ ردة الجمال ٢ : ٢٤٢)

(١) كذا فيها .

وإني حين أنسب من أناسٍ على قسطن النجوم لهم مقام
يميل بهم إلى المجد ارتياحاً كما مالت بشاربها المدام
5 هم لبسوا أديم الليل برداً ليُسفر عن مرادهم الظلام
هم جعلوا متون العيس أرضاً
فقد عزّموا الرحيل فقد أقاموا
فن كل البلاد لنا ارتحال وفي كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منها لنا مع كل ذي شرف زحام
تصيب سهامنا غرض المعالي إذا ضلّت عن الغرض السهام
10 وليس لنا من المجد اقتيناع ولو أن النجوم لنا خيام
أنزه (١) عرضنا عن كل لوم فليس يشين سوددنا ملام
ونبذل، لانقول : العام ماذا (٢) سواء كل خصب أو حطام
وإن حضر الكلام ففي يدنا
ملاك أمورهم ولنا الكلام
وفينا المستشار بكل علم ومينا اللئيم والبطل الهام
15 فيدان الكلام لنا مداه (٣) وميدان الحروب بنا مقام
كلا الأمرين ليس له بقوم سيوانا [عند] (٤) نازلة تمام
نريق دم المِداد بكل طرس
وليس سيوى الصراع لنا سهام

(١) في الأصلين أنزه ، والأشبه « نزه » .

(٢) فيها «ماذا» ، ولعلها معرفة عن مثل « محل » .

(٣) فيها : مدامه ونرجح ما أثبت .

(٤) أسقط النساخ كلمة من الشطر الثاني . وما بين معقوفين مقترح .

ونكتب في المثقفة العوالي
بحيث الطرس لبتات وهام!

[٥٨ / أ]

إذا عبست وجوه الدهر منا^(١)

إليها فاثنت ولها ابتسام
20 ومها اغوجت الأيام كنا
لها في كل مفضلة قوام
وجرت لباسها لأمان حرب
لهن بحكم السرد اتسام
ونلبسها إذا عري الحسام
وننهم والوجوه لها انقباض
ولولا صبرنا في كل حرب
25 نحارب دونة الأعداء حتى
تذل لعزها الثوب العظيم
أفاس ليس يمزونا مرام
لقد علمت ملوك الروم أنا
وليس يضرنا أنا قليل

لعمرك أباك ما كثر الكرام!

إذا ما الراية الحمراء هزت

فتم هناك للعرب ازدحام

وما احرمت سدى بل من دماء

لهن على جوانبها انسجام

30 نطلل من بني نصر ملوكا

تحلال النوم عندهم حرام

فكم قطنوا الدجا في وصل تجدد

وكم سهروا إذا ما الناس ناموا

(١) كذا فيها . والأشبه أن تكون مثل « قنا » .

إذا بانَ المجاجُ بيّسوم - حرب

فما يندري الوراء ولا الأمام

لها من رائق البشر ابتسام

وليس يعيب مقدّمها انهزام

عداتهم على العثر السلام !

فما لهم بغيرهما اهتمام

ومن أغماذين لها كيام !

ولا غير الرماح لهم مرام

هدتهم نحو قصيدم وجوه

كتائب لا يفل لها اعتزام

35 إذا ركبوا متون الخيل قالت

رأوا أن العلا سيف وسيف

يعدّون السيوف فنون زهر

فما غير الدماء لهم مدام

[٥٨ / ب]

وليس سماؤهم إلا القسام

ومنهم تعرف النعم الجسام

ولا بسواه عندهم اختتام

ولا لجزيل جودهم انصرام

وليس نجومهم إلا العوالي

40 وآكد ما عليهم بذل زعمي

وما افتتحوا بغير النصل أمراً

فما لجيل شكرهم انتهاء

بنوا في التجدي ما لم يبن قديماً

فما لمشيدي تجدم انهدام

له بحياة مجدم اهتمام

كانتهم من الأجداد قاموا

ففيه لنا نظام والتمام

ووافق خلقه خلق كرام

جمال الرّوض باكره الغمام

يعوّض منهم ماض بات

45 أقام لهم أبو الحجاج ذكرأ

تأمل كل مكرمة لدينه

فتى فضل الملوك بكل وجه

فبين الخلق والأخلاق منه

تراه - مع الشباب - أعف شخص

على كشعيه قد عقد الحزام

50 نقي^(١) عرضه عن كل^(٢) تشين^(٣)

سليم^(٤) فعلته عما يذام
لقد نهضت جباد^(٥) علاه حتى غدا ولها على الأفق الزحام^(٦)
فورد^(٧)ها المجرّة لا يصدّي^(٨)

ومرعاها الكواكب لا الإكام^(٩)
ومن بين البروج لها تجمال^(١٠) وفي أيدي الرياح لها زمام^(١١)
بحقك هل تقصّر^(١٢) من مراد^(١٣) جباد^(١٤) قادها ذلك اللجام^(١٥)؟

55 وما تركت^(١٦) مدى في المتجدد إلا
عليه لها استباق^(١٧) واقتحام^(١٨)

فمن نسج^(١٩) النسيج لها جلال^(٢٠)
ومن حبك^(٢١) السماء لها حيزام^(٢٢)
هو البعهر^(٢٣) الذي لولا نداءه^(٢٤)
لكان لكل ذي أمل^(٢٥) أولم^(٢٦)

فما لي ليس أنفق^(٢٧) فيه شهري
ولولاه^(٢٨) لما نطق^(٢٩) الكلام^(٣٠) !

(١) في الأصلين نقي . ونرجح ما أثبت .

(٢) فيها يرام ، ونرجح ما أثبت .

(٣) صدّي ركية «بئر» ليس عند العرب قالوا - أعذب منها .

(٤) الإكام ج أكمة (التل) .

(٥) الجلال جمع جل (بالفتح) ما تغطي به الدابة لتصان .

(٦) الحبك جمع حبيكة وهي مسير النجم .

(٧) الأوام : العطش .

نحوم على محاسنه المتعاني
نعم وعلى محاسنه بجمام
60 وتزدحم القوافي في حياه
وحول العذب قد كثر الزحام
فمن لا يمد المال إلا
لمد يفتنى وعلا بجمام
جعلنا الحمد مبدأ كل مجند
لعلك أن ذاك له تمام

الفقيه الحاج

إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي (*)

يكنى : أبا إسحاق ويعرف بالساحلي وبالطشويجني ؛ بضم الطاء
المهمله ، وفتح الواو ، وسكون الياء باثنتين من أسفلها وفتح الجيم . وأدركته
وهو من أهل بلدنا غرناطة من بيت ثروة (٢) وصلاح وأمانة .

(١) في الأصلين « لمن » . ولا يستقيم .

(*) كاتب ، شاعر ، فقيه ، متفنن ، عالم بالفرائض . عمل في حدائته موثقاً بسماط شهود
غرناطة ، وقصد إلى المشرق فأدى فريضة الحج ، وفي عودته استقر بمالي مكرماً عند
ملكها . وأقام هناك إقامة مستقر ، ففي الإحاطة (١ : ١٨٣) ما يدل على أنه رزق
بأولاد من أمهات سمرارات . وقال صاحب النفع ٢ : ١٩٤ إنه نقل عن يوتق به أن
وفاة الساحلي كانت سنة ٧٤٧ بمدينة تمبكتو بمالي . بينما قال ابن الخطيب في الإحاطة
إنه توفي سنة ٧٣٩

(ترجمته في نشير الفرائد الجمان ٣٠٨ ، ونفع الطبيب ٢ : ١٩٤ ، والاستنصا ٣ : ١٥٢)

(٢) في الأصلين ثورة . وهو تحريف .

كان أبوه أمين العطارين بغرناطة . وكان مع أمانته من أهل العلم ،
فقيهاً متفنناً . وله الباع المديد في الفرائض .
وأبو إسحاق هذا كان في صغره موثقاً بسباط شهود غرناطة .
وارتحل عن الأندلس إلى المشرق فحج ثم سار إلى بلاد السودان (١)
فاستوطنها ، وثال جاهاً مكيناً من سلطانها وبها توفي ، رحمه
الله تعالى .

حاله - رحمه الله -

طلع في سماء الأدب كوكباً وقاداً . وقام في روض البراعة غصناً
مياداً . وزها في النُحو على سيبويه ، وفي اللغة على نفطوينة . وفي
الإنشاء على ابن العميد ، كما أربى في البلاغة على عبد الحميد وله
مُشاركة في المسائل الفقهية ، وأبرع ما كان في الطريقة الأدبية .
وكان صاحب همة سنية . ومن علو همة ، وجلالة رتبة أن أمير
المسلمين أبا الحسن ملك المغرب الحسن ، طلب منه أن يكتب في
حضرتي ، ويكون من جملة خدام دولته ، [٥٩ / ب] فتأبى منه
وانحرف عنه ، وأنف من ذلك ، ولم يرض أن يكون أحد له مالِك !
وقال له أيد الله مولانا الخليفة ، وأدام أيامه المنيفة ! أقيتني من
هذا ، وكن منه مَلَاذا . فقال الملك ولم ، وقد عمّتك النُعمى ؟
قال لا أرضى أن يرأسني عبد المهيمن (٢) الحضرمي ! فتعجب منه
السلطان ، وأجزل عليه بذلك الإحسان ! فانظر همة هذا الفقيه
ما أعلاها ، ونفسه النفيسة ما أزكاها !

(١) هي بلاد « مالي » كما سبق .

(٢) سيترجم له ابن الأحمر في أول الباب العاشر .

فمن قوله - رحمه الله - ما كتب به من أرض الحبشة للأندلس ،
إلى صديقه الفقيه الكاتب القاضي أبي القاسم بن أبي العافية
لأن الرُّكَّابُ خُضْنُ رَمْلٍ زُرُودٍ (١)
وَسَرَيْنِ بَيْنَ تَهائمٍ وَنُجُودِ
وَجَرَيْنِ فِي بَحْرِ السَّرَابِ سَفَائِنًا
أَلْبَسْنَ قَارَأَ لِلْيَسَالِي السُّودِ
وَرَأَيْنَ وَطْءَ الْأَرْضِ مَنَقَصَةَ الْهَوَى
فوطئنَ فوقَ تحاجرٍ وخُدودِ !
هُنَّ الْمَطَايَا هُوَّضَتْ مِنْ طَائِفَا
يَوْمَ النَّوَى ثُونًا لِكُلِّ عَمِيدِ
وَهَفَّتْ يَهَيْفٍ عَاقَرُوا تَحْتَ الدُّجَا
تَخْمَرَيْنِ مِنْ أَيْنِ (٢) وَمِنْ تَسْهِيدِ
مَرْكُوكَ تَسْتَقْرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ
وَمَرُّوا بِشِلْثٍ فَوَادِكِ الْمَقُودِ (٣)
فَبِكُلِّ وَادٍ أَنْتَ رَائِدُ مَرْبَعِ
وَبِكُلِّ نَادٍ أَنْتَ نَاشِدُ غَبِيرِ
سَبْرًا فَدُونَ مُنَاكَ قَطَعُ مَهَامِدِ
قَطَعَ النَّيَاطُ بِهَا نَيْطَ الْقُودِ (٤)

(١) زرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(٢) الأين : التعب والإعياء .

(٣) الشلو : البقية من كل شيء .

(٤) يقال مفازة بعيدة النياط : بعيدة الحد . والقود -ج- أهود : الذلول المنقاد من الخيل .
والنياط الأهواد ، وعرق غليظ علق به القلب إلى الرئتين .

طربني إذا جنّ الظلام لأنّهُ
 في ظهر عَوْدٍ (١) لا لِرَنَّةٍ عَوْدٍ !
 10 كم مِنّ طِلَاحٍ (٢) فوقها أمثالها
 لم تكن تحيل أجفانهم بهجود
 كالشمر هُزّت في أكفّ فوارسٍ
 والبيض سلّت من بطون غُمودٍ
 أنضامٌ طولُ الشرى فتغالمهم
 أوهامٌ فيكر في صدور البيد !

[٦٠ / أ]

ساجلتهم تَعَتّ الداجي بِشِمْلَةٍ (٣)
 فطيرت على التأويب والتسفيد (٤)
 أهدت إلى سلع تحبة حاجر (٥)
 وحشت على نَجْدٍ تُرابَ زَرُودٍ
 15 وكانما آثارها فوق الشرى
 وطأت مُشْعِبٍ (٦) الجِراحِ طَرِيدٍ

(١) العود : الحسن من الإبل .

(٢) طلاح : تمب من السير ، وطلح الرجل البعير جعله يعي ويهزل .

(٣) الشملة : السريعة الخفيفة . و« التسفيد » هي القراءة الظاهرة للكلمة .

(٤) التأويب سير النهار كله إلى الليل .

(٥) سلع : جبل متصل بالمدينة . وحاجر : منزل للحاج بالبادية (موضع) .

(٦) انتعب الماء والدم ونحوهما : انفجر .

ولكم قصي الحوض منهد الجبا (١)
 لا يهتدي فيه القطا لورود
 إن قل واردة هده صوته
 رسم الضراغم دونه والسيد (٢)
 وكانت ريش النواهيض (٣) حوله
 مسنونة (٤) برت قصار العود (٥)
 وافيته والذيب يوجس خيفة
 فيه ويرعد رعدة المرؤود (٦)
 فترويت منه - ولم أكد - حتى ارتوى
 مسراي من نبي (٧) ، وني قعودي
 ولكم رحيب الصدر ملوم (٨) القرى (٩)
 كلح النواجذ مشرب الجيد
 منها أحسن ببناء (١٠) أصفى لها
 أذنتي سميع والتفات رصيند

(١) الجبا : الماء المجموع في الحوض .

(٢) السيد : الذئب .

(٣) النواهيض ج ناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه ، وتهيأ للطيران .

(٤) المسنونة : الأرض التي أكل نباتها .

(٥) في م : برئت . وفي ط برت

(٦) تراد «الشيء» : اهتز واضطرب .

(٧) نوى ينوي نية ونوى : تحول من مكان إلى مكان .

(٨) الملوم : المجتمع المدور .

(٩) القرى : الظهر . وكلح : عبس .

(١٠) النبأة : الصوت الخفي .

10 كفاهُ كِفْتُهُ^(١) ليومٍ قَنِيصِهِ
وِذْرَاءَهُ تَحِبُّ لِكُلِّ مَصِيدِ
ما بات منه قُضَاقِضُ^(٢) إلا على
أشلاءٍ لحمٍ أو دمٍ مَحْقُودِ
آوِي إلي أجماته مُسْتَسْلِمًا
وأهابُ ماوَى شامتٍ وحسودِ !
أخشى المَقِيلَ بِظِلِّهِ مُسْتَوْفِيزًا^(٣)
وأظَلَّ بين أسودِ^(٤) وأسودِ
ياراكبا إمّا أَنْخَتَ مُقْبِلًا
في ظِلِّ ضَالٍ^(٥) بالعقيقِ^(٦) نَصِيدِ
15 ورقعتَ من روضِ الجلالِ بِبَاسِقِ
غَضَّ الأزاهرِ يانعِ الأملُودِ^(٧)
فَلْ لِمَ تَدِي عَاطِيَتُهُ مَحْوُضَةً
من خَالِصِي وُدِّي وحُسنِ عَهْدِي
أَعْلَى الْغِنَى أَوْجَفْتُ لَا كَانَ الْغِنَى
سَبَقَ الْقَضَاءُ بِرِزْقِي الْمَوْعُودِ

(١) الكفة : حباله الصائد .

(٢) القضاقض : الأسد

(٣) استوفز : جلس على هيئة كأنه يريد القيام .

(٤) أسود ج أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد ، وهو أخبثها وأنكأها .

(٥) الضال : الدر البري « شجر » .

(٦) عقيق المدينة على ميلين منها ، وفيه نخل .

(٧) الأملود : الناعم اللين .

بل طيرتُ ملء قنودمي نحو العلا
طير القطاة تسخاف فتوت وُرودا
فطلعتُ من أثناء كل نسيئة
وتركتُ مطلع أفقي المَعهودِ
[٦٠ / ب]

20 هذا ، وما نجدية قد عارضت
ضال العتيق وطلعي المَعزود^(١)
ولها تعرض الصبا كلفا بما
جرت عليه من ملا وُرود
إن مسها وخز الهجير تذكّرت
ماء الحجاز وظيله المَعزود
أو عارضت شوقي ودمعي ساءلت
عن برق وسحابه الموزود
بأشد من شوقي لينبع ركية^(٢)
علت سراة بني أبي وجدودي

25 قوم تناوبت النوائب شملهم
فشرن سلك نظامه المَعزود
صدعت لفقدهم الخطوب زجاجتي
ولعت^(٣) لبدم الليالي عودي

(١) الطلح : شجر عظام « المَعزود » في النسختين ، ومن معانيها التثني .

(٢) الركية : البئر .

(٣) لحا الشجرة : قشرها .

وأضلَّ صَبْرِي طَرْقَه ، وَهَدَى الْأَسَى
 دَمْعِي بِمَسْلِكِ خَدْيِي الْمَتَّخِذُودِ
 قَدْ كُنْتُ أُرْتَعُ مِنْ نَدَاهُمْ فِي حَمَى
 رَوْضٍ وَأَكْرَعُ فِي حِيَاضٍ بِرُودِ
 فَإِذَا وَرَدْتُ وَرَدْتُ غَيْرَ مُزَاحِمِ
 وَإِذَا صَدَرْتُ صَدَرْتُ غَيْرَ مَذْهُودِ
 30 وَلَرَبُّ سَافِرَةِ النَّقَابِ قَبِضْتُ
 عَنْ لَوْلُؤٍ مِنْ شَفْرِهَا مَنُضُّودِ
 نَظَمْتُ مِنَ السَّحَرِ الْحَلَالِ مُكَلَّلًا
 فَضَحَ الْقَلَائِدَ فِي نَحُورِ الْغَيْدِ
 وَتَبَسَّمْتُ عَنْ رَوْضَةٍ قَدْ أَقْطَفْتُ
 بَيْضَ الْأَمَانِي مِنْ سُطُورِ سُودِ !
 وَأَرْتَلُكَ مِنْ أَنْقَاسِهَا وَحُرُوفِهَا
 شَبَّاهُ تَجَلَّتْ فِي بُرُوجِ سُودِ
 وَأَنْتَ عَاسِنُهَا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ
 أَغْنَيْتَ مُقَلَّدَهَا عَنْ التَّقْلِيدِ
 35 وَقَفَ ابْنُ حُجْرٍ دُونَهَا وَتَخَبَّطَ
 فِي نَسَجِ حُلَّتِهَا أَكْفَ لَبِيدِ (١)
 يَا بِنْتَ مَنْ حَلَّتْ سَوَابِقُ فَضْلِهِ
 وَشَاتَ بِهِمْ هَيْمُ الْمُلا وَالْجُودِ

(١) ابن حجر « امرؤ القيس » وليد ، شاعران مشهوران .

أما حديثك فهو دُرٌّ كُلُّه
..... أَسْمَاعٌ حَلَّتِي جَوَاهِرُ وَعُقُودُ
أُنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ وَقَعِ النُّدَى
وَالَّذُ مِنْ نَغَمَاتِ صَوْتِ الْعُودِ !
أَذْكَرْتَنِي - وَأَبَيْكَ - عَصْرَ شَبِيحَةٍ
ذَهَبَ الزَّمَانُ بِمِيشَةِ الْمُتَعَمُّودِ

[٦١ / أ]

40 وقصصت غير مطبوعة أنباءه
عُودِي لَبْدَ حَدِيثِهِ ، أَوْ عِيْدِي (١)
كَانَ الشَّبَابُ دُجَىً فَمَزَّقَ لَيْلُهُ
عَنْ ضَوْءٍ لَا حَسَنٍ وَلَا مُعَمُّودِ
وَإِذَا الْجَدِيدَانِ (٢) اسْتَجِدَا (٣) صُحْبَةَ
ذَهَبًا بِشَوْبٍ لِلْبَيَانِ تَمِيدِ
تَجَلَّتْ بِدِيهَتِكَ الَّتِي قَدْ أَعْجَلَتْ
عَنْ مَوْقِفِ التَّهْذِيبِ وَالتَّجْوِيدِ
وَرَمَتْ مُسَاجِلَكَ الْجَهَالَةَ فِي تَمْدِي
شَاوٍ (٤) قَصِي الْجَنَازِبِينَ بَعِيدِ

(١) في النسختين أنباؤه ، عيد ونرجع ما أثبت

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) في النسختين : استجد . ونرجع ما أثبت

(٤) في النسختين : شاري .

45 فَمَتَى دَعَوْتُ لَهَا الْقَوَافِي أَجْثَلْتُ

فَعَلَ الظِّلِمُ (١) وَأَذَنْتُ بِشُرُودِ

فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَنَفِضْتُ دَرُّ بَكِيَّتِي (٢)

وَسَتَرْتُ تَهْرَجَ قَوْلِي الْمَنْقُودِ

وَلَوَيْتُ ثَنِيًّا مِنْ عَيْنَانِي نَاكِصًا

عَنْ مَرَقَبٍ أَعْيَى إِلَيْهِ صُعودِي

لَكُنْهَا نَفْثَاتُ مُلْتَهَبِ الْجَوَى

وَكَلَامُ مَكْلُومِ الْحَشَا مَنُجُودٍ (٣)

50 غَطَّتْ هَوَاهُ عَقْلَهُ فَاقتَادَهُ

لِمَوَاقِفِ التَّهْذِيبِ وَالتَّجَرِيدِ

فجاء به صديقه القاضي أبو القاسم بن أبي العافية ، المذكور ،

بقوله :

أَمَلِي عَلَى كَيْسَرِي وَطُولِ عُهُودِي

رَجَعُ الشَّيْبَةِ وَالْهَوَى الْمَهْهُودِ

(١) الظلم ذكر النعام

(٢) بكات البئر : قل ماؤها وبكا الحيوان الحلوب . قل لبنة

(٣) نجد « بضم النون » أصابه الكرب والغم فهو منجود .

ودُنُوهُ منتزح الدِّيارِ رَمَتْ بِهِ
كالسَّهمِ مَبْرِيًا قِسيُّ القُشودِ (١)
فسرى كبدري الأفقِ يَعْتَرِضُ الدُّجَا
ويُحِيطُ سِجْفَ (٢) رواقها المَمْدُودِ
تَرْدُ القَطَا من سُورِهِ (٣) حَيْثُ انْتَهَتْ
أَسْرَابُهَا بِحَفِيفِهَا المَجْهُودِ
وتُظِلُّهُ كَالسَّحْبِ ريشُ قَوَادِمِ
من كُلِّ فَتَخَاءِ الجَنَاحِ صَيُودِ (٤)
والوحشُ تَأْكُلُ فَضْلَ ما يَغْتَالُ مِنْ
صَيْدٍ بَيْدِيٍّ مَوْمِ (٥) الفَلَاةِ وَسَيْدِ
فَقِيرِ سِبَاعِ الطَّيْرِ شِلْوُ غَرِيضَةٍ
وَقِيرِ سِبَاعِ الوحشِ شِلْوُ قَدِيدِ (٦)
وله مِنْ الجَيْنَسَيْنِ (٧) تَحْتَ وَفَوْقِ مَا
يُغْنِيهِ عَنِ تَجِيشِ وَخَفَقِ بُنُودِ

(١) قود ج أقود : الفرس طال ظهره وعنقه .

(٢) السجف : الستر .

(٣) السور : بقية الشيء .

(٤) الفتخاء من العقبان اللينة الجناح . والصبود : الصياد « مبالغة » . وصيدج أصيد : الأسد . والسيد الأسد ، وهو الذئب أيضا .

(٥) الديوم والديمومة : الفلاة الواسعة

(٦) الغريض : الطير ، والقديد عكسها .

(٧) كلمة لم تظهر في كلتا النسختين . وهذه أقرب قراءة .

[٦١ / ب]

خاضَ البحارَ وجازَها ثم ارتَمَى
 يَفْلِي الفِلا بِنَجِيَّةٍ صِبْهُودٍ (١)
 10 تَغْرِي (٢) الْفَرِيَّ وَلَا تَخَافُ خِفَافُهَا
 مِنْ وَحْلِ مِثْأٍ (٣) ، وَلَا جَلُودِ
 الشَّمْسِ فَوْقَ قُتُودِهَا حَلَّتْ فِيهَا
 غَرْبٌ وَشَرْقٌ عِنْدَهَا بِسَبْعِدِ
 بِالْيَتَّى حُشَّتْ إِلَى أُعْطَانِهَا (٤)
 مِنْ جَوْ كَاطِمَةٍ وَدَوٍّ زَرُودِ (٥)
 وَلَهَا عَلَيْنَا أَنْ نَمَوْضُهَا إِذَا
 رَجَعَتْ مُوَاطِئُ أَعْيُنِ وَخُدُودِ
 تِلْكَ النَّوَى أُجْنِثَتْ عَلِيَّ وَكَدَّرَتْ
 شَرِبِي وَذُفْبَةً عَيْشِي الْمَثْمُودِ (٦)

(١) النجبة : الناقة السريعة . الصبهد - كما في اللسان - الجسم . وفي القاموس الصبهد :

الفلاة لا ينال مأوها ، والصبهد الجسم .

(٢) في الأصلين المعتمدين : يغري والحديث عن الناقة ، فعمل الصواب ما أثبت . وفري الأرض : سارها وقطعها

(٣) ميثاء : هي الأرض اللينة السهلة

(٤) أعطان ج عطن : وطن الإبل ومبركها .

(٥) كاطمة اسم ماء ، وجو اسم اليمامة في الجاهلية . والدو بلد لبني نعيم وهو ما بين

البصرة إلى اليمامة . وزرود جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(راجع مواد دو - وزرود - وكاظمة وجو في معجم ما استعجم للبكري) .

(٦) النفبة - في الأصل - الجرعة . والمثمود : ماء نقد من الزحام عليه .

15 هَبْنِي مَقِيمًا بَعْدَ أَنْ رَحَلَ الْهَوَى

فَالْمَيْتُ يَوْجَدُ وَهُوَ كَالْفَقُودِ ١

قَسَمًا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَطِيئِبِهَا

وَبَيْنَظْمِ شَمْلِ أَحِبَّتِي وَعُهُودِي

وَبِمَا حَدَا الْحَادِي بِهِمْ يَوْمَ النَّوَى

مَنْ مُنْتَقَى رَجَزٍ وَحُرٍّ قَصِيدِ

وَبِمُسْتَمِيرٍ جَنَاهُمْ بِحَبَالِهِمْ

مَا بَيْنَ شُهْبٍ قَنًا وَغَلِبِ أَسْوَدِ

لَأَشَدَّ مَا يَلْقَى أَمْرُهُ مِنْ دَهْرِهِ

شَيْئًا وَشَيْكُ نَوَى وَطُولِ صُدُودِ

20 إِلَّا مَثِبَ الْعَارِضِينَ فَإِنَّهُ

يُدْنِي الْفَتَى مِنْ يَوْمِهِ لِلْأَوْعُودِ

يَا طَائِرًا فِي الْجَوِّ مِلَّ جَنَاحِهِ

لَا سَائِرًا فِي الدَّوِّ فَيَوِّقَ قَمُودِ (١)

أَسْرَعُ لَعَلَّكَ بَعْدَ دَهْرٍ بِالْبَحْرِ

مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مَطَى بُوخِيدِ (٢)

وَأَنْشَبُ فُؤَادِي فِي الْمَهَامِ إِنَّهُ

رَهْنُ الْمَطَايَا وَالسُّرَى وَالْبَيْيُنِدِ

(١) القمود البعير من الإبل ، وهو البكر « بفتح الباء » حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب . والدو : المفازة .

(٢) البوخيد للبعير الإسراع . والمطي : الناقة تطو « تسرع » في مشيها . والمطا : الظهر وفي نسخة « م » مطي « بياء مشددة » ولا يستقيم بها الوزن .

وإذا اعترفت القلب بلدغ سمع من
هو في يديه ألوكة المفتؤود^(١)

25 يا نازحاً لعب المطي بكوره^(٢)
لعب الرياح الهوج بالأمثلود

ورمت به للطبقة القصوى التي
ما وردوها لسيواه بالمورؤود

هلا حننت إلى معاهدنا التي
كذت الحلي لنعثرها والجبيد !

ورياض أنس بالمشايح طارحت
فيها الحثائم سجع صوت العود

ومبيتنا فيها ؛ وصنفو مدامنا
صرف المودة ، لا ابنة العنقود

[٦٢ / أ]

30 والعيش أخضر والهوى بدني جنى
زهرات ثغر أو ثمار زهود

والقضب رافلة يهاتق بعضها
بعضاً ، إذا اعتنقت غصون قدود

لنهني على ذاك الزمان وطيبه
وعلى مناه وعيشه المحمود

(١) الألوك الرسالة

(٢) الكور الرجل .

تِلْكَ الْأَيَّامُ لَا لِيَالِي بَعْدَهَا
عُطِّلْنِ إِلَّا مِنْ جَوَى وَسُجُودِ
كَانَتْ قِصَاراً ثُمَّ طُلْنَ فِيهَا أَنَا
أَسَى عَلَى الْقُصُورِ وَالْمَدُودِ !
35 وَتَحَوَّلَتْ حُلَّ التَّامِ الْوَصْلِ فِي
سِلْكِ انْتِظَامِ الشَّمْلِ لِلتَّبْدِيدِ
وَمَضَى الشَّبَابُ كَدِيمَةً قَدْ أَقْلَمَتْ
مِنْ بَعْدِ تَقْيِي تَهَاثُرٍ وَنَجُودِ
وَأَتَى الْمَشِيبُ بِمَحَلِّهِ فَأَعَادَ مَا
أَحْيَى الشَّبَابُ النُّضْرُ عَصْفَ حَصِيدِ
لَوْ يُفْتَسِدُ عَهْدُ الْعَبَا لَقَدَيْتُهُ
بِتَعْلَمِي وَبَطَارِ فِي تَكْلِيدِي !
لَكِنَّهَا الْأَيَّامُ أَبْجَلُ شَيْئَةٍ
مِنْ أَنْ تُعِيدَ شَيْئَةً لِمُعِيدِ (١)
40 أَمَّا أَبَا إِسْحَاقَ مِنْ بَعْدِ الْمَدَى
أَمَّا يَزِيدُ أَسَى عَلَى التَّرْدِيدِ
طَارَحَتْ فِي تَرْدَادِهَا مِنْ شَاقَتِهَا
دَعَاى تَزْيِيعٍ كَالْهَدِيلِ فَتَعِيدِ (٢)
صِنُّو الْحَمَامَةَ فِي الْحِضَابِ وَطَوَّقِهَا
وَعَيْنَايَهَا الْمُتَرَنِّمِ الْغُرَيْدِ

(١) فيها : لمعيد ، كأنه يريد (لمستعيد)

(٢) التزيع : الغريب . والهديل . الذكر من الحمام ، وهو صوته أيضاً .

تأبى الصيانة أن أصرح باسمها
واللحن يفهم مُتَتَرى المقصود (١)
وجبت مبرتها عليك وكيف لا
والشرع ليس بشاهد مرذود
45 هذا الجناح وطير إليها قبل فو...
... ت الأمر ، ماذي الدار دار خلود
لو كنت مُطْلَعاً ، وقد طاعتها
بخطابك المستعذب الموزود
لأستضعف أساك عند فراقها
وحللت حبة حلك المعقود
هذا العتاب وبعده العتبي التي
تأسيسها يفني عن التوكيد (٢)
لله درك من رئيس بلاغنة
حسن المأخذ بارع التوليد

[٦٢ / ب]

50 حلّ العبارة في حلالة زفة (٣)
كالخمر مجتثها مراشيف غيد !
كالرُمح لان وبأسه في شدة
والسيف يدعو (٤) في يد الصنديد

(١) اللحن - هنا - أن تقول قولاً يفهمه المخاطب المقصود ويخفى على غيره ، واعتراه : غشيه . يريد أنه اكتفى بالتلميح عن التصريح .
(٢) سقطت ابتداء من هنا ورقة من نسخة (ط) .
(٣) في النسختين زفة . وا « زف » معان متعددة .
(٤) فيها يدعو . وترسم الألف أحياناً بعد الفعل المضارع في الخط .

أو كالفهامة أرعدت وتبسمت
 فارت تخاييل متوعد ووعيد !
 أو كالتّي زارت وغنت ورقها
 فارتعت ، ثم أنست بالتفريد
 روض من الآداب أبتع قبل أن
 تفتّر زهرته لطيب العود
 55 بكر أنت تمشي على استحيائها
 تزمي بحلية مبسم وعقود
 حوراء مقلتها سواد مدادها
 والسحر في مقل العيون السود !
 سحبت على سحبان^(١) فضل رداها
 وعبيد^(٢) استغشى ثياب عبيد
 وليد^(٣) انقلب عليه حروفه
 ففدا بليدا ! - وهو غير بليد -
 نظمت من السحر الحلال قوافيا
 أغنت مقلدها عن التقليد
 60 لكنّها عثرت بضالّة طلّحها
 فلما^(٤) إمثرّة طلّحها الخضود^(٥)

(١) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي (٥٠٠-٥٤٠)؛ خطيب شير ، أدرك الجاهلية الإسلام
 قيل فيه «إنه خطيب العرب غير مدافع» .
 (٢) عبيد بن الأبرص شاعر جاهلي عده ابن -لام في الطبقة الرابعة
 (٣) لييد بن ربيعة العامري (٥٠٠-٥١٠) شاعر مخضرم معمر
 (٤) لعا للفلان : دعاء للعائر أن يرتفع من عثرته .
 (٥) خضد الثبت : ضعف ووهن .

وبهمزة الوهاء خدت باعها
 فتفجبت من مقصورها (١) المتمدود !
 لكنيها رقت وراقنت وانتمت
 للعلم راغبة عن التقيد
 فجعلت يوم قدومها عيداً ، ومن
 (بحلى) (٢) سرته اليوم العيد



(١) يقال في صفة المؤنثة : ولهى ووالهة وواله وميلاء .

(٢) هذا ما استوضحته من الأصلين ؛ ولم يستقم الطرف الثاني من البيت .

الباب العاشر

فيما بلغنا من شعر كتاب بني مري

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى
عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي^(*)
يكنى أبا محمد وأدركته ورأيتته .

(*) الفقيه الكاتب النحوي اللغوي المحدث أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبقي (٦٧٦-٧٤٩) يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ، وأصل سلفه من اليمن . كانت لآل الحضرمي صلة قرابة ببني العزفي أصحاب سبته ، وعينوا الفقيه محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (والد المترجم به) قاضياً بها ٦٨٣ واستمر مشكور الحال حتى أخذ النصريون سبته . ٧ فارتحل مع ابنه وأسرته إلى غرناطة وأقام بها مدة ، ثم أذن لهم صاحب غرناطة بالعودة إلى سبته والقاضي طاعن في السن ، ضعيف ، فتوفي سنة ٧١٢ . وقد وصفه الذين ترجموا له بالفضل والعلم والاستقامة والصرامة .

واتصل أبو محمد عبد المهيمن بالدولة المرينية حين استقدمه من سبته الأمير عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق ، فكتب له العلامة ، ثم استكتبه ابنه أبو الحسن علي ، واصطحبه في أسفاره وتنقلاته ، وتوفي بتونس سنة ٧٤٩ عام الطاعون الجارف .

ترجم له لسان الدين في الإحاطة وعدة في شيوخه ، وأثنى عليه ونقل المقرئ في النفع جملة من أخباره وأشعاره وقال « كان عالي الهمة . سريعاً ، أعطى المنصب حقه وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم . » سريع الجواب . . . وقد نبغ من بعده ابنه أبو سعيد وحفيده عبد المهيمن الذي كتب العلامة لأبي العباس أحمد المستنصر المريني .

(ترجمته وأخباره في : نفح الطيب ٥ ٤٦٤ - وانظر ٥ ٢٤٠ - ومستودع العلامة : ٥ ، وجذوة الاقتباس : ٢٧٩ ، والتعريف بابن خلدون : ٢٠) .

وهو من أهل سبته ، وأصل سلفه من الأندلس ، من بيت القضاة ،
والعلماء ، [٦٣ / أ] والإمارة ولجده الأمير كريب بالأندلس ثورة .
وكان أبوه قاضي الجماعة بسبته . (١) قدمه الأمير أبو طالب عبد الله بن
الأمير أبي القاسم العزفي اللسّمي

وكتب عبد المهيمن هذا للأمير يحيى بن الأمير أبي طالب العزفي بسبته .
وكتب قبل ذلك بالأندلس لخال جدنا أمير المسلمين الغالب بالله الناصر لدين
الله أبي عبد الله محمد الخلوع بن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله
محمد صاحب الدبوس ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ،
ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن خميس بن نصر
الخرجي

وكتب بالعدوة أيضاً لأمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان
ابن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، العلامة . ثم
كتبها لابنه أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي - رحمه الله - ولم يزل
عليها إلى أن ارتحل السلطان أبو الحسن إلى تونس ؛ فلما استقر بها أخبره
عن العلامة ، فمات بتونس سنة خمسين وسبعمئة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فخر الكتاب والعلماء ، وصدر الصدور الكرماء . ذوهمة سميت

(١) « وانظر ترجمة محمد بن عبد المهيمن الحضرمي في نفح الطيب ٥ : ٢٤٠٠ ، والمرقبة
العليا للنباهي ٣٢ - ١٦٣ . ودرة الحجال ٢ : ١٠٦ » .

فوق الكواكب ، وذو بلاغة وذهن ثاقب . وقدره في العلماء معروف ،
وبيتته بالنسب الصريح موصوف صاحب رواية وحديث ، وذاكر رجال
في قديم من الزمان وحديث إلى تحصيل العلوم ، ومعرفة بالجهول منها
والمعلوم . وأما كتاب سيبويه فكان بمسائله عارفاً ، وعلى قراءته بطول
عمره مداوماً وعاكفاً . لم يكن له بالمعرفة به قرين ، ولقد تصدر لإقراءه
وهو ابن عشرين . وقد دون الكثير من العلوم وصنف ، وقرط مسامع
الفهوم وشنف

[٦٣ / ب] فمن قوله رحمه الله تعالى :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَهْدٍ كُنْتُ أَعِدُهُ
وَطِيبِ عَيْشٍ تَقْضِي كُلَّهُ كَرَمُ
وَجِيرَةٍ كَانَ لِي أَنْسُ بُوَصْلِهِمْ
وَالْأَنْسُ أَفْضَلُ مَا فِي الْوَصْلِ يُفْتَنُّهُمْ
كَانُوا نَعِيمَ قُتَادِي وَالْحَيَاةَ لَهُ
فَالآنَ كُلُّهُ وَجُودِي بَعْدَهُمْ عَدَمُ
بَانُوا فَعَادَ نَهَارِي كُلُّهُ ظُلَمًا
وَكَانَ قُرْبَهُمْ يُمَعَى بِهِ الظُّلَمُ
5 وَالْعَيْنُ مِثْنِي لَا تَرَقَا مُحَاجِرُهُمَا (١)
كَأَنَّهُمَا سُحْبُ تَهْمِي وَتَنْجَمُ
تَبْكِي عُهْدَ وَصَالٍ مِنْهُمْ سَلَفْتُ
كَأَنَّمَا هِيَ فِي إِنْسَانِيَا حُسْمُ

(١) رقا الدمع والدم - ونحوهما - سكن وجف وانقطع

لئن ضحكنت سروراً بالوصال لقد
بكيتُ للبعدِ حُزناً والدموعُ دَمٌ
« ممّ علموني البسكا ما كنتُ أعرفه
يا ليتهم علموني كيف أبتسم ! »

الفقيه الرئيس الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى

محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي (*) :

يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيتهُ .

وهو من أهل تلمسان . وأصلُ سلفه من الأندلس . من بيت أصالة
وتعين^(١) . ومحمد والده كان من أهل العلم التام . درس العلوم بتلمسان وأفتى بها

(*) الفقيه الحاجب ، الرئيس الكاتب ، محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي
(ت ٧٥٦) من أسرة اشتهرت بالعلم والأدب ، وانخرط كثير من رجالها في خدمة
عدد من الدول كالمرينيين والحفصيين . حسب أبو عبد الله محمد (المترجم به هنا)
لأبي عنان المريني وثال حظوة لديه ، وثقة واسعة ، فقلده عدداً المناصب منها « خطة
السيف » كما قال ابن الأحرر في مستودع العلامة ، وأسند إليه ولاية بجاية ، فاستمر
عليها الى وفاته : ٧٥٦ . قال في البستان « وسيئت جنازته إلى تلمسان فدفن فيها » .
(ترجم له ابن مريم في كتابه « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ٢٢٨ ، وقال
فيه « له همة عظيمة وعلم وشأن كبير » . وابن الأحرر في مستودع العلامة : ٣٦ وقال
إن أبا عنان قدمه على الإمارة ببجاية بينما قال هنا في نثر الجمان إنه ولاه بجاية وقسنطينة ،
ولعل قسنطينة كانت تابعة آنذاك لبجاية ، فلا تعارض .

وذكره ابن القاضي في درة المجال ٢ ٢٦٥ وفيه . . . ابن أبي عمر التميمي ، وهو خطا من
الناسخ والمحقق ، وذكره ابن الأحرر في روضة السربين . وأورد ابن الأحرر في مستودع
العلامة نقلاً من أولاده وأحفاده خدموا في الدولة المرينية في مناصب كتابية رفيعة
انظر ٤١-٣٧)

(١) فيها . وسرد « تعين » بياء مشددة في الترجمة التالية .

وكان من عباد الله الصالحين ، ومن الأولياء المخلصين . وحسبه من ورعه أنه ولي القضاء بتلمسان سنين طائلة ، فلما توفي لم يوجد له غير قطيفة ، ووسادة صوف ، نفع الله به .

ومن سعة علمه أنه رتب التبصرة للإمام أبي الحسن اللخمي وأتى بها نسقاً على أبواب التهذيب ، ومسائله اعتنى بها فقهاء الأمصار وعرفوا بها قدره في العلوم .

وقدّمه على قضاء الجماعة بتلمسان أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن علي المريني ، فأظهر من التصميم في الحق وإقامة منار الشريعة ما يكل اللسان عن وصفه . وأحمد والد محمد كان أيضاً [٦٤ / أ] من أهل العلم البارع ، ودرس العلوم ، وأفنى ، وولي قضاء الجماعة في بعض بلاد إفريقية . وكان علي والد أحمد إماماً عالماً مدرساً مفتياً محدثاً حافظاً ، وولي قضاء الجماعة بتونس لأmir المؤمنين المستنصر بالله ، المنصور بفضل الله أبي عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الموحّد ، وقدمه المستنصر بالله هذا على حجابته ، وقلده خُطّة علامته .

ونسبه في تميم ، ويقال إنه من بني الأغلب التميميين ، ملوك إفريقية .

والحاجب أبو عبد الله هذا كان ملازماً لأmir المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان المريني في الصّحبة بتلمسان (١) ، في إمارته حين قدمه

(١) تلمسان : مدينه شهيرة في المغرب الأوسط . كان لها دور بارز في تاريخ المنطقة منذ استقلال بني زيّان واتخاذهم تلمسان عاصمة لهم . وهي مركز ثقافي وحضاري هام على مدى الأعصر الإسلامية . وتقع اليوم في القطر الجزائري . وهي تزخر بأثار إسلامية موحدة ومرينية هامة .

أبوه أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن عاملاً عليها ، فلما بويع بها المتوكل على الله أبو عنان ، وسار منها إلى فاس مقعد الملك المريني ، قدمه حاجباً له وصاحب علامته ، وبلغ لديه جاهاً عظيماً لم يبلغه غيره . وكان أحد الأجواد لا يقاس إلا بمن تقدم من البرامكة وأمثالهم . وكان قد أعطاه مخدومه السلطان أبو عنان بعد أن حجبه عشرة من الطبول وعشرة من البُسُود ، وقدمه أميراً ببجاية (١) وقُسْطَينَة (٢) فظهر له هنالك من الآثار الجميلة ما أنسى بها من تقدمه من الحجاب والأمراء . وببجاية توفي في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وسيق منها فدفن بتلمسان . فوجد لفقده السلطان أبو عنان حزناً عظيماً أداه ذلك لأن بعث أعز بنيه عنده - وهو الأمير أبو زيان محمد - لحضر جنازته بتلمسان ، وأخرجه حزنه أيضاً عليه لأن رثاه بقوله :

ألمنا بأحداثِ العلى والمناصيبِ
تُحيي ثراها واكيفاتُ السُّعائِبِ
وعُوجاً بأكنافِ الضَّريحِ الذي تحوى
من الجُود والإفضالِ أسنى المراتِبِ
ألا بكتياً غيثَ المَوائبِ والجدا
وليثَ الشرى نَجَلِ السَّراةِ الأطايبِ

(١) بجاية: مدينة ساحلية بين إفريقية (تونس) ومدينة الجزائر ، وهي الآن في القطر الجزائري

(٢) قسطنطينة مدينة كبيرة تقع اليوم في القطر الجزائري (في الشرق منه) ، وكانت لها قلعة كبيرة عالية حصينة .

[٦٤ / ب]

وجنودا يوبل الدمع تهمي شؤونه
كما هتنت مزن الغيث السواكب

5 وبوحا بأن المجد أقوت ربوعه
وزلزل منه مشخير الأماضير

فيا رجل الدنيا وواحدتها الذي
تحدث لغيره مطي الركايب

لقد كنت لي أنسا وخيلا وصاحباً
فبينت ولم تشن العنان لصاحب

وقد أنشبت فيك المنية ظفرها
وما غادرت يوماً منيع الجوانب

سقتك صروف الدهر كاسات تحتفها
وجرعت منها مفضعات المشارب

10 ولاقيت مكررة الحمام وقد تسرى
عبيد ثناك في الربا والسباب

رؤيت أبا عبد الإله بفقدكم
فما أنا ذا أشكو بريب النوائب

مسفرة نار الجوى في جوانحي
تذكرني عهد النصيح المراقب

لقد رؤيت فيك السباحة والندي
وضمضيم منها جانب أي جانب

وما كنتَ إلا الطُّودَ والبحرَ والسُّنى
تُضيءُ ضياءَ الزَّاهراتِ الثَّواقِبِ
15 وما كنتَ إلا حائِزاً كلَّ شَيْمَةٍ
من الفضلِ سباقاً لبُذْلِ الرُّغائبِ
فما اختصَّتِ الأملاكُ مثلَ مُعتمدٍ
ولا خُصَّتِ الأملاكُ منه بحاجِبِ
ولا نالتِ الأشرافُ ما نِلتَ من علَا
وما هيَ زِدَةٌ في النهى والمناصبِ
وإنْ خُصَّ منهمُ ما جِئِدُ بِمِزِيَةٍ
فقد حُزَّتْ في العُلَا جَمِيعُ المَناقِبِ
فمَنكَ إلى المَجْدِ الأثيلِ خِصائصُ
يقصِّرُ عنها نَجْلُ زَيْدٍ وحاجِبِ (١)
20 ظَلَعْتَ من الدُّنْيَا حِمِداً مُقَرَّباً
وَمِرتَ بَرِيئاً من ذَمِيمِ المَثالِبِ
وثَلَّه ما دَمَعُ بَراقِ (٢) وإِنَّمَا
أَكفَكَفُ منه كَالْمِهَادِ الصَّوائبِ (٣)
تَسْعِدُكَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ
وَبِدَفْعِكَ الزُّلْفَى وَأَقْنَصِي المَسَارِبِ

(١) المشهورون من تسمى يزيد كثيرون ، وفهم زيد الخيل (٩٠٠-٩٠٠) من أبطال العرب ،

وحاجب بن زراة (٣٠٠-٣٠٠؟) من سادات العرب في الجاهلية .

(٢) رقا الدمع : جف وسكن .

(٣) العهد جمع العهد : أول مطر الوسمي .

وبوأك من أعلى الجنان قصوره
تُعِيْبِكَ فيها مُسْبِلَاتُ الذُّوَابِ

[٦٥ / أ]

عليك سلامُ الله ما لاحَ بَارقُ
وما سَجَعَتِ وُرقُ الحمامِ النُّوَادِبِ

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو القرمُ الذي حاز الجلالة ، والجَوَاد الذي لم تنزل مواهبه مثاله .
قُدِّم للحجابه ففخرت به الدولة ، وقُـلِّد الرئاسة فكانت له الصولة . من
عَظِيمِ أَيْادِهِ وسمو ناديه ، وكريم أواخر فضله ومباديه . ولا مريسة في
أنه سادَ بيجوده ، كما فخر الزمانُ بوجوده . وزَهِدَا بنسبه الطاهر من
الأكدار ، وسمما بأفعاله الخالصة من الأغيار . ونجم في الدولة الفارسية (١)
نُجُومَ البدر في السماء ، وتلاعب بسياستها تلاعب الأفعال بالأسماء ! .
وحين غيبت الصفائح ، وعُدم جداء الفائح ؛ رثاهُ العافون ، وتوجع لفقدِهِ
المُسْتَلُونَ والمُعَافُونَ !

فمن رثاه الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جُزَيّ
الكلبي (*) بقوله :

لعمري المَعَالِي ما وَفَى بِحَقُوقِهَا
مِنْ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرِثِ لابنِ أبي عمرو

(١) يعني بذلك دولة أبي عنان فارس المريني .

(*) من أسرة بني جزى المشهورة في غرناطة ، وله ترجمة في هذا الكتاب .

فتى جُمعتُ فيه المتحاسينُ كلُّها
ولا بُدُّ من نقصٍ فكانَ مِنَ العُمَرِ !

وفي رثائه أنشدني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن
محمد بن محمد بن عبد المنان الأنصاري الخزرجي لنفسه (*)
مَنْ كانَ يَبكي ما جِداً فَلْيَجِدْ
بالمَدَمِ السَّكْبِ عَلَى الْحَاجِبِ
يَحْمُ وجهَ المَجْسِدِ فَتَاغُثَالَهُ
صِرْفُ الرُّدى لَمْ يَخْشَ مِنْ حَاجِبِ
عَيْنٍ أَصَابَتْهُ وَيَا قُرْبَيْهَا
فِي الْوَجْهِ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ !

وإذ قد فرغنا مما رثي به فلنذكر شعره ، وهو ما كتب به لخدمته
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عذان

أنا حاجبٌ لفظاً ، ومعنى ليس لي منها نصيبٌ
فَمَتَى دُعِيتُ بِحَاجِبٍ فَالْحَقُّ أَلَا أَسْتَجِيبُ
بِالْمَعْزِ عَنْ ضَرَرِ الْعَدُوِّ وَعَنْ مُوَالَةِ الْحَبِيبِ
فَأَنَا الْبَعِيدُ حَقِيقَةً وَعَلَى الْمَجَازِ أَنَا الْقَرِيبُ

(*) هكذا ورد اسمه في نثر الجمان . وقد ترجم ابن الأحرار في نثر الفرائد لابن عبد المنان
باسم أبي العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان (ص ٣٤٨) . و ترجم له في درة المجال
(١ ٥٣) أيضاً باسم أحمد بن يحيى ، كما ترجم لابنه يحيى بن أحمد . فلعل اسم أبيه في
كتابنا هذا مصحف عن يحيى . وتكون التراجم كلها لواحد
قال في نثر الفرائد : إنه أندلسي الأصل ، مكناسي الدار ، وتوفي سنة ٧٩٢ .

والبدر شقّ وعادتِ الشمس التي
غابتْ فأشرقَ نورُها وقسامُها ١١

وبليلةِ الإسراءِ أكبرُ آيةٍ
جلتْ مكانتُها وعزّ مرامُها

شاهدتْ والتّقريب يشهدُ أنه
بعلوِّ قدرِكَ مؤذِنٌ إعلامُها

بك شرفُ اللهُ النبوةَ فاعتلتْ
وتسما على سمك السّك مقامُها

45 فالأفتقُ ملتَمِعُ الضياءِ بنورها
والأرضُ طابَ وهادُها وإكامُها

[٦٧ / ب]

إن تسر في الأنصار سارية لها
حذراً ليوم تروعُها آثامُها

فإليك أكرم شافعٍ إنجادُها
وإليك أكبر مرسلٍ إتهامُها

لم تقض حقّ المجدِ إلا عُصبةُ
أمتٍ معايدك الكرام كرامُها

يا مصطفى الرحمن كم مِن آيةٍ
بهرت بصدقك واستبان تهاُمُها

50 أوصافُ مجدك لا يُحيط بِمدحِها
ذِكْرٌ ولا حصرٌ بِإتمامِها

ماذا يقول المادحون ودُرهما
 في الوحي أنزل فَنَدُّها وتَوَامها (١)
 لله مولدك الكريم وفادة
 وإفادة يروي الظماء جمامها (٢)
 هو أكبر الأعياد بشري آذنت
 أن [لا يودع ؟] شهرها أوعامها (٣)
 وافى ربيع الخير منه بليلة
 عن وجه ذلك البدر حط لثامها
 55 طُفئت بها نيران فارس بعدما
 لم [تطفئ] (٤) ألفا عُدَّتْ أعوامها
 والنهر غاض وكان بَحْرًا زاخراً
 وتداعت الشرفات يسجد هامها
 هي ليلة فاق الليالي فضلها
 وتشرفت بزمانها أيامها
 أبدى الكريم إمامنا تعظيمها
 وله بحق بواجب إعظامها (٥)
 فهو الملك الصالح العلم الرضا
 معيبي الشريعة ؛ عزها ونظامها

(١) اللذ : الفرد ، وتوأم جمع نوأم .

(٢) جم الماء : معظمه ج جمام .

(٣) لم يظهر من الكلمة غير « لاو » أو « لاير » ، وما أثبت مقترح

(٤) ما بين معقوفتين ماقط من الأصلين ، وهو مقترح .

(٥) بدأ الحديث عن تعظيم الممدوح للمولد .

فجأبه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان بقوله :
لن استقممت كما أمر . . . وترعوي فلك النصيب
ومتى دُعيت بحاجب فملك حقاً أن تُجيب
فلقد جمعت خيصالها بفمائل الفطين اللبيب
ونصحت مالبك الذي ما مثله لك من طيب
فاشكر لي أولاهه شكراً به أبداً تُصيب
الفقيه القاضي الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الله
ابن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان
ابن يوسف بن رضوان النجاري الخرجي (*) :

(*) أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ، المالقي الأندلسي ، ثم الفاسي ، ذكره تليذه أبو زكريا السراج وقال إنه كان متقناً في علوم شتى آخذاً بحظ وافر من الرواية ، مجيداً ، كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، محباً لأهل الدين معظماً لهم ولبن ينتسب للصوفية . بدأ أبو القاسم حياته العملية في بلدة مالقة فارتسم في العدول ، ثم انتقل إلى المغرب فقدم بالحاضرة المرينية كاتباً وخطيباً . وقال ابن خلدون فيه إنه كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة رئيس الكتاب ابن عبد المهيمن « وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، وإجادته في فقه الوثائق والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوك الشعر ، والخطبة على المنابر ، لانه كان كثيراً ما يصلي بالسلطان . » وكتب ابن رضوان العلامة لأبي عنان المريني ولجاعة من ملوك المغرب كما قال ابن الأحمر في مستودع العلامة . وترجم ابن خلدون لابن رضوان هذا ترجمة مفصلة في (التعريف : ٤١) وذكر خدمته لأبي الحسن المريني مدة ، ثم لحاقه بالأندلس ، وعودته إلى خدمة أبي عنان المريني وغيره من سلاطين بني مرين إلى أن توفي في بعض حركات السلطان أحمد بأزمور (بالمغرب) .
(انظر ترجمته وأخباره وأشعاره في مستودع العلامة ٥١ ، والكتيبة الكامنة ٢٥٤ ، والتعريف لابن خلدون ٤١ ومواضع أخرى ، ونيل الابتهاج : ١٤٥ ، ونفع الطيب « مواضع متفرقة منه » -) .

يكنى أبا القاسم . وأدركته ، ورأيت .

وهو من أهل مالقة ، وأصل سلفه من قرطبة ، من بيت أصالة وتميم ،
وعم جده القريب رضوان ، وهو أبو عبد الله محمد بن رضوان ، كان لجدي
الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا
الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان أمير المؤمنين
المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي ،
وزيراً ورئيس كتابه وذلك حين كان جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج (١)
المذكور أمير مالقة (٢) والجزيرة الخضراء (٣) وسبته من بر العدو .

(١) هو الأمير أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، ومحمد أخو يوسف « جد
فرج » هو أول ملوك بني نصر . كان والياً على مالقة ، وهو الذي أوقع بسبته فاحتلها
وأجلى بني العزفي « راجع الباب الخاص بتراجهم بني العزفي من هذا الكتاب » .
وانصرف ملك غرناطة إلى ولده أبي الوليد إسماعيل (خامس ملوك النصريين) بعد نصر.
وكان الأمير فرج شخصية قوية ، وذا نفوذ كبير.

(٢) مالقة مدينة قديمة على شاطئ البحر المتوسط بين الجزيرة الخضراء والمدينة و
المدينة بالجمال وطيّب الهواء ووفرة الخيرات وازدادت أهميتها في عهد بني نصر ، ونشطت
فيها التجارة وازدهر العمران . وكان لصاحب مالقة أيام في الأحمر مركز مرموق
ومشاركة في كثير من الأمور لمكانة المدينة من البحر وقربها من المغرب وكانت آنذاك
حاضرة علم وثقافة خرجت عدداً كبيراً من الأدباء والكتاب والعلماء واشتهرت
المدينة بصناعة الأواني الفخارية والخزفية التي انتشرت على يد التجار منها إلى بلاد
المسلمين وغيرها .

(٣) الجزيرة الخضراء مدينة بحرية في أقصى الجنوب من الأندلس . وتقابلها مدينة سبته
في بر العدو من المغرب . وكان مرساها من أجود المراسي للجواز وأقربها من البحر
المحيط ، وهو مشق مأمون . وأرض الجزيرة الخضراء أرض زرع وضرع وبخارجها
المياه الجارية والبساتين النضيرة ، وبها كانت دار صناعة الأمير عبد الرحمن الناصر .
وقد تعرضت المدينة للخطر في القرن الثامن مع اشتداد غزوات الإسبان عليها وعلى
مملكة غرناطة ، واحتلت في عهد الأمير يوسف مع عدد القرى والقلاع ثم عادت إلى
المسلمين سنة . ٧ .

والفقيه أبو القاسم هذا [٦٦ / آ] . كان قد استنابه في القضاء الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي حضرة السلطان أبي الحسن المريني .

وبابن رضوان يعرف ، ونشأ ببلده هائلة على أحسن حال ، كان شاهداً عدلاً بساط شهودها ، وارتحل عنها إلى بر العدو فاستنابه القاضي إبراهيم ابن أبي يحيى المذكور . ثم استكتبه بالحضرة المرينية أمير المسلمين أبو الحسن ، ثم اختطب به بتونس حين ماكها من يدي الموحدين آل أبي حفص ، ثم استكتبه ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عذان في حضرته . ثم قلده خطة العلامة ولم يزل عليها حتى الآن في حضرة الملوك من بني مرين .

حاله - نسأ الله في أجله - :

هو سديد الرأي شديد الفهم ، بارع الإنشاء رقيق النظم . متلفع ثوب الفصاحة ، ورافع راية البهاء والصباحة قد امتطى صهوة طرف النسي ، وتقلد نجاد سيف حسن الرواء . وباعه في المشاركة في العلوم مديد ، وله معرفة بطارفها والتلبد . وهو الآن في الدولة المستنصرية (١) ، والإمارة المرينية ، كاتب سرها ورئيس كتابها ، والمُعظم في وزرائها وحجائها . تحت بر وإكرام ، ونسيب إنعام .

وما ذاك إلا للذي حاز من عُلَا
ومِن مَكْرَمَاتِ مَا لَهَا فِي الْوَرَى مُنْعَصِ

(١) تُلَقَّبُ أَبُو فَارِسَ عَبْدَ الْغَزِيَّزِ الْمُرِينِي بِـ « الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ » .

فمن قوله يمدح ملك المغرب أمير المسلمين أبا فارس عبـد
العزیز المریني (١)

وهي مولدية (٢) ورفعها له في عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة
قِفْ بالديار فهذه أعلامها
يُهدى إليك مع النسيم سلامها
وإذا وقفت بها فتحي ربوعها
وذري المداميع يستهل غمامها
لنسجود هاتيك النجود وننتحي
تلك التهائم بالدموع سجامها (٣)

(١) السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني بن أبي الحسن علي أصلح الدولة بعد استبداد وزراء الدولة وقتلهم بعض السلاطين ، وتخلص من الوزير عمر بن عبد الله الباباني . ووصف أبو فارس بعلو الهمة وحسن السيرة وهو ساعد أمير غرناطة محمد الخامس على استرجاع الجزيرة الخضراء ، واستولى على مدينة تلمسان . وإليه لجأ لسان الدين الخطيب بعد خروجه عن غرناطة تاركاً الغني بالله « محمد الخامس » النصري . وتوفي أبو فارس عبد العزيز سنة ٧٧٤

(٢) بدأت عادت تعظيم يوم المولد النبوي في المشرق ، وانتقلت إلى المغرب «والأندلس» على يد أبي العباس العزفي بسببته فكان بمقرب المريني أول من احتفل به في المغرب ، ثم انتقل هذا الرسم إلى الأندلس . قال ابن خلدون في وصف احتفال الأندلس بالعيد «وكان يحتفل - بالأندلس - في الصنيع بلبلة العيد ، والدعوة ، وإنشاد الشعراء ، اقتداء بملوك المغرب » . وانظر دراسة عن عصر ابن الأحمر « القرن الثامن » في كتابي دراسة عن نثر فرائد الجمان لابن الأحمر - طبع دار الثقافة ببيروت - العدد ١٨ من سلسلة المكتبة الأندلسية .

(٣) في م شجامها ، وهو تصحيف . وسجم الدمع سال . وجاد المطر القوم عم أرضهم ، وجادت العين : كثر دمعها . كذا البيت في النسختين .

[٦٦ / ب]

فتعود روضاً دبجت يد الحيا
ويميل ريثاً أثلها وبشامها (١)
5 يا نظرة أرسلتها في عبدة
بين الطلول فشاقتي آرامها
وأطلت بسين كناسها وعرينها
لتهني فطال بأينقي إرزامها (٢)
ذكرى حبيب ما ذكرت عوده
إلا وصال على الضلوع هيامها
عهدي بها الحي الجميع ودونه
أسد الشرى ومن القنسا آجامها
لم ترن عين الشمس هالة بدرها
إلا وظلّ بالقتام خيامها
10 فمن المزاور والأسنة والظبا
منوقد حول القباب ضيرامها
ومن المؤمل غير طيف خيالها
لو كان يحظى بالجفون منامها !
فاليوم بعد نوى الأنيس مقوضاً
أقوت معالمها وصخ وسامها (٣)

(١) البشام واحد : البشامة : وهي شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بها .

(٢) أرزمت الناقة حنت على ولدها ، أو صوتت حينئذ على ولدها .

(٣) صخ الحجر : صوت عند القروح و « وسامها » كذا فيها .

واستوحشت أرجاؤها ، وتجاوبت
أصداؤها ، ودعا الهديل حمامها
أقنوى (١) ملاعبها التي جدّ الهوى
لما تضرّع رنّدها وخزامها
15 وتجدني على تلك الظباء وقد نأى
منها المزار فما استعيد لمامها (٢)
إنّني لبحرقي أوار صباقي
وتيهجني للآيات غرامها (٣)
فلكلّ لمعة شارق أو بارق
أهفو فتغلب مهجتي آلامها
يا صاحبيّ عن الرّكائب حدّثا
فزمامها ما تعلمان ذمامها
ودعا حديث اللّوم عني إنّه
يذكّي لبيب العاشقين ملامها
20 لما بصرت بطالعات الشّيب في
شعرات رأسي واستنار ظلامها
وذكرت ما أسلفته فيها مضي
من موبقات راعني إجرامها

(١) غير ظاهرة في «ط» وأقرب رسم لها في «م» أقرا أو أفرا، وأرجح ما أثبت .

(٢) العام : اللقاء اليسير

(٣) في القاموس : الأبيج : حر وعطش .

أقبلت أطلبُ المقابَ وإنَّه
صعبٌ على هذي النفوسِ فِطامُها !
أينَ الرجالُ وصدقُها في زعمِها
هياتَ يضمنُ صدقُها تزعامُها
لولا النبيُّ الهاشميُّ مُحمَّدٌ
خيرُ الأنامِ تشفيها وإمامُها

[٦٧ / ٢]

25 لقضى على النفس الظلومَ إياسُها
ولسَحْمٌ من خوفِ الجَحيمِ حِمامُها
لولا النبيُّ الأبطحيُّ عَمَدٌ (١)
لم تعرف الكُفَّار ما إسلامُها !
كم أمةٌ محوَّةٌ آثارُها
كم شرعةٌ منسوخةٌ أحكامُها
كم عُصبةٌ مغلوبسةٌ أنصارُها
كم ملَّةٌ مكسورةٌ أصنامُها
أيقظتُها بيهداك يا صبيحَ الهدى
من رقنْدَةٍ لعبتَ بها أحلامُها
30 في فترةٍ أخفى الشرائعَ ليلُها
وسَطًا على إشراقِها إظلامُها

(١) قريش البطاح الذين ينزلون بين أخشي مكة . وذكر «الأبطح» في خبر المعبة الثانية
(الروض المطار : ٤١٨) .

والجاهلية تعتدي كي تعتلي
 سفهاً ويخضع للصليب طغامها
 عميت بها الأبصار عن إدراكها
 سبل الرّشاد وظللت أعلامها
 وأتيت يا علم النبوة صاعداً
 بالحق قاي أن يزيغ قوامها
 35 وأنت يا نور الإله مبصراً
 أهل العماية فاهتدت أفهامها
 وحملت في ذات الإله شتاتاً
 راعت سواك وما زهت بك جسامها
 ناجزتهم بالمعجزات شواهداً
 يفري حجاج المبطلين حسامها
 أعجب بناطقة الجمادات التي
 ما كان يفصح ناطقاً إعجامها
 40 أعجب بتكثير القليل براحة
 يكفي الألوف شراؤها وطعامها
 أعظم بإزال الكتاب كرامة
 أربى على الرّتب العلى إكرامها
 فله رب خاضعة الزّمام لعزه
 إذ عزها بمثاليه إلامها

60 وهو الخليفة وارث الملك الذي
منع الخلافة أن ينال مضامها (١)
حامي الحقيقة فاعلاً أو قائلاً
فخر الملوك إمامها وهماها
هو للغواة شتاتها ، هو للعفا ...
... في حياتها ، هو للعداء سيهاها
عز انتصاراً للذين بعزها
لاذوا وألصق بالغواة رغامها

في اللبث من وثباته و ثباته
شبه يقره بفضله ضرغامها
65 في الفيت من جدوى يديه مشابه
لو لم يشق سحب الحيا إنجمامها

[٦٨/٢]

تدي غضارة يشره فكانما
حات على ورور النعيم حيامها
وتريك أفواف الرياض يمينه
تمها تجرت في رقتها أقلامها
لم يشه الملك العظيم عن التي
ضمن الثواب بخطه إحكامها
هذا وللخطي منها هولة

في الحرب تهزأ بالدروع سيطامها (٢)

(١) في ط : مضامها ، وفي م : مضامها .

(٢) السطام : حد السيف .

70 يا ابنَ الملوكِ وإنهم لملأنك
 في الصالحاتِ علتُ بها أقدامُها
 لله فيك سرائرُ شهدتُ بها
 آثارُ عدليك صادقاً إقامُها
 تلك الخلافةُ من تمرينِ أصبحتُ
 والدِّينُ والدُّنيا لديك قوامُها
 فلغزُ نصرِكَ دائماً إسراجُها
 وعلوُ أمرِكَ دائماً إجمامُها
 إنَّ الليالي أتمُّ قوامُها
 إن الهواجيرَ أنتم صوامُها
 75 إنَّ المعارفَ منكم استهداؤها
 إن العوارفَ منكم استتنامُها
 فرغتُ ثنائياً المآثراتِ حياضُها
 فَرَعْتُ مراعي المكرماتِ سوامُها
 لكَ صِدْقٌ وَعِدٌ اللهُ في إظهاره
 للدِّينِ أنتَ لها، وأنتَ عصامُها (١)
 لكَ في الجهادِ سريرةٌ أخلصتُها
 لله فليُنشرَ عليكَ علامُها
 لكَ راحةٌ في الجودِ راحتُها وكم
 كفى بمنعِ نوالها إفعامُها

(١) من المثل المشهور - وينسب للنايفة - * نفس عصام سودت عصاما * .

80 ولكَ المَوَاضِي الفَاتِيكَاتُ صِفَاحُهَا
 ولكَ الأيَادِي المَالِيكَاتُ جِسامُهَا
 ولكَ الإيَالَةُ شَاهِدًا إِقْبَالُهَا
 إن السُّعُودَ بِهَا يَكُونُ دَوَامُهَا
 هَامَتْ بِهَا مِصْرُ فلو وَاصَلَتْهَا
 لَرَأَتْ تَشِيهَةً عُمَرُهَا أَهْرَامُهَا !
 ولو أَنَّ بَغْدَادًا أُرِدَتْ وَجِدَتْهَا
 لَهَوَى إِلَيْكَ عِراقُهَا وَشَامُهَا
 إن الفُتُوحَ عَلَيْكَ يَخْفِقُ بَنَدُهَا
 وَلَدَيْكَ فِيمَا تَرْتَضِيهِ قِيَامُهَا
 85 وَعِيدَاكَ عَوْدُكَ الإِلَهُ بِأَنْهَا
 إنْ لَمْ تَطْعَمْكَ تَحِيطُ بِهَا آثَامُهَا

[٦٨ / ب]

تلكَ العَطَايَةُ عُبيدِ الوَادِ لَمْ
 يُرْفَعْ لَهَا عِلْمٌ وَلَا أَقْوَامُهَا (١)
 نَامَتْ لَهْمُ عَيْنِ الحَوَادِثِ بُرْهَةً
 فَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ نِيَامُهَا
 لَا تَحْسِبَنَّ لَهَا غَنَاءٌ فِي الوَغَى
 فَوَرَاؤُهَا عِنْدَ الهِيَاكِ أَمَامُهَا !
 إن الإِلَهَ قَضَى لَهَا مِمَّا بَدَتْ
 تَخْفَى ، وَعِنْدَ وُجُودِهَا إِعْدَاؤُهَا (٢)

(١) يشير إلى اقتصار المدرج المريني على أبي حو العبد الوادي صاحب تلسان سنة ٧٧٢ هـ

(٢) يريد : وجودها كعدمها . واستعمل لإعدام بمعنى عدم .

90 أنتَ الَّذِي تَرِثُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 مِنْهَا سِوَى مَا حَازَهُ أَرْجَاهُهَا ! (١)
 لَكَ مِنْ سَعُودِ « الْمَشْتَرِي » مَا شِئْتَهُ
 وَلَهَا نَحُوسٌ ذَلَّتْهَا بِهَرَامُهَا (٢)
 إِنْ الشَّقِيَّ وَإِنْ تَوَلَّيْتُ مُجْتَفِلًا
 فِي النِّتَازِحَاتِ كَمَا يُرَاعِ نَعَامُهَا
 لَتَسُوقَهُ الْأَعْرَابُ خَادِمَةً بِهِ
 وَيَقُودُ نَاقَتَهُ إِلَيْكَ زِمَامُهَا !
 وَيَحُلُّ حَيْثُ مَضَى الذِّينُ، تَتَقَدُّمُوا
 طَوْعَ السِّبْوَفِ هَوَى بِهِمُ الْخَامُهَا
 95 مَوْلَايَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَمَنْ لَهُ
 تُحْدِي الرِّكَائِبُ وَالرَّجَاءُ خِطَامُهَا
 يَا ابْنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ الْمَلِكِ الَّذِي
 دَانَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلُوكِ ضِخَامُهَا
 نَجْلُ الْإِمَامِ أَبِي سَعِيدٍ ذِي النَّهْيِ
 وَالْكَفِّ تَطْمَعُ بِالْعِطَاءِ رِهَامُهَا (٣)
 نَجْلُ الرَّضَا يَعْقُوبِ ذِي الْمُلْكِ الَّذِي (٤)
 مَلِكُ الْبَسِيطَةِ فَاِسْتَقَامَ أَثَامُهَا

(١) أَرْجَامُ ج رَجَمَ : الْقَبْرُ .

(٢) بِهَرَامِ الْمَرِيخِ . وَلِلْمَشْتَرِي وَالْمَرِيخِ عِنْدَ الْمُتَغَلِّينَ بِالنُّجُومِ دَلَالَاتٌ وَلَهُمْ فِيهَا ادْعَاءَاتٌ .

(٣) الرَّهَامُ جَمْعُ رَهْمَةٍ وَهِيَ الْمَطَرُ الْخَفِيفُ الدَّائِمُ .

(٤) أَبُو سَعِيدٍ عُمَانُ وَيَعْقُوبُ الْمَرِينِيُّ الْمَنْصُورُ، مِنْ سُلَاطِينِ الْمَرِينِيِّينَ الْمَشْهُورِينَ .

خُذْهَا إِلَيْكَ مَدَائِحًا أَهْدَيْتَهَا
كَلْزَمَرٍ يُطْلَعُ زَهْرَتَهَا أَكَامُهَا
100 حَمَلْتُ شَذَا أَوْصَافِكَ الْفُرِّ النَّقِي
أَرَجَتُ^(١) بِعَرَفٍ ثَنَائِهَا أَيْتَامُهَا
وَاهِنًا بِبِلَادِ الرَّسُولِ مَسْرَةً
تَخَفَّتْ عَلَى دِينَ الْهُدَى أَعْلَامُهَا
وَاخْلُسْتُ وَدُمَ مَا خُلِّدَتْ أَمْدَاحُهَا
كَالْمِسْكِ يَنْفَعُ بَدْوُهَا وَخِتَامُهَا

الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان رحمه الله (*):

يكنى أبا الفضل . وأدركته ، ورأيت . ومولده بمالقة ، بلده ، وكتب
لأمير المؤمنين [٦٩ / أ] المتوكل على الله أبي عنان فارس .

حاله - رحمه الله - :

كان بالحديث عارفاً ، وعلى درسه عاكفاً ، ولرجالاه واصفاً . مع معرفة
بالأصول والفروع ، ومشاركة في النحو واللغة ترويحاً . إلى بهاء وصباحة ،
وحسن رواء وسماحة .

(١) لم تظهر الكلمة في « م » والمثبت من « ط » .

(*) ذكره المقرئ في نفح الطيب ٧ : ١١٨ ، ونقل مساجلات شعرية بينه وبين أبي إسحاق
ابن الحاج النميري الفرناطي .

فمن إنشائه البارع ، ما كتب به لخدمته أمير المؤمنين المتوكل على الله
أبي عنان ، والتزم في كل منها بالسين . تقدست أسماء السميع . سعود
ميد السلاطين متساعدته ، وسريرته لسنن السنة السمتحة مساعدته ،
ومتنا مناته (١) استنار الإسلام بحسن سيرته السنية ، وتسرى بالبسيطة
سبب تحاب إحسانه ومماحته السخية ، وتما بسنام سفح السؤدد
بحمامه النامخ سبيل البأس والبؤس ، وصبق بنفسه النفيسة سطور
العساكر ، وعساكر الطروس ، فحسبك استنباط السفن بالمراسي المحروسة ،
وإسفاف الرتل بتوابغ الحنات الجسيمية المفرؤسة . فيستفتح
بأسنة سمره ، وسمر أسنته رسوم الأندلس الدارسة ، وبه يسلك سبيل
سلفه (...) (٢) ، المستنيرة بسنام السدف الدامية . فشمس السرور
بسماء مسرته مستنيرة ، وسعد السعد بتسنني سؤله ساطعة مستديرة .
ومجالس أنسه منفسحة الآسام والمسالك ، وسلسيل السول بساحة مماحته
يستعليها النامك والسالك . وسائل إسفافه السابغ ، القاسم سليل
يوسف (٣) مسترق سلطانه ومستمنح إحسانه . ساعد سلطته السامية الإسعاد
وساعفها السرور المستفاد . والسلام المتسق السلك ، المنقسم المسك يسري
للمجاس السعيد الأسمى [٦٩ / ب]

(١) أقرب ما يمكن أن يقرأ فيها .

(٢) كلمة طمست في «م» ومكانها بياض في «ط» .

(٣) يشير إلى اسمه : القاسم بن يوسف .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى وكاتب الأشغال السلطانية
علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي (*) .

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ورأيت . ومسقط رأسه تلمسان ، وأصل
سلفه من الأندلس من بني سعود . والقادم من الأندلس على تلمسان أبوه محمد .
والد جده الفقيه موسى بن سعود ولي قضاء أدله (١) بالأندلس في دولة أسلافنا الملوك
بني نصر . ثم ولي بها القضاء بعده ابنه الفقيه أحمد ؛ ثم ارتحل أحمد إلى غرناطة
فاستوطنها ، واستخدمه جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا
أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا الأمير أبي
الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر
محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ، في الأشغال السلطانية ،
ثم ارتحل عن الأندلس إلى بر العدو ، واستقر بتلمسان هو وولده محمد ،
فاستوطنها إلى أن توفي بها .

واستكتب الملوك من بني زيان بحضرتهم من تلمسان لولده محمد وقلده

(*) ترجم له ابن الأحرار في مستودع العلامة « ٦٢-٦٤ » ، واسم جده فيه « مسعود » ،
وقال إن نقرأ من آباءه تولوا القضاء بالأندلس ، وإن والده انتقل من الأندلس ، واستقر
بتلمسان . وذكر ابن الأحرار أن المترجم به كتب في حضرة بني عبد الوادي أولاً ، ثم
استقر كاتب أشغال في حضرة بني مرين . وتحدث عنه ابن خلدون في « التعريف ٤٣ »
وفسر عبارة كاتب الأشغال السلطانية حين وصفه بأنه « صاحب ديوان العساكر » .
وقد أسندت إليه كتابه العلامة بالإضافة إلى منصبه السابق في دولة السلطان أبي سالم
إبراهيم بن أبي الحسن المريني .

وانظر في ترجمته درة البحال وجذوة الاقتباس لابن القاضي .

(١) أدله: فيها .

وزارتـه السلطان أبو زيان محمد بن السلطان عثمان ابن السلطان
يغمراسن بن زيان. ثم قلده منهم كتابة الأشغال السلطانية أمير المؤمنين العادل
بالله أبو تاشفين عبد الرحمن ، ثم استكتب بنو زيان بحضرتهم ابنه الفقيه أبو
الحسن (١) علي هذا وقلده منهم خطة الأشغال السلطانية أمير المسلمين المتوكل
على الله أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يغمراسن بن زيان .

واستكتبه أيضاً في الأشغال السلطانية بالحضرة المرينية أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبو عنان فارس بن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي
سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، وابنه
أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ، وعمه أمير المسلمين المستعين بالله
أبو سالم إبراهيم ، وهو الذي قلده خطة القلم الأعلى مضافة إلى الأشغال
[السلطانية] (٢) [٧٠ / أ] بطول دولته .

وقلده أيضاً منهم الأشغال أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو زيان محمد ،
وعمه أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز ، وابنه أمير المسلمين السعيد بالله
أبو زيان محمد .

حاله - أكرمه الله -

هو فارس ميدان الحساب ، وحامل راية الآداب والأنساب ، ورئيس
النحويين وعلمم اللغويين . ولديه من الأصول حظ وافر ، كما وجه الفروع له
سافر . وخطه ينسب ابن مقلة في تنميقه ، وشعره يسكت المرقش في ترويقه .
وقدمه في الكرماء أرمخ من أبي قبيس وفضله بنسى فضل الأمير دبيس !

(١) في النسختين « أبو الحسن علي » .

(٢) لم ترد في الأصلين .

أنشدني لنفسه يمدح ملك المغرب أمير المؤمنين
المتوكل على الله أبو عنان (١)

هو الدين عزّ اليوم بالنصر جانبُهُ
وذلك مُناوٍه وهان مناصبُهُ
وكنّا من الإشفاق في مدلهمة
تجلّت بمرآك السني غياهبُهُ
وربّ تغويّ كان يخفي نفاقَهُ
وفي ساعة (الإيجاف) (٢) دبت عقاربُهُ
أذقتهم وبال البغي إن قتالهم
جهادٌ ولا عهدٌ لديهم تراقبُهُ
5 وأرسل عليهم من جيوشك عارضاً
بصائبه النشاب يُمطر حاصبُهُ
هو اللّيل والزُّرق الطّوال نجومُهُ
هو السّيل (٣) والبيض القصار مذانبُهُ
إذا أمّ أرضاً دوختها سلاهبُهُ
وإن رامّ أمراً وصلته قواضبُهُ
وقد وثقت طيرُ الفلاة بغارة
لحوم الأعادي فهي بمنّ تَصاحبُهُ

(١) فيها « أبو عنان » .

(٢) في النسختين : الإجاف . وما بين قوسين مقترح ، على أن مصدر « وجف » بمعنى
اضطرب لا يكون على إيجاف ، كما في القاموس .

(٣) فيها : والسيل ، وظاهر أن المقصود مثل ما أثبت .

وكم لك من يوم أبدت به العدا
 بالسنة الأعماد تشلى مناقبه
 10 إذا خط رُمح الخط في معرك الوغى
 أذاك ظهير الفتح والنصر كاتبه
 أقام بك الله الخلافة بعدما
 وهنت وعماد الدين إذ هدأ جانبه
 وناضلت عن دين الهدى غير مقصر
 فعزيز، ولولا أنت عز مغالبه

[٧٠ / ب]

فتتجيع الأملاك غيث بينكم
 فيرجع كل مشيات حقائبه
 وكم ملك سوغته الملك منعم
 فلما بنى قامت عليه نوادبه
 15 تسالم من قد أوجب الشرع سلته
 وتقطع في نصر الهدى من يناصبه
 فيا سعد من سالتموه فقد نجى
 وبأويل من كانت تمرين تحاربه
 فهل من قبيل لم يسده أميرهم
 وهل من بلاد لم تسدها كتابه
 أجلتك أملاك الزمان لعلمهم
 بأذك شمس والملوك كواكبهم
 وأفذ كل رسله لمقامكم
 ونيل رضاكم مؤله ومآربه

20 فندم لرجا راج وتأمين خائف
ونصرة مظلوم تضيق مذاهبه
وأيدك الرحمن فيما ترومه
ويسر من قهر العدا ما تطالبه

الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تادراوت (*) .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ومسقط رأسه مالة ، وأصل نسبه
من تونس . وعبر البحر من الأندلس إلى العُدوة يكتب في الحضرة المرينية
في دولة أمير المسلمين أبو الحسن .

حاله - رحمه الله - :

كان ممن برز في الكتابة ، وأصاب في الشصح كل الإصابة . وارتقى من
المفاخر مرقى لا يطرق . وحاز من الكمال ما ليس يلحق ، مع البهاء البهي ،
والجلاء الجلي ، وحسن الصحبة وكرم الخيتم ، وطهارة النسبة .

فمن قوله ، وكتب به من إطرابلس إلى صاحبه الفقيه الكاتب صاحب
القلم الأعلى أبي القاسم بن رضوان النجاري (١) :

(*) ترجم لسان له في الكتيبة الكامنة « ٢١٣ » ، وترجم لأخيه أبي علي حسين بن عبد
الحكيم ، وقال في أثناء التعريف به « ٢٠٧ » : التينملي ، المحسوب من الاندلس لولادته
بها ، كان أبوه من قسنطينة . ووصف المترجم به بأنه فاضل من الفضلاء ، اشتغل
بالكتابة والقضاء . ونقل له قطعة شعرية في غرض الرثاء قال فيها إنه لم يسمع له غيرها .
وعلى هذا فإن المترجم به مقل في غرض الشعر يشارك فيه مشاركة عارضة .

(١) سبق التعريف به والترجمة له .

سَلْ قَلْبَكَ المصدوعَ من بعدي
ماذا لقيتَ لحادثِ البُعدِ

[٧١ / ٢]

فلديهِ من ذاكَ الحديثِ - متى
تَسألُهُ - ما أخفي وما أبدي

وإذا شرفتَ ببلحِ دمعكَ مِن
أسفِ عليّ علمتَ ما عِندي !

الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزناني (*) .

يكنى أبا العباس ، وأدركته . وكتب في حضرة أمير المسلمين أبي
الحسن علي ملك المغرب .

(*) هو أبو العباس أحمد بن شعيب الجزناني ، التازي الدار ، تزيل فاس . كما في نثر
فرائد الجمان ، غير أن ابن خلدون عده في أهل فاس ، وقال في التعريف : ٤٨ : « برع
في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها » . وكان كاتباً
لدى السلطان المريني أبي سعيد وطيباً ، واستمر على ذلك عند أبي الحسن المريني .
وكان المترجم به - إلى ذلك - شاعراً متقدماً ، وثاقداً بارعاً ، وعبارة ابن خلدون في
ذلك تدل على مكانة عالية له في كلا الفنين ، قال « وله شعر سابق به الفحول من المتقدمين
 والمتأخرين وكانت له إمامة في نقد الشعر وبصر به » ؛ ووصفه ابن القاضي في
درة البحال بالنحوي .

وكانت وفاة المترجم به في تونس ، في أثناء الطاعون الجارف الذي اجتاح الأندلس
 والمغرب ومناطق أخرى في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يحدد ابن خلدون سنة وفاته ، وأرخها
 ابن الأحرر في نثر الفرائد بسنة ٧٥٠ هـ ، وقال ابن القاضي إنه توفي سنة ٧٤٩ هـ .

(انظر في ترجمته نثر الفرائد : ٣٣٥ ، ونيل الابتهاج : ٦٨ ، والتعريف لابن خلدون :
 ٤٨ ، وجذوة الاقتباس ٤٧ ، ودرة البحال ١ : ٤٥) .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان عالماً بالحساب ، حافظاً بالأنساب ، عارفاً بالطب والنجوم ، كما كان له في الشعر النجوم !

فمن قوله :

يا غائباً في الضمير ما برحنا	إني محل (١) الهوى وإن تزحنا
لم تضر الصبر عنك جارية	ولا فتواذي لسلوة جنحنا
مستعبر المزن فيك أدمع	يظل يبكيك كلما سنحنا
ولا أرى البرق عاد مبتسماً	بعدك بل زند شوقه قدحنا
وما تغنى الحمام من طرب	بل يعلن النوح كلتها صدحنا

القصيدة الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني (*) :

يكنى أبا الحسن ، وأدر كته ، ورأيت ، وكتب للملوك من بني مرين

بحضرتهم .

وكان أبوه عبد الله (**) هو الذي نجم في بني أبي مدين في خدمة الملوك من بني مرين . قلده الحجابة ورياسة الكتاب ، وكان أحد الموصوفين

(١) كذا فيهما .

(*) تحدث ابن خلدون في « التعريف » وابن الأحرار في « مستودع العلامة » عن أسرة بني أبي مدين ، فقد كانت أسرة علم واشتهار بالخدمة السلطانية . ونص ابن خلدون « من » . أنه كتابة العلامة كانت مقصورة على هذا البيت . وقد ألم ابن الأحرار في هذا الكتاب وتثير الجمان بذكر فقر من مشهوري هذه الأسرة ، وتعد أخباره عنه وإشاراته مصدراً أساسياً عنهم لاستفاضة في بعض تراجمه ، وتقصيه ، ومما صرته ، ومعرفة بمضمون معرفة شخصية .

(*) انظر ترجمة لعبد الله بن أبي مدين في مستودع العلامة : ٤١ ، والتعريف ٤٠ .

بالكرم الفائق ، كانت عطاياه هُنَّسِدَات (١) .

أخبرني بفاس غير واحد ممن رآه أن عطاياه كانت من خمسين ديناراً ذهباً ، إلى مائة دينار مثلها ، إلى أكثر من ذلك .

ومرلده بقصر كتامة (٢) ، ونشأ بمكناسة الزيتون (٣) ، وبها قرأ القرآن وتفقّه ؛ فتعلق بخطّة [٧١ / ب] ، التوثيق ، وسكنها مدة . ثم ارتحل عنها إلى فاس فأقام بها موثقاً بسباط شهودها ، وكان أصل قربه من دار السلطان أن الوزير أبا علي عمر بن الوزير السعود بن خرباش الحشمي (٤) طلب من قاضي مكناسة في حينه كاتباً لنفسه يكون حسن الحظ ، فعرفه بعبد الله هذا ؛ فاستكتبه . وانتقل بعد وفاة الوزير عمر بن السعود لقراءة الحزب بدار أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . ثم تعلق بخدمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على يد (٥) . . . من كتاب الحضرة السلطانية اليعقوبية على يد صاحب قلمها الأعلى أبي عبد الله محمد الكناني . فلما توفي الكناني قدمه السلطان أبو يوسف للعلامة فكان يُعلم ، وأبو الطيب الكناني أخو المتوفى يعلم ، وأبو عبد الله محمد بن الربيب الكتامي يُعلم ، وأبو عبد الله

(١) الهنيدة المئة من الإبل .

(٢) قصر كتامة أو مدينة قصر عبد الكريم ، غربي مكناسة بانحراف إلى الشمال ، (انظر تقويم البلدان لأبي الفدا ١٣٣ ، والاستبصار ١٩٠) .

(٣) مكناسة الزيتون : مدينة بالمغرب « في المملكة المغربية » ، من نظر فاس إلى جهة المغرب ، وهي مدينة جبلية وكانت في معظم الأوقات مركز نشاط حضاري وعمراني . قال في الاستبصار وزيتها أكثر زيت في المغرب .

(٤) انظر الروض المعمار ٥٤٤ ، وتقويم أبي الفدا ١٢٣ ، والاستبصار ١٨٧ .

(٥) تحدث السلاوي عن بعض خبره في الاستقصا ٣ : ٧٥ .

(٥) بياض بمقدار كلمة في الأصلين .

محمد العمراني يُعلم ؛ مَنْ حضر منهم علم . فمات السلطان أبو يوسف ، وولي بعده السلطان أبو يعقوب يوسف فبقي كاتباً كما كان ، إلى أن استبد بأمر أبي يعقوب كلها ، وقلده الحجابة ورياسة الكتاب ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أبو يعقوب ، وولي بعده حفيده ابن ابنه ، أبو ثابت عامر . فبقي على ذلك إلى أن مات أبو ثابت وولي أخوه لأبيه أبو الربيع سليمان ، فبقي على ذلك إلى أن قتله أبو الربيع في عام عشرة وسبع مئة

وأبو مدين شعيب والد عبد الله كان منخرطاً في سلك المتصلحين، فصيح اللسان ، وكان يصلي في بعض الأوقات بالسلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. وليس هو أبو مدين شعيب بن الحسين^(١) الأنصاري الأشبيلي الأندلسي

(١) سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي ، اشتهر بشيخ المشايخ ، قال فيه أبو الصبر شيخ مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى . وقال التادلي : كان مبسوطاً بالعلم مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم بذلك . وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي وكان يقوم عليه . وكان يلزم كتاب الإحياء ويمكف عليه ، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الحال . وكان شيخه أبو يعزى بشي عليه جيلاً ، ويخصه بين أصحابه بالتمظيم والتبجيل .

قضى في الأندلس مدة من حياة الصبا ، ثم ارتحل إلى المغرب ، واستقر بفاس يتلقى علومه ويتعمد ويلتقي بالعباد الزهاد ، فأخذ عن ابن حزم وابن غالب وغيرهما . ولزم الشيخ أبا يعزى الفقيه الزاهد ، واستأذنه في الحج فأدى الفريضة ولقي سيدي عبد القادر الجبلاني ولبس منه الخرقة وقرأ عليه كثيراً من الحديث في الحرم . وعاد فاستوطن بجاية فاشتهر أمره وقصده الناس وطار صيته حتى وشى به بعضهم إلى أبي يوسف يعقوب المنصور الموحد فاستقدمه الأمير ورعى صاحب بجاية أن يرفق به ، فقال أبو مدين لأصحابه وتلاميذه - وقد تغيروا لطلب الأمير - أنا لأرى السلطان ولا يراني ١ =

نثر الجمان - ١٧

وليّ الله تعالى ، الذي دُفِنَ بالبُباد^(١) من مدينة تلمسان ؛ وإنما اتفق
الاسمان .

وهو من بني عثمان ، قبيلة ، يسكنون بقصر كُتّامه . وأبو الحسن هذا
كتب في حَضْرَةِ أمير المسلمين أبي الحسن ملك المغرب المريني . وكتب أيضاً
في حضرة أمير المؤمنين [٧٢ / أ] المتوكل على الله أبي عَينان .

حاله - رحمه الله -

كان قد تابَعَ والده في هديه ، ولم يتخطه^(٢) في أمره ونهيه . وحسب كاه في
بذل العطايا ، ولم يجد عن تلك السُّجّايا . وكان للقرآن حافظاً ، وعلى أوقات

=فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان فبَدَت لهم رابطة العباد فقال
لأصحابه: ما أصلحه للرقاد ! فرض فلما وصل وادي يسر اشتد مرضه ونزلوا به هناك
فكان آخر كلامه : الله الحق . وتوفي سنة ٥٩٤ هـ ، ودفن بالبباد في مشهد عظيم .
من كلامه : من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل ، ومن لم يجد من قلبه زاجراً فهو خراب .
وقوله : بفساد العامة تظهر ولاية الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجة الدين للفتان .
وقوله : من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه . وفي تراجمه الكثيرة أحاديث مطولة
عن فضائله وما ينسب إليه من كرامات ، ولم يظهر من أخباره ما يدل على أدهائه وطوله ،
والله تعالى أعلم .

(انظر تراجمه وأخباره في . التشوف لرجال التصوف للتادلي ٣١٦ ، ونفع الطبيب
للمقري ٧ ١٤٢ ونبل الابتهاج لأحمد بابا : ١٢٧) .

وَألف فيه ابن قنطاز القسنطيني كتاباً مستقلاً بعنوان : أنس الفقير وهز الحفير ط الرباط .
ولسيدي أبي مدين ديوان شعر لطيف الحجم ، طبع في دمشق ، وهو في حاجة إلى تحقيق
وإلى تخلص شعره وموشحاته من أشعار غيره .

(١) عباد تلمسان عند وادي يسر قرب تلمسان ، موضع معروف ، مشهور بالحسن وجمال
الطبيعة ، واشتهر بمد ذلك بضريح سيدي بومدين ، ثم أقيم إلى جانبه مسجد مشهور .
(٢) في الأصلين : يتخطاه .

قراءته محافظاً لآراءه^(١) إلا ثانياً ، كما كان للفواحش قالياً . وأبوه عبد الله هو الذي أشاد المعالي في قومه ، وأيقظ لهم جفئن الفخار من نومه . وساد بما أشاد من المفاخر ، ونشر بعطائه رداء السيادة الفاخر . أعطى وما أبطأ ، وأصاب في ذلك وما أخطأ^(٢) . وسطاً في حجابته بالظلام ، ورفع في رياسته من وضعته الأيام . وكان مكرماً بالشرفاء^(٣) ، رفيقاً بالضعفاء . عظيم الصدقات ، حليماً في السكون والحركات . كثير التواضع ، قليل التصانع .

أنشدني أبو الحسن المذكور لنفسه - رحمه الله تعالى - يتشوق :

يا سقى الله دهرنا المستقضي
من شأبيب دمع^(٢) المرقض^(١)
لو بيملك العراق أسعف دهر^(٣)
ما رضيت المقام في غير أرضي !
يا رسول الهوى^(٣) تحمل سلامي
للذي حال بين جفني وغمضي
وإذا مسا أثبتته فتادب^(٢)
فعلى الحسن حاجب غير مغض !
بديار الحبيب قلبي مقيم^(١)
وبدار النوى القصيدة بغيضي
شيمة الدهر فرقعة وتلاق^(٣)
كل ما فيه مؤذن بتقص^(١)

(١) واقرأ « أبطأ » و « أخطأ » بالتسهيل .
(٢) كذا عبارة المؤلف ، والأشبه : للشرفاء .
(٣) في الأصلين « دمع » ، ونرجح ما أثبت .
(٤) في الأصلين « الهدى » بالدال ، ونرجح ما أثبت .

إن مَضَى عَهْدٌ قُتِرَ بِنَا وَتَوَلَّى
 فَرَمَانُ الْبِعَادِ لَا شَكَّ يَمْضِي !
 وأنشدني أبياتاً كتب بها لأبيه الفقيه* الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو محمد
 صالح بن حجاج (*) وهي :
 يا سيدي لم أذم البارحة* من فكرة سائحة بارحة*
 إذ باتت النفس لأوطانها شقيقة* ونحوها جانحة*
 وكان في صُعبَةٍ مَنْ قد مضى لي أملٌ وممة* طامحة*
 حتى إذا ولَّوْا وأضحت بهم
 ركابهم غادية* رائحة*
 قنطت* حتى لم أجده* سلوة*
 إلا بتلك الغرة الواضحة*
 كذلك حالي إن نأت* سلوتي
 بكم أرد* سلوتي الزاحمة*
 وإنما المقصود* يا سيدي
 جوابكم فكُنْ إذن مانحة*
 بالنظم أو بالنثر إن شئت*
 تلكَ فَعَالٌ كلُّها صالحته !

(*) كاتب العلامة الفقيه أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبكي ، كاتب علامة السلطان
 عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب. وقد وصله ابن الأحرر في مستودع العلامة
 بأسرة بني حجاج الذين كان لهم نفوذ بإشبيلية أيام الدولة المروانية .

(انظر مستودع العلامة : ٤٩ ، وروضة السربين ٢٤) .

فأخبرني أن أباه جاوبه بقوله :

تَشَمَّتْ مِنْ رَيْنَحَانِهَا رَائِحَةً
لِمَسْكِ دَارِينْ غَدَتْ فَاضِيَعَةً
أَبْيَاتُ شَعْرِ أَشْعَرَتْ أَنْهَاهَا
لِذِي وَدَادِ خَالِصِ مَادِحَةٍ
قَدْ نَفَثَتْ سِحْرًا وَلَكْنَهَا
صَادِحَةً بِالْبَثِّ بَلْ بَائِحَةٍ !
وَرَاعَنِي تَخَطَّ يَرَاعِ غَدَا
مُقْلَمًا زَنْدَ الْأُمَى قَادِحَةٍ
لَا أَمَلْ بِالْبَيْنِ وَلَا مَرْحَبَا
جِيرَاحُهُ مَا غَادَرَتْ جَارِحَهُ
يَا فَارِقًا مِنْ فَرْقَةٍ غُرْبَةٍ
أَمْسَتْ لَهَا سَلَوْتُهُ فَاِزْحَهُ
هُونَ عَلَى نَفْسِكَ مَا هَالِكَا
فَإِنْ عَشِيَتْ صَبْرُهَا فَاجِيحَهُ
سَتَحْمَدُ الْحَالَةَ يَا صَالِحَ
عَمَّا قَرِيبِ وَتُرَى صَالِحَهُ
بِفَضْلِ رَبِّ قَادِرٍ لَمْ تَزَلْ
الطَافُ غَادِيَّةٌ رَائِحَةً

ابن عمه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى محمد بن محمد ابن
أبي مدين (*)

يكنى أبا المجد ، وأدركته ، ورأيت . وكتب في الحضرة المرينية . ثم
كتب العلامة [٧٣ / أ] لأمير المسلمين أبي الحسن علي المريني في حين
كان يجبل عامر بن محمد الهنتاني .

حاله - رحمه الله تعالى -

كان شاعراً أريباً، وطالبا ليلاً . ذا سميت جسيم ، وظرف شكل وسيم .
أنشدني لنفسه :

عزّ نصبري ولم أكُنْ بالجَهُولِ
عندما آذَنُوا لِشَدِّ الحُمُولِ

ها أنا في الطُّلُولِ أرسِلُ دَمْعاً
ليس إلا به شِفَاءُ العليلِ

لم تكن أدْمَعِي بأَوَّلِ دَمْعٍ
طلَّتْهُ العاشقونَ بَيْنَ الطُّلُولِ

فدموعي الغِزارُ طوفانُ نوحٍ
وضُلوعي الحِرارُ نارُ الخليلِ

(*) وصفه في مستودع العلامة بأنه كان غزير الأدب ، جم الحياء ، وقال إنه كتب في
حضرة السلطان أبي الحسن المريني ثم كتب له العلامة يجبل هنتاته «مستودع العلامة: ١٦»

٥ لهبوب الشمال ملت ارتياحاً
فكأنني شربت كأس شمول

والتزام الربوع صير جيمي
مشبهاً منهم إكل نجيل

آه مما أضرت بي من غرامي
واشتياقي ولوعي وغليبي

سادتي هل إلى الوصال سبيل؟
إنّني لم أجد له من سبيل !

إن أمت في الهوى فغير نكير
كم لها في ذوي الهوى من قتيل !

10 فارحموا من شكا لغير رحيم
بعدكم واستنال غير منيل

نال عزاً بكم وذل لديكم
فاعجبوا منه للعزير الذليل !

وبشوقي بعث قلبي رسولا
فارفقوا ؛ لايحل قتل الرسول

أنا عبد لكم على كل حال
كنتم ؛ ليس لي بكم من تبديل !

أخوه الفقيه الكاتب شعيب بن محمد

ابن أبي مدين شعيب بن مخلوف العثاني (*) :

يكنى أبا مدين ، وأدركته .

وهو ابن أخي الفقيه الوزير الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الله بن أبي مدين المذكور أولاً . وكان أبوه محمد قد كتب [٧٣ / ب] العلامة لأمر المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

وشعيب هذا كتب في الحضرة المرينية ، وامتحنه أمير المسلمين أبو الحسن - رحمه الله - وأسكنه دار السجن سنين طائلة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان ممن أصفق الإجماع على براعة نظمه ، وتوقع في الأسماع إجادة فهمه . كثير الارتياح إلى الآداب ، شديد الكلف بمعرفة الأنساب . عظيم الثروة ، عيم الخطوة . وكان في الدار السلطانية رفيع الجاه ، ثم إن الدهر أضاعه وأجلاه . والدهر لا يبقني على حال ، وتصرفاته كم لها من قبيح أفعال . وقلب له الجحش ، وأورثه بجوره المبحش ! وسكن السجن من قبل السلطان ، لأمر أبغضه الله ، وأحبه الشيطان !

(*) نعرف من أسماء أبناء أبي مدين شعيب العثاني - بحسب ما في مستودع العلامة والتعريف بابن خلدون - كلا من عبد الله ، وأبي القاسم ، ومحمد الحاج ، ومحمد القصري . وفي أولاد هؤلاء عدد سموا بـ « محمد » . ووالد شعيب المترجم به هنا هو محمد الحاج بن أبي مدين كاتب علامة السلطان عثمان بن يعقوب . ولم أقف على ترجمة لشعيب هذا . وفي نيل الابتهاج لأحمد بابا ترجمة لشعيب بن محمد بن جعفر بن شعيب (٧٢٧-٧٧٥) وقال إنه غادر إلى المشرق ، واستقر بجماة . ويكون لأبي مدين - على ما نقل أحمد بابا - ولد آخر هو جعفر

(نيل الابتهاج ١٢٩ ، وروضة السرين ٢٤ ، ومستودع العلامة ٤٤)

فمن قوله - رحمه الله تعالى - :

كم باتَ طيفُك بالزور له يُغرِني
وأَسْهُمُ الوجدِ لا تُخطي وتُصمِني
لياليساً سَلَفَتْ نَادَمْتُ سُدَّ قَتَّهَا
يَغِيبُ في اللَّيْلِ أحياناً وَيَبْرِينِي
كم وقفةٍ لي في أَطْلَالِهِمْ سَحَرًا
حَيَّتْ فيها نَسِيمًا كان يُحْيِينِي
ونشقةٍ من نَسِيمِ الرَّثَدِ نَمُّ بِهَا
عَرَفُ الصَّبَا نَفَحَتْ بِالْخُرْدِ الْعَيْنِ
5 رَصَدَتْهُمْ في النِّقَا وَالْجِزْعِ من إِضْمٍ
رَصَدَ الْعَيْدِ لِأَبْوَابِ السَّلَاطِينِ
أَمَا لَهَا نَظْرَةٌ مَا إِنْ شَعَرْتُ بِهَا
حَتَّى عَرَانِي حَبْلٌ غَيْرُ مَأْمُونِ
يَا سَاكِنَ الْجَزْعِ أَعْيَانِي النَّدَا فَمَتَى
أَرَاكَ يَوْمًا مِنَ الدُّنْيَا تَلَسَّبْتَنِي ؟
مَنْ لي بِنَظْرَةٍ خَلَسَ في مَحَاسِنِهِ
أَجْنِي بِهَا الْوَرْدَ بَلْ كُلُّ الرِّيحِينَ
ظَنِي تَفَلَّتْ من نَعْمَانٍ ثُمَّ غَدَا
يَزُورِي بِأَهْلِ النَّهْيِ وَالْعَقْلِ وَالدِّينِ
10 لو أَنْتِي بَعْتُ دُنْيَايَ وَزُخْرُقَهَا
بِنَظْرَةٍ مِنْهُ مَا يَبْعِي (١) بِمَفْضُونِ !

(١) يقال باعه إذا باعه وإذا اشتراه (ضد) .

ولو بذلتُ لهُ ذَفْسِي وما ملكتُ
لِللمحةِ عَرَضَتُ ما كانَ بالدونِ

[٧٤ / أ]

فقيسُ لَسِيلى وغَيِّـلان وشِيعَتُهُ
وكلَّ ما رسموا من وَجْدِهِمُ دُونِي^(١) !

ابنه الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب
ابن محمد بن أبي مدين شعيب (*) :

يكنى أبا يعلى ، وأدركته ، ورأيتُه ، وكتب في حضرة أمير المؤمنين
المتوكل على الله أبي عيسى فارس ملك المغرب ، ونال لديه جاهاً مكيناً . ثم
امتحنه بسبب الحاجب الرئيس الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد
الله محمد بن أبي عمرو التميمي الهنة العظيمة التي أدخلته رسمه ، واعتقله
بالسجن ، وبه مات مقتولاً في عام اثنين وخمسين وسبع مئة .

حاله - رحمه الله -

كان من أهل البراعة في الكتاب ، ومن أولي^(٢) النظم البديع الأسباب .
صفت موارِدُ شعره ، ورق نسيمُ نثره وتدفقت جداولُ بلاغته ،
واعتنقت نواسمُ فصاحته . ولا مزية في أن بهاءه يختلبُ العقول اختلاباً ،

(١) في الأصلين دون ونرجح ما أثبت .

(٢) في « م » من أول

(*) ترجم له ابن الأحرار في نثر الفرائد « ص ٣٤٧ » ، ولم يكد يزيد في المعلومات عما
ذكره هنا . واختار له قصيدة أخرى ، ونبه إلى أنه كان يجيد قرض الشعر .

وسناه يحتلبُ النفوس اجتلاباً . ومع ذلك فكان مجازياً للتغوى ، وفي براعة الخط بعيد الشار .

أنشدني لنفسه :

ألي في سِدرة^(١) الوادي مَقِيلُ

غداة شكتُ لبَيِّنِهِمُ الطَّلُولُ

حداة الصيِّس رِفْقاً بالمَطَايا

فقد أودى بها السَّيرُ الذَّمِيلُ^(٢)

وعُوجي بي على العَلَمَيْنِ حتَّى

يروِّي مُرَبَّها الدَّمْعُ الهَمُولُ

لقد رُمْتُ الصَّبْرَ يومَ تَطْطُوا

وإثرهمُ نأى الصَّبْرُ الجميلُ

5 وقد بانُوا فلم يُقْضَ اجتماعُ

ولم يُشَفَّ بِقَرَبِهِمُ الغَلِيلُ

وإن ذقتُ الهوى مُرّاً فقلبي

تجرَّع منه علقمه « جميل » !

فلاستُ بأولِ الباكين فَنَدَا

على الأحبابِ مُذْ قَرُبَ الرَّحِيلُ

(١) السدر : شجر النبق .

(٢) الذميل : السير اللين أو مافوق العنق (بفتح النون) .

[٧٤ / ب]

أحببهم وأعجب ما تراه
فَتَوَلَّ ظِلَّ يَهْوَاهُ الْقَتِيلُ
فلا تَسْلُنِي (١) كيفَ الحالُ صحي
فَشَرَحَ الحالَ بَعْدَهُ يَطْوُلُ
10 أَحْبَبْنَا احْفَظُوا قَلْبًا لَدَيْكُمْ
غدا ما بَيْنَ أَرْجُلِكُمْ يَحُولُ !
أَقَمْتُ عن الرَّحِيلِ بلا اختيارٍ
وَقَصَرَ عَنْكُمْ الطَّرْفُ الْكَلِيلُ
ألا ياليت شعري أيَّ يومٍ
يُرى للظَّاعِنِينَ بِهِ قُفُولُ
فَبَعْدَكُمْ تَشْكِي الصَّبِّ وَجُوداً
وَقَلُّ لَه المَسَاعِدُ وَالْكَفِيلُ

الفقيه القاضي الكاتب علي بن محمد
ابن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (*)
يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيت .

(١) في « م » تسألني وفي ط تسلني .

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الصباغ العقيلي . ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة
والتاج ، ونقل تراجمه هذه عنه صاحب النفع كما ترجم له ابن الخطيب في الكتيبة
الكامنة « ٢٢٨ » وقال في ترجمته في الإحاطة « إنه من أهل الفضل والسرارة
والجزالة اشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ، ومشاركة في
فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة ممتعة ... » .

(نفع الطيب ٦ : ٢٥٨ ، والكتيبة الكامنة : ٢٢٨) .

وهو من أهل غرناطة ؛ من بيت أصالة وخدمةٍ لأسلافنا الملوك من بني نصر في محلّ الوزارة .

وكان أبوه محمد قائد المناهل بمرج غرناطة في دولة أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عمّ أبينا بن جدّنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدّنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدّنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشير بالأحمر بن جدّنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر الخزرجي .

وابنه الفقيه أبو الحسن علي هذا أبرز عدلاً في سماء الشهود من غرناطة واستنابه بعض قضاة الأندلس فأبدى هنالك جزالة وصلابة في الحق ، شهدت له بالجلالة .

أخبرني مخبر صدق أنه لم يقبل شهادة بعض عدول ذلك الموضع ، فعظم ذلك عند الناس ، وأكبروا هذا الموقع ، فقبل له في ذلك ، فقال : كل يعمل على ما يتقرر عنده !^١ ثم انتقل إلى العدو - لأشياء حذقناها لطولها - فتلقى هنالك من ملكها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان رتبة التبجيل والقبول ، واستعمله في أعمال ظهرت فيها نجدة ، وشكرت خدمته ، وارتسم [٧٥ / أ] في ديوان كتابه ، حتى إن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان حين طلع إلى بلاد إفريقية في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة تركه بالمدينة البيضاء - دار الإمارة - مع ولده الأمير أبي زيد عبد الرحمن ناظراً له في أموره . وكانت كتب أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ترد عليه من فلان إلى فلان . أطلعني على ذلك ابنه ^(١) الفقيه العدل أبو عبد الله محمد صاحبنا

(١) ابنه من « ط » وأحال على كلمة في الهامش في « م » لم تظهر في الصورة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

واحد الدنيا رُجلة ووفاء ، ومعول الأصحاب عزماً ومضاء ، وأطيبهم
ذكراً وأضوعهم ثناء ، وأصدقهم لهجة وصحبة وولاء .

كاتب ناظم ، وبحر علوم موجه متلاطم . (ماشئت)^(١) من إيضاح
معقول ، توقل^(٢) طود له إشكال ، واشتباه حقت نقطه والأشكال .
وتأييد في إلهام ، لتنوير الأفهام . واسترقاق لألباب بحلال السحر اللباب .
ولرقاب بأباد لا تعفيها تعاقب الأحقاب . شاهدت من تكلمه في تأليفه المترجم
بـ « جليس الأديب » ، وأنيس الغريب « ما يُنبئ عن رسوخ قدمه ،
وتقدمه .

وأخبرني والدي - رحمه الله - من أصالته ما شهد به الاختبار على
قدمه فإنه من بيت نباهة ووزارة ، وخدمة من القيادة لأسلافنا بادية الإنارة .
وأبو الحسن هذا هو الذي^(٣)... وبرز مع حذاق 'مديري فرقه'^(٤). عكف
ببلده على كتب الشروط إبان الشبيبة ، وبرز عدلاً مع أعلام تلك الكتبية .
واستنابه بعض قضاة وطنه ، فأثار العدل من مكمنه ، وقهر المتكبر في مأمنه .
عبر البحر قاصداً حضرة السلطان أبي عنان ، بعد ذكره بذلك المكان ، في
غرض الإصابة والإحسان . فترقى لديه من الخطوة مرقاة ، واستنارت ذاته
من اعتنائه بمشكاة . واستعمله [٧٥ / ب] في الرسالة تنبيهاً على ماله من

(١) في الأصلين : ماشئت ، (بالسين المهملة) ورسم الهمزة على ألف « ماسأت » ونرجس
ما أثبت . والعبارة كما ترى

(٢) وقل في الجبل وتوقل : صعد .

(٣) فراغ في الأصلين بمقدار نصف سطر .

(٤) العرقف : الخمر .

الجلالة . وتوفي في خدمته منوهاً ، ومن لحظه مرفها . امتدحه بقصائده غر ،
وأثنى عليه ثناء يفوق الزهر والزهر

فمن ذلك ما أنشدني له ابنه محمد ، ونقلتها أيضاً من خطه ،
يمدح أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان فارس عند وقبته
بسلطان بن عبد الوادي أمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان^(١) ، وأنشدها
إياه ليلة يوم الإثنين التاسع لذي حجة ثلاث وخمسين وسبع مئة

بُشْرِ لِدَوْلَتِكَ الْغُرَّاءِ فِي الدُّوَلِ
حَبِطَتْ بِهَا الْمِلَّةُ الْبَيْضَاءُ فِي الْمِلَلِ
أَنْتَ الَّذِي صَنَعْتَ أَيْدِي الْقَضَاءِ لَهُ

مَا لَيْسَ تَصْنَعُ أَيْدِي الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ
بِاخْيَرٍ مُتَنَصِّرٍ بِاللَّهِ مُتَعَصِمٍ
عَلَيْهِ ، مُعْتَمِدٍ فِي الْأَمْرِ مُتَكَلِّمٍ

لِلَّهِ مِنْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَا
بَدَتْ بِأَحْسَنِ^(٢) مَرَأَى الشَّمْسِ وَالْحَمَلِ

وطلعة أطلعت سعد الشعود لنا
ورتبة الملك تعلو عن ذرى زُحَلِ

مؤيد العزم والآراء مُحَكِّمَةٌ
تزينت بِسَدَادِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

(١) انظر في تفصيل الحادثة في الاستقصا للسلاوي ٣ ١٨٢ .

(٢) في النسختين : من مرأى . ولعله كما أثبت .

- مَلِكٌ تصوّر في شكل الوّرى وله
 خليفة المَلَكِ المخصوص بالرسْلِ !!
 فرحمة لأولي التقوى تعمهم
 ونعمة لنوي العُدوان والخطل
 كم فتنه أخذت فييراتها يده
 بما أراقت عليها من دم هطل
 10 ونعمة سدلتها لم تدع بشراً
 حلت فلم تُحص بالتفصيل للجمل
 وضيق فرجتها عن صدورهم
 عزائم منه ما خامت (١) ولم تحل
 ومن مُسيء وسرّ العفو يؤمنه
 من الخاف فلم يُدعر ولم يسل
 ومن جيوش أزيلت عن مواقفها
 حق رأتُهُ فلاذت منه بالجبل
 كم ثبت الله من جأش بموقفه
 وخلّص الله من هول ومن وهل
 15 وسل بني عابدي الوادي غداة عتوا
 وقد أتوا بعظيم المكر في الأصل (٢)

(١) خام : نكص وجبن .

(٢) قصد أبو عنان المريفي يريد تلمسان لرد طاعة أهلها وإخضاع بني عبد الوادي رؤسائها .
 قال السلاوي « وأجمع بنو عبد الوادي على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب
 الأبنية وسقاء الركاب واقتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فعملوا عليهم . . . » وقد
 انتصر أبو عنان عليهم ، وتقبض على أبي سعيد العبد الوادي ثم قتله .

[٧٦ / أ]

هم جادلوا الحق بغيا واعتدوا فتورا
والسيف يذهب رسم البني والجدل

كانوا تصدوا لملك لم يكن لهم
حقا وكيف وهم من جملة الخول

راموا وقد خاب ماراموا فما حليبت
آمالهم يسوى قرب من الأجل

20 لا فتهم من أكف العيز ممة
غراتي العضب لا تؤتى من الملل

فللكما - ولا عيب بهم - نهم
إذ جد جدهم في الموقف الجلل

تريمهم ببروق من أسنتها
رسمي الملائك هذا الجين بالشمل

فالسمر تهتز في الأشلاء من قرم
والبيض تحمر في الأعناق من خجل

حتى ارتدوا بجلايب الظلام وكم
أبقوا بمعترك الأقران من ظلل

25 وتخلفوا من يتيم أو من لامة
يذرون دما بمنهل ومنهميل

تقطعوا أمرهم عذلا فما انتقموا
والسيف عند التلاقي سابق العدل

اللَّهُ عَيْنٌ رَأَتْهُمْ فِي اللَّسَاءِ وَمَا
 أَذَلَّتِ الْحَرْبُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا الذَّلِيلِ
 وَسَهُمٌ عَزَمِيكَ لَمْ يَتْرُكْ بِهِمْ رَمَقاً
 بِالضَّرْبِ لِلْهَامِ فِي الْقِيَعَانِ وَالْقُلُلِ (١)
 فَابْعَثْ لِمَا أَسَارَ الْخَطِيءِ جَيْشَ وَغَى
 يَشْرِبُهُ سُؤراً غَدَا أَشْهَى مِنَ الْقَلِيلِ
 30 هُمْ ضَيَعُوا الْحَزْمَ إِذَا جَاؤُوا مُقَاتِلَةً
 عَمَى الْبَصَائِرُ أَدْمَى مِنْ عَمَى الْمُقَلِّ
 لَوْ مَاعَدَتْهُمْ سُعُودُ الْجَدِّ لَا تُبْعَثُوا
 مَوَاطِيءَ الْخَيْلِ تَخِيلُ اللَّهُ بِالْقَبِيلِ
 كَيْمَا يَجْرَتُوا ذِيُولَ الْأَمْنِ سَابِغَةً
 بِحُسْنِ عَفْوِكَ مَا جَعَلُوا مِنَ الْوَجَلِ
 لَكِنْ دَعَتْهُمْ أَمَانِي (٢) تَمِينُ (٣) بِهِمْ
 لَيْسَ الْجَبَانُ إِذَا يُدْعَى مِنَ الْبَطَلِ
 مَنْ كَانَ تَخْدُمُهُ الْأَقْدَارُ مُسْعِدَةً
 فَهَلْ يُعَارِضُهُ مُسْتَشْعِرُ الزَّلَلِ
 35 أَوْ مَنْ يَقُومُ لِنَصْرِ اللَّهِ مُحْتَسِباً
 يَلْقَاهُ مَنْ قَامَ بِالْإِفْسَادِ وَالْخُلْدِ
 وَكَيْفَ يُخْذَلُ مَنْ قَدْ جَاءَ مُتَكَلِّلاً
 عَلَى الْإِلَهِ وَمَا بِالْحَقِّ مِيزَنُ حِيَالِ

(١) القيعان ج قاع : وهو أرض سهلة مطمئة « قد انفرجت عنها الجبال » ، والقُلُل

ج قلة وهي الجبل .

(٢) مان يمين : كذب .

[٧٦ / ب]

هذا شمائل^(١) من طابت شمائله

وأورث الملك من آباءه الأول

ملك تخلقه ماء السحاب إذا

جاء الخلائق لم يشكو من الغل^(٢)

بل أصبَحُوا في ذرى أمن وعافية

وسرّ عدل وما شأوه من جدل

حلم وعدل وإقدام وُجود يدي

ورحمة وهدي للناس والسبل

فهنا الله هذا الملك فارسي

فهو الذي شاده بالعدل يوم ولي

ومن إنشائه البارع ، بما رفع لأمير المؤمنين المتوكل على الله

أبي عنان فارس المذكور يطلب منه الإنعام بخط الأزواج المنعم بها

عليه بقرية آجلتي من حوز فاس بما كان لعبد الله بن يوسف بن محمد

الينجاسني المريني ، والتزم في كل كلمة السنين :

« أسدد سهم الاستعطاف لقرطاس الإسعاف باسم القدوس .

وأسترفع بالسلام للمستودع لسيّد باس البوس . وأستوهب السلام

سبعانه - لسلطان المسلمين ، المستخلف ، السامي ، السني الشني ،

المستنح ، المستعطف ، فارس ؛ ولسلالته سلامة الجُوم وسرور

النفوس .

أسترفعها لسابع المستخلفين في السنين السوالف ، وسامع سؤال

السؤل للإسعاد بالسؤل بيسامي المساعد المساعف .

(١) في الأصلين : هذا شمائل . (٢) الغل : العطش .

وأستودعها مستودع الأسرار ، السالم الإسرار ، مستقبلها بالاستئثار .
ليستوصلها للمجلس المستحق للأسماء ، والبساط القدسي الحسن الامم
والسيما ، المستحفظ بعساكر سكان السماء . المستنير كالسبع السارية
بالسنا والسنا مشرق تسيبه الواسع الساكب ، السادل مابغ إحسانه
الجسيم سدل المستكبر الساحب المستكتب بسدة سلطنته الفارسية
السعيدة ، المستعبد المستملك الأندلسي . ووسيلته لسؤاله قطعه بسوق
[٧٧ / أ] السبت سهم سليل يوسف النجاسني ، فسيح الإحسان
المستعذب وواسع السيب المستندني المستقرب . فالمنتصب سلسلا
لموسى استوفى سجالها وسرى مربالها . وليس مسرحها بشامع لـوائم
فاس . فعساه يلقى لستسبيلها بكاس . ويستفيدها لسة ونسعة سلاله
وناس . ليستعين باستفادتها مستملسكئوسلطانك ، ومشرقئوسلطانك .
لسيرهم سيرة مرمل رائل السين . وسلوكهم لسؤال سؤلهم بالسبيل
المستقيمة والمسلك المستبين . لسلطنتك السوس وفارس واستفتحت
بسؤوفك ساحات القسطنطينية وقادس ا

والسلام يسري نسيمه المستطاب ، ويستنهزي بآس البساتين
مقاه السحاب . يستمده قنم المسك ، ويستحسنه تناسق السلك .
يستقر بالمجلس السعيد السلطاني الفارسي - أسعده ساملك السماوات
السبع ، وباسط البسيطة لساحة السبع . ونستوهب مسرى النسيم
لسلطانك سعداً سرمداً ، وسهماً لاستئصال فساد المفسدين مسدداً !

الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم ابن
زكريا الأنصاري الأوسي (*)

يكنى أبا عمرو ، وأدركته ، ورأيت .

وهو من أهل غرناطة من بيت أصالة ورفعة وعلم وقضاء وكتابه .
وكان أبوه إبراهيم قد كتب لجدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج
ابن جدنا الأمير أبي إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير
بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
ابن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي ؛ في حين سار جدنا أبو سعيد من
دار إمارته مالقة إلى بر العدو وصلتك مدينة سبتة ودخلها عنوة
على أميرها أبي طالب العزفي ، في دولة أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق .

وأبو عمرو هنا كتب لبني عمنا الملوك من بني الأحمر ، ثم عبر
البحر إلى الحضرة المرينية ، فكتب [٧٧ / ب] لملوكها .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسن . حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة .
موصوفاً بالرجولية والمروءة الفائقة ، ونزاهة النفس والهمة الرائقة . مع براعة
في إنشاء الرسائل ، ونظم أحلى من وصل ذات الغلائل !

(*) ترجم له لسان الدين في الإكليل الزاهر ، ونقل منه أيضاً في الكتيبة الكامنة

(٢٧٦) وكتبته ثمة « أبو عمر » . وقال في أبيه إنه « زين الزين ، وراحة القلب

وقرة العين » .

أنشدني لنفسه - وكتب بها لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن
جدنا الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبينا بن
جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج (١) صدر من عننا له ، وكان السفير
بينها فيه خديم لابن عمنا اسمه فارج

خبر الرّوض طيٍّ واني النّسيم
نلّ خبيراً عن سرّ المكشوم
أنكى المزن رحمةً بعيون
من معابٍ وشقّ جيب الغيوم؟
فرياحيته تحلّى بدر
وتعلّ الشراب من تشيم
وثغور الأقاح ذات ابتسام
قد غذاها الندى بماء النسيم
5 وقدود الغصون مالت بليين
حملت أشجماً هوت برجوم!
واختلاف الفنون فيها بديع
فقسيم غدا إزاء قسيم
قطع لم تدع زخارف زين
ما حوى حصرها عروض نديم
فبسيط أمدّ تبحر مديد
وطويل وكامل ولزومي

(١) فراغ فيها بمقدار كلمة واحدة .

أبدعتها الطيِّورُ تَجْنِيسَ لَحْنٍ

في أساليبه حُلَى التَّرفيمِ

10

أسمعتني الطَّباقَ عن صَوْتِ طَبِيعِ

يَحْمِلُ السَّجْعَ في المَساقِ السُّلَمِ

عَجَزَتْ عن أدائِهِ في المِثالي

« نَعَمْ » وهي غايَةُ التَّعْكِيمِ

فَتى غَنَّتِ المِثامُ « بِرَمَلٍ »

زَمَ رَحلي فَنُحِتَ في « اللَّزْزومِ »

شَوَّقَتني ولم أَكُنْ بِبِخَالِي

من تَخْلِيلِ مُفَارِقِ وَحْشِيمِ

[٧٨ / أ]

أَغْرَتِ الوجْدَ فاستَطالَ مَلِيحاً

يَطْلُبُ القلبَ باشتِياقٍ لَرِيمِ

15

طارَ حَتفي أَصِيلَ يَوْمٍ إلى أنْ

صارَ الأفقُ شَمْسَهُ بالنُّجُومِ

صَبَّها الشَّرْقُ وهي في الغَرْبِ تُحْصى

عَدداً في وعائِهِ المَضْمُومِ

نَثرَ اللَّيْلُ زُهرها فغَدَتْ في

عُيوننا في أحسنِ التَّقْوِيمِ !

فقطعتُ الدَّجاءَ بنيرَ حَزَمِ

مُنْجِدي قد أثارَ شِدَّةَ الحَزَمِ

أصبح الأرض لا أقرُّ بحبي^(١)
 قد كَفَتْنِي السُّرُوجُ ذُلُّ المُقْسِمِ
 20 إنَّ جَفَانِي أَبُو الْوَلِيدِ بَعْدِي
 وَقَدِيمًا مَكْشُتُهُ مِنْ شَكِيمِي^(٢)
 وادَّخَرْتُ الْعَتَادَ مِنْهُ حُسَامًا
 مَاضِيًا عُدَّةً لِكُلِّ جَسِيمِ
 فَعَدَمْتُ ادِّخَارَ دَهْرٍ طَوِيلِ
 يَوْمَ إِذْ صِرْتُ فِي زَمَانٍ عَدِيمِ
 يَا وَحِيدَ^(٣) الْعُشْلَا وَفَذَّ الْمَعَالِي
 لَمْ [أَكُنْ؟] ^(٤) بِالْبَعَادِ جَدِّ عَلِيمِ
 كُنْتُ أَلْقَى الْخُطُوبَ مِنْكَ بِوَأَقِ
 لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُهُ بِالْمَعْدُومِ
 25 فَهَنَكْتُ أَحْقَامَ حَبْنِي وَنَصَحِي
 وَابْتَدَلْتُ الْمَصُونِ وَجَهَ الْكَرِيمِ^(٥)
 وَقَطَعْتُ الدُّنُوَّ وَهُوَ رَجَاءٌ
 فَأَنَا مَذَّ عَدَمَتُهُ فِي تَجْهِيمِ !
 ثُمَّ لَمَّا أَعَدَّتْهُ يَوْمَ بَيْثِنِ
 نَالَ مِنِّي النُّوَى فَأَدَمَى كُتُومِي

(١) في « ط » بحبي ، وفي « م » بجو .

(٢) الشكيم ج الشكيمة ، ولها معان منها العهد ، والحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام

(٣) في « ط » وحيد ، وفي « م » واحد .

(٤) ما بين معقوفتين مقترح ، ولم تشر النسختان إلى سقط .

(٥) في « ط » حي وفي « م » حي . وفي النسختين : « وابتدلت » بالداء المهمة ورجعت ما أثبت . وقد يسقط الذاسخان بعض النقط .

ومنى ما أُعيدَ شرُّ حديثٍ
والذي نلتُ من عذابِ أليمٍ
ثارتْ وجدي وأحوجتني أمورٌ
ضيقْتُ منها بفادحٍ من همومٍ (١)
30 ما ليصبري على ابتلاءٍ وفاءٍ
إذْ أتى فارحٌ (٢) وضاع قديمي
موقفٌ جرعَ العداةَ فظيماً
هو عيني أجلُّ خطبٍ عظيمٍ
فأثار الأملَ وعزَّ التماسي
إذ رَماني بقدرٍ ومقيمٍ
ثم لما خصصتني بسلامٍ
- وهو أسنى هدية التميم -
برُح الوجدُ بي وذُبت اشتياقاً
عندما عادَ عهدُكم للتميم

[٧٨ / ب]

35 قلتُ واللهُ شاهدٌ سرِّي
عالمٌ حقٌّ قولي المتحتمِ
ألزمتُ القلبَ بعدها شرط طوعٍ
أن يري الذلَّ فيك غيرَ ذميمٍ
فاحتكم في الأنام إنك ملكٌ
ولك الحمدُ يا أمنٍ رحيمٍ

(١) فيها : هموم . واقرأ أيضاً : همومي .

(٢) افظر مناسبة النص ، و « فارح » اسم علم .

وبُحْبُوبِكَ بِالسَّلَامِ فَوَادِي
وَلِسَانِي تَحِيَّةً التَّشْكْرِيمِ
وَعَلَيْكَ الثَّنَاءُ يَتَرَى تَجْدِيداً
فَتَجْدِيداً مُوَالِحِ التَّشْنَعِيمِ !

ومن إنشائه - رحمه الله - هذه الرسالة الزائنية والتزم في كل كلمة منها حرف الزاء المعجمة ، وبعث بها من سبتة حين شيع منها بنيه لوطنهم الأندلسي ، لمزعج دء - اه انراقهم اضطراراً لا اختياراً ، لأمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني طالباً منه أن يرده لكتابته بالحضرة حين آخره عنها لِسَعَايَةِ بعض الحُصَادِ

بِـعِزَّةِ العزیز منزل الرزق و"بجزله" ، واللازم الزاكي (١) للزمـمـلـ الحجازي الزمزمي ، الممتاز من زُمرة زُهرة. بجزية التنزيل والمُعجزات ، ولحزبه الفائزين بجزيل الجزاء يزول مُزعج جَزَعِي بهز عزمات هزبر مأزق الزبون . مُحَرَزُ المزية ، مُزِيحُ الأزمات ، مُزِيلُ الزائنين بجز حُجَزِهِم ، الفائز بيزْلَفِي الغزو ، وميزاب مُزَنُ الرزق ، كنز الزائرين ، زهو زناقة ، وطرازها الزاهر عبد العزيز . لا زال زمانه في ازدياد زينة ليلزم رزقي زمام مزمعيه المزدحمين . لاعزب اعتزائي لزرافاتهم (٢) زهوه ، في زهو ينزه زائني ، كزين الزمان بعبد العزيز ، وفزت برزقي مزيد جزيل وحرزي حريز وعز عزيز .

زففتها بزینتها الزخرفية الزبرجدية . فأزمت في زي المنحاز ، زاهية كالزهر ، مُزْدَرِيَّةٌ بِالزَّهْرِ ، زعيمة بجزيل الجزاء ، والفوز بإنجاز الإعزاز

(١) في ط : والازم الزكي .

(٢) في ط : لزرافتهم .

للمعزى لذكرياً، مزجي ملتزمها الزائي ، أجزل من الجزئية منزعاً ، وأعز
مفزى ، وأحزم عزم جزم من منزل كالجزيرة يوازي الجزيرة في زمان النيروز
وزفير الزمهرير !

الفقيه الكاتب محمد (*) بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن الثائر بحيان (١) بن يوسف
ابن سعيد بن جزّي الكلبى الأغرناطى ، المتوفى بفاس في عام
ثمانية وخمسين وسبع مئة .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيت .
وهو من أهل بلدنا غرناطة . وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها ،
علم الأندلس الصائرة فتية منها إلى إطرابلس ؛ وقُتِل شهيداً في المعترك

(*) هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن جزّي ، أحد أفراد أسرة بني جزّي
الناطقة في دولة غرناطة . بدأ حياته في الأندلس في ظل والده الفقيه المفسر أبي القاسم
واشتهر فيهم بالأدب والكتابة بالإضافة إلى مشاركته في العلوم والفنون المختلفة . وقد
تعرض لمحنة أيام أبي الحجاج يوسف النصري الذي أمر بضربه بالسياط . وقال ابن
الأحرر في نشير الفرائد إنه ضرب مظلوماً . وغادر ابن جزّي بعد ذلك إلى المغرب
فكتب في دولة أبي هنان المريني وهو الذي دون رحلة ابن بطوطة بقلمه وصاغها
بأسلوبه . وله شعر جيد . وتوفي بفاس في شوال سنة ٧٥٧ .

(انظر ترجمته في نفح الطيب ٥ : ٥٢٦ ، وأزهار الرياض للمقري ٣ : ١٩٥ ، ونشير
فرائد الجمان ٢٩٢ ، والكنية الكامنة ٢٢٣) .

(١) نقل المقري في أزهار الرياض أن أصل سلفه من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح
صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن خرار الكلبي . وعند خلع دعوة المرابطين كان
لجدهم يحيى بحيان رئاسة ، وانفرد بالتدبير . وقال لسان الدين بن الخطيب في أعمال الأعلام
عند ذكر الثوار أواخر أيام المتونيين إن القاضي أبا الحكم يوسف بن جزّي رأس في
الفتنة بحيان ثم عقب بأنه يشك في هذا ، وعنده أن المتأمر بحيان رجل آخر غير
يوسف المذكور .

في الواقعة التي كانت للنصارى - دمرهم الله - بطريف على المسلمين في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، بعد أن أبلى بلاءً حسناً .

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج^(١) يوسف وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحرية النصرية إلى أن امتحنة أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عم أبينا ، فقوض الرّحال عن الأندلس واستقر بالمـدونة ، فكتب بالحضرة المرينية لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان إلى أن توفي بها ؛ رحمه الله تعالى .

حاله - رحمه الله - :

طلع في سماء المعلوم بدرأ مشرقاً ، وسارت براعته غرباً ومشرقاً . وسمى بشعره فوق الفرقدين كما أربى بذثره على الشعري والبطين ، له باع مديد في التاريخ والحساب ، واللغة والنحو والبيان والآداب . بصير بالأصول والفروع والحديث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث . إن نظم أنساك أبا ذؤيب برقته ، ونصيب^(٢) بمنصبه ونخوته . وإن كتب أربى على ابن مقلة بخطه ، وإن أنشأ رسالة أنساك العباد بحسن مساقها وضبطه . وهو رب هذا الشأن ، وفارس هذا الميدان . ومع تقننه في المعلوم فهو في الشعر قد نبغ ، وما بلغ أحد من شعراء عصره البحر الذي منه قد بلغ بل سلموا التقدم فيه إليه ، وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ، ودخلوا تحت راية الأدب الذي حمل ، إذ ظهر ساطع [٧٩ / ب] براعته ظهور الشمس بالحمل .

أنشدني لنفسه : مدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ابن جدنا أبي الوليد إسماعيل

(١) فيها : أبو الحجاج . (٢) فيها : نصيب .

ابن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور
بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي، هذه القصيدة
البارعة، وحذف منها الرءاء المهمة (١) :

قسماً بوضّاح السنّا وهنّاج
من تحت مسدول الذوائب داج
وبأبلغ بالمسك خطّت نونه
من فوق وسمان اللاواحظ ساج
وبيعسن خدّ دبّجت صفحاته
فقدت دحاكي مذهب الديباج
وبعسم كالعقد نظم سلكه
ولمى حكى الصهباء دون مزاج
5 وبنطق تصبؤ القلوب ليعسنه
أنسى المساميع نعمة الأمزاج
وبمائن الأعطاف تشبه الصبا
فيميس كالحطني يوم هياج
ومنعم مثل الكتيب يقله (٢)
مستضعف يشكو من الإدماج !
وبوعدي للوصل أنجز فجأة
من بعد طول تمنّع ولتجاج

(١) القصيدة في نفع الطيب ٥ ٥٢٧ ، وفي أزهار الرياض ٣ : ١٩١ ، ونقلتها عن نثر
الجمان في كتابي: مختارات من الشعر الأندلسي صفحة ١٦٣ لها بعدها .

(٢) أقله : حمله ، والمدمج : التام الحكم .

- وبأكؤسٍ أطلعن في جُنجح الدُّجى
شمسَ السُّلالةِ في مماء زجاجٍ ١
- 10 وحذائقِ سَحَبِ السَّحابِ ذُبُولَهْ
فَهِيا وَباتَ لها النُّسيمُ يُناجي
وجَداولٍ سَلَّتْ سُبُوفاً عِنْدَما
فُجِئتُ بِحَيْشٍ لِلصَّبَا عَجَّاجٍ -
وبأفحوانٍ قد قضاحك إِذ بَكَت
عَيْنُ الغَمامِ بِدمعٍ ثُجَّاجٍ -
وقُدودٍ أَغصانٍ يَلَنَ كأنها
تُخَفِي حَدِيثاً بَينها وتُناجي
وَحِماثٍ يَهْتَفِنُ شَجَواً بِالضُّحَى
فَسَهِدِيلُثْنٍ لَذي الصَّبابةِ شاجٍ -
- 15 إِنْ المَعاليِ وَالعَواليِ والنَّدَى
والبَّاسِ طَوْعُ يَدَيَّ أبي الحَجَّاجِ -
مَلِكٌ تَتَوَجَّ بِالمَهابَةِ عِنْدَما
لَمْ يَسْتَجِزْ في الدِّينِ لِبَسَ التَّاجِ -

[٨٠ / أ]

وأفاضَ حَكمَ العَدلِ في أَيْتامه
فالحَقُّ أَبلِجٌ واضِحٌ المُنْهَاجُ (١)

(١) هذه القصيدة معارضة لقصيدة جرير يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي ، وفيها شيء من
ترسم خطاه (انظر ديوان جرير : ٨٩) .

هو 'منقذ' العاذي ومُغني المُعتقي
ومُنذَلِّلُ العاذي وغوثُ اللاجي

ماضي العزيمية والشيوخ كلية
طلقُ الهَيَا والخطوبُ دَواج.

20 علمُ الهدى والناسُ في عَمِيَاء قد
ضلتوا لِيُوقِعَ الحادثِ المُتَهاجِ.

غيثُ الندى والسحبُ 'تبخلُ' بالحَيَا
والمَحَلُّ 'يُبيدي' فاقةَ المُحتَاجِ.

ليثُ الوَغَى والحَيَلُ 'تُزجى' بالقَنَا
والبيضُ 'تنهلُ' في دمِ الأوداجِ

يتقَشَّعُ الإِظْلَامُ إذ يَبْدُو له
وَجْهُ كَمَثَلِ الكوكبِ الوَهَّاجِ.

من آل قَبِيلَةٍ من 'ذَوَابَةِ' سَعْدِيهَا
أَعْلَى بني قَعطَانِ دونِ خِلَاجِ^(١)

25 حيثُ العُلَا تَمْدُودَةُ الأَطْنَابِ لم
'تُخْلِقْ' مَعَالِمَهَا يَدِ الإِثْهَاجِ.

والأَعُوجِيَّاتُ السَّوَابِقُ 'تُتَسَطَّى'
فَتُظَلِّلُ الآفَاقَ 'سَعْبَ' عَجَاجِ.

(١) هو سعد بن عبادة الخرجي الأنصاري ، جد أسرة بني نصر ، الصعابي المشهور .
والأقبال : الملوك ، وقيل الملوك من حمير . والخلاج ، من قولك : خالَجَ قلبي أَمَسَر
فَارَغَنِي فِيهِ .

والبيضُ والأسلُ العَواملُ تقتضي
 مُهَجَّ الكَاةِ بأبلغِ الإزعاجِ !
 بجدِّ لِيُوسِفِ جُمِعَت أَشْتَاتُهُ
 أُعْبِي سِوَاهُ بَعْدَ طَوِيلِ عِلَاجِ
 مولاي هَاكِ عَقِبَةُ تَزْهَوُ عَلَى
 أَخَوَاتِهَا كَالْفَادَةِ الْمِفْتَاحِ.

30 إنشاء عبدٍ خالصٍ لك حبه
 - ومن العبيدِ مُدَاهِنٌ ومُدَاجٍ -

آوَى إِلَى أَكْنَافِ نَعْمَاكَ الَّتِي
 لَيْسَتْ إِلَيْهِ صِلَاتُهَا بِخِدَاجٍ (١)

سَبَّاقِ مِيدَانِ الْبَلَاغَةِ وَالْوَعْيِ
 لَشَيْءٍ سَابِ كُلِّ مِنْهَا وَلَاؤُجِ
 جَانِبَتْ أُخْتُ الزَّأَيِ (٢) مِنْهَا عَامِدًا
 فَادَّتْ مِنْ الْإِحْسَانِ فِي أَفْوَاجِ
 فَافْتَحَ لَهَا بَابَ الْقَبُولِ وَأَوَّلَ مَنْ
 أَهْدَاكَهَا مَا يَبْتَغِي مِنْ حَاجِ !

(١) أَخْدَجَتِ الصَّيْفَةَ : قَلَّ مَطَرُهَا

(٢) يَشِيرُ إِلَى تَجْرِيدِ الْقَصِيدَةِ مِنْ حُرُوفِ الرَّاءِ . وَكَانَتْ فِي الشَّاعِرِ لُغَةً تَعْتَرِيهِ حِينَ يَنْطِقُ
 بِحُرُوفِ الرَّاءِ !

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس
ملك المغرب^(١) : [٨٠ / ب]

إِنّ قلبي لِعَهْدَةِ الصبر ناكثٌ عن غزالٍ في عَقْدَةِ السَّحَرِ نافيثٌ
أضرمَ النَّارَ في فُؤَادِي وولّاني قائلاً : لا تخف ، فإنني عابثٌ !
ورماني من مَقْلَتَيْهِ بِسَهْمٍ ثم قال : اضْطَبِرْ لثانٍ وثالثٌ !
كم عَدُولٍ أَتَى يُناظِرُ فيه كان تعذّله على الحبِّ باعثٌ
5 وبين آليتها بالتسلي فقضى حسنه بأنّي حاثٌ
جبر الله صدع قلبٍ عديدٍ صدعت شمله صروفُ الحوادثِ
فهو يهفو إلى البروقِ ويروي عن نسيم الصَّبَا ضيفَ الأحادثِ !
سلبته الأشجانُ إلا بقايا من أمانٍ حبالهنَّ رثائثٌ
وبكاء على عهدٍ مواضعٍ ملأت صدره هُموماً حدائثٌ
10 لستُ وحدي أشكو بلية^(٢) وجدي إن داءَ الغرامِ ليسَ بمجادثِ

يا مُضِيْعَ العُهودِ - واللهُ يَعْفُو عنك - أنتِ ارتَضَيْتِ خُطْئَهُ ناكِثٌ ؟
غرتني منك والجهال غرورٌ وظبا اللحظِ في القلوبِ عوايِثُ
مُقلٌ يفتسمُنْ أعشارَ قلبي بالرّضى مني اقتسامَ الموارِثِ !

(١) نقلها المقرئ عن نثر الجمان في كتابه: نفح الطيب ٥: ٢٩٠ ، وأزهار الرياض ٣: ١٩٢

(٢) في النفح : بلية .

- 15 كيفَ تَغَيَّرْتَ بِانْتِزَاحِكَ حَالِي وَتَغَيَّرْتَ لِي وَلَسْتَ بِجَارِثٍ^(١)
فَرَطٌ حُبِّي وَفَرَطٌ بِخُلُوكِ إِلَّا أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُونِ نَوَافِثُ
وَنَدَى فَارِسٍ وَحَسْبُكَ رَدَاً قَوْلُ مَنْ قَالَ سُدَّ بَابُ الْبَوَاعِثِ
مَلِكُ الْبَاسِ وَالنَّسْدِي فَهُوَ بِالسَّيْفِ وَبِالسَّيْبِ عَائِثُ أَوْ غَائِثُ
مَحْرُزُ الْإِجْدِ وَالْثَنَاءِ فَهَذَا سَائِرُ فِي الْوَرَى وَذَلِكَ لَا يَثُ
أَوْطَا الشَّهْبِ رَجُلَتَهُ وَتَرْقَى صَاعِدَاً فِي سَمَوَةٍ غَيْرِ مَآكِثُ
20 فِدْرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتَهُ وَنَجْمٌ تَخْلَفُ الْقُصُورَ لَوَابِثُ
وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بِلَ هِيَ الْعُقْبَانُ مِنْ فَوْقِهَا اللَّيْثُ الدَّلَاهِثُ^(٢)

[٨١/أ]

- 25 مُطْلَعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَعْلٍ هَلَالاً فَلِهَذَا تَجَلُّو دُجَا كُلِّ حَادِثٍ
إِنْ تَرَاغِقْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي أَوْ تَسَابِقْنَ فَالْفَيُوثُ الْحَثَائِثُ^(٣)
وَالْمَوَاضِي كَأَنَّهَا قَدْ أُعِيرَتْ حِدَّةُ الذَّهْنِ مِنْهُ عِنْدَ الْمُبَاحِثِ
هِيَ نَارُ مُحْرِقَاتِ الْأَعَادِي وَهِيَ مَاءٌ مَطْهَرَاتِ الْحَبَائِثِ
فَيَرْدُنَ الْوَعْيَ ذِكُوراً عَطَاشاً ثُمَّ يَصْدُرْنَ نَاهِيَاتِ طَوَامِثِ^(٤)
مِنْ مَعَالِيهِ^(٥) قَدْ رَأَيْنَا عِيَانَا كُلَّ فَضْلٍ يَنْصُهُ مَنْ يُحَادِثُ

(١) يشير إلى قول إبراهيم بن العباس الصولي (وينسب لغيره)

تغير لي فيمن تغير حارث وكمن من أخ قد غيرته الحوادث

(وانظر نفع الطيب ٢٦، و ٢٩٠)

(٢) الدلاهت : جمع دلهات وهو المقدام .

(٣) في الأصلين المخطوطين : فالليوث الدلاهت . وقد وردت الكلمتان في البيت قبل السابق ، والمثبت من نفع الطيب والأزهار . و « ترافقن » كذا فيها .

(٤) من « طمئت » : حاضت .

(٥) في النفع والأزهار : من معانيه .

30 خلق كالنسيم تمر سحرأ
في سبيل الإله يقصي ويدني
شرف الملك منه سام وحام
هاكها من بنات فيكري بكرأ
ذات لفظ لا يعتريه اختلال
زعماء القريض أبقوا بقايا
من أراد انتقادها فهي (هذي^(٢))
بالأزاهر في البيطاح الدمايث
ويؤالي في ذاتيه ويناكث
فقدته سام وحام ويافث^(١)
ليس يسمو لها من الناس طاميث
ومعان لا ينتجها المباحث^(١)
كنت دون الوري لهن الوارث
عرضة البحث فليكن جد باحث

وانشدني - أيضاً لنفسه - يمدحه :

لعلك لي عن حسن عهد مكافئ
فيؤسر شعوي ودك المتباطئ
فديتلك لا يذهب بك البعد للتي
كما وسع الإحسان من كان محسناً
وما ضر لورب^(٤) الصنيعة منعماً
على أنني لم يصرف اليأس ساحتي
فكم طالب أمراً تسنت عواقب
لئن ريع بالأشجان روعي لطالما
يسر بها منا حسود وشانيء
أما يسع الغفران من كان خاطيء^(٣)
وتعمم بالإفضال من هو باديء
وإنراعي خطب من الهجر فاجيء
له بعدما أعيت عليه مباديء
تحامت حماي النائبات الطواريء

(١) في النفع والأزهار لا تنتجها (بانتاء) .

(٢) في النفع والأزهار : هذي . وفي الأصلين « هذا » .

(٣) في « م » كل محسناً . كان خاطيء . وفي « ط » كل . . . ورجح ما أثبت .

(٤) فيها « رب » .

وإن أمسٍ قد شابت ذوائبُ لِمَتِي
فطعنُ الهوى في حجر قلبي تاشي

[٨١ / ب]

وليلاء ملء الأفق روعاً وظلمة^(١) فلا نظراً هادٍ ولا قلب هادي

ظلمتُ يعطيني بها^(٢) أكوس السرى
حبيب على ما شئت منه مما لي

ولا صبح إلا وجهه متطلع ولا برق إلا نغره متلألئ

إذا غار منها نجمها وهلالها بدت غرر من خيلنا ومواطئ

وبيداء لم تغر السراة أديمها

ولم تخترقها البعملات النواجي

كان السراب الجون في جنباتها حياض ملاء أو محاب نواشي

بعثت لها عزمي وخضت عبابها كما خضت بجرأ لا يرى منه شاطئ

وأجريت ذكر الجود من كف فارس

بها فارتوى في الركب من هو ظامي

وإن امرأ يروي الصدا ذكر جوده

لتحسد جدواه الغمام النواشي

هو البدر لكن السعود مطالع

هو البحر لكن الملوّم لآلئ

لعلياه تم الفخر بالعلم والندي

إذا اقتسم العليا قات وقاري

(١) ليلة ليلاء : طويلة شديدة أو هي أشد ليالي الشهر ظلمة .

(٢) في الأصلين : بنا ، ونرجع ما أثبت .

لئن كانَ معنى الجُود منه مبيّنًا
فلفظُ الوري في شكره متواطِيءُ
لك الخيرُ كم هيجاءَ جليتَ غمّها
وقد عجزَ الدّاري وكم المِداري^(١)
تَطاولَ فيها المُرُهفاتُ إلى العلا
فتمنّو لها من هبة فتطاطِيءُ
حركتَ بها الأبطالَ صرعى كأنهم
ندامى عِقارٍ سكرهم مُتَكَافِيءُ
فأطعمتَ ذُؤبانَ الفلا وهي جوعُ
ورويتَ بيضَ الهِنْدِ وهي ظوامِيءُ
حسامكُ مها فَنظّمَ الرّمحُ فائزُ
ورمحكُ مها مزقَ السيفُ رافيءُ
رفعتَ لواءَ العدلِ والدّهرُ جائِرُ
وأغرِبتَه بالجيدِ إذ هو هازِيءُ
فنامَ الرّعايا نَحَتَ ظِلِّ كَلاتِه
وعزّمكُ يقظانُ وعزّمكُ كَلِيءُ
وأمنَ مذعورُ وأُعيبَ مذنبُ
وأغني مُعتَرُ وقُرّبَ لاجِيءُ

[٨٢ / أ]

مَساعِرُ من العَلِيّامِ وفُتيتَ حَقّها
وربكُ عن تلكَ المَساعي مُكَافِيءُ

(١) كم جبن وضعف .

ومن إنشائه البارع مورياً بالكتب ودفعها لأمر المؤمنين المتوكل على
الله أبي عنان فارس بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي بن
أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين
المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق يهنئه بابل ولده وولي
عهده الأمير أبي زيان محمد من مرض

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من
خِصال مجدك وهو الزاهر الزاهي ؟

وما الفصح بكليات موعبها
كاف فَيَايَ بآباء وإنباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسمادة (١)... القدح المعلى ، ولزاهر
كله التاج المجلّى . تجلى من حلاه نزهة خاطر ، ويسير بملا
المثل السائر . ويتسق من ثنائه العقد المنظم ، ويتضح بهداه القصد
الأمم ، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطة ، ومعونة السعد
بإشارته منوطة . وهدايته متكلفة بإحياء علوم الدين ، وإيضاح منهاج
العابدين . وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتي من شفاء الصدور بالنور
المبين وميقات الخدمة ببابه مطمح الأنفس ، وملخص الجود من كفه
بغية الملتمس . قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما
أنت عوارفك بالمشروع السلسل ومعارفك بنظم السلوك . ووضعت
معالم مجدك وضوح أنوار الفجر ، وزهت بمدالك المسالك والممالك زهو
خريدة القصر . فلك في جمهرة الشرف النسب الوسيط ، ومن جعل

(١) مكذا في الأصلين ، ولعل كلمة سقطت (انظر الفقرة التالية) .

المآثر الخلاصة والبسيط . وسبيل الخيرات لها برءايتك تيسير ، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحجير . وأنت حجة العلماء الذي تقصّر عن تقصي مآثره فِطْنُ الأذكياء ، إن انبهم [٨٢ / ب] التفسير ففي يسديك ملاك التأويل ، أو اعتاص تفريع الفقه فمعدك فصل البيان له والتحصيل . وإن تشب التاريخ فليدك استيعابه ، أو تطاول الأدب ففي إيجاز بيانك اقتضابه . وإن ذكر الكلام ففي انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطق ففي موجز أمالك لبابه المنحول . وليس أساس البلاغة إلا ما تأتي به من فصل المقال ، ولا جامع الخير إلا ما حزته من تهذيب الكمال . ولذلك صارت حرمتك غاية المطلوب ، وحبك قوت القلوب . ولا غرو أن كنت من العلياء دُرَّتْها المكنونة ، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة . بحماستهم أُصِيبَتْ مقاتل الفرسان ، ويجود جودهم نسف ريّ الظمآن ، وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الإيمان . وأنت المنتقى من سمط جنانهم ، والواسطة في قلائد عقيانهم . عنك تؤثر سيرة الاكتفاء ، وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء . فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها ، وأنس مجالسها ؛ وقطب سرورها ، ومطالع نورها . وولي عهدك درتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة .

لازال كامل سمادته بطول مقامك مُحْكَمًا ، وحرز أمانته بالجمع بين الصحيحين : حبك ورضاك مُطْمَئِنِّينَ وقد وجبت التهنية بما كان في حلية (١) برئه من التيسير ، وتهيباً في استقامة قانون صحته من نجح التدبير . ولم يكن إلا أن بُعدت به عنك المسالك . وأعوّز نور طرفه

(١) فيها : حيلة ، ونرجح ما أثبت .

تقريب المدارك . وتذكر ما عهدَهُ من الإناس الموطأ جنبه عند
أفضل مالك . فوري من زنده سقط الزند ، والتهب في جوانحه
قبس الوجد . فامدد له من دُعائك الصالح بحاية الأولياء . فظفر لما
شارف مشارق الأنوار من حُضرتك بالشفاء . وقد حاز إكمال الأجر
بذلك العارض الوجيز ، وكان له كتشبيه الإبريز . وها هو قادمٌ
بالطالع السعيد ، آيبٌ بالمقصد الأسنى [٨٣ / أ] من الفتح والتمهيد .
يطلم بين يديك طلوع الشهاب ، ويبسمُ عن مفصل الثناء في الهناء
بذاك زهر الآداب . فأعد له تحفة القادم من إحسانك الكامل .
واخصه بالتكلمة من إيناسك الشامل . فهو الكوكبُ الدُري المستمدُ
من أنوارك السنية ، وفي تهذيب شمائله إيضاح للخلق^(١) الكريمة
الفارسية^(٢) لا زالت تزدان بصحاح مآثر عيون الأخبار ، وتتطر
بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار . وتتلّى من محامدك الآياتُ
البيّنات ، وتتوالى عليك الألفاظ الإلهيات ؛ يَمُنُّ الله وفضله .
والسلام الكريم يعتمد المقام العليّ ؛ ورحمة الله وبركاته



(١) فيها للخلق .

(٢) نسبة إلى أبي عنان فارس المروني .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرحمن بن محمد بن
خلدون الحضرمي (*) :

صاحب علامة أمير المؤمنين المستنصر بالله بفضل الله إبراهيم بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر
الحفصي الموحد ، بحكم الاستنابة ؛ وهو إذ ذاك شاب صغير . واستقر
بالمغرب فاستكتبه بالحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين المتوكل على
الله أبو عنان فارس وقلده كتابة مره ؛ فحسده بعض بطانة السلطان
وأغروا به إليه ، فقبض عليه ، وامتنعنه ، واعتقله بسجن دار الإمارة

(*) الأديب المؤرخ العالم الاجتماعي البهائي الشهير أبو زيد ابن خلدون الحضرمي
الإشبيلي . مولده في تونس سنة ٧٣٢ وأصل سلفه من الأندلس من إشبيلية . وخاله
المعروف بـ « خلدون » هو جده الأعلى الداخل إلى الأندلس . تعلم على علماء تونس
وعلى جبهة من علماء المغرب والأندلس لما قدم بهم أبو الحسن المريفي في طلعتة إلى
الجزائر وتونس . وتنقل طويلاً في بلاد المغرب والأندلس ، وتقلب في المناصب ، وتعلم
على كبار الشيوخ ، وصادق الجلس من الوزراء والأدباء والعلماء ، وعرفوا - جميعاً - له
قدره ومكانته . وكان مشهوراً بالكتابة والشعر والمشاركة في العلوم . وخلد ذكره في
تاريخ الحضارة الإسلامية بكتابه « العبر » ويجزئه الأول - المقدمة - على الخصوص .
ولجزئه الأخير أهمية خاصة لانه ترجمة ذاتية للمؤلف ، طبعت أيضاً منفردة بعنوان
وضعه هو : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً .

وقد انتقل ابن خلدون - بعد عودته إلى تونس - إلى المشرق ، واستوطن مصر . وأعطى
قضاء المالكية ، وتعرض لحصومات بعض الفقهاء وبعض المتنفذين ، ولكنه - على الجملة -
حظي بمكانة رفيعة وعرف الناس - وأهل السلطة - له حقه وكرامته وكانت وفاته
في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

أشهر مؤلفاته تاريخه المعروف . وكتبت عنه كتب وألفت فيه دراسات وبحوث وعقدت
حولها ندوات وملتقيات .

المدينة البيضاء ، ثم سرحه من السجن السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، واستكتبه في حضرته . ثم ارتحل إلى بلاده الإفريقية ؛ فقدمه حاجباً أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر الحفصي الموحد ببجاية . وهو الآن بالآندلس في حضرة ابن عمنا أمير المسلمين الفني بالله أبي عبد الله محمد المخلوع . وحين كان في سجن أمير [٨٣ / ب] المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان بعث من السجن ^(١) لأبي عنان المتوكل في العشر الأول من شعبان عام تسعة وخمسين وسبع مئة قصيدة رائعة من نظمه يستعطفه بها ، وكان له في السجن ثمانية عشر شهراً .

حاله :

هو ممن لا ينكر حقه في ارتياض العلوم الشريفة ، واستئصال رتبها العالية المنيفة . لما احتوت عليه ترجمة ذكره ، وخبيئة فكره ، من أساليب النظام الرائقة الحلاء . ومجاري أقوال النثر البارعة في الإنشاء . ولا يسع المصنف في هذا الشأن أن يتركه ، لظرفه الكامل ؛ ولا يدعه لعله الشامل له باعٍ واسعٍ في المنطق وعلم النجوم ، وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ؛ وطريقة رائقة الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها إلى درجة الاجتهاد غاية الوصول . ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة ، وإرسال ديمة من سحائب علمه يتبعها ديمه !

(١) تفصيل خبر سجنه في « التعريف » ص ٦٩ ، وقد عقد ابن خلدون فصلاً بعنوان « حدوث النكبة من السلطان أبي عنان » .

وقصيدته المذكورة هي (١) :

على أيّ حالٍ لِلّيبالي أعائبُ
وأيّ صُروفٍ لِلزّمانِ أغائبُ
كفّتي حَزَنًا أَذني على القُربِ نازِحُ
وَأني على دَعْوَى شُهودِي غائبُ
وَأني على حُكمِ الحَوادِثِ نازلُ
تُسايلُني طُورًا وطُورًا تُحاربُ (٢)
أحينُ إلى إلفي وقد حالَ دونَهُمُ
مهاميهُ فيُصحّ دونَهُنّ سَبابُ
5 وبيداءُ قفرٍ غيرَها يدُ البيلي
وأزرتُ بِمَغناها الصُّبا والجَنائبُ

(١) قال ابن خلدون كان اتصالي بالسلطان أي عنان آخر سنة ست وخمسين (وسبعمئة) وقربني وأداني واستعملني في كتابته حتى تكدر جوي عنده.. ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين . وكانت قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخله أحكمها ما كان لسلفي في دوائهم. وغفلت عن التحفظ في مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو إلا أن شغل بوجعه ، حتى أنمي إليه بعض الفواة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي . فانبعث السلطان لذلك ، وبادر بالقبض عليه . وكان فيما أنمي إليه أني داخلته في ذلك فقبض علي وامتنعني ، وحبسني ، وذلك في ثامن عشر صفر سنة ثمان وخمسين . ثم أطلق الأمير محمدًا ، ومازلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك . وخاطبته بين يدي مهلكه مستعطفًا بقصيدة أولها . « الأبيات » . وذكر من القصيدة خمسة أبيات فقط ثم قال « وهي طويلة نحو المئتين بيتًا . » . والقصيدة عند ابن الأحرر هنا في ١٠٧ أبيات ، ونرجح أنها كاملة ، ويكون الرقم الباقي في ذاكرة ابن خلدون من القصيدة مبالغاً فيه .

(٢) أورد في التعريف « ٦٧ » الأبيات الثلاثة الأولى ، وأردف بالبيتين التاسع والعاشر . وقال إن بقية الأبيات « ذهبت عن حفظه » .

بها ليعزيف الجن^(١) أي^(٢) تراجع
وبين الرياح الهوج فيها تلاعب
يضل بها الخريت^(٣) في كل موقف
فيصرفه بحر^(٤) من الآل راسب
سلوتهم إلا اذكر معايد
لها في الليالي الغارات غرائب
وإن نسيم الريح منهم يشوقني
إليهم ونصيني البروق^(٥) اللواعب

[٨٤ / أ]

10 ولم أنس ، لا أنسى الوداع وقد جرت
دموع^(٦) وزمت^(٧) للوداع ركائب
عشية بانوا والقلوب جوامد^(٨)
وكان عقيق^(٩) في التواظر ذائب
وقفنا ولا نجتوى سوى بين أعين
وشت^(١٠) بالهوى منها دموع^(١١) سواكيب^(١٢)
تخطيب^(١٣) رسم الدار شوقا وما لنا
على القرب إلا من صداها مجارب^(١٤)
مضنوا^(١٥) يزمعون السير^(١٦) إلا تلتفتا^(١٧)
كما التفتت^(١٨) بين الأراك^(١٩) الربارب^(٢٠) (٣)

(١) قالوا العزيف صوت الجن ، وهو صوت الرمال إذا ذهب بها الرياح .

(٢) الخريت الدليل الحاذق بالدلالة .

(٣) في الأصاين : الربائب ، ونرجح ما أثبت والربارب ج الربرب وهو القطيع من الظباء ، ومن البقر الوحشي والإنسي .

15 وأتبعتهم طرقي وقائي وما دروا
باني على آثار هذين ذاهب
وما راعني إلا المآقي تعدرت
بين قلوب في الدموع ذوائب
وقد طويت شمس الأصيل بأفقيها
كما نشرت لليل منها ذوائب
وسيرنا وترجيع الحداق يحننا
كما رجع الإنجيل في الصبح راهب (١)
نميل على الأكوار سهدا كأننا
نشاوي مدام أنحلكتها الحقائق (٢)
20 أقول ليصغي - والظمائن ترتمي
وقد أخذت منا السرى والتجائب
وقد ظميت منا المطي وأظلمت
دجتي خفيت فيها علينا المذاهب -
: ردوا ليس يروينا الغمام وهذه
دموعي لا يظما بها بعد شارب
وإن يك بالشهب اهتداء فهذه
بصدري شهب للفرام ثواقب
رعى الله عهداً ضم أفق تونس
ومعهد أنسر لم ترعنه الثواب

(١) في الأصلين « كما رجع الإنجيل في الصبح » ورجع ما أثبت .
(٢) جمع الشاعر حبة - وهي من الدهر : المدة لا رقت لها - على حقائق . ولم أجد لها
هذا الجمع .

25 وجمادتٌ عليه الغانياتُ بها حوتٌ
 من الظلم لا ما تحتويه السحابُ (١)
 وروض منها كل قطرٍ بأغصنٍ الـ .
 قدود اللواتي لم تثرها الأهاضبُ
 بلادُ بها عتقُ (٢) الشبابِ تمامي
 ولا تمس فيها التربة مني الترائبُ
 يذكرني عهدَ الرضا في جنابها
 أمانٍ تقضتُ لي بها وما ربُّ
 فأصبو ولكن أين مني مزارُها؟
 وأبكى وإن لم تغن عني السحابُ!
 30 ويقلِّبني شوقٌ تضرُّمُ بالحشا
 فتحرقني لولا الدموعُ لواهِبُ

[٨٤ / ب]

أبيتُ تناجيني الممومُ كأنني
 صديقٌ عفا (٣) في الحب وهي تُعائبُ
 وإن قتُ غنستني قيانُ أدامي
 لها بين أقدام الكفاة ملاعبُ
 وقد أمتطي فيكري لدى الليلِ مركباً
 يذكرني السدي تُعدي إليه الرُكائبُ

(١) الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

(٢) في الأصلين : « غص » ولا معنى لها ، والصواب ما أثبت .

(٣) كذا فيها .

وأعشوا إلى مدح الخليفة فارس
فتنجاب عني للخطوب غيايب
35 إمام هدى ضاءت شمس اهتدائه
فبانت لنا من بينهن المذاهب
ترقق ماء البشر في صفحاته
وأينع منه الجد فالهل عاشب^(١)
وأوسع أبناء الزمان نواله
فليس سوى ممن ينول كاسب
خلات بحكيم الرياض بدائعا^(٢)
فتعزى له إن حقق القول ناسب
تجري الجود أنهارا - بكفيه - عذبة
(ما تلك)^(٣) في الراحات منها مشارب
40 وسار على الآفاق طيب ثنائيه
فما المسك لولا عرفه المتطايب
وأشرقت الدنيا بنور جبينه
فما المسك لولا عرفه المتطايب
وأشرقت الدنيا بنور جبينه
فما الشمس إلا إن بدا منه حاجب !

(١) مكان عاشب : نو عشب .

(٢) فيها : بدائعا .

(٣) فيها : ما تلك .

مناقبُ تحكي الشهبَ ضوءاً ورفعةُ
 فيسري بها في تهمدِ الخطبِ راكِبُ
 فكيفُكُرُ إذا ما أظلمَ الخطبُ نَيْرُ
 وفهمُ إذا ما أشكلَ العِلْمُ ثاقِبُ
 وهمةُ مَنْ لم يجعلِ الإرثَ وحدهُ
 طريقَ العلى حتى لستمتُ مناصِبُ
 45 تَزاحمُ تيجانُ الملوكِ بيبابه
 كما ازدحمتُ بالندارِعينِ المواكِبُ
 وتَفخرُ من مَلِكٍ أغرَّ مهذبِ
 ثقيلِ المراقبي عندهُ والمتناصبُ
 جَبَرَتِ عمادَ الدينِ بعد انصداعِهِ
 على حينَ لم يَجبرْ له الصدعُ شاعِبُ (١)
 وميلتَ عن الدنيا إلى الدينِ راغباً
 على رغبةٍ منها فنعمَ المراعِبُ
 50 وشيدتَ فخراً في ذؤابةِ معشرِ
 تَمَتَّكَ إلى العليا منهم عصائبُ
 ومهدتَ ركنَ الملكِ منك بعزيمةِ
 تذبُّ بها عنه الحماةُ الضواريبُ

[٨٥/أ]

ودوخت أرض الغرب حتى تسابقتُ
 لأمرِك طَوْعاً عَجْمُهُ والأهاريبُ

(١) شغب الشيء فرقه، واستعمل في الضد فقبل : شغب الصدع إذا له وأصلحه، ود شاعب «
 في البيت من هذا النحو .

فأوطأتهم فوق السماكين منزلاً
فليس لهم إلا هناك مراتب
ولما طلى بالشرق كل مكذب
عصى تناجيه الأمانى الكواذب

55 ويخلو على بُعد الديار بنفسه

فتعصبه (١) من طعن العدا ما يطالب
بدأتهم بالقول (٢) لو أن سعيهم
حميد (٣) لما ساءت لديهم عواقب

ولكن أبوا إلا رجاحاً وما دروا
بأنك حيزب الله - والله غالب -

ولجئوا على ظن بأن حصونهم
ممنعة لو أن غيرك طالب
فسمتهم بالرعب قبل نزاهم
فقللت جموع منهم ومضارب

60 وأرسلتهم من آل أعوج غلب
عليها من الأبطال شوم أغالب
من القوم ما غير القنا في طريقهم
أنيس ولا غير الهند صاحب

(١) في «م» فتعصبه ، وفي «ط» فتعصبه . (٢) في «م» بالقبول .

(٣) في «م» حميداً .

إذا أظلمت مُجَنِّجَ النُّهَارِ دُرُوعُهُمْ

أضَاءَتْ وَجُوهَ مِنْهُمْ وَمَنَاقِبُ

وإن ضلَّ في ليلِ الكفاحِ دليْلُهُمْ

هَدَتْهُمْ من العزمِ الصِّمِ كَوَاكِبُ

بأيديهم سمرُ الرِّمَاحِ كما على

عَوَاقِبِهِمْ بِيضُ السَّيُوفِ الْقَوَاضِبُ

65 فذاك أصمُّ يبلُغُ الطَّعْنَ للعدا

وهذا تسميعُ إن تاجي الكنايبُ !

غمائمُ للعافين ، تهتنُ ، صيبُ

وفي عَرَصاتِ المارقين مصائبُ

ففي الحربِ آسادُ وفي السلمِ سادةُ

ويومَ النداءِ والمكْرُماتِ سَعَابُ

ندبتهم اللهُ ثمَّ بعثتهمُ

تقامُ على الأعداءِ منهم نواديبُ

وسيرتَ فلولا أنْ أمركَ وازرعُ

لسارتُ جبالُ عندها وأهاضيبُ

70 وريثوا فلولا طودُ حلكَ قد رَسَا

لنزِعزعَ من ذاكَ الأشمَ جَوَانِبُ

يحيشُ بغصُ الأفقِ منه بمركبِ

ويمجزُ عن تمرِ الكتيبةِ حامِبُ

يباحُ حمى الأفلاكِ عندَ فريقهمُ

وتهبُ إن أومى إلى الشهبِ ناهِبُ

[٨٥ / ب]

أثرت بهم فوق الأعادي مصائباً
من التمع جدواها السهام الصوائب
وجئت على رَغَم خيال ديارهم
تَمَطَّرُ بالأردان منك مَسَاحِبُ

75 فلولا اعتصام كان منهم بطاعة
لأغرقتهم طوفانك المتراكب

ولما انتفى جبار تونس عزمة
ورام فراراً لو نجا منك هارب
بعث بها غربان زجر يحشها

لِتَفْرِقَ شمل من أعاديك ناعب
وملكتها شرفاً وغرباً كأنها

لأمرك من جاري المقادير صاحب
ولولا خطوب كنت حاسم دائها
لقد علموا كيف الغريم المطالب

80 أمولاي طاب القول لي فأطلت
وما طيب الأقوال إلا الأطايب

وما كان لي نظم القريض بيضاعة
ولكن دعاني نحو مدحك جاذب

فجئت بها حسناء تلنيس الرضا
وإن رَغِمَ الواشون منها وشاغبوا

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي
يَدَانِ بِسَخَطِ مَنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ
أَسَاقُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي الْقَيْدِ مُفْعَمُ
وَجِسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبُ
85 وَقَدْ وَضَعْتَ لِلْعَلَمِ فِي كُلِّ طَبَعٍ
وَعَاصٍ مُرَوِّدٍ عَنْكَ طُرُقُ لَوَاحِبُ
وَأَرْضَعْتَهُمْ نَدَى الْأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا
وَأَوْرَدْتَهُمْ صَفْوَةَ الْأَمَانِي وَحَارَبُوا
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعُلَا
تُسِيلُ الْوَرَى عَفْوًا فَتَعْفَى الْمَعَايِبُ
وَلِنْ أَتَيْتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُذْنِبُ
فَصَفِّحْكَ يَا مَوْلَايَ لِلذَّنْبِ سَالِبُ
وَهَبْتَهُمْ رَمَوْنِي بِالنَّارِ لَسْتُ أَهْلَهَا
أَلَيْسَ اتِّسَابِي وَاضِحٌ مُنَّاسِبُ ؟
90 أَبْعَدَ انْتِزَاحِي عَنْ بِلَادِي تَحْتَشِينِي
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطِيٍّ شَوَازِبُ (١)
وَعَرَاءُ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقُ (٢)
لَهَا فِي الرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ
يَحَازِبُ عَطْفِيهَا الْمِرَاحُ فَتَنْشِينِي
كَمَا التَفَقَّتْ فِي الرُّوضِ حَسَنَاءُ (٣) كَاعِبُ

(١) شواذب ج شازب : وهو الضامر .

(٢) الجدِيل ، وشَدَقَ فعْلان مشهوران للنعمان بن المنذر .

(٣) « حَسَنَاءُ » مَقَطَتْ مِنْ « م » .

وتكبرُ قدراً أنْ يَمِلَ بِمِثْلِهَا
اغْيِرَكَ قَصداً أو نَحْنُ مَطالِبُ

[٨٦ / ١]

رَقْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ الْبَيْدِ اسْطِطْرُأ
كَمَا زَانَ رَقْمًا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ
95 وَ جُبْتُ بِهَا غُورَ الْفَلَاةِ وَتَجَدَّهَا
وَلَيْسَ سِوَى مَنْ ذَنْبِهَا مَا أَصَاحِبُ !

كَأَنِّي لَفْظُ الْبِلَادِ تَجِيئُني
خَوَاطِيرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي صَوَائِبُ
نَظَنُ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمْلِ كَتْمِهِ
تَضَيَّقُ فَتَنْطَوِي سِرْمُنُ الْمَغَارِبُ

إِلَى أَنْ حَطَّطْتُ الرَّحْلَ فِي سَرَّحَةِ الْعُلَا
لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا تَحَطُّ آيِبُ
وَأَصْدَرْتَنِي عَنْ يَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلَا
وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي لَدَيْكَ الْمَوَاهِبُ

100 فَكَيْفَ أَوْلِي شَطْرَ غَيْرِكَ وَجْهَةً
أَوْ مَلُ مِنْهَا نُجْمَةٌ أَوْ أَرَاقِبُ

وَمَا خَلَصْتُ إِلَّا لِبَابِكَ هِجْرَتِي
وَلَمْ تَصْنَفْ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ
وَأَنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّ لَا مَمْلُوكُ
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا عَنكَ ذَاهِبُ

ولكن عواد إن عدتني عن الرضا
زماناً فإني اليوم ميسهن تائب
سأزيع عما أنت - والله - ساخط
فأمرك محتوم على الخلق واجب

105 وأسطو على الأيام منك نبوة
كما افتستني بينهن النوائب

وتوسعتي رحك أفضل نعمة
تريش بها عظمي وتثري المكاسب
فما في الليالي من ذمير - ولو أتى -
إذا حميت بعد المبادي العواقب

✱ ✱ ✱

صاحبنا الفقيه القاضي الكاتب يحيى بن أحمد بن محمد ابن
البغلة الأموي .

يكنى : أبا زكريا ، ورأيت ، وصحبته ، ويعرف بابن البغلة .
وهو من أهل طنجة واستنابه بعض قضاتها ، وكان عدلاً بساط
شهودها . وأصل سلفه من الأندلس من الجزيرة الخضراء . وكتب في
الحضرة المرينية للوكها ، وهو الآن كاتب الإنشاء بها لأمير المسلمين
المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المسلمين المستعين بالله أبي سالم إبراهيم .
وبيني وبينه وداد عظيم ولما [٧٦ / ب] كنت بالحضرة المرينية
حين أخرجنا عن الأندلس بنوعنا الملوك من بني الأحمر آل نصر كان

(١) بوبع المستنصر بالله أحمد بطنجة سنة ٧٧٥ وخلع سنة ٧٨٦ ، وهذه هي دولته
الأولى . (وحكم ثانية من ٧٨٩ إلى ٧٩٦) . انظر دوحه السرير ٣٤ ، ٣٨ .

يسنخلص لي حوائجي من ملوك بني مرين ، فعرضت لي يوماً عند
الوزير أبي يحيى أبي بكر بن الوزير أبي مجاهد غازي بن الكاس
المجدولي ، المدير لملك أمير المسلمين السعيد بالله أبي زيان^(١) محمد حاجة ،
وكان الفقيه أبو زكريا هذا له جاء^٢ مكين عند هذا الوزير ؛ فطلبت
منه ، وكتبت له في ذلك أبياتاً من قولي ، وهي :

أيجي مبيت الأحياء يرجو كلامك للوزير بغير ريث
فانت نصير من أخنى عليه زمان قد أتاخ بكل ليث
ومها أرسلت كفاك جوداً يكف بجوده وكاف غيث !

حاله - أكرمه الله تعالى - :

هو صدر الأعيان ، وعلم أولي البلاغة والبيان . الفصيح الذي
يقصر عن مرماه في الفصاحة سبحانه ، ويمجز عن مضاماته في الاختراعات
والإنشاءات بديع الزمان . سليم الصدر من البوار والمباهاة ، ذو ذكاء
وفكاهات !

فن قوله يمدح الوزير أبا علي عمر بن الوزير أبي عامر
عبد الله بن علي بن سعيد الياباني^(٢) مدير الدولة الحمدية المتوكلية
والعزيزية المرينية :

(١) تحدث السلاوي في الاستقصا عن خبر تدبير أبي بكر بن غازي بن الكاس لردلة
السلطان ابن زيان محمد المريني ، وقال إنه استبد ، واستعمل على الجهات ، وجلس
بمجلس الفصل ، واشتغل بأمر المغرب إبراماً وتقضاً . (انظر الاستقصا : ٦٠ ،
وروضة النسر : ٣٥) .

(٢) انظر روضة النسر لابن الأحمر : ٣٢ - ٣٣ .

أعاذِلني أنْ أبصرتْ راحتي صِفرا
 وأن لستْ يَمُنْ يَقتني البيضَ والصِفرا
 ذَريني فليسَ الشَّحْ أُولى بذي نهي
 من الجُودِ ، إنَّ الجودَ مَرتبةٌ أخرى !
 وإنَّ الفَتى مَن صانَ بالمالِ عِرضَه
 وأبقى بِتخليدِ الثَّناءِ بهِ ذِكْرا
 ودانَ بِتَشْفيعِ الصَّنيعِ مَمدَه
 بِبحارٍ تجدى لا يَتَقى مَمدُها جِزْرا
 5 انمرُ العُلا والجودِ والعُرفِ والنُدى
 لقدُ ألفتُ خَلقي السَّباحةَ والبِيرا

[٨٧ / أ]

ولا سِبا إذ داوَرَت عُمرَ الرضا
 وأهدتْهُ آمالاً فأصدَرها وفرا
 هو البعرُ لا بِلْ دونهُ البحرُ إنَّه
 لمَذبُ الحَيَا تجمُ اللُهي يلفُظُ الدَرا
 يروني الظَّما ، يَشفي الضَّما ، يَنقَعُ الصَّدَى
 يُنيلُ المُنَى ، يُولي الغنى ، يَصْرِفُ الفَقْرا
 إذا أخلفَ الغيثُ استَفْشَنا بِجُودهِ
 فيومِيعُنا رُحْمى ، ويَمْنَعُنا يُسْرا
 10 رعى اللهُ عَصراً جاءنا منهُ بالذي
 نُؤمِّلُ في الأولى ونَحْمَدُ في الأخرى

وزيرٌ ثَقِي صَانِ الخِلافةِ فَاعْتَدَتْ
 بِتَدْبِيرِهِ تَسْتَعْدِمُ الْفَتْحَ وَالنُّصْرَا
 يَرَى وَارِدَاتِ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهَا
 فَيُسَبِّدِي مِنَ التَّدْبِيرِ مَا يَشْرَحُ الصُّدْرَا
 وَقَدْ بَسَطَ الْعَدْلَ الَّذِي مِنْ رُؤَاةِهِ
 خَلَّاتِقُ حِلْمٍ لَا نُوفِي لَهَا شُكْرَا
 إِذْ أَنْتَ يَوْمَ الرُّوعِ لَا قِيَتَهُ فَقَدْ
 أَمِنْتَ، فَمَا تَدْرِي الْخَفَافَ وَلَا الزُّجْرَا
 15 وَإِنْ أَنْتَ فِي يَوْمِ الْهَيْبَاجِ رَأَيْتَهُ
 وَقَدْ أَعْمَلَ الْبَيْضَ الْبَوَايِرَ وَالشُّمْرَا
 وَعَوَضَهَا هَامَ الْعِيدَا مِنْ جُفُونِهَا
 فَأَوْرَدَهَا بَيْضًا وَأَصْدَرَهَا حُمْرَا
 يُؤَلِّي وَيُقْصِي^(١) فِي الْإِلَهِ وَإِنَّهُ
 لَسَمِينٌ طِينَةُ الْمَجْدِ الَّتِي كَرُمَتْ نَجْرَا
 نَمَتْهُ إِلَى الْعُلْيَا سَرَاةً أَكْبَرُ
 فَلَيْلَهُ مِنْهُمْ مَا أَجَلُّ وَمَا أَسْرَى
 حَمَرُوا حَوْزَةَ الْمَلِكِ الَّذِي لَمْ يُبَيِّحْ بِهِمْ
 حِيَاهُ وَشَدُّوا مِنْ قَوَاعِيدِهِ أَزْرَا
 20 وَهَاكَ الَّتِي أَمْدَيْتَهَا مِنْكَ كَفُؤُهَا
 وَأَبْدَيْتَهَا شَمْسًا مَيِّمَةً بَدْرَا
 خَرِيدَةً نَظَمَ أَنْتَجَتْهَا قَرِيحَةً
 لِغَيْرِكَ لَمْ تَعْمُرْ أَمْدَى دَهْرَهَا فِكْرَا

(١) فيها « يوالي » ورجع ما أثبت .

تجرّر من فرط الحياءِ رداءها-
وتلتئمِسُ الإغضاءَ لا غيره مَهْراً !
على أنْتِي لم أدّع الشعرَ صنعةً
ولم أتعاطَ النظمَ يوماً ولا النثراً
ولكنني إذ رُمْتُ مدحك قدتها
قسوافي فأنقادتُ "محبلة" غُراً
25 ووافتكُ تُثني بالذي أنت أهله
من الشبمِ اللاتي سمّتُ واعتلستُ قدراً

* * *

صاحبنا الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد
[٨٧/ ب] المثنان الانصاري الخزرجي (*)

يكنى : أبا العباس ، ورأيتُه ، وصحبته ، ويعرف بابن عبد
المثان ، ومسقط رأسه مدينة مكناسة ، وأصل سلفه من الأندلس ؛
من إشبيلية . وجده أحمد والد يحيى هو القادم من الأندلس على
بر العدو ؛ وأبوه يحيى استخدمه ملوك مرين في ولاية الخراج .
وله نظر في علم الطب مع المشاركة في الطلب ، والإجادة
في نظم الشعر . وأحمد والد يحيى القادم من الأندلس كان قد قدمه

(*) أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المثنان الخزرجي الأنصاري (٠٠٠ - ٧٩٢)
من كتاب الدولة المرينية كان أثيراً لدى السلطان أبي عنان المريني ، وعند عدد من السلاطين
الذين جاؤوا بعده . وفي درة الحجال لابن القاضي أخبار تدل على ثقة صلته ببني مرين وحسن
ملاقاته معهم .

(انظر درة الحجال ١ : ٥٣ ، ونثر فرائد الجمان ٣٤٨ وجذوة الاقتباس : ٦٠)

جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد
اسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا
أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن
خميس بن نصر الخزرجي أمير مالقة بالجزيرة الخضراء على خراجها .
فلما عبر البحر للمسدودة قدمه ملوك مرين على خ-راج مكناسة وولوه
قيادة قصبها ، ونال لديهم جاهاً مكنياً .

وأبو العباس هذا استكتبه أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان فارس
في حضرته السلطانية ؛ وله فيه أمجاد عجيبة . واستكتبه أيضاً في
الحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ،
وأمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم ، وأمير المسلمين أبو عمر تاشفين ،
وأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين أبو فارس
عبد العزيز ، وأمير المسلمين السعيد بالله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين
المستنصر بالله أبو العباس أحمد .

حاله - أكرمه الله - :

ظهر له في القريض باع أي باع ، وكان لمعانيه جلاء وللتنايا
اطلاع . وهو مجيد في فكرته ، يأتي بالغرابة في رويته ، وقد انقادت
له ركائب الآداب بأزمته ، وتجلت له شمس البديعة عن ظلمتها . إلى خلق
في [٨٨ / ١] الفضائل ممكنة ، وأفعال حسنة بسنه .

أنشدني نفسه ، ورفعها ليله مولد رسول الله ﷺ من عام سبعة

وخسين وسبعائة ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس (١)
وعارض بها قصيدة الشيخ الفقيه الإمام العالم الصوفي المحقق أبي عبد
الله محمد بن خميس الحنجري (٢) التي أولها :

أما المشيبُ فقد لآعتْ لوامعُه

فما ليدمعيك لا تهني هوامعُه

(١) كانت لاطان أبي عنان المريني عناية فائقة بالعلوم والآداب ، ونقل المترجمون لابن
خميس أنه كانت لأبي عنان عناية خاصة بأخباره وأشعاره (نفح الطيب ٥ : ٣٦٦) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الحنجري الحنجري - حنجر ذي رعين ، وهو أبو قبيلة من
اليمن - التلمساني عرف بابن خميس (. . . - ٧٠٨) من علماء تلمسان وشعرائها
المعدودين . وقد أفاض مترجموه في ذكر آثاره ومزاياه العلمية والأدبية ، ومنهم لسان
الدين بن الخطيب ، وابن خاتمة الأنصاري شاعر المرية وأديبها .

ارتحل ابن خميس إلى سبنة ، دار إمارة بني العزفي فأقام مسده ، ثم ارتحل إلى الأندلس تحت
رعاية وزيرها ابن حكيم ، وطاف في بعض بلاد الأندلس . وكانت وفاته في حادثة
فكبة الوزير ابن حكيم ، قتله بعض مهاجمي قصر الوزير دون جريرة سنة ٧٠٨ ، وله
نيف وستون سنة (؟) كما نقل في نفح الطيب وأزهار الرياض .

قال ابن خاتمة في مزية المرية في حقه « كان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، يصرف
العويص ويركب مستصعبات القوافي » وذكر عنايته والعلوم اللغوية ، ومشاركته في
المقليات ، وقعوده للإقراء أيام مقامه بفوطاطة . قال « ومال بأخرة إلى التصوف
والتجوال ، والتعالي بحسن السميت وعدم الاسترسال » . ويلتقي هذا الكلام مع ما
يذكره ابن الأحرار عن تصرفه وقد جمع أبو عبد الله الحضرمي - معاصر ابن خاتمة
ولسان الدين - شعر ابن خميس في ديوان سماه الدر النفيس في شعر ابن خميس .

(ترجمته وقصائد من شعره في : أزهار الرياض ٢ : ٣٠١ ، ونفح الطيب ٥ : ٣٥٩ والدرر
الكامنة ٤ : ١١٣ والتعريف بابن خلدون ٣٩٠ وانظر : مختارات من الشعر

الأندلسي : ١٩٣) .

فقال - نعماً الله في أجله - :

هل العقيقُ وما ضمت أجارعُسه
كما عهدناه أم أقوتُ مرابعه
وهل تغير بان الحَيَّ بعد نوى
أهليه أم روتُست خصباً أجارعُه
ديارُ تلمى سقاها من ديارِ هموى
من صيبِ الفَيْثِ هاميه وهاميه
قفا بها إنَّ عهداً للطلولِ على
دمي السكيبِ بان تجري دوافيه
5 وهل وقوفُ مُحِبٍ بالطلولِ على
إثر الخليطِ الذي قد بان نافيه ؟
لله عهدك ياربِّـهـم الألى ظعنوا
أيامَ روضك غضِّ الدوحِ يانعه
أيامَ ظبيك لم تغفر مراتبه
منه ، وبذرُك لم تُظلم مطالبه
ودار تلمى يجرعاه إلهى كسب
وموريد الوصل لم تحظر مشارعه
لعمرك تلمى لقد بانَّت وما تركت
سوى جوى يسفع الأضلاع سافيه

10 ومنية يترجأها (١) على طمع (٢)
 منه ويأبى مشوق القلب جازعه
 في ذمة الله قلب كلنا ذكوت
 سلى نفس به خفقا أضالعه
 وإن سلى لظي في النفار وفي
 طرق الملا قد أعيت منازعه
 ماذا تجرعت من مرّ الفرام هوى
 يا قلب فير ، وماذا أنت جازعه !
 أبيت ليلى من جرّاه مكنته
 بالسهد وهو نؤوم الجفن هاجمه

[٨٨ / ب]

أدافع الوجد في سلى فيغلبني
 والوجد لا شك مغلوب مدافعه !
 15 أخادع القلب عنها وهو يتخدعني
 كذلك القلب خدوع مخادعه !
 ويح الحب لقد نمت شمائله
 بسعته فهو خافي السر ذائعه
 وأي واش به في الحب يكذبه
 سهاد أم ضناه أم مداامعه ؟

(١) فيها يترجها « بتشديد الجيم » ونرجع ما أثبت .

(٢) في « ط » طعم ، وهو تحريف .

أم ذَفْنَةُ قَذَفَ الرَّجْدُ الصِّمِّ بِهَا
 طَيَّ النَّسِيبِ وَقَدْ رَقَّتْ وَشَائِبُهُ
 20 هل ثَعْلَمَانْ لَهُ رَاقٍ فَيَطْمَعُ فِي
 بِرِّهِ أَمْ الْحُبُّ دَاءٌ عَزُّ دَافِعُهُ ؟
 أَوْ مَلَجًا غَيْرَ أَعْلَى الْخَلْقِ مَنَزَلَةٌ
 يَوْمَ الْحِسَابِ وَقَدْ رَاعَتْ رَوَائِعُهُ
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَوْلَاهَا وَآخِرَهَا
 وَحَازَ الْفَضْلَ دَانِيَهُ وَشَائِبُهُ
 يَا لَيْلَةَ أَصْفَرَتْ عَنْهُ ظَفَرَتْ عُلَا
 بِالْفَخْرِ قَدْ مَلَأَ الْأَقْطَارَ شَائِبُهُ
 ضَاءَتْ لِمَوْلَدِهِ الْآفَاقُ وَانْقَضَتْ
 سُبُلُ الرِّشَادِ بِمَا تَجَلَّتْ نَوَاصِيهِ
 25 وَأَصْبَحَتْ (١) صُورُ الْأَصْنَامِ مِنْ وَجَلٍ
 وَالْكَلُّ نَاكُسٌ أَعْلَى الْمَامِ خَاضِعُهُ
 وَأَمْسَكَ النَّهْرُ تَخَوُّفًا عِنْدَ ذَلِكَ إِذَا
 أَحْسَنَ بِالْجُودِ قَدْ فَاضَتْ يَنَابِيعُهُ
 وَأَخَذَتْ نَارُ كَيْسَرِي وَهِيَ مَا عَلِمُوا
 وَقُودُهَا قَبْلَ وَارْتَجَّتْ مَصَانِعُهُ
 وَكَمْ دَلِيلَ لَهُ مِنْ قَبْلِ تَبَعِهِ
 وَبَعْدَهُ صَدَعَ الظُّلُمَاءُ سَاطِعُهُ
 كَأَيِّ الْغَارِ لَمَّا قَامَ نَاسِجُهُ
 مِنْ دُونِهِ وَأَوَى لِلْوَكْرِ سَاجِدُهُ

(١) كذا في الأصلين .

30 وأعلّمته ذراعُ الشتاءِ مُشفقةً
 بِسُمتها لبتَه (يفتض) (١) ناعمةُ
 والضّبّ والذئبُ تصديقاً له نطقاً
 والطفلُ أفصح لم قفطمُ مراضيهُ
 والشمسُ والبدرُ هذي (٢) رُدُّ غاريبها
 بعدَ الأفلوهِ ، وهذا شقّ طالعهُ
 والماءُ فاضّ تمينا من أصابعه
 وهل ببحورِ الندى إلا أصابعه ؟
 وعادة في الرّوع جدل (٣) النّخل من يديه
 بالشمسِ أبيض لا تَنبُو مقاطعهُ
 35 والفُصن لما دعاهُ جاء مؤتمراً
 يَنخطُ في الأرض لا شيء يهانيه

[٨٩ / أ]

والجذعُ أسمع ترديدَ الحنينِ له
 لو لم يفارقه لم يسمعه سامعهُ
 آياتُ صديقٍ جلتْ علياءُ مُتخَبِ
 لم يُطلع الكونُ من تخلي يُضارعهُ
 مؤيدٌ يحنودُ الله بكفه
 هادي إلى الحقّ مهدي متابعه

(١) هذا أقرب ما يقرأ في النسختين .

(٢) فيها « هادي » وزجع ما أثبت ، وانظر الشطر الثاني .

(٣) فيها جدل ، وتُحتمل قراءة جدل (بالذال) وجزل (بالزاي) .

مُخَصَّصٌ بِمَزَايَا الْقُرْبِ طُولُوعٍ مِنْ
مَعَارِفِ الْغَيْبِ بِالسَّخْتُومِ طَابِعُهُ

40 وَأَوْتِي الْكَلِمَ الْوَضَاحَ حِكْمَتُهُ
وَلَا مَرِيءَ قَبْلُ لَمْ تُجْمَعِ جَوَامِعُهُ

مَا وَصَفُ فَضْلِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَرَفًا
بِمُمْكِنٍ فَتَيْطِيلُ الْقَوْلَ وَاضِعُهُ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ أَوْصَافًا وَقَدْ فَتَرَعَتْ
مَرْقَى الْعُقُولِ وَإِنْ جَلَّتْ فَوَارِعُهُ ١٢

يَا صُفْوَةَ اللَّهِ وَالِدَاعِي بِرَحْمَتِهِ
إِلَى النِّجَاةِ بِمَا سُنَّتْ شَرَائِعُهُ

دُعَاءَ مُحْتَقِبِ ذَنْبًا أَضْيَقَ بِهِ
ذَرَعًا فَأَمَّا حَيْبَاكَ الرَّحْبِ مَا نَبِعُهُ

45 لَوْلَا تَمَسُّكُهُ قَدَمًا بِحَبْلِكَ مَا
إِنْ كَادَ يَطْمَعُ فِي الْغُفْرَانِ طَامِعُهُ

حُبُّ إِلَيْكَ - رَسُولَ اللَّهِ - أَخْلَصَتُهُ
قَلْبُ تَقْلِبُهُ شَوْقًا نَوَازِعُهُ

كُنْ شَافِعًا لِي أَسْعَدَ بِالْمَقَازِ غَدَاً
فَمَا السَّعِيدُ سِوَى مَنْ أَنْتَ شَافِعُهُ

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ يَا أَعْلَى الْأَنَامِ عُلَا
يَا خَيْرَ مُنْتَجِعٍ تُرْجَى نَوَاجِعُهُ

أَعْلَلُ النَّفْسَ تَعْلِيلًا بِقُرْبِكَ لَ
... مَكْنِي أَرَى الْقُرْبَ قَدْ سُدَّتْ ذَرَائِعُهُ ١

50 ولي على الدهر دَيْنٌ لَشَمٌ تُربِكُ ل ...

. يَكُنُ التَّقَاضِي تَلَوِيهِ مَوَانِيهِ

ما كُنْتُ آمِلُهُ لَوْلَا الْخَلِيلَةُ لَا

زَالَتْ تَوْمَلُ لِلْعُسَى صَنَائِعُهُ

إِمَامٌ عَدْلٍ وَإِحْسَانٍ سَمَتْ شَرَفًا

فَرُوعُهُ وَزَكَّتْ طَيِّبًا مَنَابِعُهُ

مِنْ عَصِيَّةٍ أَثَلُوا الْمَجْدَ التَّلِيدَ عَلَا

وَدَوَّخُوا الْكُفْرَ فَاسْتَغْزَتْ بَوَاقِعُهُ (١)

يَا آلَ يَعْقُوبَ أَعْلَى اللَّهِ مُلْكُكُمْ

فَهُوَ الْمَلَاذُ الَّذِي تُرْجَى مَفَارِجُهُ

55 مَا آلُ يَعْقُوبَ إِلَّا مُرْتَقَى شَرَفٍ

سَامَى النُّجُومَ فَفَاتَ النُّجُومَ فَارِعُهُ

بَنَى لَهُ الْمَجْدَ عَبْدٌ الْحَقُّ مُمْتَلِيًا

وَجَاءَ يَعْقُوبُ لِلْفَيَاتِ تَابِعُهُ

[٨٩ / ب]

وَيُوسُفُ ثُمَّ عُثْمَانُ وَتَجَلَّيْهُمَا

عَلَى مَعْلَى مَنَارِ الْمَجْدِ رَافِعُهُ

وَفَارِسُ الْبَاسِ وَالْإِنْعَامِ مَنْ عَلِمَتْ

بِهِ الْمُلُوكُ ، مَذَلُ الشُّرَكَ قَامِعُهُ

(١) الباقعة : الرجل الداهية ، والذكي العارف .

مؤيدُ الأمرِ لم تُعْجِمْ صَوَاهِلُهُ
يومَ النِّزَالِ ولم تَكْهَمْ قَوَاطِعُهُ^(١)
60 لَيْثُ الْحُرُوبِ إِذَا مَا جَتَّ كَتَائِبُهَا
غَيْثُ الْجُدُوبِ وَقَدْ رَاعَتْ طَلَائِعُهُ
سَلَّ كُلُّ قَطْرِ بِمَا وَفَى نَدَاهُ بِهِ
إِذْ أَخْلَفَ الْقَطَرُ وَاغْبَرَتْ مَوَاقِعُهُ
وَالْبَدْوُ وَالْحَضَرُ كَمْ أَحْيَيْتَ مَوَاهِبُهُ
وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ كَمْ أَرَدْتَ وَقَائِعُهُ
غَمَرُ النَّوَالِ عَطُوفٌ مُحْسِنٌ جَبِيلَتُ
عَلَى الْمَكَارِمِ وَالرَّحْمَى طِبَائِعُهُ
مَا زَادَهُ اللَّهُ مِنْ عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
إِلَّا وَزَادَ لَهُ فِيهِ تَوَاضَعُهُ
65 أبا عِيْنَانَ لَكَ الْخَيْرَاتُ مِنْ مَلِكٍ
هَاصِيهِ قَدْ خَابَ لَمَّا فَازَ طَائِعُهُ
أَعْلَانَيْتَ دِينَ الْهُدَى لَازِلَ مُعْتَلِيَا
فَعَزَّ أَهْلُوه^(٢) وَاسْتَغْذَى مُهَاصِعُهُ^(٣)
وَمُجْتَدٍ أَنْتَ مُعْصِيهِ^(٤) وَجَابِرُهُ
وَمُعْتَدٍ أَنْتَ مُقْصِيهِ وَرَادِعُهُ

(١) سيف كهام : كليل .

(٢) في « م » أهله ، والمثبت من « ط » .

(٣) ماصعوا : قاتلوا رجالدوا .

(٤) حبا المتاع : هبأه ، والجيش : جهزه .

وجنح ليل تجلنى عنك فاجمعه
 وأنت قائمه بيوماً وراكمه
 وموسم جل قدراً باعتيناك به
 راقته لباليه وازدانت سوابقه
 70 يذكسر الخلد ، قال الخلد منزلة
 مقبمه يبتغي الزلفى ، ورافقه
 تمت بسعدك فيه كل معجبه
 وانقاد كل بديع الحسنى رائعه
 وآلة للمواقف استقل بها
 صنع تفوت النهى لطفاً صنائعه
 أبياتها عد أبراج السماء ولا
 قطب ولا فلك تدري مواضعه !
 يجري الهلال عليها جريها أبداً
 على المنازل صنع فاق بارعه
 75 وفي البيوت جوار كل واجدة
 منهن خصت بمقات تطالعه
 حتى إذا جد إسرعا لوجهيه
 وحس منه فراق حان واقعه
 وأذن الطير من أعلى مراقبه
 بينه مغرباً عن ذاك قارعه

[٩٠ / أ]

ثارت هنالك توديعاً له ودنت
 إلى الفناء على ذعر تشايعه

وفي اليمين كتابٌ بامم موقتها
إلى الإمام وقد أومت تبايعة
80 وشامخ المرتقى آوى لأفرخه
بالوكر وهو أمين السرب وادعه
أتبع عمداً له مستشع تبيط
رحب القذال صقيل الطرف لاميعة
أحوى الأديم يجاري دونما قدم
هوج الرياح، حديد الناب قاطيعة
جم الثقلب لم تؤمن غوائله
غدرأ، وتحدّر من تختل خداليعه
يسمى له الحين بعد الحين برزوه
ثكلا فيصفره خوفاً أو يقارعه
85 كذلك الليل لا ينفك مختلفاً
إليه وهو عن الأفراخ دافيعه
ومثله لأخيه ينتحيه ومثا
إن منها ليله إلا مقارعه
كانما الصل أمسى نمسيكا فإذا
ما ساعة ذهبت تارت مطاليعه
وظنّها آخر الساعات قد أذنت
يفطره فسما للفرخ لاميعة

رياضُ حُسنٍ بَدَا لولا سُعودك لم
تُسْتَجَلْ يا مالِكُ الدُّنيا بدائِعُهُ
90 في ليلةٍ آنستُ مَرأى ومُسْتَمَعاً
لا شتٍ من شَطْطِها بالأنسِ جَامِعُهُ
نودٌ فيها - وإن لَمْ نُعطَ ذلكَ - أن
لو عرَّسَ اللَّيْلُ أو مُدَّتْ هَوَازُهُ (١)
قد حَجَّبَ السَّجْفَ عَنَّا شُجْبُهَا وِبدَتْ
كواكبُ الشَّمعِ إذ صُفَّتْ مشامِعُهُ
ولم يكنْ يا أميرَ المؤمنينَ بيها
إلا مُعَيَّنَاكَ من بَدْرِ نَطَالِيعِهِ
بقيتَ للدينِ والدُّنيا تَزِينُهَا
والمَلِكِ ما صَدَعَ الإِظْلَامَ صَادِعُهُ
95 وهاكها من خبايا الدَّهرِ قافيةً
تُزهِى على الدَّرِّ قد (٢) صُفَّتْ رِصَائِعُهُ
أهداكها فائقَ الإبداعِ بِاسْمِكَ ما
رَقَّتْ مَبَادِيهِ أو رَقَّتْ مَقَاطِعُهُ
وقد تَعَمَّدَ فِيهَا وَصْفَ مُعْجَبَةٍ
أَجَادَ فِي صُنْعِهَا لا شَكَّ صَانِعُهُ
لَمْ يَنْعَتِ البَعْضُ مِنْهَا عن مُشَاهَدَةٍ
لكنْ بِيَا هو في الأَخْبَارِ سَامِعُهُ

(١) المزيج من الليل : الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربه .

(٢) « قد » ساقطة من « م » .

[٩٠ / ب]

فإن أصابَ فذاك اليُمنُ مدّدهُ
قديماً وإن لم يُصب فالحيلمُ واسيعهُ
100 يتلى بحمدك من أمداحيه كلمُ
تَبلى الزَّمانُ ولا تَبلى وشائعهُ
لو مرَّ بابن تخيس وفده لدري
بأنَّ ثمَّ تخيساً لا يهاصيعهُ
قضى له الدهر تأخيراً ولا عجبُ
تأخَّرُ الشمسُ عن فجرِ تَتابعهُ ا

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدحه ، ويصف قتل الأسد بين يديه
بقصره ، والثور المقاتل للأسد ، والأكرة (١) ، والمخاتل ، وغير ذلك
بما يلعب به مع الأسد :

أسرى فبيجَ لاعيجَ البرحامِ
برقُ أضاءَ له مِن الجرَّاءِ
أهدى - وقد نامَ الحليُّ عن الحمى -
خبراً وطارَ بطارقِ الإغفاءِ
وحكى به أن الثغورَ بواسيمُ
وضاحةٌ والبيضُ ذاتُ مضاءِ
هرقَ الوميض وإن في كنفِ الحمى
لشبيهةٌ بالجَونةِ الفراءِ

(١) « الأكرة » ساقطة من « ط » .

- 5 تَجَلُّوْا عَنِ الْبَدْرِ اللَّثَامَ وَإِنَّمَا
تَفْتَرُ عَنْ بَدْرِ وَعَنْ صَبَاهِ
عَبَثَ الصَّبَا بِقَوَامِهَا عِبَثَ الصَّبَا
بِالْفُصْنِ [عُلَّ] (١) بَوَاكِرَ الْأَتْدَاءِ
زَارَتْ وَجُشَّحَ اللَّيْلُ مُعْتَبِكِرٌ وَمِنْ
دُونِ الزِّيَارَةِ مُلْتَقَى الْأَعْدَاءِ
وَالزُّهْرُ كَالْأَزْهَارِ إِلَّا أَنَّهُ
نَشِرَتْ خِلَالَ بِنَفْسِ الظُّلُمَاءِ !
وَالْبَدْرُ يَسْبَحُ فِي الْغَمَامِ كَأَنَّهُ
مِرَاةٌ هِنْدٍ وَسَطَ لَجَّةِ مَاءِ
10 ضَاءَتْ بِشَهَبٍ حَلِيئِهَا شَهَبُ الدَّجَا
وَأَتَتْكَ تَمْشِي مَشْيَةَ الْحَبْلَاءِ
أَنْتِ أَمْنَتْ - هَدَيْتِ غَائِلَةَ السُّرَى
وَالْوَاشِيئِينَ : تَارُجٍ وَضِيَاءِ
لَمْ تَرْهِي الْأَسَادَ غَلْبًا ، وَالظُّبَا
قُضْبًا ، وَجُبْتَ مَضْلَّةَ الْبَيْدَاءِ !
قَالَتْ : أَمَا أَحْيَيْتُ مِنْكَ مُشَيِّمًا؟
أَنْتِ أَضِلُّ ، وَدِنْتُ بِالْإِحْيَاءِ ؟
أَبْرَى ضَلَالٌ وَالْخَلِيفَةُ فَارِسٌ
فِي الْأَرْضِ أَنْ يُلْفَى عَلَى الْغَبْرَاءِ ؟

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ «عُلَّ» وَنَزَجَ مَا أُثْبِتَ .

15 يَمُتْ عُلْبَاهُ فَمَا مِنْ مُنْذِرٍ
أَخْشَى وَلَمَّا أَرْجَى مَاءَ سَمَاءِ

[٩١ / أ]

صَرَافٌ عَادِيَةٌ ، مُزْرِيجٌ ضَلَالَةٌ
فَرَّاجٌ دَاهِيَةٌ ، عَظِيمٌ غَنَاءِ
تَسْجَلُو الْأَمِيرَةَ مِنْهُ بِدَرٍّ مَكَارِمِ
وَيُفِيضُ مِنْهُ الْجُودُ بِحَرٍّ عَطَاءِ
وَتَهْجُ مِنْهُ الْحَرْبُ لَيْثَ مَلَا حِمِ
وَيُقِرُّ مِنْهُ الْحَيْلُ طُودَ عِلَاءِ
هَلَا سَأَلَتْ بِهِ الْغِيُوثُ فَإِنَّهُ
تَمَهَا اسْتَهْلَتْ فَاضِحُ الْأَنْوَاءِ

20 وَسَلَّ اللَّيُوثُ تَجْبِيكَ صِدْقًا ؛ إِنَّهَا
أَذْرَى بِفَتَاكِ عَضْبِهِ الْمَضَاءِ ؛
فَلَمْ يَوْمَ فِي حِمَاهُ مُفَضِّضُ الْ...
... لِصَبَاحِ مِنْهُ ، مَذْهَبُ الْإِمَاءِ

رَقَعَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ بَيْنَ عَجَائِبِ
رَقَعَتْ فِرَاقَتْ كُلَّ طَرْفٍ رَامِ
وَأَجَشْ مُنْهَرَّتِ اللَّتَا نَهْدَ الطَّلَا
عَبَلِ الْجَزَالَةِ عَمَّ الْأَنْسَاءِ

طَاوِي الْحَشَا ، رَحْبِ الْمَقْدَمِ ، عَابِسِ
مُتَطَلِّعٍ عَنْ جُنُودِي ظُلَمَاءِ

25 بَلْ كُوكِبِينَ تَهَارَتَا بِجَبِينِهِ
لِحَيْدُوثِ مَا نَبَأَ مِنَ الْأَنْبَاءِ

وأرى الأهلّة في البُذور وإنما
 يعتدّها للآزمنة الدّهماء
 يفتّره لا لينبّس يعتاده
 ويُعانيقُ الأقران لا لإنهاء
 قد طالما سهرت غفّة بأسه
 دون الحلال طلائع الأحياء
 قذفت به الأقدار بين مخايل
 ومكابد ومناجز ومنا
 30 رفّعوا لموقت تحفه كرة فلم
 تُبرز له إلا طويل شقاء
 جاؤوا بها شمسا تيمّم بيتها
 منه ، وإن اللّيث (١) بيت ذكاه
 عجباً لها جازت إليه النور لم
 تَجْنَح إلى الشرطان والجوزاء
 ومعدّلوا الشّبكات بعد ترده
 حكوا عليه بشدة ورخاء
 ألوه في التّابوت ثم تمعدّوا
 إرساله ؛ أبقوه لا لبقاء
 35 لكن أرباب الصّفائح صمّوا
 فقضوا بيداه له دَهياء
 هذا وقد طلعت بوشك حمامه
 شهب الأسنة ، جمة الأضواء

(١) في « د م » اللّيت . والمثبت من « ط » .

[٩١ / ب]

يا نصبة حكت على ليث الشرى
قَسراً بِقَضِ المتن والأحشاء
لو لاحتظته عناية القمر الذي
في البرج (١) أَمَنَ طارق الأرزاءِ
... (٢) لَمَّا قَضَى إِسلامَهُ
للشمر والخطيبة السمراءِ
40 والحارث الفتاك بالأسد الذي
لم يَبْقَ إِشفاقاً على الآباءِ
طلعت بفرقه الأهلّةُ إِنها
أَبْدأَ لَهَا مِنْهُ مَعْلُ ثَواءِ
باليث [لا تَأْمَنُ] (٣) ختلاً إِنَّهُ
ليكرّ بعد تَعْيِزِ وثَناءِ
لا يُطِيعَنَّكَ إِن أَجَدَّ مُنْكَباً
لَمَّا دَلَّتْ لَهُ حَثِثَ عِداءِ
ما ذاك إِلا لو علّتْ تائِثاً
من قطع أرحامِ وسَفَكِ دماءِ !
45 وِسلِ الجَواميسَ البَهِيمِ أَدِيمُها
تُخَبِّرُكَ فِيهِ لَهُ مِنْ الشَّهْداءِ ا

(١) في الأصلين البروج ، ونرجح ما أثبت ، للوزن .

(٢) في « م » والحار قضي . وفي « ط » فالحار قضي . وأظن الناسخ الاول أخطأ

بنقله عين فكتب جزءاً من كلمة الحارث في البيت التالي ، وتابع ، فاضطرب الشطر .

(٣) فيها : لائمه ، ونرجح ما أثبت .

فلقد شهدن أخاك لما أمه
 كالسهم قاسمه مدى المثناء
 أنحى عليه بصدمة ثورية
 تركت أسامة واهبي الأنحاء
 وبطعنة نجلاء أنهر فتها
 تحت الأديم عريضة جوفاء
 شكت فريصته [فولسى] (١) ناجياً
 يعني النجاة ولا حين ننجاء
 50 ثم استكان يودد الزفرات عن
 وهن وتلك شكاية الضعفاء
 حتى أنه العين عائدة وما
 إن كن قبل له من السجراء (٢)
 رحمته - وهي عداته - ولحادث
 متفام ما رحمة الأعداء
 فاحذر مصرع تربك الماضي ولن
 يشي الحذار مقدراً بقضاء
 ياليت سامتك (٣) الهوان بنو الوغى
 فاصير لما سامت بنو الهياج

(١) لم يترك الناسخ فيها فراغاً . وما بين معقوفين مقترح .

(٢) السجراء جمع السجبر : الخليل والصفي . (٣) فيها : شامتك ونرجح ما أثبت .

55 تلك الأسنّة والقنا أتحالها
أزهار قُضِب السُّرُوح الفتيان (١)
والبيض لامة وما هي - فائتد -
بجداول العريس (٢) ذي الأفياء
ومصارعُ الأماير ليست هذه
بمصارع الإدلاج والإمراء !

[٩٢ / أ]

دارُ الخلافة يمتّ ساحاتها
صيدُ الملوك خيفة ورجاء
راقت مراقي برجيها بخليفة
لم يعدد هدي أئمة الخلفاء
60 متهلّ غمر النوال مظاهر
في بردتين : جلالة وبهاء
ترتاده الدنيا فيرجع أهلها
من غير سوء باليد البيضاء !
رحبُ المجال مناضلاً ومناظيراً
ثبتُ الانتقام مسدّد الإلقاء
حمل الوري رُشدأ وقد ضلّوا على
نهج الهدى ومحبة السمعاء
لا تشكر الإرشاد منه إنه
لأبو المعالي ، تجهيز العلماء

(١) الفتيان : الخضراء من الشجر .

(٢) العريس : ماوى الأسد .

- 65 يا فارسَ الهَيَّجاءِ دُمْتَ لحكمةٍ
ومكارمٍ وبسالةٍ وسخاءٍ
دوتحتَ أرضِ الرومِ منتقيماً على
شحطِ المزارِ ومنعة الأرجاءِ
وبعثتها غربانَ زجرٍ لم تطرُ
لهم بغيرِ كربةٍ شنعاءٍ
لما بدتْ وبَنُو الوغى من فوقها
والشمر نازعةً إلى الهَيَّجاءِ
قالوا الرُّبا والأسدُ في آجامها
تختاضُ عرضَ اللبجةِ الحضراءِ
70 جاسواً خلالَ ديارهم فكانتها
لم تغنَ بعدَ مزاهرٍ وغيناءٍ
وفواقسٍ تهدي الضلالَ مميعة
وكنائسٍ وجآذرٍ وظيياءٍ
أما بلاد الشرقِ نالتْ رُشدَها
بوسيلتين : إنايةٍ ووفاءٍ
ألفتْ بمقلدِها إليك ولم تنزلْ
من قبلُ ذاتَ تمعرٍ وإياهِ
والعربُ تجهدُ في رضاك وإنما
أخذوا بحظهم من العلياءِ
75 أنت الكرامُ ، وعصرُ ملكك دهرهم
والأرضُ - أجمع - حضرةٌ البَيضاءِ !

(١) البَيضاءِ حضرة الملك المريني من فاس .

ولك الخطابُ الفصلُ والفضلُ الذي
لم يَخْتَلَفْ فيه ذَوُو الآراءِ
ولك القضاءُ المدلُّ مدَّه^(١) الذي
ولاك إذا أولاك كلُّ عَلاءِ
لا زلتَ تكلُّ أمةً جبارُها
يكلُّوكَ في المرءِ والضرءِ^(٢)

[٩٢/ب]

وبقيتَ للإسلامِ ما جرَّ الدُّجا
لِمِلاَةِ الإصباحِ فضلُ رداءِ
80 واهنَّا بعيدِ النحرِ حُلَّى جِيدةُ
سِلْكا فتُوجِرُ واقتِبالِ سَناءِ
وإليكها عَنراءُ قُزْهى نَخوةُ
يَحُلِّي مَحابِها على العَذراءِ
أَسَدِيَّةٌ لم تَدْرِ ما يَمَنُّ ولم
تُنسَبُ بجاورةٍ إلى الأذواءِ
أَحْكَمْتُها صُغاً فقالَ رُؤُوسُها :
عَجَباً أَهْذا الوَثِيُّ من صَنعائِ ؟
طالَتْ وأحشَمَها القُصورُ فأقبلَتْ
من خَجَلَةٍ تَمشي على اسْتِحياءِ
85 إنَّ لم أَقلِّدْها عُلَّاكُ فَرَّانداً
كالشَّهبِ بعدَ سَناءِ وحُسنِ رِواءِ

(١) فيها : مدد ، والمثبت مقترح . (٢) حركة همزة يكلُّوك مختلفه .

وأجبل في مبدانٍ شكركَ عَرَبِيَّهَا
غُرّاً فَلَسْتُ بِشَاكِرٍ النِّعَمَاءِ
فَضَحَتْ بِمِنْكَ كُلُّ جُودٍ وَأَبْلٍ
وَتَنَائِي عَرَفَ الرُّوضَةَ الْفَنَاءِ

وعلى هذه القصيدة حكاية : وهي أن صاحبنا أبا العباس لما رفعها لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، وافق المجلس أن الشريف أبا عبدالله محمد بن القاسم الحسيني الميراثي رفع للمتوكل أبي عنان قصيدة مثلها في الوزن والقافية فلما قرئت قال شيخ بني مرين وهو الحاج أبو مهدي عيسى بن الحسن بن علي بن يحيى بن مندبل بن أبي الطلاق العسكري لأبي عنان المتوكل يا أمير المؤمنين ! إن قصيدة الشريف أحسن من قصيدة ذلك الحضري ! يعني صاحبنا أبا العباس بن عبد المتان . فقال له أبو عنان المتوكل على الله : « ليس الأمر على ما ذكرت ، اسكت ، فإنك غير عارف بالشعر ! إن قصيدة أحمد أبداع من قصيدة الشريف ! » وصاحبنا أبو العباس لهذا كله قائم بين يدي أبي عنان المتوكل يسمع ما قال السلطان ، وما قال الشيخ أبو مهدي ، فعقدما للشيخ أبي مهدي . فلما قام الشيخ أبو مهدي بجبل [٩٣ / أ] الفتح من الأندلس على أبي عنان (١) ، وقبض عليه ، وسبق للمتوكل

(١) كان انتقاض أبي مهدي عيسى بن الحسين بن أبي الطلاق على أبي عنان الميراثي سنة ست وخمسين و سبع مئة . ووصفه السلاوي بأنه كان وزير أبي عنان وصاحب شورا ، وأنه من شيوخ بني مرين ورجومها . وكان انتقاضه بجبل طارق (وهو جبل الفتح المذكور ، سماه بذلك الموحدون بعد إزالته المرابطين ودخولهم الأندلس) . قال : وهو انتقض على السلطان لأسباب يطول شرحها . وقد انتهى أمر الثائر إلى سجن أبي عنان ثم قتله مع ابنه ، ولم يقبل منه عذراً .

أبي عنان سرُّ صاحبنا أبو العباس بذلك ، ونظم قصيدة ورفعها
لأبي عنان يحرضه بها على قتله ؛ فقتله بالرمح وأنا حاضر لقتله .

والقصيدة هي هذه :

مُحِبَّاتُكَ أَهْيَ لَا الْهَلَالَ وَلَا الْبَدْرُ

وَرِيْقُكَ أَشْهَى لَا الزَّهْلَالَ وَلَا الْخُمْرُ

وَلِحَفْظِكَ أَنْكَى لَا الْبَوَائِرُ تُنْتَفَى

وَعَرَفُكَ أَذْكَى لَا الْأَزَاهِرُ تُقْتَرُ

أَيَا مَالِكَ الْقَلْبِ الَّذِي جَارَ فِي الْهَوَى

عَلَيْهِ ، تَرَفَّقْ ، رَبِّمَا وَهْنُ الصَّبْرِ

وَيَا بَاخِلًا حَتَّى بِطَيْفٍ خِيَالِهِ

نَشْدَتُكَ : هَلْ فِي الطَّيْفِ تَبْعُهُ وَزُرُّ ١٩

5 أَعْنَدَكَ أَنْتِي مِنْذُ أَضْمَرْتُ هَجْرَةَ

هَجَرْتُ الْكُرَى سَهْدًا سَيُوسِي سِنَةً تَعْرُو؟

وَلَمْ يُبَقِّ مَنِي السَّقَمُ إِلَّا صَبَابَةً

تَرَدَّدَ فِي أَثْنَائِهَا أَنَّهُ نَزَرُ

وَهَلْ لِي إِذَا لَمْ أَفْنِ فِيكَ صَبَابَةً

بِحَكْمِ الْهَوَى الْعَذْرَى عِنْدَ الْهَوَى عُنْدُ

أَلِفْتُ الْهَوَى حَقَّ اسْتَهْنَتْ صَبَابَةً

وَحَقُّ تَسَاوَى عِنْدِي (١) الْحَلْوُ وَالْمَرُّ ١

(١) في نسخة « ط » عند .

وقال وشاة الحب سحر أصابه
 فهل علموا من لَحْظٍ (١) من ذلك السحر؟

10 لك الخير هذا نمت حالي جملة
 وشرحاً فهل للعطف من بعده ذكر؟

بنفسي نشوان المعاطيف عاطف
 كفصين النقا ، كالظبي خامره دعر
 تجول صدور السمر دون لقائه
 ويسحب من أذياله العسكر المجر (٢)

هو الظبي إلا أن دوحته القنا
 هو البدر إلا أن مطلعته الحدر
 له الود مني والخلوص وعنده
 تجن كما تهوى الملاحه ، أو هجر

15 ألا إن إنعام الخليفة فارس
 لنا الصقر من فياضه وله الشكر
 ملك ملوك الأرض أوحدهما الذي
 به علت العلياء واقتخر الفخر
 غمام الندى المطال والجو أغبر
 وليث العدا والبيض قانية حر
 إذا ما تراءى البدر يوماً ووجهه
 تحيرت الأبصار أيها البدر !

(١) في نسخة « ط » من تحظ .

(٢) الحجر : الجيش العظيم .

[٩٣ / ب]

تأخر عصراً في الملوك وإنه
إذا عُدَّ أملك الزمان هو الصدر
20 إمام الهدى شكراً على النعم التي
يضيّق إذا عدّتها العبد والحصر
لك الجود تُردّي المارقين جنوده
بأقطارهم من قبل أن ترح الشقر (١)
وغاوي رمى في هوة الملك قاذفاً
يدّ البغي ، والرأي المضلل ، والغدر
أغار على الدين الحنيف يهدّ من
قواعد ما شادّه القادة الغر
ملوك الهدى والقائمين بنصره
قديماً وصلّ فالبرّ يُنبئ والبعر
25 ورامّ تراماً دونه النجم سارياً
ولم يدرك جهلاً أنّه المرتقى الوعر
وهيهات يأبى الله ذلك والملا
ودين الهدى والملك والبيض والسمر
جنى ثمر (٢) الإيمان بالبقي واعتدى
يؤمل جهلاً أن يؤيده الكفر !

(١) في نسخة « ط » ترح الشعر .

(٢) في الأصلين : ثمر . ونرجح ما أثبت ، للوزن .

فيا عجباً بعد السعادة نالته
شقاءً وبعد الربيع حُمّ له خسر

تسمى راشداً شطراً [من الدهر] (١) وافراً
فلما تنامى السعي واكتمل العمر

30 عصي الله في الشطر الأقل ، سفاهة
ألا إنه ذاك الذراع أو الشبر !

ورام غنى بالصفر (٢) أو مدّة نخلة
وهيات يغني فقر ذي الخلّة الصفر !

وأمل في أعدادهم كتم نفسي
وإضمارها منما فأخرجها الجبر !

لملك - عيسى - رمت باسميك بيرهم
وما كل عيسى يحظه منهم البير !

دعوتهم للغدر لما اتخذته
سبيلاً فقالوا : بدعة أمرها إمّر (٣)

35 فكان النصاري منك أوفى (٤) بدمية
وأكرم عهداً إن ذا هو الوزر !

(١) ورد البيت ناقصاً ، وما بين معقوفتين مقترح . وسقط البيت من « ط » بنقلة عين إذ ذكر ثلاث كلمات من البيت ٢٩ ، ثم ذكر تنمة البيت ٣٠ .

(٢) يريد أنه تقوى بالنصاري الإسبان فلم ينفعوه . وعبر عنهم بالصفر كناية . وكان شاع هذا الاستعمال في المشرق من قبل ، ولم يكن في الأندلس ولا غزاتها صفر على الحقيقة . وفي «الصفر» التالية تورية لطيفة .

(٣) أمر إمّر : منكر عجب .

(٤) في نسخة « ط » أوفى منك .

لئن رُمّت دُنْيَا أَنْتَ قَارُونَهَا الَّذِي
لَهُ الْحَرْثُ وَالْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ وَالتَّبَرُّ

وإن كنتَ لِلْآخِرَى بَجَنَحْتَ وَلَمْ يَكُنْ
أَعِيدَ نَظْرًا إِنْ شَتَّ ، مَا هَكَذَا الْأَمْرُ

أَوَيْتَ إِلَى تِلْكَ الرُّبَا غَيْرَ صَالِحٍ
فَتَادِرْكَ الطُّوفَانُ وَهُوَ الظُّبَا الْبُتْرُ

وَجُرْدٌ كَأَمْثَالِ الرُّوَابِي سَوَانِحُ
وَعُغْلِبُ كَأَسَدِ الْقَابِ يَقْدِمُهَا النَّصْرُ

[٩٤ / أ]

40 وسعدُ إمامٌ يخدمُ السَّهْرُ سَعْدَةُ

وَتَجْرِي بِمَا يَتَوَمَّى بِهِ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ

أَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اهْتَدَى
بَنُورِ هُدَاهِ الْبَاهِرِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ

أَطَعْتَ مَلِيكَ الْأَرْضِ رَبُّكَ فَاعْتَدَى
يُطِيعُكَ فِيمَا رُمْتَ مِنْ أَمْرِكَ الدَّهْرُ

وَأَنْتَ الَّذِي جَدَّدْتَ بَعْدَ دُرُوسِهَا
مَكَارِمَ قِيدَمًا كَانَتْ أَخْلَقَهَا الْعَصْرُ

مَنْتَ فَأَوْسَعْتَ الْبِلَادَ رَغَائِبًا
فَفِي كُلِّ حَيٍّ « حَاتِمٌ » الْجُودِ أَوْ « عَمْرُو »

45 تَدَاعَتْ لَكَ الْأَمَالُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ
لِيُغْنِمَ وَعِلْمُ ، ذَا جَزِيلٍ وَذَا غَمَرٍ

تصد عن الأملاك دونه رغبة (١)
 ولا نجم يُستهدى وقد طلع الفجر
 كاني بأقطار البلاد منيها (٢)
 ومن لم يذب قد قاده الطّوع والقسر
 وأنس أرجا تونس أمرك الذي
 هو العدل يُرضي من له الخلق والأمر
 وجاشت ببطحاها الجيوش وأصبحت
 «تقوا» بنو العباس قد فتحت مصر !
 50 انعمري لقد زنت الخلافة فاغتدت
 يقصر عن أوصافها النظم والنثر
 وراقت بك الدنيا سجلاً وبهجة
 فإظلامها فرع وإصباحها بشر
 وأنجمها حلي وتجوئ نسيمها
 ثناء بمسا تولى وإيماضها ثغر
 ودونكها عذراء أجلو عروسها
 عليك ومرجوة القبول له مهر
 لها نسب في السحر تعربه النسي
 وإن قالت الأسماع والدُّها الشعر
 55 وهنت عيد النحر والفتح إنه
 لك العيد منه ، والعيد لهم النحر
 بقيت لدين الله رداء وعصمة
 فما غير عليك - الزمان - له ذخرا !

(١) كذا فيها . ولم ينضبط لي .

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدحه ويصف قتل الأسد بين يديه .
 وكان السلطان مولماً بقتل الأسود ، فسبق إليه يوماً أسدً فقتل بين
 يديه بقصره من دار الإمارة المدينة البيضاء ، والسلطان المتوكل جالسٌ
 بأعلى عليةً بالقصر ينظر للأسد وأنا إذ ذاك جالسٌ في ذلك
 [٩٤ / ب] الموضع أتتزه في قتل الأسد ، في جملة من حضر ذلك
 الموطن مع السلطان . ووصف فيها أيضاً أكرة الأسد وهي أكرة
 مستدارة من خشبٍ معدة ، ويدخل فيها رجلٌ يجرُّها ويمشي بها ،
 فيرى الأسد الرجل فيهمّ به ويدور بها ويضرب الأكرة بيده فلا
 يكسرهما لشدتها . ووصف فيها أيضاً شبكة صيد الأسد في الفلاة ،
 نصبت في ذلك اليوم بالقصر ، واصطادوا بها الأسد بين يديه .
 ووصف فيها أيضاً الثور الذي كان من عادته قتل الأسود في ذلك
 الموطن ووصف فيها أيضاً بعد فراغه من قتل الأسد الناهورة
 الكبيرة ، والنهر والروض المسمى بالمصاراة ، وهو بإزاء القصر .

وهي :

ألفَ الجوى مذ بان سكّان اللوى
 صباً صبيحٌ غرامه نفسُ الصبا
 وشجاءُ أن قيل الألى قد ودعوا
 شطّ المزارُ بهم^(١) وعزّ الملتقى

(*) تحدث ابن الأحرر أيضاً في كتابه نثر فرائد الجمان عن هذا الاحتفال ، وسرد القصيدة
 المذكورة هنا . وقال إن الشاعر أنشده هذه القصيدة . ومعلوم أن المؤلف صنف نثر
 الجمان (هذا الذي نحققه) قبل نثر الفرائد بزمان طويل . « نثر الفرائد : ٣٥٠ » .

(١) في « طها » .

حفظَ الإلهُ عهدَهُم وسَقَامُ
 صوبَ العِيَادِ ولا سَقَى يومَ النوى
 ماذا أفادُوا مُصْحِرِينَ بِسُحْرَةٍ
 تَنظُّوا وتَضَعِي عَيْسُهُمْ رَأَدَ الضُّعْفَى
 5 ولَقَدْ كَفَّتْهُمْ وَاكِفَاتُ مَدَامِي
 لَمَّا ثَبَرُوا مِنْ أَضْلَمِي بِالْمُنْحَى
 قَسَمًا لَمَّا رَاعُوا بَوْشَكَ نَوَامُ
 روعي^(١) وقد عَبَثُوا بِشَكْوَى مَنْ شَكََا
 إِلَّا وقد نَذَرُوا دَمَاءَ حُرْمَتِ
 ظُلُمًا ، أَرَاقَ الظُّلْمِ مِنْهَا وَاللَّيْ
 وَبُهِجَتِي مِنْهُمْ حَبِيبَةٌ حَمَّتِ
 قَلْبِي السُّلُوْءُ وَمَقْلَقِي طَيْبُ الْكَرَى
 حَسَانَةٌ نَجَلَاءُ بَاهِرَةٌ السُّنَا
 خُمُصَانَةٌ جَيِّدَاءُ عَاطِرَةٌ الشُّدَا
 10 وَقَوَامُهَا كَالْفُصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَهْتَزُّ بَيْنَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَالنَّقَا
 قَالَتْ وقد ودَّعْتُهَا مُتَجَمِّلًا^(٢)
 إِيَّاهُ بِعَيْشِكَ عَنْ فَوَادِكِ^(٣) هَلْ مَتَلَا؟

(١) في نثر الفرائد : روحي .

(٢) مجمل : تكلف التجميل يريد أنه أظهر التجلد .

(٣) في نثر الفرائد « فَوَادِي » .

فأجبتُها وأبيسك لا أملو ولا
حلّ الفؤاد هوى سيوى هذا الهوى
حقّ يرى فقره بساحة بلدة
وبها الخليفة فارس مثنى الورى !

[١/٩٥]

ملك نته إلى المكارم عصبه
كرمت أواصرهم وعزّوا مثنى
15 ورث للعالي عن عليّ المجد عن
عثمان عن يعقوب ، أعلام الهدى
متبال ضاهى الغمام مواهبا
ورغائباً فتونى^(١) الغمام وصاوتنى
قطعا حبال رجال تمنّ دونه
ملكاً « فكل الصيد في جوف الفرا »
ألقى العصا ببعاء وامتطى سابقاً
(امدحه غرا)^(٢) فتم المتطى
وأنت^(٣) معارفه الجليلة إنثها
بحر فترات لا تكدره الدلا
20 والشمس من أنواره والفجر من
بتاره والطود من ذاك الحيجا

(١) الوى : التنب والفترة .

(٢) في نثر الفوائد : أمداحه غرا ، والمثبت كما في الأصلين .

(٣) في « ط » و « م » واي ، وفي نثر الفوائد وأبا . والمثبت مقترح .

والنَّجْمُ في ظُلْمِ الوَغَى من رُوحه ^(١)
 ما ضلُّ من أثنى عليه وما غوى
 غمر جوادٌ يُستضاء بهديه
 وافي كما قهوى المكارم والتقى
 متوكل ، بحر ، وليس يحفر
 أفضاله ، بل زاخر نجم . اللهى
 تمضاء الأملاك دون مقامه
 والشهب تخفى إن بدت شمس الضحى !
 25 يُغشى ويرجى عابساً أو باسم
 وكذاك ذو البأس المصمم والندى
 ياغيث أنت كجوده متبعساً
 لكن خصصت وعم أقطار الدنيا !
 يا بدر أنت كوجهه متهللاً
 لكن نقصت ودام مكتمل السنا !
 كم من جواد راجياً أولى الفنى
 عفواً ولا كابي عنان مرتجى !
 ولكم يرى يوم الوغى من فارس
 وك « فارس » يوم الوغى ما إن يرى !
 30 ذلت لبطشته الأسود وإنها
 لتتدل لولا عز ^(٢) بطشته الطلا

(١) في الاصلين رمح والنصريب من نثر الفرائد .

(٢) كذا في النسختين ونثر الفرائد . والترح في نثر الفرائد أن تكون « إذهانا لبطشته »

مشاكلة للمعنى في الشطر الاول .

وضبارم رجب اللبان تعلقه
صهب متين تخلقها ، عبل الشوا

يفتر عن ناب كأطراف القنا
بيضا (١) وينضو ميخليا حد الشبا

فتكت به بالقصر شعر رماحه
باكف أسد دوتخت أسد الشرى

أمنى صريعا والدماه سلافة
أثراه سكرأمال من تلك الطلا ؟

[٩٥ / ب]

35 وثنى على زاراته كشعا وقد
كانت يرددها فرادى أو ثنى

لكن السينة القواضب أظهرت
ما أضمرت تجنباه من سير الحشا

ولقد رماه قبل مصرعه الردى
من مفضلات (مكابديه) بما رمى (٢)

ومخاتل في تجوف دائرة طوت
أضلاعها منه على شهم فتى

يحكي بها رآلا بيضا سبب (٣)
لم تفرج عنه فأنفذها كوى (٤)

(١) في نشر الفرائد : أيضا .

(٢) في الأصلين : مكابدة . والمثبت من نشر الفرائد .

(٣) الرأل ولد النعام .

(٤) في الأصلين : فانفردا ، والمثبت من نشر الفرائد .

40 يمشي الهوينا وسطها فتقلته
عدوا وما إن تشتكي ألم الوجي
حسب الفضنفر مرتقاها كعبة
قدنا يطيل بها الطواف وقد سمى
ولربما ألقى عليها لامبا
بأكفه وسما وقبيل إذ سما
لكنه خبثت سرايره فلم
يحمد على الإمام منه بها الجزا
عجبا له ولجاش طفل لم يهب
أسد الشرى ، وقد استشاط وقردا
45 هذا ولم يبصر هناك بلجبا
واق وقد تركوه منفردا سدى
قد كان طل دم له لما رنا
أسد العرين له غضوبا وارثى
لو لم تقم بالثار منه أساوره
كانت هنالك كامئات لا ترى
منهن فاغرة له أفواهها
بأكف حركبة ومنها ما التوى
ومدبر (١) الروقين أصفر فاقع
راق النواظر نظرة لما بدا

(١) كذا في الأصلين ، وفي نثر الفرائد « مذرب » أي مذهب القرنين .

50 ما زال يدعو للنزالِ أمانةً
ولقد أشارَ بظِلْفِه (١) لما دعا
ولقد أراه مكانَ مصرعه وقد
أدعى بساحِ القصرِ ينكتُ في الثرى
ولقد أطالَ وقوفَه مُستقبِلاً
تحذرُ الهزبرُ مُبارزاً حقَّ انبرى
وعدا له والظنُّ يقضي أن يرى
وقد اعتلاه (٢) فكانَ عكساً ما قضى !
جالتْ عليه صدمةٌ من حارثٍ
تُشيكُ صدمةً حارثٍ يوم الوغى
55 أعجبُ بها من صدمةٍ قد عفرتْ
لبدِّ الهزبرِ وأوهنتْ منه القوى
[٩٦ / أ]
لا تُلحُ روقُ الشورى إن أبصرتهُ
عن جانبِ اللئيمِ الطعينِ وقد نبأ
ماكلٌ دون كلاه لكن ساعةً
بقيتْ له ولكلِّ عمرٍ مُنتهى
فدعتهُ في دعةٍ إلى أمثالها
ولتعذرُنَّ اللئيمُ يا ملكَ الهدى
أعدى فريستهُ عليه قولك « ابتر
سقى » لذا وقولك للفضنفر « لا لعنا »

(١) في نثر الفرائد : بلفظه .

(٢) في الأصلين : وقد اعتلى ، والمثبت من نثر الفرائد .

60 عاجلت ذا هلكاً فلم يعجز وقد
أبقيت ذا ممناً فجائبه المنى
إن الإله قضى بأن يجري القضا
طوعاً كما شاء المطيع المرتضى
وعلاكم ما حارث بمقاوم
لأبيه لولا أن أردت به الردى
ولقد رأت منه العيون عجيبة
راققت وقد أبلى التواظر والنهى
فأبحه جنات المصاراة خالداً
فيها فبالجنات يجرى ذو البلا
65 أحسن بها من روضة غناء قد
غنتى الحمام بها طروباً أو شدا
حاكت لها الأنواء مطرف سندس
أرج وشاء يد الربيع بما وشى
ويجانب « البضاء » منها مرتقى
جبارة الأرجاء سامية الذرا
كرحى الصياقل ما سعت لتدبرها
رجل ولا نسبت لأمهاء المدى (١)
أنرى حسام النهر جلل متنه
صدأ فما تنفك تجلوه جلا ؟

(١) أمهات ج مهر السيف الرقيق . وفي نثر الفوائد : لإمهات المدى (بكسر الهمزة) من أمهي الحديدة : أحدها وشحدها .

70 ناعورة لا بل أبشك إنه
وغدت تكثفه البروج وقد رقا
فلك مضي في الروض ما حكمت به
أدوارهُ والقُطبُ منه وما اقتضى
فقضى برفع المام إلا أنه
قد خفض الأدواح عيشاً والربا
حسن بديع في حمى ملك له
حسن الزمان ، وقام في أبي حلا
يا أيها الملك الذي أضى به
دين الإله قريح عين والعلا
75 هيات لا يُجدي عدوك جدّه
يأبى وحقك ذاك جدك والقضا
وعلاك لو فاواك أجدل كاسير
لتخطفت أشلاه كدر القطا !

[٩٦ / ب]

إن الذي لما تزل مشوكلا
قيما عليه لكافل لك بالمني
الله أولاك السعادة فليفض (١)
كمدأ تحودكها ويأبى من أبي ا
أغرق بطوفان الكتائب عصابة
عادت بمعتصم الجبال من العدا

(١) فاض فيضا وفيرضا : مات .

80 اشف^(١) صدور السمر واردة دماً
 تلك الصدور وسُم هواناً من عتا
 انهد لأرض الروم وارم غواتهم
 بالشهب من أطراف ميثاد القنا
 فكانتني ببلادهم وأبحت ما
 لم يلف للإسلام منها للبيلا
 وتبيت بيض ظيهاهم قسراً على
 حكم الظبا وتفرقت أيدي سبا^(٢)
 واستشرفتك إرتجى إنقاذها
 أعلام ذات النهر حص والقرى^(٣)

85 قسماً لئن نساً المهيم لي مدى
 حتى تحل بأفقيها بداراً بدا
 لتسوغي من مريع^(٤) تجنابها
 ما بز آبائي بها فيما مضى
 وإليكها دُرراً فلاني مستق
 ما راق منها للنظام وما غلا
 مقصورة بخيام فكري أعرضت
 عمن سيواك وأمنتك على تحيا

(١) رسمها في الأصلين ونثر الفرائد : اشفي .

(٢) كفى بالطباء عن بنات الأعداء المزمومين السبايا والاطبا ج ظبة وهي حد السيف .

(٣) حص (الأندلس) هي مدينة إشبيلية . وكانت على أيام المرينين قاعدة منكة قشتالة بمد طليطلة .

(٤) في نثر الفرائد : بديع .

حسناً هوى كل عضوٍ لو غدا

أذننا وقد تليت تُصبح لمن تلا

90 تشني عليك علا بأطيب نكهة

مما به أثنى الرياضُ على الحياء

لا زلت والأقدارُ جاريةٌ بما

تهواهُ ماكرُ الصبّاحِ على الدجى

وبلغت ما قترجوه من أمل على

عجلٍ ودام لك السعادة والبقاء



الباب الحادي عشر

فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاءها

الشيخ القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي(*)
يكنى أبا عبد الله وأدركته ، ورأيتـه ، ويعرف بابن عبد الرزاق
وبابن الحاج [٩٧ / أ] وهو من أهل فاس . وكان أبوه علي بن
عبد الرزاق فقيهاً متفتناً محدثاً حافظاً صالحاً . وله رحلة إلى المشرق قضى
فيها فريضة الحج وأخذ عن علماء المشرق . وأبو عبد الله هذا ولي قضاء
الجماعة بفاس في دولة أمير المسلمين أبي الحسن ، وقدم للخطابة بجامع
القرويين في فاس - رحمه الله - .

(*) من شيوخ ابن خلدون ، ترجم له في « التعريف » ص ٦٥ ، وترجم له أحمد بابا في نيل
الابتهاج ٢٤٩ ، والمقري في نفح الطيب ٥ : ٢٤٩ ، والكتاني في سلوة الانفاس ٢ : ٢٧٦
نشأ أبو عبد الله محمد الجزولي بفاس ، وتلقى فيها علومه ، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن طبقة
شيوخها وروى عن علمائها . وعينه أبو الحسن المريني على قضاء فاس ، واستمر على
خدمته في القضاء حتى عزله أبو عنان المريني بالفقيه أبي عبد الله المقري . واكن أبا عنان
جمع مشيخة العلم في مجلسه للاستفادة منهم ، وكان فيهم الجزولي فأخذ عنه الحديث وقرأ
عليه القرآن الكريم . وتوفي الجزولي أواخر مدة أبي عنان ، سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .
ونقل في نيل الابتهاج عن أحد المؤرخين قوله في الجزولي « كان فقيهاً ، قاضياً ، معمرأ ،
راوية من الفضلاء » . وترجم له أيضاً ابن القاضي في جذرة الاقتباس ٣٩ .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان من أولي المعرفة بالحديث ، بصيراً بالقديم من القريض والحديث .
وأماً الإنشاء ، فكان يصوغ منه ما يشاء وهو أمير حلبته ، ورئيس
طلبته !

فمن قوله هذه الأبيات والرسالة جاب بها بعض أصحابه من
الفقهاء والأعلام

أما ومعان قد نظمت مقصراً
فاطلعتها غرّاء في أفق الفكر
وأودعتها من حلّ سحر كذفة
أحالت إلى التحليل غائلة الشكر
لقد نسمت من روض علك نفعه
تناست بها الألباب عاطرة الشعر (١)
وأهديت لي بكرة تكامل حُسْنُها
فاكرم بها حسناء عالية القدر
لها غزل ينسي اللبيب وقاره
لها زجل بالحمد يغني عن الشكر
تُحيي فتُحيي من هوى النفس دائراً
يحدّد لي عهداً بما ضلّ عن فكري

(١) ساحل البحر بين عمان وعدن . وفي الروض المطار : والشحر مدينة كبيرة وليس بها
زرع ولا ضرع ، ويكون بها العنبر .

سيدي ! شرح الله له بالعارف صدراً ، ووضع عنه من ملاحظة الأغيار
إصراراً ، ورفع له في مقامات العلماء العاملين ذكراً ، ووهبه على مكابدة إبراز الموجب
عليه في ذلك أجراً . ما زلت أرتقب صبح وصاله أن يتنفس ولا يتعوص ،
وآمل لحظة من إقباله أتميز بها مزية من اختصاصه ، وأتخصص . إلى أن
تنفس ذلك الإصباح وتبلغ ، وتعطر الأفق بأنفاسه الكريمة وتأرجح . فأطلع
سيدي من مواصلته شمساً ، وأوجد بملاطفته [٩٧ / ب] المشعة بالاختصاص
أنسا ، وخلع من حلاه ما أوجب لهلاه أن قرّ عيناً وطاب نفساً .
وجهر من بنات فكره عقيلة طالما تطاولت إليها الأعناق فجدت ،
(١) لنيل صلاتها الآمال فصدت . ووقفت بباب محاماتها أعزة الخطاب منافسة
في طلابها ففرقت . أرسل بها لا عدمت أفضاله متودداً ، ولرتضى
لها بحسن اختياره حباً لم يزل حول حماها متردداً . أظنه أبقاه الله
توسم خلوصه لها بأنوار خلوصه ، وأمضى له من حكم استحقاقه
ما ثبت لديه لزومه بأدلة نصوصه . وغير بدع من ذي بصيرة منيرة
أن يتوسم ، أو يحب يجد الروح من تلقاء حبيبه إذا تنسّم . فابتهجت
بورودها بشراً ، وقبلت نفحة حسنها شفعا ووتراً . وأخلفت بردها
طياً ونشراً ، ونذرت أن أصوم من أيام العمر عشراً ! وكيف لا ؟
وقد ألقيتها قد حليت من الدرر النفيسة بمنشور ومنظوم ، وباحت لي
من المعارف بسر عن غير أهله مكتوم . ونازعني كأس خلوص أصبحت
بنشوة أقعد وأقوم . شكر الله لمهديها إحسانه ، ولا زالت العفاة تجدد
من إفضاله روحه وريحانه !

(١) مكذا فيها ، باتصال الكلام .

شيخنا الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب بن عبد الله بن موسى بن مالك الفشتالي (*)

يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيت . وهو من أهل فاس ، من بيت صلاح وعلم .

ووالده أحمد كان خطيباً بجامع قصبة فاس . واختطب أيضاً بجامع مدينة سجلماسة في دولة ملكها أمير المؤمنين أبي علي عمر المريـني ، وكان شاعراً مجيداً . وعبد الملك والد أحمد ولي القضاء والخطابة بالمدينة البيضاء دار الإمارة في حضرة فاس ، وبمحلة أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف المريـني . وشعيب والد [٩٨ / أ] عبد الملك كان فقيهاً ذا نعمة وثروة ، ذا جاه من السلطان ، من أهل الخير والدين . وعبد الله والد شعيب كان فقيماً مفتياً مدرساً بفاس ، صالحاً ورعاً زاهداً مكاشفاً . وكان من الدين

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ، قاضي الجماعة بفاس (ت ٧٧٩) من علماء فاس ، وقضاها المشهورين . قدمه السلطان أبو عنان المريـني للخدمة قاضياً بحضرته في فاس ، واختصه ، واشتمل عليه . وترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة وذكر بعض أحواله وأخباره وصفاته ، وأدرجه في كتابه لتردده على الأندلس في غرض السفارة . ونقل أحمد بابا عن أبي زكريا السراج في فهرسته شيئاً من ترجمة السراج لأستاذه وشيخه الفشتالي ، فقال « شيخنا الفقيه الخطيب البليغ المدرس العالم العلم المتفنن الصدر الأورح قاضي الجماعة كان عالماً بلفقه ، مشاركاً في غيره من العلوم ، مسدداً في الفتاوى ، عارفاً بأخذ الشروط ، له حظ وافر من الرواية ، شاعر مجيد وكاتب بليغ ، حسن المعاملة للطلبة . » ووصفه ابن الخطيب القسنطيني بأنه « له عقل وسمت لم يكن لغيره من القضاة ، وله مجلس جليل في العلم » .

(انظر نيل الابتهاج : ٢٦٥ ، والإحاطة ٢ : ١٣٣ ونفع الطيب ٥ : ٣٤٢ والمرقبة العليا ١٧٠ ونسبه فيه : محمد بن أحمد بن عبد الله الفشتالي . وسورة الأنفاس ٣ : ٢٥٩) .

والصلاح في الحل [الذي] لا يخفى، ومكاشفاته وعلو منزلته أكثر من أن تحصى
وموسى والد عبد الله كان من أهل الصلاح الفائق والورع العظيم .
ومالك والد موسى كان صالحاً ملازماً للخير .
وفشتاله ، قبيلته ، هم قاطنون بجوز فاس . وذكر فيهم ابن أبي زرع^(١)
في تاريخه أنهم فرع من صنهاجة من حمير ، عرب الأصل
وأبو عبد الله شيخنا هذا هو الآن قاضي الجماعة بفاس ، وخطيب
بالمدرسة التي بناها السلطان أبو عنان بإزاء باب المهروق^(*) . وهو أحد
المفتين بفاس ، ويدرس المدونة وغيرها بالمدرسة التي بالمطارين . وحضرت
حلقته غير مرة وأخذت عنه وأجازني إجازة عامة .
حاله - سلمه الله -

له علم بالتوثيق وصناعته ، وطريق إلى صياغته في حلل براعته .
وهو مفت في المسائل الفقهية ، ومتفذن في العلوم الأدبية ، وله مشاركة
في جميع العلوم النظرية والتعالمية . وله ذهن ثاقب ، ونظر في ميدان
البحث لا يحاربه فيه فقيه ولا طالب . واعتناء بالعلوم الشرعية ، واقتناء
بالمعالي البيانية إلى وقار وبها ، وثقوب فطنة ونهى ، ومهمة سميت
فوق السها .

فمن قوله يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان^(٢)
أبا إماماً ندَى كفيه قد وكفا
حسبي اعتصامي بجبل منكم وكفى!

(١) الإمام الفقيه أحمد أبو العباس وكتابه «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» . توفي سنة ٧١٧ .

(٢) ذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج البيتين الأولين من هذه القصيدة ، وقال في التقديم لها إن للفشتالي نظماً حسناً وكتابه رائحة ، وضرب البيتين مثلاً .

(*) هو أحد أبواب فاس وكان يسمى باب الشريعة .

وكيف أصرف وجه القصد عن مالك (١)
ما صدّ عني سنا بشر ولا صرفا
ما إن شكوت بما أضنى تطلّبه
إلا وجدت لديه من ضنّاي شفا

[٩٨ / ب]

ولا وقفت عليه منتهى أملي
إلا قضى وطراً منه وما وقفا
في كل يوم له تجديد عارفة
مهما انقضت هذه لهذه اتقفا
وليس ممن يرى أن لا يتيح يداً
حتى يُقام له بالشكر ما سلفا

وكان قد بعث إليه ذو الوزارتين الحاجب القائد الرئيس الفقيه
الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن سعيد بن الخطيب السلمي ، وزير أمير المسلمين أبي الحجّاج
يوسف بن عم أبينا ووزير ابنه أمير المسلمين الغني بالله محمد الفلّوح
رسالة ، وصدرها بأبيات ، كل ذلك من قوله ، وهما (٢) :

(١) في نيل الابتهاج : عن مالك ، وهو تحريف .

(٢) يريد الرسالة والأبيات . وقد نقل لسان الدين بن الخطيب الرسالتين في كتابه الإحاطة
في أخبار غرناطة « ٢ - ١٣٤ - ١٣٦ » . وقال في التقديم لهما « ولما كان عام الإزعاج
من الأندلس عند التكبّة التي أصابت الدولة بلوث من فضله ونصحه وتأنبه ما أكد
الغبطة وأوجب الثناء وخاطبته بما نصحه . . » و (عام الإزعاج) الذي يحدث
عن ابن الخطيب هو العام الذي حدث فيه الانقلاب على دولة مخدمه محمد الغني بالله
النصري وآلت بعده السلطة إلى سواه ، في المدة بين ٧٦١ - ٧٦٢ .

من ذا يعدُّ فضائل الفشتالي ؟ والدَّهرُ كاتِبُ آهـا والتَّـالي
علمٌ إذا التَّمسوا الفنونَ فعلُهُ مرعى المسمِ ونُجعةُ المكتالِ
نالَ السُّقي لا فوقَها مِن رفعةٍ ما أمثلتها حيلةُ المُحتالِ
وقضى قياسُ ترائه عن جدِّه أنَ المَـدَمَ فيهِ غيرُ التَّـالي

قاضي القضاة ! بماذا أثني على خيلالك المرؤضة (١) ؟ أبقيتك
المُوجب لتقديك ، أم بـجديتك الداعي لتحمل حديثك ؟ وكلامها
غاية بـمدِّ تمرماها ، وحامِّ التصور حماها ، والضالع (٢) لا يُسام سبِقاً ،
والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ؟ وما الظنُّ بأصالة تعترف
بها الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة كانت في غير ذات الله (٣) تزهـد .
وفي نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد الحقائق وتمهد ،
وتهزم الشبه (٤) إذا تنهد . وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدَّهر جوراً ،
ولا حت من غصني ورقاً ولا نوراً . هذا وقد زار عـلي
أسداً وحمل (٥) ثوراً ، فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي
اختيارها ، وأظهر خلوص إبريزه معيارها . تحت كنف ، وعز
مؤتلف ، [٩٩ / أ] وجوار أبي دلف ، وعلى ثقة من الله بخير خلف (٦) . وما
منع [من انتسابي لما لديه] (٧) من الفضائل رحلة لم يبرك بعدُ جملها ،

(١) في الإحاطة قاضي الجماعات . . . خلاك المرؤضة .

(٢) الضلع : الاعوجاج ، وهو في البعير بمنزلة الفمز في الدواب . (وظلع البعير - بالفاء -
نمزي مشينه)

(٣) في الإحاطة : في غير ذات الحق .

(٤) في الإحاطة الشيب .

(٥) في الإحاطة أو حمل .

(٦) في الإحاطة : أن يحسن الخلف .

(٧) في الأصلين : من انتساب ما لديه ، ورجعت رواية الإحاطة .

ولا فرغ عملها ، وأوحال^١ حال بيني وبين مسوّر البلد القديم مهملها^(١)
ولولا ذلك لا غبّط الرائد ، واقتنيت الفوائد .

والله يطيل بقاءه حتى تتأكد القرية ، التي قدسى بها القرية .
وتعظم الوسيلة ، التي لا تذكر معها الفضيلة . وأما ما أشار به من تقييد
القصيدة التي نفق سوقها استحسانه ، وأنس باستطرافها إحسانه ؛ فقد
أعمل وما أهمل ، والقصور باد إذا تؤمل ، والإغضاء أولى ما أمل .
فإنما هي فكرة^٢ أخذت ثارها الأيام ، وغيرت آثارها اللثام . وكان
الحق إجلال^٣ مطالعة سيدي عن تخلها ، وتنزيه رجله^(*) عن تقييد
مُرتجلها . لكن أمره «مُتمثل» ودأب من المجد أمر^٤ لامرّد له^(٢) مثل^(٣) !

فجاوبه بقوله :

وافت يجرّ الزهو فضلة^٥ بردِها
حسنا قد أضحت نسيجة^٦ وحدها
للّهِ أي قصيدة^٧ أهديت لـ
يُهدى المعارض^٨ نحو غاية^٩ قصدها^(٣)
لابن الخطيب بها محاسن^{١٠} قارعت^{١١}
عنه^{١٢} الخطوب ففلائت^{١٣} من حدّها^(٤)

- (١) في الإحاطة : مسود البلد القديم مهملها . (*) هكذا فيها « رجله »
(٢) قال في الإحاطة في ختام الرسالة « والسلام على سيدي من معظم قدره وملزم بره عمد
ابن الخطيب، ورحمة الله، فكتب إلي مراجعاً ، وهو الملية بالإحسان »
(٣) في الإحاطة « لم يهد المعارض » وهو أقدم .
(٤) في الإحاطة

لابن الخطيب بها محاسن جمّة يلقى الخطيب فهامة في عدّها ١

سرّ البلاغة منه أودع حافلاً
قد صانته حتى فشاً من عندها
في غير ما عُقدِ نقتّ بسحرها (١)
فلذا أتى تلياً منظمٌ عقدها
لم أدر ما فيها رقت مضموناً
من طرسها أو مضمناً من بردها (٢)
حتى دفعت بها لأبعد غايته
باعي تقاصر في البلوغ لحدها
حرّان من نظم ونثر أب من
يلقاهما منها بذلة عبدها
أولى يداً بيضاء مؤليها فما
لي من يدٍ في أن أقوم بحمدها
فبذلت شعري رافعاً من برّها
وهزّزت عطفي رافلاً في بردها
ورفضت تكذيب المنى متشيعاً
لعليّ مرآها بصادق وعندها

[٩٩ / ب]

خذها أعز الله جنابك ، وأذلّ للأنس على الوحشة اغترابك .
كنفة الطائر المتحفز ، ونهبة السائر المستوفز (٣) وميقة اللحظ ، قلقنة

(١) في الإحاطة : في غير عقد نقتته . .

(٢) هذا البيت هو الأخير في الإحاطة ، وما بعده جاء قبله .

(٣) في الإحاطة : كنفة الطائر المتبعد : ونهبة السائل المستوفد .

اللفظ^(١) قد جمعت من ترامها وانقحامها^(*) بين بطمة فند ، وصولد زند ،
ونوتعت فعلي إقدامها وإحجامها إلى قاصر ومتمدد^(٢) ، وليتني إذ
جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق ، وانجابت المعاني عن مزنة
فكرتي^(٣) بتقاضي الجواب انجياب الطرق ، أيقنت أني قد سد علي
باب القول وأرتج ، وقلت هذه السالبة الكلية^(٤) لا تنتج اقنبت
طاعة الداعية من تلكم الإمرة ، ولم أفه إذ أعوزت الخلوة بالمرّة^(٥) ،
لكني قلت وجد المكث كجهد المقل ، والواجب قد يقع الامتثال فيه
بالأقل . فبعثت بها على علاتها ، وأبلغتها عذرها في أن كنيت عن
شوقها بلغاتها . وهي لم تعدم من سيدي إغضاء كريم ، وإرضاء سليم^(٦) .
والله سبحانه يصل بالتأنيس الجبل ، ويرد الألفة ويجمع الشمل .
والسلام^(٧) .

وكتب إليه أيضاً ذو الوزارتين محمد بن الخطيب المذكور إثر نكبة
أنكبه أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم المريني ، من غير ذنب
فعله ، أغرى به السلطان حسداً له

تعرفتُ أمراً ساءني ثم سرتني
وفي صحة الأيام لا بد من مرض
تعمدك المحبوب بالذات بعدما
جرى ضده والله يكفيه بالعرض

(*) التريم (كأمير) التواضع . والبطمة الحبة الخضراء أر شجرها . والفند الفصن .

(١) في الإحاطة : رميكية اللحظ .

(٢) - (٣) ساقط في الإحاطة .

(٣) في الإحاطة : وانجابت المشا عن قريحة فكرتي .

(٤) - (٥) ساقطة من الإحاطة

(٦) في الإحاطة : ورضاء سليم .

(٧) في الإحاطة : والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته ، محمد بن أحمد الفشتالي

في مثلها - أبقى الله سيدي - يجمل الاختصار ، وتقرر الأنصار
وتطرق الأبصار . إذ لم يتعين ظالم ، ولم يتبين يقظ ولا حالم . وإنما
هي هدية أجر ، وحقيقة وصل عقيبت مجاز هجر . وجرح
جبار ، وأمر ليس به اعتبار ، ووقية لم يكن فيها إلا غبار ! وعثرة
القدم لا تنكر ، والله يحمد في كل ويشكر . وإذا كان اعتقاد الخلافة
لم يشبه شائب ، وحسن الولاية لم يعبه عائب ، والرعي دائب ، والجاني
[١٠٠ / أ] ثائب ، فما هو إلا الدهر الحسود لمن يسود ، خمش بيد
ثم سترها (؟) ، ورمى عن قوس ما أصلحها - والمحمد لله - ولا أوترها .
إنما باء بشينه ، وجنى من مزيد الزمة سخنة عينه . ولا لعراض على
قدر أعقب بحظ مبتدر ، وورد نغص بكتدر ، ثم أنيس بأكرم
صدر . وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله والذئب ، ولا نقول - مع الكظم -
إلا ما يرضي الرب . وإذا تسابق أولياء سيدي في مضار ، وحماية ذمار ،
واستباق إلى برّ وابتدار ، يجهد اقتدار ، فأنا - ولا فخر - متناول القصة ،
وصاحب الدين من بين العصابة ، لما بلوت من يرّ أوجبه الحسب ، والفضل
الموروث والمكتسب ، ونصح ونصح منه المذهب ، وتفتيق راق منه
الرداء المذهب . هذا بجمل^(١) وبيان عن وقت الحاجة مؤخر ، ونبذة
سرة (؟) لتحقيقها يرّاع^(٢) مسخر . والله أعلم بما انطوى عليه لسيدتي من
إيجاب الحق ، والستر من إجلاله على أوضح الطرق ، والسلام .

فجاوبه بقوله :

وأيّ الله إبراراً لأينم^(٢) لقد جلتى كتابك كلّ غم
وسام في الحوادث من رمته ففاز من الوفاء بخير سهم

(١) فيها « مجهد » ونرجع ما أثبت .

(٢) أيّن الله وأيم الله « اسم وضع للقسم » .

يا سيدي . أمدد الله في أنوار قلسم الطريقة المثلى ، وبارك .
 وجزاها جزاء من ساهم على الحقيقة في الجلوس ، وشارك . وصل
 كتابكم الصادق الصفاء ؛ الصادر عن لم يرض من الوفاء باللقاء .
 فتأى^(١) من صدع الأيام ورأب . ونأى في دفع الأوهام وقرب .
 وهو الدهر - أبقاكم الله - لا تثنى فلتاتنه . ولا يُبني على عقد
 صفاته يوم ليوى ولأته إلا كدره بالنقض مفتاته . هذا ولو حاسب
 الإنسان نفسه لاستحقر ما استعظم . وعلم أن دما لا يرى بما وقى الله
 أعظم ، فسآه آه ! ومن جنى عليه فليستغفر الله . فغفر الله لهم
 غفراً . وحدا على السراء والضراء ، وشكراً .

وسيدي - أعزّه الله - المشكورة أياديه ، المبرورة غاياته الجميلة
 [١٠٠ / ب] ومباديه . والله - سبحانه - يعين على واجبيكم ،
 ويشكر في حسن الإخاء جميل مواهبكم . والسلام .

شيخنا الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى بن
 يوسف بن عبد العالي التيجاني المعروف بالوانشريسي^(*)
 يحكي أبا علي ، وأدركته ، ورأيتنه .

وهو من أهل مكناسة الزيتون . ومولده بتاوريرت^(٢) من حوز

(١) الثأى الإفساد ، والرأب : الإصلاح .

(*) ترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج « ١٠٧ » ، ونقل عن فهرسة ابن الأحمر وقال فيه :

شيخنا الفقيه المفسر المدرس القاضي أبو علي بن الشيخ الصالح عطية . توفي سنة ٧٨١ .

وترجم له في سلوة الانقاس ٣ ٢٥٩

(٢) ذكر في الاستبصار أن مكناسة الزيتون تسع خطب ، عد منها « ثورا » ١٨٨ .

مِكناسة . وهو من قبيلة تَجَنِينَ . وآبَاؤُهُ كُلُّهُمْ فَرُسان أولو شجاعة .
وَجَدُّهُ عَطِيَّةٌ هو الذي ارتحل منهم عن بلاد التَّجَانِيَّة ، واستقر
ببلاد مَرِين ملوك المغرب في دولة السلطان أبي يعقوب يوسف ، وكان
فارساً شجاعاً ، فاستخدمه ملوك مَرِين ثم تَخَلَّى عن الخدمة السلطانية
وأقبل على طلب الآخرة ؛ وسكن بحوز مكناسة . وكان له أولاد
نحباء فقهاء وهم : عثمان - وهو أكبرهم - وهو والد شيخنا القاضي أبي
عليّ هذا . وعبد الله - وهو الذي يليه - والحسن . وهؤلاء الثلاثة
أشقاء . ويونس وإبراهيم . وكلهم فقهاء .

وأما الحسن منهم فهو فقيه متفَنٍّ حافظ بمسائل الفقه بصير^(١)
بالفروع واللغة والحديث والتاريخ ؛ وهو أحد المُقْتِنِينَ بفاس .

وأما^(٢) كتاب الإمام العالم المقي المدرّس الصالح أبي إسحاق إبراهيم
ابن عبد الله بن عبد الرحيم الزِنَاسِي وغيره من فاس يسمّونه ابن
رُشد لحفظه لمسائل الكتاب المذكور^(٣) . وهو - مع معرفته بالعلم -^(٤)
متورّع ، متواضع ، حسن الأخلاق ، صادق الشَّجعة ، شديد في
الحق . وولي القضاء ببّادس^(٤) في دولة السلطان أبي الحسن اللريفي . وهو
الآن في هذا الوقت الذي ألفت فيه كتابي هذا بفاس يُقرئ بجامعة
الأعظم المسمّى بالقرويين : الملوّنة والجلادب والرسالة وكل ذلك
لم أغب عن حلقته لاقتباس [١٠١ / أ] علمه وبركته ، وذلك حين

(١) في « م » و « ط » بصيراً ، ونرجح ما أثبت .

(٢) - (٢) هكذا فيها .

(٣) توفي الفقيه الزِنَاسِي ٧٧٥ وكان قاضياً صالحاً .

(٤) بادس مدينة بالمغرب . انظرها في الاستبصار ١٧٥ والروض المطار ٧٤ .

مقامي بفاس لما أخرجنا عن بلادنا الأندلسية بنو عمنا الملوك بنو^(١) الأحر من بني نصر .

نرجع إلى ذكر شيخنا القاضي أبي علي الحسن المذكور . كان قد برز عدلاً - في صغره - في سباط شهود مكناسة . ثم ارتحل إلى فاس ، فاستنابه في القضاء شيخنا القاضي الخطيب الإمام المفتي المدرّس أبو عبد الله الفشتالي^(٢) . ثم قدّمه السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني على قضاء بلده مكناسة . ثم أنقله^(٣) منها ، وولاه القضاء بسلا . ثم تخلص عن القضاء . وهو الآن في سباط شهود فاس عدل . ويقرئ في هذا الوقت بجامع القرويين كتاب ابن الحاجب الفرعي . وهو أحد شيوخ حضرت حلقته في كتاب ابن الحاجب . وأجازني إجازة عامة .

حاله سلمه الله تعالى - :

له باع في الفرائض والفروع جسيم ، وسماوة همة وذكاء وسيم .
وشعره فيه حملاوة ، وكلامه فيه عذوبة وعليه طلاوة . كان قاضي الجماعة الفشتالي بفاس قد استنابه ، فأظهر في الحق صلابته . ثم استقضاه السلطان بمكناسة وملا ، فجعد في إقامة الشرع ولا الحق سلا . ولم ير له ما يستقبح في أحكامه ، بطول أيامه .

(١) في الأصلين بني

(٢) راجع الترجمة السابقة للفيق القاضي الفشتالي .

(٣) في الأصلين : أنقله .

كنت قد تفكرتُ يوماً في ذنوبي - وأنا بفاس - حين مُقامي بها
- في حضرة الملوك من بني مرين - فرأيتها جمة أعظم من أن أحصيها ،
فأحزنتني ذلك ، وساءني ، فبعثت له بقولي

يا أوحدة الفقهاء والكبراء وأخي الثقي والفضل والعلياء
قل لي وقاك الله كل مساء وحباك كل مسرة وبهاء -
كيف الخلاص من الهوى وأنا له تبعد مدى الصباح والإساءة ؟

فجاوبني بقوله :

يا ابن الملوك الأكرمين ذوي العلى هذا قريضك قد أتاني مُنبئاً
أهل الوفاء وملجأ الضعفاء عن بعض ما أودعت من علياء

[١٠١ / ب]

وطلبت ما ينفي متابعة الهوى فاعلم فدتك النفس أني أشتكي
ولعل مولانا يُنيل جميعنا أمسكت رقعتك التي وجهتها
وعليك مني ألف ألف تحية
ويُسبل كل مسرة وبهاء فوق الذي تشكو من البرحاء
عز الثقي في زمرة السعداء من كونها خُصت بحسن ثناء
في ضيعها تشتري بكل ثناء



شيخنا الفقيه القاضي الخطيب الحاج عبد الرحمن بن محمد بن عبد
الرحمن بن عبد الله بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد الحفيد بن الفقيه
القاضي أبي القاسم أحمد بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن
رشد الأموي (١) .

يكنى أبا القاسم ، وأدركته ورأيتة . وأجازني في القصيدة
الموسومة بالبردة التي أولها

* أمن تذكر جيران بني سلم *

نظم الفقيه أبي عبد الله محمد شرف الدين البوصيري .

ومولده بسجلماسة (١) ، وأصل سلفه من الأندلس وهو من
ولد الحفيد ابن رشد ، وبابن الحفيد يعرف . واستوطن مدينة فاس
في بعض الأحيان . واستقضاء بأصيلا (٢) السلطان أبو فارس عبد
العزيز المريني . واختطب في بعض بلاد النصارى بالترجل (٣) .

(*) أكثر المترجمون وأصحاب التواريخ من الترجمة لابن رشد الجد (الفقيه) وابن رشد
الحفيد (الفقيه المتألف) ولم أعثر - فيما بين يدي الآن من مراجع - على ترجمة للقاضي
الخطيب ابن رشد الذي يترجم له ابن الأحمر

(١) سجلماسة : مدينة في بلاد المغرب ، قال في الاستبصار : وهي على طرف الصحراء
لا يعرف في قبليها ولا غربيها عمران ، بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال
وجبال . وهي مدينة محدثة بنيت سنة ١٤٠ هـ . قال : وهي كثيرة النخل والأعناب
وجميع الفواكه ، وتقع على نهرين ينبعان من عنصر (نبع) واحد . وقال محقق
التعريف بابن خلدون « وسجلماسة الآن مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن تافيلالت »
(٢) أصيلا « وتكتب أيضا : أصيلة رازيلا » بلد بقرب طنجة . قال الطبري وأصيلا أول
مدن العدو من جانب الغرب . وهي مدينة محدثة أسهم الأندلسيون في تمصيرها .

(٣) كذا العبارة في الأصلين .

حاله - أكرمه الله - :

هو آخذ من اللغة بأزكى نصيب ، وسهمه من النحو مسدد مصيب .
ينظم من الشعر الأبيات الحسنة ، ويتكلم في الفقه بمسائل في البراعة ممكنة .
وباعه في الحديث مديد ، كما هو بصير بالطارف من التاريخ والتليد .
وأما الفصاحة فهو ابن يحدتها ، وأما البلاغة فهو عين نجدتها .

أنشدني لنفسه [١٠٢ / أ] :

وذي شنب متى أنظره بيطر في	إليه استل من لحظ ذبابا (١)
تبسم عن عقيق فوق در	فخلت الخمر قد حملت حبابا
أدوب إذا بدا شوقا إليه	ولو زارته أنفاسي لتذابا
فإن أزرى به شيطان واتر	أحلت عليه من حر في شهابا

وأنشدني أيضا لنفسه مواعظنا (٢) على البيت الثالث :

تَحَامَ بلادَ الغربِ ما عشتَ إنَّها
ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحُروبٌ !
وَحَيْثُ بلادَ الشرقِ تَلْسُقُ بِهَا المني
فللخير أنواعٌ بِهَا وضروبٌ
: ففي الشرق من أجل الشروقِ مَسْرُةٌ
وفي الغرب من أجل الغروبِ كُروب !

(١) ذباب السيف : حده .

(٢) المشهور : مواعظنا . ووردت في الأصلين «مواعظنا» .

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي^(١)

يكنى أبا زيد ، وهو من أهل فاس ، وبها رأيتُه ، وصحبته .

حاله هو شاعر مجيد ، ومبدئ في البلاغة ومعيد . قد فاق في النحو ، وسليم نظمه من الحشو . مقرئ للعلوم الأدبية ، بنفس مطاوعة غير أبيه .

وكنت قد سأله شيئاً من نظمه ، لأنشر رداء معرفته وفهمه . فأبطأ عليّ بالجواب دهرأ ، حتى جمع من شعره نزرأ . وكتب ذلك في أوراق ، وذيل بكلامه الذي راق . وذكر في أول كلامه اسمي ، وطرزه برسمي لما توالى تكرار السؤال عليه ، ودؤب الطلب بما من النظم لديه . وبعث بذلك إلي ، وألقى زمامه في يدي . واخترت منه ما يعلمه^(١) باتساع باعه ، وانطباع طباعه

وهذا ما كتب في صدر كلامه ، وما ذيل به عند ذكر نظامه

(*) أبو زيد عبد الرحمن المكودي (ت ٧٠٨) ، فاسي . ونسبته « المكودي » إلى بني مكود إحدى قبائل هوارة . وكان المكودي « إماماً في اللغة والنحو والعروض وسائر فنون الأدب » . ألف شرحاً على الألفية كان له ذبوع ، وشرحاً على الأبرومية . وعلى « المقصور والمدود » لابن مالك ، وغير ذلك . واشتهرت مقصورته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تدل على تضلعه في اللغة وعلمه ناصية الأدب .

(نيل الابتهاج ١٦٩ ، نفح الطيب ٥ ٢٨) في ذكر شيوخ ابن مرزوق الحفيدة ، والنبوغ المغربي (٢١٠) .

(١) فيها : ما يعلمه ، والأشبه : ما يعلم .

« يقول عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي - لطف الله به -
سألني صاحبنا الشير بالنبل والذكاء ، وسروة الهمة والبهاء . الضابط
لفنون الآداب ، العالم بعيون التاريخ والأنساب . رافع راية القريض ، وناشر
لوائه الطويل العريض . علم الرؤساء [١.٢ / ب] ودرّة أبناء الأمراء
أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن الأحمر
المخزرجي أن أقيد له شيئاً من شعري فلم أسفه بمطلوبه ، ولا عجلت
له بمرغوبه ؛ استحقاراً لشعري ، واستضعافاً لما صدر من نظمي ونثري .
وهجراً للأدب وطريقته ، وقلياً لمجازة وحقيقته . طريقة كثر قائلها
وقلّ نائلها ؛ فلو أمكن أن يجتمع في زماننا هذا أبو تمام باغترافه
من بخره ، وأبو الطيب باقتطافه من زهره ، وأبو العلاء بنحته من
صخره ، على استخراج درهم واحد من أهل زماننا لما حظوا منهم بنائل ،
ولا وقفوا في أمورهم على طائل ؛ دهرٌ وقى الله من حوادثه سيّان ذو
الجمال فيه والعالم .

ولما كان السائل المذكور من لا يسعني خلفه ، ولا يمكنني إلا
إسعاده ؛ قيدت له شيئاً من شعري ، مع نبذ من نثري .
وليتخير من ذلك ما يستجيده ، وينتخب ما يريده . والله يعصنا من
الزلل ، ويهدينا إلى صالح القول والعمل .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : فما اخترت من كلامه الرائق
ونظامه العذب الفائق ؛ قوله بمدح رسول الله ﷺ ، وهي القصيدة (١)

(١) ذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج ؛ أبيات من آخر المقصورة ينكت على مقصودي حازم
وابن دريد . ونقل العلامة الأستاذ عبد كنون في كتابه النبوغ المغربي قطعة كبيرة من
القصيدة . وفي قراءته للنص خلافات يسيرة ، وقد يعمد إلى تعديل كلمة بأخرى على
جهة التنقيح ، مما لم أجد ضرورة لإثباته .

التي ضربت في البلاغة بسهم، وحازت من الفصاحة أوفر سهم :

أرُقني بـارِقُ نَجْدٍ إذْ سَرَى يُومِضُ ما بين فُرَادَى وَثَى
أَهْبَنِي إذْ هَبُّ مِنْهُ مَوْهِنًا ما سَدَّ ما بين الثُّرَيَّا والثُّرَى
تَشِمْتُ من أَرْجَائِهِ إذْ شَمْتُهُ رِيحَ صَبَا أَطْوَعَ من رِيحِ الكِيَا
فِيَالَهُ من بَارِقٍ ذَكَرَنِي من الهَوَى ما كُنْتُ عَنْهُ فِي غِنَا
5 أَثَارَ شَوْقًا كَانَ مِنِّي كَامِنًا بَيْنَ ضُلُوعِ طَالِمَا فِيهَا ثَوَى

[١٠٣ / أ]

فَكَانَ قَلْبِي الْمُجْتَوَى إذْ هَاجَهُ كَالزُّنْدِ إذْ أَوْرَاهُ مَوْرٍ فَتَوْرَى
وَسَحَّ سَحْبٌ مَقْلَقٍ فَمَا بَقِيَ نَوْعٌ من الدَّمْعِ بِهَا إِلَّا هَمَى
مَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ أَنْفِدَهُ أَنْ الْبُكَاءَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْبُكَاءِ
وَلَيْلَةٌ سَبَحْتُ فِي ظُلُمَائِهَا إذْ سَحَبْتُ قُضُولَ أَذْيَالِ الدُّجَا
10 أَلْفَتْ فِيهَا كُلَّ مَا أَلْفَيْتُهُ يُوهِي القَوَى إِلَّا التَّسْلِيَّ وَالْكَرَى
طَالَتْ وَمَا أَطْلُ بِأَزْيِ صُبْحِهَا إِلَّا بِأَغْيَا^(١) مَا لَدَيْهَا مِنْ تَجْوَى
قَدْ وَقَفْتُ نَجْوَمُهَا فِي أَفْقِهَا وَقَفَ حَيْرَانٍ طَوِيلِ الْمُشْتَكَى
جُبْتُ بِهَا وَحَنْدِي قَفَرًا سَبَسَبًا

لَيْسَ بِهِ إِلَّا النُّعَامُ وَالْمَهَا
نَائِي الزِّيَازِي^(٢) وَالْفَلَا، دَانِي الصَّفَا

خَالِي الْفَيَافِي وَالذُّرَى، خَافِي الصَّوَى^(٣)

(١) أغشى للسحاب أقام . وبأغيا أي بغاية .

(٢) الزيازي جمع الزيزاء : ما غلظ من الأرض .

(٣) صوى جمع صوة (بوار مشددة) : وهو حجر يكون علامة في الطريق .

15 قَطَعْتُهَا بِبَازِلٍ ذِي مِرَّةٍ 'يَنْوَعُ' السَّيْرَ بِأَنْوَاعٍ الْمِشْيِ
فَتَارَةً يُعْمَلُ فِيهَا الْهَيْدَبِيُّ وَتَارَةً يَعْدُو عَلَيْهَا الْحَيْزَلِيُّ
كَأَنَّ رَحْلِي إِذَا عَلَوْتُ ظَهْرَهُ

فَوْقَ مَتْنِ الْمَتْنِ وَجُرِّيَ الْقَوَى
مِنْ وَحْشٍ مَهْمٍ بِمِيدٍ غَوْرُهُ
ذِي أَكْرُعٍ أَصْلَبَ مِنْ صُمِّ الصُّفَا
يَقْدِرُ بِي مِنْ قَدْ قَدِرَ الْقَدَرُ
وَيَنْتَهِي بِي مِنْ فَلَإِ إِلَى فَلَإِ

20 حَتَّى إِذَا انْتَضَى الصَّبَاحُ نَصْلَهُ
وَقَدْ جَلَبَابَ الدِّيَاجِي فَانْتَفَرَى
كَأَنَّهُ كِتَابٌ قَدْ نُشِرَتْ رَايَاتُهَا عَلَى الْإِكَامِ وَالرُّبَى
أَحْسَتِ الشُّبَّ بِهَا فَاجْتَلَمَتْ
وَأُمْتُ الْغَرْبِ وَتَجَدَّتْ فِي السَّرَى

إِذَا أَنَا بِبَيْعَةٍ غِيْطَانُهَا تَجْرِي بِهَا سَلْسَالُ نَهْرٍ وَانْخَفَى
كَأَنَّهُ مِمْنَصْمٌ خَوْذُ غَادَةٍ عَلَى رِدَائِمٍ قَدْ وَشَاهُ مَنْ وَشَى

25 وَظِلُّ رَوْحِي رَاضَةً صَوْبُ الْحَيَا
فَاعْتَمُ مِنْ نُورِ حُلَاهُ وَاكْتَسَى

بَاكْرَهُ وَسَمِيَّهُ فَاذْفَتَحَتْ
وَهَزَّ أَيْدِي الرِّيحِ مِنْهُ قُضْبًا غَشَى بِهَا الطُّيْبُ الْأَغْنُ وَشَدَا

[١٠٣ / ب]

أَحْسِنَ بِهِ رَوْضًا نَمِيمًا عَرَفَهُ
مَعْطَرًا دَانِي الْقُطُوفِ وَالْجَنَى

قد نثرتُ شمسُ الغداةِ أبْدَعاً (١)

فيه وقد بللتهُ فطَرْتُ النُّدى

30 وقفتُ طِرْفِي بِإِزَاهِ دَوْحِهِ أَسْرَحُ طَرْفِي فِي مَبَانِيهِ الْعَلَا

وَأَمْتَكِي دَهراً دَهَانِي صَرْفُهُ لَمَّا قَضَى بِالْبَيْتِ فِيمَا قَدْ قَضَى

مَنَازِلُ كَانَتْ بَيْنَا أَوَاهِلًا نِلْنَا بِهَا حِينًا أَسَالِيْبَ الْمُتَى

كَمْ بَيْتٌ فِي أَفْنَانِهَا أَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا بِطَرْفٍ جِدٍ مَا كَبَا

وَكَمْ سَعَبْتُ إِذْ صَعَبْتُ غَيْبَهُمَا

بِإِرْوَاضِهَا ذَيْلَ الشُّرُورِ وَالْهَنَا

35 وَكَمْ مَدَدْتُ مِنْ مُرَادِقٍ عَلَى

ضِيْفَةٍ تَهْرُ أَرْجٍ رَحْبِ الذُّرَى

وَكَمْ سَعِدْتُ إِذْ صَعِدْتُ صَهْوَةً

لِمَنْزَرَةٍ مُنْزَرَةٍ عَنْ الْحَنَا

وَكَمْ هَصَرْتُ فِيهِ مِنْ غُضْنٍ نَقَا

مَنْ قَدْ ظَلَى أَهْبَتِ طَاوِي الْحَشَا

وَكَمْ لَثَمْتُ زَهراً ثَغراً أَشْنَبَ

مَنْ شَادَنِ عَذْبِ الثَّنَائَا وَاللَّهْمَى

وَكَمْ رَشَفْتُ مِنْ رُضَابٍ تَسْلَسِلُ

يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالِ الطَّلَا

40 أَيَّامَ أَزْهَارِ الْمُتَى مُوْنِقَةً وَالْدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرِ الْمُجْتَلَى

تَزَفْتَنِي مِنَ الْأَمَانِي دَائِبَا عَرَائِسُ ذَوَاتُ حَلِي وَحُلَى

أني أَرَجِي لِغُؤَادِي سَلْوَةً من بَعْدِ بَعْدِ المَوْنِقَاتِ المَحْتَنِي ؟

يا لَيْتَ شِعْرِي والأَمَانِي خَدَعٌ

هل يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا ما قَدْ تَمَضَى ؟

وهلْ لَنَا من عَوْدَةٍ لِمَهْدٍ

صَبَوْتُ فِيهِ جُلَّ أَيَّامِ الصَّبَا ؟

45 إذْ لَا مَشِيبَ فَوْقَ فَوْدِي يُرْعَوِي

من شَيْنِهِ ، وَلَا رَقِيبَ يُخْتَشَى !

أَيَّامِ أَنْسِ أَسْرَعَتْ فِي خَطْوِهَا

كَذَا اللَّتَاذَاتِ مَرِيعَاتِ الخُطَا

يا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ فَأَنْتَ قَلْبُ

وَأَنْتَ عِنْدِي ذُرٌّ دَهَائِرِ وَحِجَا

فَلَا يَهُولُنَّكَ صَرْفُ الدَّهْرِ فِي

مَا قَدْ جَنَى عَلَيْكَ من خَطْبِ النَّوَى

[١٠٤ / أ]

فَكُلْ وَصَلِّ يَنْتَهِي لِفُرْقَةٍ

تَفْرِي العُرَى مِنْهُ وَإِنْ طَالَ المَدَى

50 والدَّهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُرٌّ عَجَبٍ

يُذْنِي بِهَا كُلُّ جَدِيدٍ لِلْبَلَى

يَبْكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ

وَيَعْقِبُ الكَرْبَ إِذَا المَيْشُ صَفَا

كَمْ مَلِكٍ ذِي نَجْدَةٍ فِي مُلْكِهِ

يَضِيقُ عَنْ جُودِهِ رَحْبُ الفَضَا

قد مَلِكَ الأرضَ وراضَ صَعْبَهَا
 وشيَّدَ القُصورَ فيها والبُنَى
 أخنى عليه دهرُهُ وعاقتهُ عن كُلِّ ما شَيْدَهُ وما بَنَى
 55 ابنَ الألي شادُوا وماسُوا مُلْكَهُمْ
 كمثلي سامان وعادِ وتبا
 دارتْ على أدؤُرهم^(١) دوائرُ وجُرّعوا كاسَ المنايا والرؤدى
 وأين باني إرمٍ وجيشُهُ ؟
 صاروا رَمِيماً تَحْتَ أَطباقِ الثرى
 ومَلِكُ كِيسرى حينَ تَمَّ أَيْدُهُ
 أَوْهَتْهُ أَحْداثُ اللَّيالي قَوْهى
 ولم تُقْصِرْ عن مُلوكٍ قَبِصِرْ
 حتّى أبادَتْهُمْ وطاحُوا في الثوى^(٢)
 60 ولم تَدْعُ من مَلِكٍ غِمانِ فتى
 سامى المَعالي في ذُرَاهَا وسَمَا
 وكم مُلوكٍ قَهَرُوا بِمُلْكِهِمْ
 أَسَدَ الثرى صاروا حَدِيثاً في الدَّهَى
 هذى هِيَّ الدُّنْيا فلا يَغْرُرُكَ ما
 تراهُ فيها مِن سرورٍ وَهْنَا !
 فانتفض يدبك من عُرَاهَا وارْمِها
 وابراً بِها^(٣) إن كنت من أهل النهى !

(١) أدؤُر ج دار .

(٢) الثوى : الهلاك .

(٣) كذا في الأصلين وقرأها الأستاذ كرون : رادراً بها .

وظنّ بالإخوانِ شرّاً واخشهمْ وصيرَ الأحنابَ منهمْ كالعدا
65 وإن أردتْ خبرهمْ فاخبرْ فما

خبرَ قوماً أحداً إلا قتلًا

وسركَ اكتمهْ عن الخلقِ ولا

تُطلع عليه أحداً من الورى

واقنعْ - على عزٍّ بما يكفي ولا

وساير الناسَ على أخلاقهمْ

وصافهمْ وإن أساؤانية

[١٠٤ / ب]

70 كم منْ صديقٍ مظهرٍ لودِّه

يشكرُني وجنّيك إن لاقيتَه

يُذيعُ ما يراه منْ قُبْحٍ وإن

فاتركَ إخا منْ هذه سيرة

ولا تهاينْ ذوي الجهلِ وإن

75 كم من أناسٍ كالأناسِ منظرًا

فهمْ إذا أشبهَ شيءٌ بالدمى

وكم رجال في الدنّى ليس لهمْ

من العُلا إلا الأسمي والكُنّى

يرون أن المجدَّ والعلياء في

ما يُنتقى من أهتاتٍ وكُسا

ليس العُلا والمجدُّ إلا لامرئٍ

رقنا إلى أفقٍ المَعالي ولرُتقى

وصمّم العزم على ترك الهوى
وجند في طيلاب ما يُجدي الشنا
80 وانتعل الشهب الداراري رفعة

وامتهد البدر المنير واعتلى
وما المعالي غير علم رائق
طوبى لمن برز في ميدانه
وابتدر السبق لديه وجرى
وجند فيه وحماه جدّه
حتى ارتقى منه بأسنى مرتقى
ودان بالدين القويم والعلا
وازدان بالخلق الجميل والتقى
85 لله قوم قارعوا أنفسهم

عن الهوى إذ قارعوا باب الرضا
عابوا نفيس الدّر والعقيان إذ
باعوا نفوسهم بأنفاس علا
وأنت بأنفس شغلت بالهوى
حتى هويت منه في قعر هوى!
فرطت إذ أفرطت في اكتساب ما
يردي ولم أسلك سبيل من نجا
كم خضت في بحر المعاصي جامعا
لا أرعوي نصحا للحنى من لعا

[١٠٥ / أ]

90 وم تبعت إذا تبعت أملا
قد انقضت لذته وما انقضى
واحتسرتا قد مرّ عمري ضائعا
بين خزعبلات هوا وهوى
هلكت في الهلاك لولا أنني
ذخرت ذخرا أرثي به الهدى

(١) في الأصلين بالذال المهملة . ونرجح ما أثبت للمعنى .

وليسَ ذخري غيرُ مدحِ أحمدٍ
سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرّاً ، وكفى
مُحَمَّدُ أَسْمَى النَّبِيِّينَ عَلَا وَمَنْ كَأَحَدِ النَّبِيِّ الْمُسْتَطْفَى
95 أَكْرَمَ مَبْعُوثٍ لِحَيْرِ أُمَّةٍ فَضَّلَهَا اللَّهُ بِهِ عَلَى الْوَرَى
تُورَاةُ مُوسَى قَدْ أَتَتْ بِعَمْرِ وَصَدُوقِ الْإِنْجِيلِ مَا فِيهَا أَتَى
قَدْ أَكْثَرَتْ فِي كُتُبِهَا الْأَحْبَارِ مِنْ
مَا أَخْبَرَتْ^(١) مِنْ فَضْلِهِ فِيهَا تَمَضَى
وَأَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الْأَفَاقُ فِي مَوْلِدِهِ ، وَشَرِقَتْ مِنْهُ اللَّيْلُ
فَالْمَلِكُ كَسَرَى قَدْ قَدَّاعَى صَرْحَهُ
وَانْقَضَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَهَوَى
100 وَفَارِسٌ قَدْ تَخَمَّتْ نِيرَانُهَا وَأَلْفَ عَامٍ سَعَرَتْ فِيهَا سَخْلَا
وَعَارَ نَهْرُ سَاوَةِ^(٢) فَسَاءَ مَا مَالِقَيْتَ مِنْ ظَلَمٍ وَمِنْ صَدَى
وَعَرَّتِ الْأَوَاقِثُ يَوْمَ بَعَثِهِ وَظَهَرَ الذُّلُّ عَلَيْهَا وَبَدَا
وَانْبَعَثَ ثَوَاقِبُ الشَّهْبِ تُرَى مُعْرِقَةً لِلْجَيْنِ فِي جَوْ السَّمَاءِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمُعْجَزَاتٍ مِثْلَ إِشْرَاقِ الضُّحَا
105 مِنْهُمْ نَطَقَ الذَّبِيرُ فِي تَصَدِيقِهِ
وَالْعَمِيرُ أَيْضًا وَالذَّرَاعُ وَالرَّشَا

(١) في الأصلين : اخترت ولعلها كما أثبت .

(٢) ساوة : قرية في الطريق ما بين هذان والري . وهي التي روي أن الموبذان رأى في

منامه أن يجبرتها غاضت ، في حين رأى كسرى ارتجاس الإيوان وخود النيران .

(راجع الروض المطار ٢٩٧) .

ومن عظيم المعجزات أنشئه
 فله مَبْنُوحَةٌ في كَفِّهِ صُمُّ الحَصَا
 والبيذع إذ فارقته حنٌ كما
 تحنُّ ثكلى هاجتها حرُّ الجوى^(١)
 والسَّرحُ بالشَّامِ لها أعجوبةٌ إذ عَفُوتْ أغصانها على الثَّرى
 والأبيك إذ أمرتَها فأقبلتْ
 وما بقي عِرْقٌ يها إلا أنفري^(٢)
 110 وقلتْ عودي فكان أصلها ما زالَ عن موضعه ولا نأى
 [١٠٥ / ب]

والشاة إذ مسَّعتها عادت به
 بعد المزال ذات نَحْضٍ يَشْتَهَى^(٣)
 فروت الرُّكْبَ بشكر^(٤) ضرعها
 إذ سَحَّ مِنْهَا الضرعُ ذرّاً وانتهى
 وفي انشقاقِ البدرِ أي آية
 بانتهى وما كانت حديثاً يفتنرى
 وكم مشتهى من فوقه غمامة
 تقبَّه حرُّ الشمسِ حيثما مشى

(١) في الأصلين : الجدا . قلت والأشبه «الجوى» . والجدا - بضم الجيم - ججنوة : القبة من النار والجمرة ، وفيه تكلف .

(٢) أنفري انشق .

(٣) النحض اللحم أو المكنز منه .

(٤) شكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، وأشكر الضرع : امتلأ .

115 وآية الفار مع الصديق إذ
تواريا في جوفه عن العدا

قال له الصديق كيف نختفي
ونحن فيه عرض لمن يرى ؟

فقال : لا تحزن ، فإن الله قد
تجنبنا عن كل ضرر وأذى

فعاك فيه العنكبوت سادلاً
بيابه في الحين سيجفاً قد ضفا

وسترت وجهه النبي سرحة
جاءت إلى الفار بأغصان علا

120 وحام في الحين الحمام حامياً
كأنه مذ أزمّن فيه ثوى

ولية المعراج أجل آية
إذ سار من مكة لبلا وسرى

فاخترق السبع الطباق صاعداً
حتى انتهي منها لأعلى منتهى

وائتم سكان السموات به
من ملك ومن نبي مجتنبى

سائرة جبريل حتى أشرفا
معا على يعارب ثور ونا

125 فقال جبريل تقدم راشداً
هذا مقامي في السموات الملى

فَاخْتَرَقَ الْأَتُورَ يَمْشِي وَحْدَهُ
 وَالْحُجُبُ تَتَجَابُ لَهُ حَيْثُ انْتَمَى
 وَقَامَتِ الْأَمْلاكُ إِجْلَالاً لَهُ أَمَامَهُ يَسْعَوْنَ حَيْثُهَا تَعَى
 نَادَاهُ فِي ذَاكَ الْمَقَامِ رَبُّهُ
 يَا صَفْوَةَ الْخَلْقِ ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا
 فَكَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ فَمَا كَذَبَ إِذْ ذَاكَ الْفَوَادُ مَا رَأَى
 130 تَخْلَا بِهِ حَتَّى تَحْبَاهُ آيَةٌ مَا زَاغَ فِيهَا بَصَرٌ وَلَا تَطْفَى
 وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَسْتَلِبْهَا الصَّبْحُ أَثْوَابَ الدُّجَا
 [١٠٦ / ب]

وَفِي نَزْوِلِ الْغَيْثِ عَامَ الْمُحَلِّ مَا
 سَرَّ نَفُوسَ الْخَلْقِ طَرُأَ وَجَلَا
 إِذْ أَمْسَكَ الْقَطَرُ عَنِ الْأَرْضِ وَلَمْ
 يُنَلِّ بِهَا غَيْثٌ وَلَا تَهَبَّتْ صَبَا !
 حَتَّى دَعَا اللَّهَ لِيَسْقِي أَرْضَهُ فَسَحَّتِ السُّحُبُ بِهَيْطَالِ الْحَيَا
 135 وَبَقِيَتْ سَبْعًا تُرِيْقُ رِيْقًا رَاقٍ بِهِ تَوَرُّ الْبِطَاحِ وَالرُّبَا
 فَأَفْرَطَ الْوَبْلُ عَلَى الْخَلْقِ ، فَلَمْ يُقْلِعْ وَلَا انْجَابَ الْحَيَا حَتَّى دَعَا
 وَالصَّاعُ اتَّسَعَتْ بِهِ أَلْفًا كَا (١)
 أَرُوَيْتَ نِصْفَ الْأَلْفِ وَالْأَلْفَ مَعَا

(١) كذا وقع البيت في الأصلين . قلت وبستم وزن الصدر ، لو كان :

★ واتمت ألفاً به الصاع كَا ★

وعاد بعد شيع القوم كأن
 لم (ينتقص) (١) منه طعام بل تما
 وقصة الزوراء فيها عجب
 إذ روي الجيش جميعاً من إنا
 140 وضع فيه كفه فأنهل من أنمليها ماءً نغير وجري
 وكان جيشاً من ثلاث مئة فكلهم غرّف منه وارثوى
 وفي نزول الوحي أمره حال إذ
 أعجز أرباب البيان والحيجا
 أنزل في عصر البيان فتبلي على الجميع في البوادي والقرى
 طلبتهم في سورة من مثله
 فكلهم إذ ذاك للعجز انشئ
 145 فقام منهم كاذب معارض (٢) هذى بيغي غيبه وما هدى
 جاء بقول هلهل مقبح (٣) وفاء فيه يفرى لا ترقضى
 تمجّه الآذان (٤) عند سمع
 نظم ركبك النجج ، إفك مفترى
 كأنه منطق ورها (٥) مسها
 خبل من الجين ففاهت بالهرا

(١) في النسختين : ينقص ، والثبت مقترح .

(٢) في « م » معارضاً .

(٣) كذا قرأتها ، واقرأ « متبح » ؟

(٤) في « ط » الأذمان .

(٥) الورهاء : الحقاء .

ورَدُّهُ عَيْنَ قِتَادَةٍ كَمَا كَانَتْ قِعَادَاتُ ذَاتِ حُسْنٍ وَبِهَا
 150 وَكَمْ أَنْالَتْ كَفَّهُ مِنْ نَيْمٍ وَكَمْ أزالَتْ مِنْ وَبَالٍ وَعَنَا
 وَكَمْ لَهُ مِنْ غَزْوَةٍ ذَلَّتْ لَهُ فِيهَا رِقَابُ الْمُشْرِكِينَ وَالْعِيدَا
 قَادِيهَا مِنْ صَحْبِهِ عَسَاكِرًا عَزُّ بِهِمْ دِينُ الْإِلَهِ وَتَمَّا
 [١٠٦/ب]

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَكْنَمٍ (١) بِحُزْمٍ وَمَمْتَدٍ لِلْعِزِّ أَسْفَى مُشْتَطَى
 يَسْقِي كُؤُوسَ الْحَتَفِ فِي يَوْمِ الْوَعَى كُلُّ عَدُوٍّ خَلَّ فِيهَا وَغَوَى
 155 بِكُلِّ رُمَحٍ نَافَذٍ بَادِي السَّنَا وَكُلِّ نَصْلٍ بَاتِرٍ مَاضِي الشُّبَا
 أَسَدٍ لَدَى الْهَيْجَامِ لَكِنْ مَالَهُمْ
 غَابَ سَيُوسَى ظِلِّ الْقِتَامِ وَالْقَنَا

كَمْ زَاوَلُوا الْأُورَادَ فِي ظُلُمَائِهِمْ
 وَقَاتَلُوا الْأَبْطَالَ يَوْمَ الْمُنْقَى
 فَهُمْ إِذَا تَجَنَّ الظَّلَامُ سَجْدُ وَبِالنُّهَارِ مُضْهِمُو نَارِ الْوَعَى
 رُبِعَ بِهِمْ فُؤَادُ كُلِّ مُشْرِكٍ
 مِنْ كُلِّ شَاكٍ عَاثَ كُفْرًا وَعَثَا (٢)

160 كَمْ صَدَمُوا أَقْيَالَ كُلِّ جَبَحْفَلٍ
 وَكَمْ أَدَارُوا بَيْنَهُمْ كَاسَ الرَّدَى
 وَمَنْ يَكُنْ نَصِيرَهُ مُحَمَّدٌ
 خَيْرُ الْوَرَى تَجِمُ لَهُ أَسَدُ الشَّرَى

(١) المتكفي في سلاحه أي المتغطي المنتصر بالدرع والغفارة .

(٢) عاث يهبط ، وعثا يهتو ، أفسد

سَلَّ عَنْهُمْ بَدْرًا وَسَلَّ أَبْطَالُهَا
 مَا فَعَلُوا إِذْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْي
 جَاءَتْ جِيُوشُ الشَّرِكِ فِي عَسَاكِرِ
 يَسْبِقُ تَعْدُو بَيْنَهُ الْجَمَزَى (١)
 قَادُوا خَيْسًا غَصَّتِ الْأَرْضُ بِهِ
 مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ وَلَيْثٍ قَدْ سَطَا
 165 فَبَاءَ جَبْرِيلُ بِأَمْلَاكِ لَهْمُ
 تَخِيلُ مِنَ الْكَدِنِ تَسْرِيعَاتُ الْخُطَا
 بَعْدِي ذِي كَثْرَةٍ وَعُودِي
 مَا حَالُ خَلْقٍ تَسْجُبَهَا وَلَا تَحْكِي
 أَكْرَمُ بِمَحْنِي بِهِ وَمَنْ تَحْمِي
 رَمَى جِيُوشَهُمْ بِكَفٍّ مِنْ حَصَى
 وَامْتَلَأَتْ حِينَ رَمَيْتَ بِالْقَذَى
 مِنْهُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى
 وَجَاشَ بِمَا قَدْ دَهَاهُ وَجَاشَا
 وَرَوَيْتَ أَقْطَارُهُ مِنْ الدِّمَا
 وَكَمْ طَسْرِيدٍ فَرَّ مَذْعُورَ الْحَشَا
 'جُنْدٌ تَحْمِي اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ
 وَكَانَ مِنْ آيَاتِ بَدْرِ أَنْسَهُ
 أَصَبَتْ مِنْهُمْ أَعْيُنًا فَعَمِيَّتْ
 170 أَوْ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ أَعْيُنَا
 فَسَلَّاهُمْ عَقْلَ عَنْ حَرَائِكِهِ
 مَوْضِعَ حَتَفٍ حَانَ فِيهِ حَيْثُ مِنْهُمْ
 فَكَمْ قَتِيلٍ خَرَّ مَبْتُورَ الْمَا

[١٠٧ / ١]

وَكَمْ أُسِيرٍ مُشْتَغَنٍ فِي قَيْدِهِ
 175 وَغَزْوَةُ الْخُنْدُقِ فِيهَا عَجَبُ
 إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ بِهَا مَنْ ابْتَلَى
 إِمَّا إِلَى الْمَنِّ وَإِمَّا لِلْفِدَا

(١) الجز ضرب من السير ، والناقة تعدو (الجزى) وكذا الفرس .

أَقْبَلَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ كُلَّهُمْ وَجَيْشُوا الْأَحْزَابَ مِنْ كُلِّ مَلَا
حَرَضَهُمْ بَنُو النُّضَيْرِ إِذْ بَغَوْا

وغيرهم من اليهود والعبداء
وصارخوا من غطفان عسكراً (١)

عَرَمَرَمًا مِنْ [كُلِّ] جَبَّارٍ عَصَى (٢)

راموا بجيش المسلمين نقمة إذ جيشوا برومة؟ ، ونيقما
180 أكثر من عشرة آلاف لهم

في معضلات الحرب مكر ودها

من قيس عيلان ومن نجد ومين

هنا لك ابتلي كل مؤمن

فأرسل الله على عدوهم

وأزلت عليهم ملائكة

185 لما رأوا أن البلاء عنهم

جلاهم دون قتال ربنا

وانقرضت قريظة بالقتل إذ

ما بين سبعمة ونيق

قد ضربت بالسيف مينهم الطلى

لم يقهيم من المنايا والردي

190 فما حيي حبي بن الخطيب

بما جنى عمدا ولا كعب نجا

راحت غداة غودروا رهن التوى

أرواحهم من الدني إلى لظى

(١) في الأصلين : عسكر

(٢) (كل) سقطت من م ، وفي ط « من جبار قد عصى »

وقد فشت أخبار أرض خيبر
 إذ خربت بما ألقاها من توى
 حل بهم جيش النبي غداة
 وعمهم من جاشه خطب دهم
 فاستفتحوا حصونهم ، واستأصلوا
 أعيانهم بالمؤلفات والقنا

[١٠٧ ب]

195 وفي عليّ إذ أراد بعثته
 كان بعينه أذى من رمده
 وسار في الحين إليهم فاشيراً
 قلع باب خيبر لها عصي
 أقامته عن ترسه فلم يزل
 200 فاستفتح الحصن الحصين واعتلى
 وحين تم للصطفى افتتاحه
 حاصرهم ليالياً وآب من
 وفي افتتاح مكة عير غدا
 إذ جاءها يزحف في عساكر
 205 كئيباً كأنها كواكب
 ملأتها نخيل ورجل منهم
 حبت بهم ظلاء ذقع ما لها
 عشرة آلاف كرام ألقت

[لخير] معجزة لمن يرى (١)
 فتقل النبي فيها فسبرا
 رأته محبوب بالجيش الفلا
 راحته كأنه فيها عصا
 بيده حق جرى ما قد رجا
 به على الأديان دين المجتبي
 لخبيبر سار إلى وادي القرى
 غزوة تملك بعلق مقنتي
 مذيل كل كافر فيها عدا
 ضاق بها رعب الأراضي والفلا
 وهو بها كأنه (٢) بدر الدجى
 بين جبال وبطاح ورؤى
 ثواقب إلا أسنة القنا
 قلوبهم طراً على سبل الهدى

(١) [لخير] مقترحة امتداء بالبيت ٩٨ وفي ط « لبعض مجزة » ا

(٢) في الأصلين : كأنها ، ونرجع ما أثبت .

قَبَائِلٌ عَلَّتْ عَلَى قَبَائِلٍ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ فِي الْحُرُوبِ مُتَقَى
210 وَكُلَّ ضَيْرٍ غَامٍ بِصَيْرٍ بِالْوَعَى

قَدْ سَلَّ نَصْلُ الْعَزْمِ فِيهَا وَانْتَضَى
أَقْبَلَتْ فِي كَتِيْبِهِ خَضْرَاءُ قَدْ

حَفَّ بِهَا التَّأْيِيدُ مِنْ رَبِّ الْعُلَا
عَنْتَ بِهَا رَكَّابٌ كَانَهَا مَرَاكِبٌ فِي أُلْبَجٍ قَقَامٍ طَمَا
وَأَنْتَ يَا خَيْرَ الْوَرَى تَقْدُمُهَا كَأَنَّمَا أَنْتَ بِهَا شَمْسُ الضُّعَا
أَتَيْتَ فِي جَنْدِ الْإِلَهِ رَافِلًا فِي ثُوبٍ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ ضَفَا
215 وَالْحَيْلُ مِنْ خَلْفِكَ تَحْتَالُ بِهَا وَالْعَيْسُ تَنْشَالُ ثَنَاءً وَثْنَى

[١٠٨ / ١]

قَدْ انْطَوَيْتَ مِنْ تَوَاضَعٍ عَلَى
رَحْلِكَ لَمَّا أَنْ وَصَلْتَ ذَا طَوَى (١)

خَشَعْتَ مِنْ تَحْتِ لَوَاكِ الْعَزْ إِذَا
عَلَا بِكَ الدِّينُ كَلَاً وَسَمَا
فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ مِنْ فَرَحٍ وَزَهْوٍ إِذْ حَلَّ بِهَا عَيْشٌ حَلَا
عِزُّ نَبِيٍّ عَقْدَ اللَّهِ لَهُ لَوَاةُ (٢) فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
220 وَحِينَ تَحْطُ رَحْلُهُ بِبَيْكَةِ كَبَا بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ وَبَكَى
لَمْ يَبْقَ إِذْ ذَاكَ بِهَا مِنْ مُشْرِكٍ إِلَّا اخْتَدَفَى خَوْفًا بِهَا ، أَوْ انْتَجَلَى

(١) ذو طوى واد بمكة ، لما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وقف على راحلته مستجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإنه لبضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله عز وجل به من الفتح ، حتى إن عثونه ليكاد يمس واسطة الرجل .

(٢) في الأصلين « لواء » ونرجح ما أثبت .

فما أفادتِ « ابنَ حربٍ » حربُهُ
 حتى أتاهُ صاعِراً فيمن أنى
 ولا تحى فيها « حماساً » حزمُهُ
 حتى نجا منهزماً فيمن نجى
 فكانَ من فضلِ النبيِّ المُجْتَنِبِ
 يومئذٍ أنْ كفَّ عنهمُ وعفا
 225 وطافَ بالبيتِ العتيقِ شاكراً لله ما أعطاهُ فضلاً وحباً
 ومرَّ بالأصنامِ إذْ طافَ بهِ يُشيرُ نَحْوَهَا فخرتُ للثرى
 فبعضُها خرَّ على الوجهِ لما أصابَهُ ، وبعضُها على الآفا !
 فأصبحَ الدينُ القويمُ قسماً تما على الأديانِ طراً وعلاً
 وعادَ برقُ الشركِ برقاً خلباً
 - من بعدِ ما أومضَ حيناً - وخبأ
 230 وفي حنينٍ حاتٍ حِينُ حارثِ
 ومُلكِ مالكِ بنِ عوفٍ قد عفا !
 دارتْ عليهم إذْ أتوا دوائرُ
 وأسلموا « دُرَيْدَهُم » إلى الردى
 لما أكرمَ ما حبا اللهُ بهِ نبيَّهُ من الفُتوحِ والغنى
 غاظَهمُ فجمعوا من حينِهِمُ عساكراً ممنْ تَوَلَّى وغوى
 وجمعتْ « هوازنُ » قبائلاً
 بمنْ زَمَّا عقلاً بها حتى هوى
 235 جاؤوا بأطفالٍ وأمسوا لَهْمُ
 من ذي بُكاءٍ وبعارٍ (١) ورُغَا !

(١) البعار : صوت الغنم أو المعزى . والرغاء : صوت البعير .

فخرجَ النبيُّ في عساكرٍ من كلِّ صنديدٍ كريمٍ المنتمى
[١٠٨/ب]

عساكرُ تَتَّبِعُهَا عساكرُ كلُّ له عزمٌ إذا الخطبُ عرا
لما تَراهي المسكرانِ أقبلتُ

جِيوشُ أهلِ الشُّركِ تَعْدُو الحَيَزَلِي
فَقَرَّ جَيْشُ المُسلمينَ هارباً فهاشني عِنَانُهُ مِنْهُمْ فَقِ
240 فَأَنزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مَكِينَةً شَامَ بِهَا بَرْقُ الْمُنَى
فَقَامَ فِي الْجَيْشِ لَهُمْ مُنَادِيَا أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى
ثُمَّ دَعَا الْعَبَّاسُ جَهْرًا فَانْثَنَى إِلَيْهِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ إِذْ دَعَا
فاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ نَحْوُ مِائَةٍ يَمُنُّ بِهِ فِي الْمُعْضَلَاتِ يَهْتَدِي
وَأَيَّدُوا بِعَسَاكِرٍ عَرْمَرَمٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ

245 فَانْهَزَمَتْ جِيوشُ أَهْلِ الشُّرْكِ إِذْ
حَمَى جِيوشُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ حَمَى

فَتَخَذَلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا إِذْ جَشَوْا
بَيْنَ عَوَامِلِ الرَّمَاحِ وَالظُّبَا
نَصَرَ إِلَهِي قَضَى اللهُ بِهِ
مَنْ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ فِيهَا قَدْ مَضَى

نَبِيٌّ صَدَقَ صَادِقٌ فِي زَهْدِهِ مَا فَوْقَهُ لِمُعْتَلٍ مِنْ مُعْتَلٍ
عَذَّتْ لَهُ شَمُّ الْجِبَالِ ذَهَابًا طَوَعَ يَدِيهِ مِنْ دَنَا وَمِنْ قَصَى
250 وَرَأَوْدَتُهُ بُرْهَةٌ عَنْ نَفْسِهِ فَمَا اشْرَابَ نَحْوَهَا وَلَا رَنَا
كَمْ رَفَّ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ قَانِتًا لَمْ يَفْتَمِضْ بِسِنَّةٍ وَلَا كَرَى

حتى اشتكت رجلاه ما قد نالها

وشفها من ورم ومن (مأى) (١)؟

وزال عنه ما اعتراه من شقا؟

على الحجار كشعة من الطوى

أضاء نجم من درارها العلا

ليس بضاهيه نبي مجتبي

منقذنا في الحشر من نار لظى

فأنزلت (طه) له تكممة

وكم طوى إنافة لرببه

255 لولاه ما كانت سموات ولا

هو الحبيب الأمر النامي الذي

هو الشفيع في المعاد للورى

[١٠٩ / أ]

هو المرحى (٢) للخطوب كاشفا

هو الذي من أمه مستشفعا

260 هو الذي فاق النبیین معاً

فكلهم مسلم لفضله

وكلهم من بحره مغترف

وكلهم دون عسلاء واقف

وكل ما جاؤوا به من آية

265 فانسب له ما شئت من شرف

فلا ترى تبلغ منه غاية

وما عسى تثنى عليه مادحاً

وربه في محكم القرآن قد

ومن سواه لاخطوب يرتجى؟

مستمسكاً بجبله فقد نجبا

في خلقه وخلقه منذ بدا

والعلم والحلم جميعاً والندى

معترف بأنه خير الورى

في حده ملتبس منه الرضا

فأصله من النبي المصطفى

واثن بما شئت عليه من ثنا

وكيف يحصي أحد عددها؟

وحامداً لفعليه وما عسى؟

أثنى عليه وأحباه بالهدى

(١) كلمة وردت مهمة ، ورسومها فيها « ما ا » ويمكن قراءتها بالفاء .

(٢) في الأصلين : هو المرتجى . والمثبت مقترح .

يا أيتها المبعوثُ فينا رَحمةٌ أنقذنا اللهُ بها من الردى
 270 خدمتكمُ بمدحتي هذي وإن كنتُ من الإحسان نائي المتناي^(١)
 أقصرتُ إذ كنتُ بها مقصراً أو لم أجيء فيها بمعنى مُنتقى
 لكنتني طرزتها من مدحكُ يحلل ذات بهاء وحلا
 مقصورةٌ، لكنّها مقصورةٌ على امتداح المصطفى خير الورى
 ما شئتُها بمدح خالق غيره لرتبة أحظى بها ولا جزا
 275 فاقت^(٢) علاء كل ذي مقصورةٍ
 وإن هم نالوا الأيادي واللسان
 فحازم قد عدّه غير حازم^(٣)
 وابنُ دريد^(٤) لم يفيدهُ منا درى
 فإن أكن ملقى الغنى من غيره^(٥)
 فلن يفوت مملقاً منه الغنى
 وإنما قصدي أن أحظى بما
 يبقى من الذكر الجميل والتقى

(١) في « م » المتنوى وفي « ط » المتنوى . والمتناي: الموضع البعيد .

(٢) فيها قللت . والمثبت مقترح مرجح .

(٣) حازم بن محمد بن حسن القرطاجي (٦٠٨ - ٦٨٤) أديب ، شاعر ، ناقد أندلسي

بليغ نسبته إلى قرطاجنة الاندلس هاجر إلى المغرب واستقر بإفريقية ، وتوفي بتونس
 وله ديوان شعر (ط) وكتاب في النقد هو منهاج البلغاء (ط) ، وكتب أخرى .

وله مقصورة طبعت في حوليات كلية آداب عين شمس .

(٤) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة والأدب (٢٢٣ - ٣٢١) مؤلفاته
 كثيرة في النحو واللغة والأدب وغيرها وأكثرها مطبوع . وله مقصورة مشهورة في مدح
 آل ميكال . وله أيضاً ديوان شعر مطبوع .

(٥) فيها : ملقى ، وضبطت فيها بفتح الميم .

[١٠٩ / ب]

وأستجيرُ من ذنوبٍ أثقلتُ ظهري وأوهى ثقلها منه القوى
280 وأقعدتني مقعداً قد غضني كأنني منه على حجر الفضا
يا أكرم الخلق علاءاً ونداً يا سيّد الرّسل الكرم المسمى
يا صاحب الحوض الذي من أمه

يظفرُ بيوردٍ لم تكدره الدّلا
باعَ المالِ واشترى غيَّ الهوى
يا نعيمَ ما باعَ وبشَّ ما اشترى !
فكم أضاعَ في الدّنا سبلَ الهدى
وكم أطاعَ في الهوى غيَّ الصّبا
285 فكنْ شفيعي يومَ لا يُغني امرأ

ما ضمّ من مالِ الدّنا وما تحوى
يا ربّ بالمختارِ من أرؤمَةٍ
قصرَ عنها كلُّ أصلٍ قد زكا
ومَن له كلُّ فخارٍ انتمى ومَن بهِ كلُّ نبيٍّ اقتدى
أخذ بيدي وأمننْ بلطفٍ منك في
ديني ودُنْيائي وجُددٍ لي بالرضا
واغفرْ بعفويّ منك ما اجتَرَمْتُهُ

واصفَحْ عن الزّلاتِ يا ربّ العُلا
290 واجلُ صدأ قلبي وهبْ لي توبةً
أحو ربّها آثامَ قلبٍ قد قسا

(١) ورد هذا البيت والذي بعده في هذا الموضع في النسختين .

فلستُ أُلْفَى لِسِوَاكَ رَاجِيَاً وَمَنْ سِوَاكَ يَا إِلَهِي يُرْتَجَى ؟
وَارْتَحِمُ مُحَمَّدًا وَآلَ بَيْتِهِ وَصَحْبَتَهُ الْفَرَّ الْكَرَامَ الْمُشْتَمَى
تَصِلُ صَلَاةُ مَنْكَ تَنْزِي أَبْدَاً عَلَيْهِ مَا هَبَّتْ عَلَى الرُّوضِ الصُّبَا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ
عبد الله بن محمد البكري .

يكنى أبا محمد ، وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته ،
وأصل سلفه من الأندلس وبالأندلسي يُعرف .

حاله

له معرفة بالعربية ، وثقوب ذهن في الطريقة الأدبية . قد أخذ
من المنطق بأوفى سهم ، وضرب في الفصاحة بسهم . وحوى الجود
والعفاف [١١٠ / أ] وقنع في دنياه بالكفاف !

أنشدني لنفسه :

رَعِيَاً لِبَدْرِ قَدْ قَوَى بِالْحَشَا رَبَّاهُ^(١) مَسْتَنْشِقُهُ إِنْ مَشَى (؟)
قَدْ غَمَّانِي وَلَسْتُ لَمْ مِنْ لَحْظِهِ نَبْلًا فِصَادَ الْقَابِ هَذَا الرُّشَا
الْلَّحْظُ مِنْهُ فَاتَرُ بَاتَرُ وَالْحَسَنُ مِنْ نَشَاتِهِ قَدْ نَشَا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ

محمد بن عمر بن توقرت الموحّد التينملي :

يكنى أبا عبد الله وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته .

(١) كذا فيهما .

ويعرف بالمصمودي وكان والده عمر يكتب للوزير أبي زيان فارس
ابن ميمون بن ودرار الحشمي ولحقته ورأيته . وأبو عبد الله هذا توفي
في إبان الشبوبة ، وله اثنتان وعشرون سنة .

حاله رحمه الله :

هو بحر الآداب ، ورئيس النحو والحساب ، وأما القرأت فبرز
فيها أهل عصره ، كما كان في النبلاء وحيد عصره ، عفا الإزار ، جم
الحيا والوقار . كنت قد أنشدته بيتين أنشدنيهما لنفسه شيخنا الفقيه
القاضي الغرضي أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الوائشري . وسبب
نظمه للبيتين أنه بلغه عن بعض الطلبة أن أحدهم نظم أبياتا في غاية
اللعن والكسر فاستهزؤوا به وسخروا منه ، فغاطبهم بالبيتين ليكفوا
عن ذلك ، وهما

كفّوا عن اللّهُو والمِزاحِ وامضُوا على الجِدِّ والصُّلَاحِ
فالجدُّ أهلٌ لكلِّ خيرٍ يقودُ للنَّجَحِ والفلاحِ

فلما سمعها مني استحسنتها ، ونظم أبياتا وبعضها مع نثر له
إلى شيخنا القاضي أبي علي المذكور ، وهي

دعوتُ للخيرِ والفلاحِ إذ قُلتُ كفّوا عن المِزاحِ
وذاك أقصى مدى المعالي ورتبة الرُّشدِ والنَّجَاحِ

[١١٠ / ب]

وبعض أهل البَرّاع يَلهُو وليسَ [في] ذاك من صلاح
فِعشٌ هَنِيئًا قَريرٌ عَيْنٍ ما اعتقبُ اللّيلُ معُ صباحِ

ولما وقفت على البيتين ورأيتهما في البراعة توأمين ، حملتني دعاية

الأدب ، واستهواني عند سماعها الطرب ، على أن قلت ما جمعت فيه
بين (الحسنتين فلم ينتج كالشدرتين) (١) على أني لو كنت أشعر من
العرجي وأحفظ من الأصمعي ، وأبلغ من عبد الحميد وأجمع للحكم
من ليبد ، لقصرت عن ذلك المنهج ، ولقليل لي وليس هذا عشاك
فادرُج* ، ! لكن الإغضاء من شيم الأصدقاء .

فلا غرو أن يُغضي الكريم إذا رأى
مساوي، خل فالكريم الذي يُغضي !

والسلام

صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن الشيخ الصوفي الصالح
أبي عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ (*)

هو من أهل فاس . ونسبه في الخزرج ؛ ينتمي لقيس بن سعد بن عبادة
الأنصاري الخزرجي . ورأيتُه بفاس ، وصحبته ، وكان يكتب الخراج
بفاس . وامتدح ابن عمنا الرئيس إسماعيل بن الأمير فرج بن أمير المسلمين
إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير إسماعيل بن
جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان المنصور محمد بن أحمد بن
محمد بن خميس بن نصر الخزرجي بقصائد بديعة عارض بها قصائد أبي القاسم
ابن هانيء الأندلسي ، وانقطع بها إلى ابن عمنا المذكور .

(١) العبارة مطموسة تقريباً في « ط » ، وهي هكذا في « م » على أن الإعجام غير ظاهر
واقراً أيضاً « الحسنتين . . الشدرتين ؟ » .

(*) ترجم له ابن الأحمر في نثر الفرائد « ٣٧٦ » ، وقال فيه « وهو شيعي الذي به
تعلمت » . وأورد له ذمراً في هذا الكتاب في الباب الأخير قاله في السيف الذي بصومعة
جامع القرويين بفاس .

حاله - سلمه الله تعالى - :

هو فارس هذا الميدان ، وإنسان عين الزمان . له نظم رائق جمع فيه بين الجزالة والحلاوة ، ونثر فائق عليه رداء الطلاوة . وباع عظيم في نقد الأدب ، ومشاركة [في] ^(١) فنون ثقی من الطلّب . وغزله ألذ من الماء القراح ، ومدحه أمضى من السيف [١١١ / أ] في الكفاح . قد أقر له بالتقدم [في] القريض ، كل ممن نشر لواءه العريض ، لو رآه العباد ، والصاحب بن عباد لسلما إليه في فصاحة لسانه وبلاغة بيانه ، ولشففا به وكلنا من جملة أخدانه . وماذا عسى أن يحدث لسانی ، أو يكتبه ^(٢) بناني من وصف حاله ، وكریم خِلاله . وذاك بحر ، ليس له قعر ! وأثبت هنا من نظمه ما يدلك على حسن فهمه .

كنت قد طلبت منه شيئا من شعره الذي امتدح به ابن عمنا الرئيس إسماعيل فبعث به إليّ ، وجاوبني بقوله :

« الجلال الذي يقصر عنه الواصف ولو أطال ، والجمال الذي يأوي إليه المعتفي والخائف فيبلغان الآمال . جلال مولانا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن مولانا الرئيس أبي الحجاج يوسف بن مولانا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد بن مولانا علم الأمراء ووالد الملوك الكبراء الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن مولانا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن مولانا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن مولانا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي الذي ملك عنان الفضائل الماثورة ، ورفع لواء المخايل المشكورة . واحتوى على غرر الشئائل المبرورة ، قطب الرئاسة الذي عليه

(١) لم تظهر الكلمة في النسختين . (٢) في «ط» تكتبه .

مَدَارُ أَفْلَاكِهَا ، وَدَرَّةُ الْمَجْدِ الَّذِي بِهَا فَخَارُ أُسْلَاكِهَا لَابِلُ حَدَقَةِ الْمَعَانِي
وإنسانها ، وَحَدِيقَةُ السِّيَادَةِ وَبِسْتَانُهَا . مِنْ إِذَا ذُكِرَ رَاقِقُ الْآدَابِ فَنَسِيجُ
وَحْدِهِ ، وَإِذَا رُدِّدَ فَائِقُ الْأَحْسَابِ فَأَبْيَسُهُ وَجْدُهُ . الْمُنْتَمِي مِنَ الْعُصْبَةِ
الْقَحْطَانِيَّةِ إِلَى أَكْرَمِهَا زِيَّجَارًا ، وَأَعَزَّهَا جِيَّوَارًا وَأَعْلَاهَا مَأْمَرًا وَأَغْمَرَهَا
إِثَارًا . الْآخِذُ مِنْ طَرَفِي الرِّيَاسَةِ مِنْ سَيْفٍ وَقَلَمٍ ، وَالْمُسْتَوِي عَلَى كِلْتَا
السَّجِيئَتَيْنِ مِنْ حِلْمٍ وَكِرَمٍ . بِيَدِ أَذُنِهِ مِنْ بَيْتِ الْمُلُوكِ الرَّحْبِ الْيَفْنَا ، الْجَلِي
السَّنَاءِ وَالسَّنَا الَّذِي شَمَخَتْ ذُرُوتُهُ ، وَرَسَخَتْ بَنِيَتُهُ . وَقَامَتْ عَلَى تَقْوَى
اللَّهِ دَعَائِهِ ، وَعَظُمَتْ فِي ذَاتِهِ [سَجَايَاهُ ^(١)] [١١١ / ب] وَ . [٠ . ٠ .]

مُلْكٌ قَطَعَتْ دَابِرَ الشَّرِكِ تَدَابِيرُهُ الْعَصَابَةِ ، وَذَبَّتْ عَنِ الْمِلَّةِ الْحَنْفِيَّةِ
ذُبَابَانَهُ الْقَاضِيَّةَ ^(٢) .

مُلْكٌ خَبَتْ نَارُ النِّفَاقِ مَهَابَةً لَجَلَالِهِ لَمَّا بَدَتْ أَعْلَامُهُ
أَلْبَسَتْهُ بَنُو نَصْرِ آلِ الْأَحْمَرِ حُمْرُ الْمَطَارِفِ . وَأَمَدَّتْهُ بِسَوَابِغِ
الْحَيَّرَاتِ مِنْ تَالِدٍ وَطَارِفٍ . فَشَامَتَتْهُ جِلَّةُ الْمُلُوكِ بَرَقًا يَغِيلُ .
وَأَعَدَّتْهُ لِكَافَّةِ شُرُوءِهَا أَسَى مُعْمُولٍ وَأَوْفَى مَتَكَلٍ . وَمِنْ هَذَا الْبَيْتِ
الْكَرِيمِ بَيْتُ أُسْلَافِهِ ، فَلَا يَتَعَدَّى بِالْمَدْحِ لِحُلَافِهِ ، وَلَا يَمْدُلُ بِهِ عَنْ أَوْصَافِهِ .
بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِيهِ الْفِكْرَ ، عَلَى كُلِّ مَنْ نَظَّمَ أَوْ نَثَرَ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ مَدَحَهُ شَاعِرٌ
كَئِدَهُ ، وَبَذَلَ نِظَامَهُ جَهْدَهُ ؛ وَعَمَدَ تَلْقَاءَ ذَلِكَ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَقَدَامَةَ
وَعَبْدِ الْحَمِيدِ ؛ لَمَّا حَصَلُوا مِنْهُ عَلَى غَايَةِ ، وَلَا تَوَاصَلُوا إِلَى نَهَايَةِ . لَكِنَّهُ
بِفَضْلِهِ يَقْبَلُ مَا يَسْنَحُ ، وَيَفْضِي فِيَسْتَمْلَحُ .

(١) كلدنان مطموستان إلا بعض الأحرف ، تبينت الأولى ونمت علي الثانية .

(٢) فيهما : القاضية . ونرجع ما أثبت .

وقد بلغني - أبقى الله جنابه منيع الحمى ، رفيع المنى - أنه
شرع في تأليف كتاب ترجمه به « أسنى الوسائل في مختار الشعر
والوسائل » يحتوي على غرر ما تخير ونقد ، وأورده على ثاقب ذهنه
فورده . كل ذلك بما أحدثه أهل العصر ، من بديع نظم وبايغ نثر .
وأنه عند تصفحه أشعار الناس ، وعرضها على ذكائه الذي عجزت
عن لحاقه فطرة إياس ؛ ووقفت دونـه وقوف الطامع بين الرجاء
والياس . وكان من بعض ما اقتضته حقيقة تأويله ، وعقدت بصحته جملة
تفصيله ؛ أن يحمل أشعاري من أحظى الأشعار لديه ، وأرفعها وأعزها
عليه . وليس ذلك لغرابته في ألفاظها ومعانيها ، لكن لقربه لا يمكنه
إلا صلة روحها وتدانها . وذلك أنه لما نظر بعين فطنته ، وميز
بذكائه وسالم فطرته ؛ تبين أنها من الفائق الذي لا يلحق ، والشاهق
الذي لا يطرق . ولعمري إنها لذلك ، وإن قصرت عن شأو الشعراء
نظاما ، وضمفت عن ذلك [١١٢ / ١] المسلك حلولا وإماما ، فقد
أحرزت بمدوحها جلالا وإعظاما ؛ ومالت به في دوحة البلاغة غصنا
ناعما ، وطلعت في سماء البراعة بدرأ تماما . ولا غرو أن المنازل
تشرف بسكانها ، وتغلو وترخص بحيرانها . وعلى هذا الدأب دأب ،
وإلى هذا المذهب ذهب وبه تمذهب

والله تعالى يبقي بركته ويديم عافيته . ويتم ما جنحت إليه طباعه ،
وسارع إلى تهذيبه من التواليف الشريفة والتصانيف المنيفة يرأه .
والسلام الأتم يعتمد كماله ، ورحمه الله وبركاته . من معظم قدره أحمد
ابن محمد الدباغ .

أنشدني لنفسه - فصا الله في أجله - يمدح ابن عمنا الرئيس
أبا الوليد إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل عمّ أبينا ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن
جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله
أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي :

عَجِبًا أَيْتَنُغْذُ السَّلَوُ خَلِيلًا
مَنْ لَيْسَ يَأْمَلُ أَنْ يَبِينَ نَحُولًا
جَهْلَ الْعَوَازِلُ مَا بِهِ فَتَجَاذِبُوا
طَرَفَ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ وَالتَّأْوِيلَا
هَيَّاتَ لَوْ صَعَّتْ بِصَاوِرْمَ لَمَّا
قَالُوا تَسْلَى حِينَ صَارَ عَلِيلَا
دَعُ مَا ادَّعَوْهُ وَخَذْ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ
وَمِنْ الدَّلِيلِ تَفْهَمِ الْمَدْلُولَا
5 لَوْ كَانَ يَرْكُنُ لِلْسَلَوِ لَمَّا بَكَى
شَوْقًا وَحَنًى صَبَابَةً وَغَلِيلَا
وَاسْتَطَرَفَ السَّقَمُ الْمَبْرَحَ مُطَرَفَا
وَاسْتَعَذَبَ التَّعْذِيبَ وَالتَّنْكِيلَا
وَالسَّقَمُ أَفْضَحَ فَاضْحٍ لَذَوِي الْهَوَى
وَكَفَى بِذَلِكَ شَاهِدًا مَقْبُولَا
يَا أَيُّهَا الْمَعْذُورُ فِي شَأْنِ الْهَوَى
هَنْتُ ، إِنِّي لَمْ أَزَلْ مَعْتَذُولَا !

أنا من عهدت ، أخو الهوى وخديته
ما زلتُ معروفًا به مستولا

[١١٢ / ب]

10 لم أمنح السلوان بمض وفاي^(١) لا
وأبيك ما خنتُ الفرامَ فتَيْلا

ولربما أصبحتُ مشغوفًا بمن

يُسي ويصبحُ بالجفا مشغولا

وسنانَ يتُّ بهِ سَميرَ كواكبِ

يطوي السماء بها الدُجى ترحيلا

وكأنه تاجٌ يفرق بدرها

وكانها نظمتُ له إكلِلا

في ليلةٍ قصرت على أبراجيها

أنسا ، وحلّتْ عقدَ صَبْري طولا

15 رَقَ الشَّها فيها لِمَا لاقَبْتُهُ

وَجَنَدًا فَاخْفَاهُ ضَنَى وَذِيلا

[لايبعد]^(٢) الله التي تركتُ دَمِي

أسفاً على أطلالها مَطلولا

وتحمّلتُ وهي العالِمةُ أنْ لي

قلباً فَوَيْتَنِي حَوْلَهَا مَعْدُولا

(١) في « ط » وفاي . وصورة الصفحة مضطربة في « م » وتقرأ « ذماي » أيضاً .

(٢) موضع البيت مخروم في « ط » ولم تظهر الكلمة الأولى في « م » . وقريب أن تكون

مثل « حفظ » و« رعى » أو « لايبعد » المؤدية معنى الدعاء ، المقصود منه التاب الخفيف .

اتبعتها يوم استقلت عينيها
 دمعاً يسح ولا عجباً مشغولاً
 فتى ظمت رويتيها ، أو أظلمت
 أجبت دون مطيها قنديلاً !
 20 يا هذه إن كنت ظاعنة فلا
 تستثقلي جسداً غداً مهزولاً
 أو ليس أضعى في قبابك قلبه
 ملقى ، وأمسى عقله معقولاً ؟ !
 ولئن بخلت فما عليك ملامة
 حق لملك أن يكون بخيلاً !
 ما لي وللدعج المراض تشوشني
 وأبيت ولهاذا بها تخبولاً ؟ !
 وأخاف أراماً برامة رتعا
 وأخال منها كل شعب غيلاً
 25 حتى كاني نجل إسماعيل قد
 رُميت جزيرة بإسماعيلاً
 ملك آلان الدهر بعد قساوة
 وأعادة بعد الجراح ذلولاً (١)
 ملك براه الله يكفل خلقه
 وكفى به كهفاً لهم وكفلاً
 ملك إذا ما حل أرضاً ظنه
 - لجلاله - سكانها جبريلاً !

(١) في القصيدة مبالغات مفرقة عجيبة . وسنكتفي هنا بهذه الإشارة .

حتى إذا فاضت (١) أنامله ندى
قالوا أتاح الله ميكائلا !
30 وإذا امتطى منه المطهم قال من
شهد انوغى عاينت عزرائلا !

[١١٣ / أ]

راقبه يوم الرُّوع إذ تنبؤ الظُّبَا
وترى الأسيئة عطلت تعطيلًا
والجود قد ضرب الظلام عليه من
نسج القتام سرادقًا وسُدولًا
وعلى مُتون الجرود كل سميدع
قد عاد من بعد المضاء كليلًا

لترى المهابة والجلالة والملا
والبأس والإنعام والتفصيلًا

35 هذا ابن وحي الله فأخذ هديها
معه الملائك بكرة وأصيلًا
ذو النور دوليه النبوة والعلی
شكرًا كنائله الجزيل تجزيلا
لا مثل يوم فيه يوم أدلة
يهدي إلى المتفقهين عقولا

في موسم البحر الشنيع يروقني
وأغض طرفًا عن سناه كليلًا

(١) فيها : فاظت ، ونرجع ما أثبت . (٢) كذا بالصاد المهملة . (٣) كذا !

والجود يثمر في الأسيّة والطبّا
والأرض راجفة تميل ميلا
40 والخافقات على الوشيح كأنما
يطلّسّين عند الأعصرات دحولا
والأسد فاغرة تمطى بينها
والدّهر يندب شلوة الماكولا
والشمس حاسرة القناع وودها
لو تستطيع القرب والتنقلا
وعلى أمير المؤمنين غمامة
نشأت تظلل تاجه تظليلا
نهضت بهقل الدّر ضاعف نسجها
وتجرت عليه عسجدا محملولا
45 ذعرت مواكب الجبال فأعلست
هضباتها التكبير والتهللا
أمديرها من حيث دار لطالها
زاحمت تحت ركابه جبريلا
قد ضم قطرها العجاج فما قرى
بين السنان وكعبه تحايلا
رفعت له فيها قباب لم تكن
ظعنا بأجراع الحمى وحولا
وتباثر الفلك المدار كأنما
يبغي بين إلى السّماء رحيلا

50 يُدني إلها البُخت كلَّ عذافرٍ
يهوي إذا سارَ المطيُّ ذَمِيلاً (١)
تعرّفُ الهضبُ الموائِلُ حولهُ
نسباً، وينكرُ شذوقاً* (٢) و«جدِلاً»

[١١٣ / ب]

وتُجِنُ منه كلَّ وفرةٍ لبدةٍ
لَيْثاً، ويحمل كلَّ عضوٍ فيلاً !
وتظنُّهُ «متغبّطاً» من كبرةٍ
وتخالهُ متشمرّاً ليصُولاً
وكأنَّما الجُرْدُ الجنائبُ خُرْدُ
سُفرتْ تَشُونُ مُتَيْماً متَّسِلاً

55 يَبْدُو عليها للمعزِّ نواضعُ
فيكونُ أكثرُ مشيهاً تعجِلاً (٣)
ويحلُّ عنها قَدْرُهُ حتَّى إذا
راقتْهُ كانتْ نائلاً مَبْدُولا
من كلِّ يَعبوبٍ يُجيدُ فلا تَرى
إلا قَدْالاً سَامِياً وتَلِلاً
وكانَ بينَ عِنايِهِ ولَبائِهِ
رشاً، يريغُ إلى الكيناسِ، تَخْذُولا

(١) البُخت : الإبل الحراسانية. والعذافر العظيم الشديد من الإبل . (*) فيها

(٢) كلمة غير ظاهرة في الأصلين ، وهذه أقرب قراءة واقراً أيضاً تعجِلاً .

لو تشرب له عقيلة رُبْرَبٍ
ظننته جؤذر رملها (١) المكحولاً
60 جَذْلانَ أَقبلَ ماشياً متنصباً
عدوان أدير خاضباً إجفيلاً (٢)
تلبينُ اللحظاتُ فيه موافقاً
فتظنّ فيه للغرامِ محيلاً
تستزل الأروى (٣) على صهواته
ويبيتُ في وَكر العقابِ ذريلاً !
يهوي بأمّ الحشف (٤) بين فروجه
ويُقيدُ الأمانةَ المُطَبِّحُولا
صلتان (٥) يعنق في البروقِ لوامعاً
ولقد يكونُ لأمنهنّ تسللاً
65 يستقربُ الشاو البعيدَ مُسابقاً
ويجيءُ سابقَ تحلبةٍ مشكولاً
هذا الذي مَلأ القلوبَ مهابةً
هذا الذي تَرَكَ العزيزَ ذليلاً !
فإذا نظرتَ نظرتَ غيرَ مشبهٍ
إلا التفاتك رايةً ورعيلاً

(١) في « ط » وصلها .

(٢) الإجفيل : الظليم ينفر من كل شيء . والخاضب : الظلم إذا أكل الربيع فاحمر ظنبراه .

(٣) الأروى ج الأروية : أنثى الوعول .

(٤) الحشف : ولد الطي أول ما يولد .

(٥) الصلتان : النشيط ، الحديد الفؤاد من الخيل .

إن قلت فكراً ومفاناً
أو تستمع فتغنماً وصيلاً
يوم تجلى الله في ملكوته
فراه في الرأي الجليل تجليلاً

70 وتحلت الدنيا بسيمطتي درهما
فرايتها شخصاً لديك جميلاً

حلت فيه بقلة فنعته
نظراً بيوم غيره مشفولاً

ورقت منبرك الملقى واجفياً
من تحت عقد الرأيتين مهولاً

[١١٤ / أ]

سدول ستر جلاله أنطقته
فرفت عن حكم البيان سدولاً

وقضيت حق العام مؤنفاً وقد
ودعت عاماً للجهاد محيلاً

75 وشفت في وفد الحجيج كأنما
نقلتهم إخلاصك المقبولاً

وصدرت تحبو الناكثين مراهياً
هزت قوؤلاً للسياح فمؤلاً

وهي الجرائم والرغائب ما التقت
إلا لتصبح قادراً ومنيلاً

قد جُدت حتى أمثلتك أمة
لو أن وترأ لم يضع تأمبلا!
عجباً لمنصلك المقلد كيف لم
تسيل النفوس عليك منه مسيلا

80 لم يخل جبار الملوك بذكره
إلا تشعط في الدماء قتبلا
وكان أرواح العدا شاكلته
فإذا دعا أبى الكبي عجبولا !
وإذا استضاء شهابه بطل رأى
صور الوقائع حوله تخيلا
فإذا رأناه رأينا علته
للنيرات ، ونبرأ مملولا
بك حسنه متقلداً ، وبهاؤه
متنكباً ، ومضاؤه مملولا

85 فإذا غضبت عله دونك ربدة
يغدو لها طرف النهار عجيلا
وإذا انطويت على الرضا أهدى إلى
شمس الظهيرة عارضاً مصفولا
سماء جمدك ذو الفقار وإنما
سماء من عباديت عزرائلا !
كتب الفيرزد عليه بعض صفاتكم
فعرفت فيه التاج والإكليلا

قد كان ينذر بالوعيد لطول ما
أصغى إليك ، ويعلم التأويلا
90 وكان به لم يبق ويرا سائلا (١)
في كربلاء ولا دما مطلقولا
أو ما سمعتم عن وقائمه التي
لم تبق إشراكا ولا تبديلا
سارت به شنع (٢) القصائد شرذا
فكأنما كانت صبا وقبولا
حتى قطعن الى العراق الشام عن
عرض وجز عن الى الفرات النبالا

[١١٤ / ب]

طلعت على الطلقاء بالسير التي
تبدلتها غورا لكم وحجولا
95 أجلاين من فيكري إذا لم يسمعا
لسيوفيهن المرفعات صليلا
ولقد همت بأن أفك قيودها
لما رأيت الحسين قليلا
حتى رأيت قلايدي منحولة
والقول في أم الكتاب مقولا
ولئن سلمت لأجلين لعزها
ميدان يشفي مقصرا ومطولا

(١) في « م » سائلا وفي « ط » سائلا .

(٢) كذا فيها . قال في القاموس « المشنوع : المشهور » .

حتى كافي ملهمٌ وكأنهسا
100 ولقد ذعرتُ لما رأيت فغودرت
ولقد رأيتك لا بلحظٍ عاكف^(١)
ولقد سمعتك لا بسمعي هيبة
أبني النسوة هل تُفادر آية
إن الخير بكم أبان بفضلكم
105 وأناكم القدس الذي لم يؤتسه
إننا استلنا ركنكم ودونتم
فوصلتم ما بينه وأمدكم
ما عذرکم ألا تطيب قروعكم
أعطتكم شم الأنوف مقادة
110 خلدتم في العيشية لينة
راعتهم بكم البروق كأنما
فيهم تظنون الأئمة منهم
من أهل بيت لم ينالوا (بغية؟)
لا تعجلوا إني رأيت أذاتكم
[١١٥ / أ]

115 أمتوج الخلفاء حاكمهم وإن كان القضاء بما تشاء كفيلا

(١) كذا ورد الشطر قبها . قلت : وانظر البيت التالي .

(٢) كلمة لم تتبين بوضوح ، والثبت قريب من الرسم .

(٣) الكند : مجتمع الكتفين من الإنسان .

والكتبُ لولا أنها لك 'شهد'
اللهُ يجزيك الذي لم يجزه - فيما هديت - الجاهل الضليلا
ولقد براك فكنت موثقه الذي أخذ الكتاب وعنده المسؤولا
حتى إذا استرعاك أمر عباده أدنى إليك أباك إسماعيل

120 من بين حجب النور حيث تبوأ

آبؤه ظل الجنان ظليلا
ورثته البرهان والتبيان والقُرآن والفرقان والإنجيل
وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريل وميكائيل
لو كنت آونة (١) مبشرة أمة نشرت لبعثك القرون الأولى
أو كنت نوحاً منذراً في قوميه ما زادهم بدعائه تضليلا
125 لله فيك خفية لو أعلنت أحياء بذكرك قاتل مقتولا
لو كان آتى الخلق ما أوثبته لم يخلق التشبيه والتمثيل
لولا حجاب دون علمك حاجز
وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا

لو لم تكن (٢) سبب النجاة لأهلها
لم يغب إيمان العباد فتيل
لولاك لم يكن التفكير واعظاً والعقل رشداً والقياس دليلا
130 لو لم تعرفنا بذات نفوسنا كانت لدينا عالماً تجهولا

(١) كذا في النسختين .

(٢) فيها « يكن » ونرجع ما أثبت .

لو لم يفض لك في البرية ما حل
 كاذت مفوّفة الرباهي محولا
 لو لم يكن فيك اعتبار للورى
 خلوا فلم يكن الدليل دليلا !
 نبه لنا قدراً نغيظ به العدا
 فلقد تجهّمنا الزمان خولا
 لو كنت قبل نكون جامع شملنا
 ما نيل من حرماننا مانىلا !

[١١٥ / ب]

شيخنا الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلفي (١) :

يكنى : أبامحمد . وهو من أهل قاص . وبها رأيت ، وأجازني في
 التاريخ والآداب .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فقيه نبيه ، ومعظم عند الناس ووجه حافظ للتواريخ القديمة
 والحديثة ، يستعذب المجالس له نظمه وحديثه . قد انتقدت له أزمة مطايا
 الإنشاء ، فيصوغ (٢) منها ما يحب وما يشاء . وميدان الفصاحة عنه غير
 ممنوع ، إذ لا يتكلم أكثر أوقاته إلا بكلام مسجع . وكان قد رأى

(١) سيذكره ابن الأحمر مرة أخرى في الباب الثاني عشر . وقد قال فيه هناك « شيخنا
 الفقيه المتفنن » .

(٢) رسمت الكلمة في الأصلين « فيصوغ » مشددة الوار .

غزالاً ذكره أيام غزاه ، وأنهضه الى عصر التصابي بدوله ، فأنشد
مرتجلاً ، وفي ذلك الغزال متغزلاً !

وشادين مثل وجه البدر غرؤته

سبي فؤادي فما أبقي ولا تركا

جسمي له دارّةٌ والقلبُ مركّزه

فحيثما دارَ كانتْ مُهْجَتِي فَلَكَ

لهُ لِحَاطٌ تَصِيدُ العاشقينَ ولمْ

تَسْخَفُ عِقَاباً بما صادتْ ولا دَرَكا

وتغرّه كوميض البرق تبصيره

يَلُوحُ من شفتيه كَلِمًا ضَعِيفًا !

فاعجبْ لِظِي غدا للأسدِ مُقْتَنِصًا

مُستَعْمِلًا من ظُبَا لِحَاطِيهِ ثَمَرًا

أهوى رِضاهُ وأهوى أنْ يُعَذِّبَنِي

فَسَلِّكِي في هَوَاهُ حَيْثُمَا سَلَّكَ !

وأتى يوماً لدار بعض أصحابه ليستدعيه ، إلى أدب يرويه ، أو خبر
طبيب يعبه ، فخرج إليه وقد اشتد نار ولوعه ، وهو يؤججها بغض
دموعه ! فتعجب بما دهاه من الداهية الدماء ، ومن النار المتأججة بالماء ،
فـأله عن لوعته ، فأخبره بعظيم فجعته ، لما أصيب بولده محمد الملقب
بأبي نور ؛ الذي يحسده الغصن في تمايله ويظل البدر منه غيور^(١) ،

فاسترجع ثم قال ليسليه ، من الكرب الذي انغمس فيه ، ويؤدي من
حق التعزية ما يجب للمؤمن من حق أخيه :

[١١٦ / أ]

ما المرء في هذه الدنيا بيمسّرور
فيا أخا الحزم صبراً عن أبي ثور

واعلم بأن سيّام الموت صائبة
تقضي على أمر منّا ومأمور

وقل كقول رسول الله مُحْتَسِباً (١)
نعم ، وما إن بقول الرسل من زور

إنّ الفؤاد لمحزون وإيس لنا
إلا رضى الله لا ذرعى بيمسحور

شيخنا الفقيه الأمتاذ النحوي المقرئ محمد بن محمد بن محمد
ابن داود الصنهاجي (*) :

يكنى : أبا عبد الله ؛ ويدعى بأبي المكارم مندبل ؛ ويعرف بابن
آجروم . وهو من قاس ، وبها رأيت ، وأخذت عنه العربية . وأجازني
إجازة عامة .

(١) يعزبه ، ويطلب إليه الناسي رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه ومقاتته صلوات
الله عليه في « إبراهيم » ابنه يوم استأثر الله به

(*) هو ابن صاحب (الآجرومية) المشهورة في النحو . وكان « حافظاً للطريقتين
التاريخية والأدبية » وفي أخباره أنه كان يقرأ مقامات الحريري في بعض محاضراته
الأدبية كما ذكر ابن الأحمر أيضاً . وكانت وفاته سنة ٧٧٢ .

وأبوه أبو عبد الله محمد كان فقيها متفنا ، استاذاً ، نحويًا ،
لغويًا ، مقرونًا ، شاعرا ، بصيرا بالقراءات . ولم يكن في أهل
فاس في وقته أعرف منه بالنحو (*) .

ومن قوله في (مَنْ) خلق رأسه :

ما شأنه ' شينا حلاقة ' رأسه بل زاد أضعافا بذاك ' جماله '
فالبدر أضوأ ما يكون ' إذا نأت ' عنه السحاب ' ويستبين كاله '
والسمع ' أنور ' ما يكون ' ضياؤه ' للناظرين ' إذا يقط ' ذباله '

ومحمد (١) والد محمد كان فقيها ، فريسيا ، صالحا ، ورعا .

وشيخنا محمد بن محمد بن محمد - المدعو بمنديل هذا - كنت أحضر
حلقة حين كان يقرئ مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس أنا
وابن عمي الرئيس إسماعيل . وكان يحضر في جلستنا شاب وسم من
أبناء مرين وهو عمر بن عبد المؤمن بن عمر البنجناسي . وكان شيخنا
منديل هذا يميل إليه (٢) ويظهر أنه خلي . . . فكتبت له بقولي :

مَنْ مُبْلِغِ الْأَسْتَاذِ عَنَّا أَنْتَ

شغل الخواطر ، والنواظير سهدا

جئنا لينتقبس الهدى من نوره

لما أضاء بقطرنا وتوقدا

(*) قال فيه أحد بابا في نيل الابتهاج « الأستاذ النحوي ، صاحب المقدمة في النحو »
ومولده سنة ٦٧٢ ووفاته ٧٢٣ بفاس . وكان عالما بالقراءات .

(١) جد المترجم به

(٢) هذه القطعة والتالية لها تدخل في مداعباتهم .

فإذا به - والله ينجزل أجره ١ -

يَجْلُو فُتُونَ السَّحَرِ فِي بَيْتِ الْهُدَى

[١١٦ / ب]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ ذُو فِطْنَةٍ

وَأَرَاهُ عَنْ فَهْمِ الْفُتُونِ تَبَلُّدًا

وَبَزْعِهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَوْضَةً

أَدْبِيَّةً قَدْ رَأَى مِنْهَا مَوْرِدًا

وَأَنَا أَقُولُ بَضْدٌ مَا قَدْ قَالَهُ

وَالْحَقُّ لَيْسَ بِمَكْنٍ أَنْ يُجْعَدَا !

وبعث له ابن عمنا الرئيس - سمي - معرضاً بذلك الوسم بقوله :

أَبَا الْمَكَارِمِ ذَا الْأَحَاجِي وَالْحِجَا

وَابْنَ الْجَهَابِ ذِي جِلَّةِ الثَّفَاذِ

لَا أَعْتَبُ عَلَى الصَّبَابَةِ بَعْدَ أَنْ

فَتَكْتُبَ ظُبَا الْأَحَاظِ فِي أَفْلَازِ (١)

وَلَقِيتُ مِنْ عَمْرِو الَّذِي لَا قِيَّةَ

وَلَطَالَمَا أَكْثَرْتُ مِنْهُ عِيَاذِي !

أومى إليّ بقلبة ريمية قد عزّني وزّري لها وملّادي

فرجعت عن دين اللّام لأجلها وهجبت كيف تصبره الأستاذ !

حسّاله - رحمه الله - :

كان حسن المشاركة في العربية ، حافظاً للطريقتين التاريخية والأدبية .

(١) كذا فيها ، وقرأ أيضاً : أفلاذ .

حسن الخرايل ، لطيف الشبايل . مع ذكاء لا يوجد في سواه ،
وكلام أحلى من الشهد في الأفواه . ونظم كالقلائد ، في أجياد
الخرائد ونثر بارع مستعذب ، أرق من مرّ النسيم وأطيب ، بل
هو أحلى من الشهد وأعجب ! .

أنشطني لنفسه في الفخر والتعريض لبعض أهل العصر :
مَنْ المشيبُ على قَوْدِيهِ يشتعلُ
فكيف باللّهُو في دُنْيَاهُ يشتغلُ ؟
وكيف يحرصُ في طولِ المُقامِ بها
مَنْ كان يعلمُ أنْ لا بُدَّ يَرتجِلُ
صَحَّ الَّذِي خَرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ نَبَا
هَنْ النَّبِيِّ وَمَا فِي قَوْلِهِ خَطَلُ
إِنْ الْفَقْ إِنْ يَشِبُّ مُسَوْدٌ مَفْرَقُ
نَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ

[١١٧ / أ]

٥ إِنْ لَأَعْجَبُ مِمَّنْ سَاءَ عُمُرُ
وَسَرَّ أَنْ أَمْرَ النَّفْسِ مُتَشَلُّ
لَكِنْ أَعْجَبَ مِنْهُ مُبْتَغِي رُقَبِ
وَلَا لَدِيهِ بِهَا عِلْمٌ وَلَا عَمَلُ
شَتَانٌ مَا بَيْنَ مَنْ رُقُشَاهُ مُحْتِدُ
وَحَامِلِ كَسَلٍ أَوْدَى بِهِ الْكَسَلُ
قُلْ لِلْمُنَاوِي بِإِفْسَاكِ الْمَسِينِ مِنْ حَسَدِ
أَيْسَتَوِي الْكُتْلُ فِي الْعَيْنِينَ وَالْكُتْلُ ؟

نَحْنُ الْإِلَى فَرَعُوا لِلْمَجْدِ ذُرُوتَهُ
 وَفِي ظِلَالِ تِلَاعِ الْعِزِّ قَدْ نَزَلُوا
 10 إِنْ كَانَ ذُو نَهْلٍ لِلْعِلْمِ أَوْ عِلَلٍ
 فَمَنْ أَبِي كَانَ ذَلِكَ النَّهْلُ وَالْعِلَلُ
 لَمْ نَتَّكِلْ فِي ارْتِفَاعِ الصَّيْتِ قَطُّ عَلَى
 إِشَادَةِ الصَّوْتِ مِنْ زَيْدٍ - كَمَا انْكَلُوا -
 وَلَمْ نَتَّبِعْ أَجْرَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ (١) بِهَا
 يَفْنَى مِنَ السُّؤْمِ فِي الدُّنْيَا - كَمَا فَعَلُوا -
 يُقَرُّ بِالْفَضْلِ إِنْصَافًا لِصَاحِبِهِ
 وَيَسْبِقُ السَّيْفُ فِي أَعْدَائِنَا الْعَدْلُ
 وَلَيْسَ ظَهْرِي لِبَاغِي الضَّمِّ مُحْتَمَلًا
 كَمَا سَوَانَا إِلَيْهِ - الدَّهْرُ - بِحَتْمَلُ
 15 لَا نَبْتَغِي غَيْرَ هَذَا فِي الدُّنْيَا صَفَةً
 قَفُوا لِشَذْثَةِ دَانَتْ بِهَا الْأَوَّلُ
 مَا طَابَ أَصْلٌ لَهُ فَالْفَرْعُ يُتَبَعُهُ
 وَلَيْسَ عَنْ طَبْعِهَا الْأَشْيَاءُ تَنْتَقِلُ
 لَوْ أَسْقَيْتُ بِمَجَاجِ النَّحْلِ حَنْظَلَةً
 لَمْ يُعَذِّبِ الطَّعْمَ مِنْهَا ذَلِكَ الْعَسَلُ
 بِسَبْوِيهِ نَسِينَا كُلَّ فَائِدَةٍ
 فِي صَنَعَةِ النَّحْوِ لَا «الْكِرَاسُ» وَ«الْجُمْلُ»
 وَفِي مَسَائِلِ «إِبْضَاحٍ» لَنَا وَضَعْتُ
 مِنَ التَّصْرِيفِ شَمْسٌ بَيْنَهَا الْحَمَلُ

(||) اقرأ «الفران» بنقل حركة الهمزة إلى الراء.

20 وعندي « حوز الأمانى » شاهد فطن
إذ أحرزت بيحانا تلكم السبل
وكم لنا في « عروض الشعر » من نكت
يدري بذلك عنا « الزحف » و« العيل »
« بالشعر » تفعل إن نثرع أسنته
ما ليس تفعله الخطبة الذبل
إن كنت تجهل هذا فلتعد نظراً
ما العالمون كمن للشيء قد جهلوا !

وطلب منه صاحبنا الفقيه أبو العلى إدريس بن أبي زييد
التونسي [١١٧ / ب] ^(١) أن يصنع (غداء) الكسكو ^(٢)

(١) سقط من نسخة دار الكتب المصرية المرموز لها عندنا في هذا الكتاب بـ : « م »
الورقتان ١١٧ و ١١٨ ونحن نستدركها هنا من نسخة الرباط « ط » وما يؤسف أن
هاتين الورقتين في نسخة الرباط قد أصيبتا بشئ كل شديد ، وثقوب كثيرة بفعل الأرضة .
وها أنذا أستدرك من الورقتين ما أمكنت قراءته ، أو استجلاؤه .

ويظهر أن سقوط الورقتين من نسخة دار الكتب المصرية حديث لأن أرقام صفحات
المخطوطة المملة بقلم الجرافيت (قلم الرصاص) متسلسلة إلى الورقة ١١٦ ثم تبدأ
من ١١٩

(٢) من الطريف أن في الورقتين حديثاً عن « الطعام » المشهور عند المغاربة والأندلسيين ،
المعروف بـ « الكسكو » . وهو طعام يهيأ من السميد المقتول « المالح مسبقاً على
هيئة خاصة » والمطيب « المطبوخ » في قدر خاص مكون من جزأين ، يتسرب البخار
من أدناها إلى أعلاها - من ثقوب في القسم الأعلى - لينضج السميد . وفي القدر الأدنى
اللحم ، مع خضار الموسم ، ولحنتها تحتوي أساساً على البطاطس والجزر
« الأحمر » واللقت .

واللقت المشار إليه في الأبيات التالية هو نوع خاص له شكل الجزر ويميل إلى الغلظ عنه ، =

(فصنعه) له ، وأحضره بين يديه في منزله و (طلب ؟) منه أن يحضر معهم صاحبنا الفقيه أبو عبد الله الماجري المغربي . فبعث شيخنا مندبل إليه [ببطاقة دعوة فيها] (١) :

...

فإن عِنْدِي أبا العُلى وَلَهُ إِرَادَةٌ أَنْ يَرَاكَ فِي الْوَقْتِ
قَدْ جَعَلْتُ الْقِرَى لِمَقْدَمِهِ الْكُسْكَو بِالْقَدِيدِ وَاللُّثْفِ
(لو جئت) مُسْتَعْجِلاً لِتَجْمَعَ مِنْ حُضُورِنَا مُطْلِبِينَ فِي مَمْتِ
سَمْعِكَ لِلْحَيْنِ مِنْ قِصَائِدِنَا

والأكل أكل (الحضور ؟) للسعت !

فأتى أبو عبد الله الماجري - أكرمه الله تعالى - وقد نظم أبياتاً للجواب أسرع من طرفة العين ، والتزم فيها التجنيس بين كل قافيتين ، فقال :

يا من بآدابه البديعة قد
أخلّ ذكرَ البديع والبُستي (٢)

= أبيض اللون ، له مذاق جيد إذا نضج .

وعلى الرغم من أن المواد الأولية التي تستخدم في تحضير الطعام - الكسكو - واحدة إلا أنهم يتفنون في إعدادة . ولكل منطقة عديم طريقة في التفنن وفي الإضافات عليها من أثمار وخضار وأعشاب وبيض وعسل الخ . ولشروع هذا النوع من الأكل أخذ اسم « الطعام » في بعض المناطق ، كالذي أعرفه في « وهران » وللمغرب الجزائري . وأما « المغربية » التي تصنع في بعض البيوت الشامية فشيبة من بعيد بالكسكو ، وليست بذلك !

(١) عبارة مقدرة لم يظهر أثرها ، لتأكل نحو ثلاثة أسطر من الصفحة ، وتكون القطعة الشعرية ناقصة بيتين أو ثلاثة أبيات .

(٢) بديع الزمان الهمداني ، وأبو الفتح البستي .

وسيداً (١) من يشيم شمائله
يقول فرى (٢) ذا الجمال والبست
لبيك يا من دعا أحبتته
لـ «كسكو» بالقديد واللفت
قد كنت عقلي (٣) بـ «كسكو» وأنا
ألفت من نهني أخو لفت (٤)
وقد قلى ذكر (٣) القديد فإن
حم لفاء فذابة البخت
وكدت لما سمعت ذا فرحاً
(أطير؟) (٤) يا سيدي من البخت
فليهننا عندكم تألفنا
مؤمناً من غوائل الشت
نقطف من دوحه المنى ثمرأ
أحلى وأغلى من الحلى الست
قوله «قد كنت عقلي» أي رفعته ، من قولهم «كاس الفرس»
إذا رفع إحدى قوائمه ... (٥) . وقوله «أخو لفت» من قولهم
لفت فلاناً ألقته إذا (لويته وصرفته) (٦) .

(١) في الأصل : سيد ، ونرجع ما أثبت .

(٢) رسمها في الأصل «عقلى» .

(٣) كذا ورد في الأصل .

(٤) في الأصل «انص» مهمة .

(٥) كلام لم يظهر وفي القاموس «كاس البعير» : مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب .

(٦) كلام لم يظهر .

وأنشدني (١) لنفسه (في ؟) منديل بن زنبق :

... فاعمل على ... فإنك ميت حين ابتليت بخطّة « العقار »

وكان العقار المذكور قدم صاحب الصلاة ، فعاجلته قبل تمام الشهر
الوفاة . وقدم ابن زمور بعده ، ثم عزل قبل أن يأخذ للأمر حدة .

ولما عزل ابن زمور ، ورجع بعده منديل بن زنبق قال فيه
ساحبنا الفقيه أبو العلي إدريس ابن أبي زيد التونسي :

إن ابن زنبقَ جارٍ في أحكامهِ وسطا (علي) الفقراء والضعفاءِ

فأله ينزعُ عنه سترَ مصانه نزعَ الدنانيرِ من يدِ السفهاءِ

(فرميت) سمي في صميم فؤاده والحتف يصحب أسهم الشعراء

فمزل بعد أيام قلائل .

وطلبت من شيخنا منديل هذا أن يبحث لي بشعر أبي بحر

صفوان بن إدريس (١) في رثاء الحسين بن علي - رضي الله عنها -

وأرسلت له في ذلك أبياتا من قولي ، وهي :

(١) سقط قبل هذه العبارة سطران . وسقط من النص بضع كلمات مع البيت من الشعر

وما جاء في النصوص بين قوسين معقوفين فهو مقترح لإتمام سياق الكلام ، وما جاء

بين قوسين هلالين فهو قراءة متبينة تبيناً جزئياً

(٢) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسى ٥٦٠ - ٥٩٨ ، شاعر ، كاتب ، أندلسي

له شعر ونثر . وهو صاحب كتاب زاد المسافر وغرة حيا الأدب السافر . وله قصيدة

اشتهرت عندم في رثاء الحسين بن علي (انظر مقدمة زاد المسافر بتحقيق عبد القادر

محلهاد - طبع الجزائر - وأبو البقاء الرندي - من تألفني - سلسلة الذخائر الممدد ٢) .

أيها الأستاذ يا مَنْ هو قوتٌ للقلوبِ
والسريُّ النَّدْبُ ذو الـ... حَجْدٍ وذو الفضلِ الرَّحيبِ
ابعثنْ لي بِقَرِيضٍ لأبي بحرٍ الأديبِ
في رثاءِ المولى حُسَيْنٍ ذي المُلَى الأزكى الحَسِيبِ
دُمت (في كل) جَدِيدٍ آمناً (ضر) الكروبِ
فجاوبني بقوله (...)^(١)

شعر صفوان بن إدريس أخِي (الفهم ؟) العَجِيبِ
يَنْدُبُ المولى حُسَيْنًا بِنَعِيبٍ ورجيبِ
سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ في شروقٍ وغروبِ
(فجزى) الرحمنُ خيراً مَنْ رثاهُ من أديبِ

وأنشدني لنفسه بعزي الفقيه القاضي الخطيب الرئيس الكاتب
صاحب القلم الأعلى أبا القاسم محمد بن الفقيه الصالح أبي زكريا يحيى
الفساني البرجي الأندلسي^(٢) في بنت توفيت :
نأسُ أبا القاسم في الذي أصبتَ به من نَماتِ البناتِ
بقَوْلِ النبي عليه السَّلامُ دَفِنُ البناتِ من المكْرَماتِ

(١) في الصفحة سطران لم يظهرَا . وأحد السطرين كما يبدو مطلع المقطوعة .
(٢) قال ابن الخطيب في ترجمته في الإحاطة إنه فاضل جمع على فضله ، حسن الخط والشعر والكتابة . وذكره في شعراء الكتبية الكامنة ووصفه بالشعر والخطابة . وعده ابن الأحمر في مستودع العلامة في شيوخه . غادر المترجم الأندلس ، وخدم في دولة أبي حنان المريني كاتباً للعلامة ونولى قضاء فاس .
(انظر في ترجمته : الإحاطة ٢ ٢١٥ ونيل الابتهاج ٢٦٦ والكتبية الكامنة ٥٢٠ ومستودع العلامة ٥٦ والتعريف ٦٤) .

فذبل عليها صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن حزب
الله الطائي الوادي آشي بيتاً لأجل التجنيس ، وكان كثيراً ما يعني
به ، فقال

وقد كنتَ تتخشى بها المكرَ من
غوائل صهرٍ ، فيها المتكرُ مات

وهذا المعنى نظير قول أبي القاسم السجزي من شعراء البتيمة (١) :
يا ماکراً بي وبخلائبه

مهلاً فما المكرُ من المكرُ مات
عليك بالصحة فهي التي
تحيا فتحيك إذا المكرُ مات

وأنشدني لنفسه يمدح أمير المؤمنين (المتوكل على الله) أبا عنان
المريني ملك المغرب - رحمه الله تعالى - (...) (٢) ومنها :
* ألا لله هاتيك الليالي * (٣)

كان الشمع سهمٌ من نضار يقدّ الدّجن أو عصب يمان
كان ذُبالها لسن الأفاعي إذا نضنضن أو قلب الجبان
كان القطر منها دمع ثكلى تواتر ، أو نثار من جمان ...

[١١٩ / أ]

كان الزهر زهرٌ غيبٌ قطر تبسم ثغرُه بالأقحوان ...
كان الشمس مشرقةً مُحياً أمير المؤمنين أبي عِنان

(١) أبو القاسم محمد بن محمد السجزي ، والبيتان في البتيمة ٤ : ٢٣٧ (طبعة الشامي)

(٢) هذا هو المتبين من القصيدة المذكورة ، وهي في المخطوطة في نحو عشرين بيتاً . ولم

يتضح أولها . (٣) ورد هذا البيت قبل أبيات التشبيه وسقط عجزه

وأخبرني أنه اجتمع مع بعض أصحابه ليلة إعراس عند بعض
إخوانه ، فاستبطأهم الطعام فقال :

يا معرساً عرس الجمال بخدة روضا بهار (رائح) وشقيق
بادِرْ - فديتُك - للذين دعوتهم بالمرجفين : الطستِ والإبريقِ !

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ (اللغوي) علي بن محمد بن
عمر الصنهاجي :

يكنى : أبا الحسن ، وهو من أهل فاس . وبها رأيت وصحبته ،
ويعرف بالتقصار .

حاله :

هو واسطة عقد النحويين ، وصدر أولي المعرفة من اللغويين .
وفصيح الأذكياء ، ووحيد النبلاء . وهو فرد في (رفع ؟) النادرة ، وصاحب
فكاهة متبادرة .

وكان قد قُلبَ - وهو واقف في صلاة التراويح - بجامع الأندلس
من فاس . وكان قد وقع بينه وبين شيخنا الأستاذ النحوي منديل بن
آجروم (وحشة) في شعبان أربع وأربعين وسبع مئة فلما بلغ لابن
آجروم شيخنا عنه (أنه قلب) أدركته عليه [١١٩ / ب] فرقة الصحبة
والمودة وكتب إليه متفجماً لما اتفق عليه ، بأبيات وهي :

أبا حسن إني وحقك في كَرَبِ

لما قد دَهاكَ الدهرُ من حادثِ القلبِ

وقد ساءَني - والله - منذُ تجمعتُ

فلا أذني سرُتُ بذاك ولا قلبي

ففي كبدي للحزن نارٌ تأججتُ
ومن مُقلبي للدُّمع سكب على سكب
لو أن الأسي يُجدي على كل فادح
لكنّا لزمانه على ذلك الخطب
ولكن أمر الله في الخلق نافذ
ولا وزرٌ عن كل ما خط في الكتب
وخير الأمور الصبر عند مُلّة
عليك به ، تُعطى الثواب من الرب
وكن حذراً^(١) مما يضرّك قريبه
وبعدك عنه فاجعلن عوض القرب
فكم ذي قبل غرّوك منه صداقة
بقدر أديم العرض بالهجر والعنب
ورب خليل خيلتموه أخا قلى
بنيلكم محض الوداد بلا خيب
أبا حسن هذي وصية ناصح
مُحب فخذها بالقبول وبالحب
وعُدّ للذي قد كان قبل من الصفا
فروض وِدادي فيك ما زال ذا خصب!

فجاوبه بقوله

خليلي يا منديل من دون ما ريب
أتني قوافٍ عن وِدادكم تُني

(١) في «ط» حاذراً.

وهذا هو المعتاد منكم ، جزيتم
على راعي ودّي ما قشاورن من ربي
أخو المرء من يرعى المودة ثانياً
وليس أعجيباً أن تراعى مع القرب
مؤاخاتنا لا يعتريها تقاطع
وفره اعتقاد لا يصير إلى النذب
و فتباً لمن كان انقطاع إخواننا
على يده لا زال في الويح والتب
أقول لصحي ما قضى الله كائن
رضيت بفعل الله من سهل أو صعب
قضى الله لما أن تجاور فوننا
لباء الأعداء أن يسكن بالقلب !
فروعي من بعد ما كنت آمناً
ولولا بقاء العمر تحان بها نحيي !

[١٢٠ / أ]

فقت مريماً مستغيثاً بسببه
وما نلت في ذلك المقام سوى السب
10 إذا كان ذا بالمسجد الجامع الذي
يُصلّى به ماذا يكون لدى الدرب ؟
فياليت شمري ما دعاه لفعله
وهل لمتوني جاء أم ملتب الثوب ؟

ويا ليت شعري هل فعلتُ له أذى
فعامَلتني من أجسَل ذلك بالضربِ

وهل كان ذاكَ الفعلُ منه تَعَمُّداً
فأخذَ حِذري بالسِّنَانِ وبالْعَضْبِ

حدثُ إلهَ العرشِ إذْ خابَ سَعِيهِ
وإذا لم يَغَيِّرْني مادَهاهُ من الخطْبِ

15 وما أسفي إلا الذي قد جهلتهُ
وجَهَلِي بِدِر - والله - قد زاد في كَرْبِي

وثَلَّه لاني ما ظننتُ بِخاطِري
عدوّاً يرى من بَعْض ما يَشْتَهِي رُعي !

فلاني لم أعرف أخا الضغنِ والقيَلِ
ولا مالَ طبعي بالإخاءِ لِذي خَيْبِ

وما ذاكَ إلا من ذُنُوبٍ تَقْدُمَتُ
وسَطَّرَها الأملاكُ في الصُحفِ والكتبِ !

فباربُ لاني آيبٌ لكَ ثائبٌ
فحُطِّ بها الأوزارُ يا قابِلَ الثُوبِ

20 عليكَ سلامُ الله - مندِيلُ - ما بَدَتُ
لنا مِنكَ أبياتٌ تدلُّ على الحُبِّ !

الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجُنتَحي^(*)
يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيت ، وصحبته بفاس . وهو من
أهل مراكش ، وأصل سلفه من الأندلس واستوطن مدينة فاس . وبها
توفي - رحمه الله تعالى - .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو الذي زهرت في روضات العرفان أزهار علومه ، وبهرت في دوحات
الإحسان آثار فهمه . وهو رئيس المتصوفين ، وصدر أعلام المحققين .
وبحر الجلالة الذي لا يكرع في عبابه ، وهزبر الذكاء الذي لا يقرع ببابه .
لا تلقاه إلا ذاكرة ، ولا تراه إلا شاكراً . مريع الدمعة ، بجانب للسمعة ،
ذو بلاغة وفصاحة ، وصاحب حكم وفصاحة . مليح الشبابة ، حسن الحضور
والغيبة .

أنشدني لنفسه يتغزل [١٢٠/ب] وقالها في صباه في (من) اسمه سعد :
يا سعد صيلٌ دنيفاً بوصلك مغرمًا أعين الأوامي طبه بل أعجمًا
ما ضرَّ لو رُحِمَ الحبيب فربما أحببنا العليل بوصله يا نعم ما
يا ريم عزُّ طلابه قسماً بما لو نبتغي نفقاً له أو سلماً
قطبُ المحاسنِ فرقدٌ قمر السما الشمسُ أنت ففقت رقت الأنجما

(*) ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج ٢٤٨ والمقري في
فتح الطيب ٢٤٨ قال وكان حياً سنة ٧٥٧ . ونقل لسان الدين عن المقري
(الجد) أن ابن شاطر رزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول ، فلا تكاد تجد من يستثله
قال ، قلت له يوماً كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ا وقال : الليل والنهار
حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض وقد أخذنا بجامع الخلق يجرانهم إلى يوم القيامة .
ولن مردنا إلى الله تعالى .

صاحبنا الفقيه العدل محمد بن أحمد - بن إبراهيم بن موسى الكومي
يكنى أبا عبد الله . وهو من أهل قازا^(١) . ورأيته بفاس ، وبها توفي .
وأخبرني أنه من ولد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحّد ؛ ويعرف
بالنّيار . وبرز عدلاً بسيّاط شهود مدينة فاس .

حاله :

هو خازن العلم وواعيه ، الذي توفرت لديه دواعيه . ورئيس العدالة
ومبداها ، ومعدن المروءة ومُنتهاها . الباسط جناح الود للإخوان ، ورافع
جناح الصّتب عن أساء إليه بما سوّل له الشيطان . ظهر له في الآداب باع
أي باع ، وكان لمحاسنه جلاءً ولثناياه طلاع . وقاد أعنته وأزمّته ، وقفلد
حسامه وامنطى صهوته .

أنشدني لنفسه يداعب . .

الآن آنّت توبسةٌ للتائبِ	من بعد ما أخضرُ النباتُ بشاربِ
كلا وقد خلعَ العذارُ خلائعاً	ما المذرف فيه راجعٍ أو آيبِ
يا مُعرضاً عنّا ومالك أن ترى	أبد الزمان القلب فيك براغبِ
ومُعرضاً بمنابسه ومتابه	ما هذه حالُ المنيب التائبِ
لو كان ذا قبل العذار فرّجاً	أخفيت تزويرَ المقالِ الكاذبِ
فمتابٌ من ظهر النباتُ بجده	كمفرغر أبدى المتاب بحاجبِ

(١) قال في الاستبصار ١٨٦ « إن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب قازا
وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التبن والأغراب وجميع الفواكه . . . » وانظر
الروض المطار ١٢٨ .

[١٢١ / أ] وأخبرني - رحمه الله تعالى - أنه اجتمع ببلده تازا مع الفقيه ابن الملون وعبد الحق الزيات في بستان لزمة فتذاكروا أمر رجل من أهل تازا يتشبه بالفقيه الأستاذ المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي^(١) في قراءته ولبسه وعمته . فأنشد أحد الرجلين على لسان المتشبه :

أنا الزواوي وهذا مكثي	لحرفة التعلّم والتأدّب
لا أمتعُ التعلّمَ منَ يرغبه	وأجدرُ العلم الذي لم يرغب!
عندي - فُديت - لحية طويلة	سوداء تحكي ليسة المكتتب
وشارب يحري لعابي تحته	كالماء يبدو من خلال الطمعلب
وحاجبان أكحلان اقترنا	خلتّهما بعض حواشي الحجب!
وعيشة كبيرة هائلة	كهالة قد أهدقت بكوكب
يقول بعض الناس فيها أصطب ^(٢)	والله ما في عمتي من أصطب
وطيلسان حسن خلقته	من بعده بعض قضاة المغرب
ودرة كذنب السرحان في	طول وفي عرض وفي تقلب
تلتحق سوطي من غدا مقتربا	وتلتحق الكرة من لم يقرب
لا غضب يميل بي ولا رضى	إني لمزوج الرضى بالغضب!

وزاد عليها صاحبنا أبو عبد الله هذا - وما أحسن زيادته - :

وفي الرقا عندي كلام عجب

نقلت ذاك من صحيح الكتب

(١) المقرئ الشهير في زمانه أبو العباس الزواوي . ذكره ابن خلدون في شيوخته وقال

فيه « إمام المقرئين بالمغرب » انظر التعريف ٢٠ ، ونفح الطيب ٦ ١٧٢ .

(٢) الأصطبة : مشاقة الكتان .

كم بيضة للفطيم قد كتبتُها وكم رقيت من نفاس صعب
فسملت عسر النفاس رقوتي وبيضتي قد فطمت كل صبي !
وكان عند شهود فاس في وقته اصطلاح ، 'يسمون الدرهم بالغزني' -
بسكون اللام ، وضم الغين المعجمة وكسر الزاء المعجمة - على جهة المداعبة
فإذا [١٢١ / ب] لقي أحدهم صاحبه يقول له : هل جاءك اليوم
الغزني ، أو : رأيتك ؟ وأنشدني في ذلك - لنفسه -

أعرض الغزني عني هكذا ما كان ظني
ما على الغزني لوم وكذا بلغني عني
كل من تلقى معني فإلى الغزني يعني
يقرب الغزني طورا وبه طورا يغني
منشدا في كل وقت « يا جيب القلب : صلي ! »

وكان الفقيه العدل الخطيب أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد بن
محمد بن أبي الصبر الجفاني 'يساق' له كل يوم غداؤه لحانوقه بيساطر مشود
فاس : إما كشاء^(١) وإما حريرة^(٢) ، فقال له في ذلك

اسقني شربة لذيذة طعم
ليس فيها كروية وخيرة
ولتكن بالفتات والبيض حسوا
إن طعم الفتات أحسن سيرة

(١) لم يظهر إجماع الكلمة في « ط » .

(٢) الكشاء : هكذا وردت وهي كما يظهر من السياق طعام فضله الشاعر على الحريرة .

أما هذه فأشبه بالحساء ، تصنع في بلاد المغرب - وكانت كما ترى من طعام أهل الأندلس -
ولا زالت تصنع عند أهل المغرب الأقصى معالجة بالخبرة لتعطيه مذاقا خاصا طيبا .

لا حياء ولا حريرة قمح
إن طبعي يمج شرب الحريرة !

وقعدت أنا معه في حانوته بساط شهود فاس لـمـ أقتنيه ،
فتكلمت معه بحثاً في مسألتين : فقهية وأدبية ، فرزقني الله عز وجل
حسن الفهم فيها ، واستحسن ذلك مني - رحمه الله - فقال لي جليسه
الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري بعد أن
قبل رأمي : بارك الله في عمرك يا سيدي الرئيس على براعة فهمك .
أنا أمدحك الساعة بأبيات . فقلت له : افعل . فما كان إلا يسيراً وقد
نطق بهذا الكلام ، الذي حسبته نظاماً ! وهو خارج على الوزن والمعنى
في غاية اللحن والفساد ، ودفعه لي ، وهو في ذاك في غايصة العجب
به وهو :

هنيئاً لكم يا بني خورج أنتم السادة الخيرا
فإن منكم السلطان المؤيد الرئيس ابن الأحمر
فإن من أوصافه له
وجه حسن ولحية معتدلة للقصر

[١١٢ / أ]

إذا شئت أن تراه وغاب عنك وجهه فانظر إلى القمر
لكن في ليلة في الشهر خصت ليلة أربعة عشر
فواجب علي أن أذكر من بعض أوصافه لولا ما كنت أخضرا
ولكن أقول قدر جهدي وأتمناه في بر الأندلس سلطاناً مؤمراً
ويستحق والله ذلك ويستأمله فهو الملك المعنبر !

فحين قرأتها ضحككت من لحنها وفسادها الخارج عن الحد ، ومن
استحسانه لها ونظمت على البدئية بيتين ممرضاً له بفسادها ، ولعله أن
يرجع عن تعجبه بها فلم يفهمها ، لجهله بل تمادى على حاله ، وهما :

بشرك يا أيها الأشعري تفوق ابن أوس مع البُعْثري
فحيّاك ربّ الصّلا من فقى من اللّحن في شِعْره قد بَرِي !

ولما قرأ أبياته صاحبنا الفقيه أبو عبد الله هذا نسخها وقال
على البدئية يخاطبه ويصف فسادها

فبيت طوله سبعون شبراً تخيله - رشاء حول بير
وبيت لا يماز ربّع شبر كهدب الثوب أوعرف الحبر !

وذاعت أبياته - بزعمه - بساط شهود فاس . واستنسخها أكثرهم
فلما بلغت إلى صاحبنا الفقيه العدل القاريء أبي زيد عبد الرحمن بن
محمد المليبي بعث إليه بيتين له وهما

ألا قلّ لشاعرنا الأشعري شمرت ولبتك لم تشمر !
تخيّلت نظمك إذ جاءني خراء بجائوتكم قد خُري

وزاد عليها الفقيه أبو محمد عبد الغفار البوخلفي :

أو الرّيح لما مرّت دائماً على الخلق من فك الأبحر !



الفقيه الصوفي محمد بن [١٢٢ / ب] أحمد المكودي رحمه الله :

يسكني أبا عبد الله . وهو من أهل فاس ، وبها رأيت . وكان
من أولى الثروة بها . وكان أبوه أحمد يستخدمه الملوك من بني مرين في
شهادة الولاية المخزنية ، وأبو عبد الله هذا توفي بفاس في سنة ثلاث

رخصان وسبمان .

حاله - رحمه الله - :

هو رافع راية الأدب في عصره ، ومن بزّ بالثروة أعلام مصره .
وله معرفة بالطريقة الصوفية ، وسلوك في معانيها الجليلة . وكان وجيهاً
عند الملوك ، ومعظماً عند المالك والملوك .

أنشدني لنفسه :

مَرَّتْ والداجى لم يبقَ إلا يسيرُها
نسيم صبا يُحيي القلوبَ تمسِيرُها
ومَرَّتْ بنا من نحو رامة نفعَة
أعادت تمرير العيش حلواً مرورُها
تَنَشَّقَتْها مُستمنعاً عَرَفَ عَرفِها
فعبّر عن طيب الحبيب عَبرُها
أُمرّتْ بِقَلْبِي من تمريرة حُبّه
حديثاً مَرى منه لِيُخْصِي مُرورُها
5 فله ما أُنْدَى على القلبِ سِيرُها
وأطيب ما أَدَى إليه مَفيرُها
ولم نَدْرِ إذْ مِلْنَا نَشَاوى بِرَوّحِها
أَرِيحُ شِمَالِ أم شَمُولُ تَندِيرُها !
سَقَى مَفْحَ ذِيكَ الحِمْيَ بسوافِج
من الدَّمْعِ آثارَ الدَّمْعِ مُنِيرُها
عَهدنا ظِبَاءَ الإنسِ فيه سَوَانِجُها
وأَصِيدُها للصائدين نَفُورُها

وَحَيًّا الْحَيَا بِالْحَيِّفِ دَارًا مُنِيفَةً
 زَهَتْ بِقُصُورِ الشَّهْرِ عَنْهَا قُصُورُهَا
 10 فَكَمْ لَيْثٌ غِيلَ غَالَهُ سِرْبٌ غِيلَهَا
 وَمَنْ ذِي غِرَارٍ قَدْ تَبَاهَ غَرِيرُهَا !
 وَكَمْ فِي ذَرَاهَا مِنْ دَمٍ طُلِيَ ثَارُهُ
 لَذِي فَيْتَنٍ سِجَرُ الْعِيُونِ مُثِيرُهَا
 وَكَانَتْ لِأَرْبَابِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
 عِرَاصًا تُغْدِي بِالنَّفُوسِ عُصُورُهَا !
 وَكَانَتْ لِيَالِنَا بِهَا كَلَالِي
 تَرُوقُ النُّشَى أَصَالُهَا وَبُكُورُهَا
 فَمَسْرَحُنَا عِنْدَ الرُّوَّاحِ مَرَادُهَا
 وَمُورِدُنَا عِنْدَ الْغُصْدُوْ غَدِيرُهَا

[١٢٣ / أ]

15 وَبَيْنَ ظِلَالِ الضَّالِّ مِنْهَا مَقِيلُنَا
 إِذَا مَا حَكَى نِيرَانُ هَجَرٍ مَجِيرُهَا
 وَبَيْنَ جَنَى النُّورِ مِنْ تَمَرَاتِهَا
 جَنَى الْأَنْسِ مِنْ نَجْوَى نَوَارٍ تَمِيرُهَا
 فَأَمَّا عَلَيْهَا مِنْ مَعَاهِدٍ لَمْ تَدْعُ
 مَيُوسَى حَرَقٍ ، بِالذِّكْرِ يُذَكِّي زَفِيرُهَا
 وَمَا رَاعَنِي إِلَّا دَعَاةٌ بَيْبِئِنَهُمْ
 يَشْبَهُ عِنْدِي بِالنَّمِيِّ بَشِيرُهَا
 سَرَوْا بِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ وَخَلَّتْ فُؤَادُهَا
 جُجُومًا كَأَطْلَالِ الرُّبُوعِ صُدُورُهَا

20 كَان قُلُوبًا فِي حِمَاهُمْ حَوَائِمًا
خَوَافِقُ طَيْرٍ فَارَقَتْهَا وَكُورَهَا
كَانَ الْمَطَايَا وَسْطَ لُجَّةِ آهٍ
سَفَائِنُ تَبْدُو كَالشَّرَاعِ خُدُورَهَا
وَفِي الْكِلَّةِ الْحَمَاءِ حَوْرَاءُ لَوْ بَدَتْ
لِشَكْلِ لَوَائِي تُكَلِّهَا وَثُبُورَهَا
مُتَمَنِّعَةٌ لَيْسَتْ لَهَا مِنْ سِوَى الْقَنَا
خِيَامٌ وَمِنْ بَيْنِ الصَّفَاحِ مُتَوَرَهَا
فَمَا يَسُوِي صَيْدُ الْفَرَامِ أَرْوَمَهَا
وَلَا يَسُوِي زَوْرُ الْخَيْالِ أَزُورَهَا

وانشدني - أيضا - لنفسه :

وَجَدِي بِكُمْ لَيْسَ بَقِي ، لَا وَلَا يَذَرُ
وَالصَّبْرُ عَنْكُمْ عَلَى حَكْمِ النُّوْيِ صَبْرُ
يَا غَائِبِينَ وَمَالِي غَيْرِهِمْ وَطَرُ
أَهْكَذَا تَنْقُضِي الْأَيَّامُ وَالْمَمَرُ
وَلَا - لِلْقِيَامِ عَيْنٌ وَلَا أَوْرُ
سَقِيًّا لِمَعْهَدِ لِيَالِنَا الَّتِي انصَرَمَتْ
كَانَتْ لَأَلَى فِي سِلْسِلَةِ الْمُنَى التَّامَتْ
حَطَّتْ عَرَاهَا يَدُ الْأَيَّامِ فَانْقَصَمَتْ
كُنَّا فَرَائِدَ فِي عَقْدٍ قَدْ انْتَضَمَتْ
فَأَصْبَحَ الْعَقْدُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْتَثِرُ

أسراركم في صميم القلب مودعة
مصونة وعن الواشي منعمة
ومذ بعدتكم فما في العيش منفعة
يا ليت شعري والآمال مطمعة
هل يستعيد ليالي وصلينا القدر
يا ليت شعري هل الملتقى سبب
يهائم ماله في غيركم أرب؟ (١)

[١٢٣ / أ]

... المنسل الأطناب . ومعدن الندى الأصلي المنسكب السحاب . القاضي
الفقيه الأوحى ، الذي فضائله لا تُجعد ، الحافل . الكامل ، الصدر ، العدل
النزيه ، السليم الصدر . علم الأعلام ، حجة الإسلام أبي محمد الأوربي (*) خصهم
الله من المسرات بأضفاها جلبابا ، وفتح بهم إلى السعود بالصعود أبوابا
ومن مثل قاضيهم ندى وتكرما
وهل هو إلا النيل نائله غمر
فشتان ما بين البحار وبينه
فمورده عذب وموردوها مره

(١) تنقطع المسطرة هنا . وتبدأ في الورقة التالية رسالة يبدأ أولها من وسط السطر .
وظاهر أن الرسالة غير تامة ، ذهب منها جزء من أولها . وهذه الحال في النسخين . غير
أن ناسخ « ط » ترك نصف صفحة ، ولعله فعل ذلك ليستدرك تمة المسطرة وأول
الرسالة . وما ندري أكان هذا التراخ تصيئا لحجم الكلام الناقص أم تقديرأ .

(*) الفقيه العالم قاضي الجماعة أبو محمد عبيد الله الأوربي ، الفاسي (٧٠١ - ٧٨٢) .
ذكره أبو زكريا السراج في فهرسته ، وابن الأحمر أيضا في فهرسته . ونقل عنها
أحمد بابا في نيل الابتهاج .

جعل الله تعالى في عمره البركة ، وهرن له بالسعد كل سكون وحركة . فلقد أحسن إلينا وجاد ، وأنعم علينا فأجساد . فانتظم شطنا بإحسانهم الغمر واتسق . وانعطفت علينا مواهبهم الجزيلة عطف بيان ونسق . فأصبح - بحمد الله - ما رسمه خط الفيض في صفحات نفوسنا ممحوراً براحة البسط والعافية ، وأمست رسوم الاحتياج دارسة عافية . ولنرجع مع أخينا في الله - عز وجل - إلى الكلام الأول الذي هو المقصود وعليه العمل والمعمل . فنشهد الله لقد فاق نظم الحريري في وصفه ووصفه دركي ؛ لاشتاله من جواهر العلوم على أعظمها خطراً ، وانطوائه من رقوم الأدوات على أشرفها نظراً . فله دركم لقد بلغتم من الشعر الرائق اللائق بالمثل ما كان له أهلاً فلكم من الفارات على الأشعار ومبانيها ، والفصول المستوحاة ومعانيها المثل الأعلى . فمثلكم من برز في ميدان المسابقة بالرسائل ، وهز خطية الخط لالتئام المؤاخاة وسائل . ودل سائله على كنز الندى ومعدن الجدا فنجح دال وسائل . فالدال على الخير كفاعله . فلا خاب ببركة الله قصد لميله وثائله .

لأنت أجل أخ يُعتقد	وأذكى أديب بهذا البلد
فرد مورد العين فيمن ورد	ودع كل من قام أو من قعد
ولا تلتفت غير من بابه (١)	به العز يبلغه من قصد (١)
وكن حازماً واختلس وافترس	فما الافتراس يخاف الأسد

ويعلم تعالى لمبادرتنا بالجواب على مكاتبتكم آكد في النفس من اجتذاب النفس الذي به حياتها وقيامها ، ومنه غذاؤها وقوامها . ولقد شرعنا فيه ساعة إراءته كراهية التكاسل عن التراسل ، والتراخي عن القيام بحق التواخي فاقتضينا في غاية الاستعجال ، واختصرناه كراهية التطوال . وانتقينا درره من اللغة الفصيحة استئصال الأجنبية . ونزهناه عن المعاني الغامضة واللغات الوحشية ، اقتفاء لآثار الفصحاء من الأوائل والآخر . واقتداء بما أشار إليه الشاعر :

تخير لنظمك سهل الكلام وجنبه حوشية والسلام
فخير الكلام الجلي الذي إذا قيل لم يفتقر للكلام!

فلكم الفضل في الإغضاء لمجالة هذه المكاتبة ، فهي على وجه ، المباشرة
والمداعية . فداعتكم عندنا أحلى من نجاج النحل ، وأشهى من بواكر النخل
وكيف لا ؟ وقد جمعنا الله - سبحانه - على مرضيه (١) وأسعدنا بما قضاه . ونرجو
أن يسعدنا بما هو قاضيه ، فتلج صدور لانتظام سلكنا وانتظام إخواننا
الصريح ، وتلج قلوب لخلوص ودادنا الذي حديثه من الحسن الصحيح . وبنعمة
يبلى الجديدان ولها جدة . وتنضب الموارد ، وهي من فيض فضل الله تعالى
مستعدة . وهذا آخر الكلام ، وعليكم معاداً منا السلام .

صاحبنا الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف (*) :

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، ورأيت ، وصحبته :

ونسبه - حسب نقلته من خطه على متن كتاب ، وأخبرني به هو ، وسمعت
أيضاً بفاس من بعض الناس - هو : محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف
ابن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن شعيب بن علي بن أبي محمد بن حيان بن
فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي
طالب . ويعرف بالشبوكي . « وشبوكة » قرية بينها وبين مدينة فاس

(١) حقها أن تكون «مرتضاه» أو مايشبه .

(*) نقل المقرئ في أزهار الرياض ١ - ٢٩١ - ٢٩٤ ترجمة الشبوكي ، وأورد قصيدته
المذكورة هنا ونص على أنه نقل عن كتاب ابن الأحمر . وهم حين قال إنه نقل
ترجمة الشبوكي وشعره عن « نثر فرائد الجمان » فإنه لم يترجم له في ذلك الكتاب
ولم يورد ذكره . وقد فصلت في هذه المسألة في دراستي عن الكتابين .

ثلاثة أيام^(١) . وأخبرني أن جده عبد الرحيم أتى من المشرق إلى المغرب واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ، ويوسف أبوه كان - رحمه الله - جيسل الوجه جداً ، شاعراً مجيداً ، فقيهاً ، وبرز عدلاً بسماط شهود فاس . واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان المريني شاهداً في دار صناعته . وأحمد والد يوسف كان فقيهاً صوفياً ومحمد والد أحمد كان فقيهاً صالحاً ويوسف والد محمد كان فقيهاً عالماً صالحاً مكاشفاً ، بحباب الدعوة من أهل الطبقة العليا في الصلاح .

وأبو عبد الله - هذا - كتب الوثيقة بشهود فاس .

حاله - أكرمه الله - :

هو فارس القريض ، وحامل لوائه الطويل العريض . وله وجه وسيم ، وحياء جسيم وسموامة لا يبلغها إنسان ، ولا سمع بمثلها في سالف الأزمان ! ويؤثر مغالبة نفسه على هواه . ويختار مهيع السمو على ما سواه .

أنشدني لنفسه^(*) يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره عمر بن عبد الله علي الياباني^(٢) ، ويحرضه على قتل الشيخ أبي

(١) في إحدى نسخ أزهار الرياض ثلاثة أميال .

(*) وردت القصيدة في أزهار الرياض للقري ١ ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ومقابل النصين إتماماً للفائدة

(٢) كان عمر بن عبد الله وزيراً قوياً متنفذاً ، أدار شؤون البلاد مدة وتسلط على سلاطين بني مرين ، حتى تخلص منه السلطان عبد العزيز (انظر المعبر لابن خلدون ٧ ٣١٩ وروضة النسرين لابن الأحمر : ٣٣)

ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتائي (١) صاحب جبل هنتانة من حوز مراکش؛
حين خرج عليه به السلطان المعتمد على الله أبو الفضل محمد بن أخي السلطان
عبد العزيز هذا

أبان في حبه ما قال عاذله
فبات من وطأة التفريق ذا وجل
صب إذا ما بدا بالرفقتين له
دمع جرى فوق صفح الخد هاميله
يستنجد الصبر عوناً وهو خاذله
وميض برق الحيا هاجت بلابله
[١٢٥ / أ]

يبكي لمنزل أنس بان أهله
يا حسن عصر بهم قضيته زمناً
كان صوب دموعي بعد بعمكم (٣)
وظاعن عنه قد شطت منازل
رقت حواشيه إذ رقت (٢) أصائله
عبد العزيز الذي عزت بدولته
سبب الملك إذا وافاه سائله
وأصبح الملك في أمن وفي دعة
صنائع الحق والتأحت دلائله
عادت بعيد عنا (٤) منه نضارته
من بعد ما كان غالته غوائله
كالروض باكره ظل على ظمأ
فعاد يافعه واشتد كاهله
هو الإمام الذي من أم ساحته
وجاده بعد ذاك الطل وابيله
ومن تخلف جهلا عن إجابته
جادت عليه يحدولها أنامله
قل ليلندي عنه أقصته جرائمه
سارت إليه على علم صواهيله
وعقلته عن العليا معاقيله

(١) من رجال الدولة المرينية، وشيخ هنتانة من قبائل المصامدة وانظر الاستقصا للسلاري
الناصري ٤ - ٥٢ - ٥٤ في تفصيل خبر خروج عامر الهنتائي ونهايته .

(٢) في الأزهار رقت .

(٣) في الأزهار : بعمكم .

(٤) في الأزهار : بعيد لنا .

15 زُرْ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْمِعُونِ طَالِعَهُ تَحْتَظَّ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ
فَطَبَعَهُ الصَّفْحُ وَالْمَعْرُوفُ شِيَمَتُهُ وَالْحِلْمُ وَالصُّنُونُ وَالْتَقْوَى شِمَائِلُهُ
وَابْلَغْ جَمِيعَ الْعَدَى أَنْ تَسُوفَ يَشْمَلُهُمْ

20 هَذَا الْمَلِكُ أَتَاهُمْ فِي كِتَائِبِهِ لِنَسْخِ آجَالِهِمْ تَنْضَى رَوَاحِلُهُ
بِكُلِّ خَرَقٍ طَوِيلِ الْبَاعِ مُتَشَدِّدٍ مَقْعَرُ عُمُرٍ مَنْ تَلْقَى مَنَاصِلُهُ
وَجَعَلَ فِيهِ سُمْرَ الْخَطِّ مَشْرَعَةً قَدْ تَعَجَّبْتُ أَنْجَمَ الشَّعْرِ قَسَاطِلُهُ
سَيَعْلَمُ الْغُمُرُ عُقْبَى مَا جَنَاهُ إِذَا كَلَّتْ مَوَاضِيهِ وَانْقَضَتْ كَلَالِكُهُ
وَحَاطَ بِالْجَبَلِ الْبَحْرَ الْمَهِيضَ وَلَا .. حَتَّى فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ مِنْهُ تَجْدَاوُلُهُ
فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ

أَعْطَيْتَ كُلَّ الْمُنَى فِيهَا تُحْسَاوُلُهُ
مَنْ ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ يَوْمَ الْكَرْبَةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاضِلُهُ
أَلَا تَرَى الْمَائِيقَ الرَّعْدِيدَ حِينَ تَعَا وَأَضْمَرَ الْمَكْرَ صَادَتْهُ حَبَائِلُهُ
[١٣٥ / ب]

52 ظَنَّ الظَّنِّينَ بِأَنْ يَسْمُوَ وَيَعْسَلُو فِي دُنْيَا مَمْتٍ وَعَلَتْ فِيهَا بَوَاطِلُهُ
فَغَادَرَتْهُ الصَّمَادُ الزَّرْقُ مِنْجَدَلًا فَوْقَ الصُّمَيْدِ تَنَاجِيَهُ جَنَادِلُهُ
دُنْيَاهُ تَضْحَكُ مِنْ أَحْوَالِهِ عَجَبًا بِهِ وَفِي الْحَيِّ تَبْكِيهِ أَرَامِلُهُ
فَلَيْهِنَ دِينَ الْهَدَى مِنْ بَعْدِ مَدَدِهِ أَنْ صَرَتْ يَا ذَا الْهَيْئَةِ الطَّلَقُ كَافِلُهُ (١)
لَمْ يَنْتَسِبْ قَطُّ فِي الدُّنْيَا لَوَاءَ عَلَا إِلَّا وَمِنْ آلِ « عَبْدِ الْحَقِّ » حَامِلُهُ

30 مَوْلَايَ ! مَوْلَايَ ! دَمَ مَا عَشْتُ مَصْطَحِبًا عَلَا وَفَخْرًا وَعِزًّا لَا تُزَايِلُهُ
إِنْ سَارَ جَيْشُكَ فَالْتَأَيِدْ يَقْدَمُهُ وَالزَّهْرَ عَاجِلُهُ يَمْفُوهَ آجِلُهُ

صاحبنا الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي :

يكنى أبا إسحاق . وأدركته ، ورأيت به فاس ، وصحبته .

ومسقط رأسه مدينة فاس ، ووالده وسلفه من الأندلس .

ونعمبه هو إبراهيم بن علي بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن علي بن العباس
ابن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن علي بن القاسم بن علي بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وأبوه علي هو القادم من غرناطة على فاس . وكان يكتب في الحضرة
السلطانية الأحرية النصرية بالأندلس للأمير المسلمين أبي عبد الله محمد بن أمير
المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن
جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن
جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خيس بن
نصر الخزرجي . وكان فقيهاً ، متفنياً ، فاضلاً ، من أهل الخير والدين . وعبد
الله والده كان فقيهاً . وسعيد والد عبد الله كان فقيهاً خطيباً .

وصاحبنا إبراهيم - هذا - هو الآن عدل بسباط شهود فاس .

حاله - سلمه الله -

له منظر وسيم ، وذكاء جسيم . وهب نسيم براعته فرق وراق . وتفتت
أزاهر نبله ساطعة الإشراق . مع مالدبه من المعرفة بالأدب ، وإصابته في فنون
شق من الطلاب .

كتبتُ له - لودادِ بيني وبينه - بقولي :

يا ابن عم النبي أحمد إني فيك ذو لوعة وحق عليّ أ
وودادي إليك من أجل ما قد حزنه من قرابةٍ للنبيّ

فجاوبني بقوله

يا سليل الملوك من آل نصر وبني كل سؤدد خزر جي
إن تكن رقت ناظري وممي بقريض مبرز أحري
فلقد رعت يا أبا الصدق مني ميّولاً فاعترت خجلة عي
فلئن عاقني قصور فمذري - إن تأملت - أي عذر تجلي

وانشدني - لنفسه - على لسان محبرة :

نزلت من الإنسان منزل عقله ومنزل عقل المرء منه جنانه
أترجم عنه بالبراعة مثلاً يترجم عما في الضمير لسانه
ويبقى على مرّ الزمان محبّراً بياني عنه وهو يفنى بياته

وانشدني - أيضاً ، لنفسه - في إنجاز الوعد :

طلّوت مطلي يا أسنى الكرام وفي إنجاز وعدك لي سؤل ومرغوب
وأعلم بان كثير المطل يصحبه بنضّ وأن وفاء العهد محبوب

وانشدني - أيضاً ، لنفسه - مداعباً بعض أصحابه ، كان يكثر في

شعره من اسم « الدست »

أيا ماجداً لولاه ما عرف الندى

ولا الجود والجدوى ولا شرف الدست

فقد طالما جرّبت دهري وأهله
وخالطت أخلاط الأنام. ومارستُ
فما ظفرت كفاي منهم بطائل.
خلا أنني استيأستُ منهم وأيأستُ
[١٢٦ / ب]

وَيَمِيتُ عَلَيْكَ التي هي ملجأ
وغاليتُ في الأمداح فيك ونافستُ
فقلدتُ أجياد القصائد من حلا
ثنائك تقليداً جميلاً وألبستُ

صاحبنا سعيد بن إبراهيم السدراي رحمه الله تعالى

يكنى أبا عثمان ، وأدركته ، وصحبته ، وامتندحني ، وأفدته في الطريقة
الأدبية. وهو من فاس ، ويعرف بـ « شهبون الأديب » ، وكان شعره ومطاً
وأبرع ما كان نظمته في الزجل ؛ ظهر له فيه - بفاس - باع مديد . وقد
وافقني على قولي هذا الفقيهان الأديبان الهدثان : شيخنا الأستاذ النحوي
منديل بن محمد بن آجروم ، وصاحبنا أحمد بن محمد الدباغ ، وشهدا له بالإجادة
في الزجل . ومن شهد له هؤلاء : ^(١) البليغان العالمان فهو مقدم !

حاله - رحمه الله - :

هر رئيس الأدباء ، ونخبة الألباء ، إلى إجادة في نظم الزجل أذهبت عنه
في الشعر الخجل ! وأورثت مضاهيه فيه الوجل . ونجم في التوشيح ، ولم تكن
قريحته في نظمها بشعيحه ! ونظمه في القريض وسط ، وفهمه فيه مرتبط .

(١) كذا فيها .

أنشدني - لنفسه - في الجمد :

أناديكَ جَهراً كي (....) (١) عندي :

وليس مُرادِي عنكَ يخفي ولا قصدي

وإنْ أموري لم تغبْ عنكَ ساعة :

علت الذي أخفي ، فكيف الذي أبدي ؟



وكان صاحبنا الأخلص الحبيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن خنوست قد مرض ، فسرت إلى منزله أعوده صبيحة يوم الأحد العاشر لشهر رمضان سنة ست وستين وسبع مئة ؛ فأتى سعيد هذا إلى منزلي بفاس ، فسأل عني ، فقيل له قد مشى يعود صاحبه عبد الله . فقصد إلى باب صاحبنا أبي محمد عبد الله ، المريض ، وجلس بإزائه ينتظرنني ، فلما خرجت سلم علي ، ودفع إلي بيتين ارتجلهما من حينه في مدحي ، وقال لي : يامولاي ! (تصفعا) (٢) ولك الفضل في قبولها والصفح عن قدهما :

يا ابنَ أسمى الملوكِ صيناً وقَدراً

وأخا الفضلِ والرفيع المقامِ

إنْ أثبتَ العليلَ يوماً قرأه

عادَ في صيعةٍ من الأسقامِ

وامتدحني - أيضاً - بقوله :

نُشرتْ فيكم - بني نصر - لأبي الصديق راية النصرِ

أيُّ شهم وأي صنديدِ

حازَ إرثَ السَّاحِ والجودِ

شيدَ المجدَ أيُّ تشييدِ

(١) فراغ في الأصلين . (٢) الكلمة غير واضحة ، وأرجح ما أثبت .

لم تحد عنه السن الشكر فهو في الدهر طيب الذكر
 ثاقب الذهن وافر العقل
 عالم بالعلوم والنقل
 جعل النصر منه في النصل
 ضيق الحزم واسع الصدر
 بارع الحسب باسم الشفر
 أي بدر بطالع السعد
 صعدت منه رتبة المجد
 لم تحيد راحته عن رفد
 صادق الوعد سابق الفجر
 جالب النعم دافع الضر
 رافع الحق باسط العدل
 قاهر الظلم قاتل المحتل
 مانع البغي مانع البذل
 مذهب الضيم عاجل البير
 ناجح الفعل ذاهب العسر
 يا أبا الصديق أنت مولانا
 كم فوال بذلت أغنانا
 رقت حنا وفقت إحسانا
 لك جود كوابل القطر
 ومقام أربى على النسر



الباب الثاني عشر

فيما قيل من الشعر في السيف

الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس

وما أنا أثبت - هنا - جملة من مقطعات لشعراء مدينة فاس في السيف الذي بمنار جامع القرويين ، مع جملة من كلامي في تاريخ السيف المذكور ؛ فنقول

اجتمع في شهر ربيع الآخر من عام أربعة وستين وسبع مئة يجامع القرويين من مدينة فاس جماعة من طلبتها الأذكاء ، وأدبائها النبلاء وكنت في جلستهم ؛ أسمع كلامهم . فتكلموا في السيف الذي بأعلى الصومعة ، ولم [١٢٧ / ب] جعل هنالك . فقال قائل : جعل طليساً على البلد ، لما كان عليه الناس حينئذ من الافتشاشات على الأمراء ، وقلة الانقياد . ولأجل ذلك لا بيت ' إنسان ' بها إلا مغموماً ! وقال الآخرون غير ذلك (١) . وأنا أذكر إن شاء الله حقيقة الأمر فيه . ثم آتي بعد ذلك بجملة ما قالوه في ذلك من الشعر مرتباً حسب ما وقع لا على مراتب القوم ومنازلهم .

اعلم - وفقك الله - أن أصحاب التاريخ قالوا إنه لما تم العمل في بناء الصومعة على

(١) مكذا وردت العبارة فيها .

يد الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن أبي سعيد الزناتي - وكان عاملاً^(١) للأمير المؤمنين الناصر لدين الله، القائم بأمر الله عبدالرحمن بن محمد الأموي المرواني الخليفة الأندلسي - على مدينة فاس، وكان من أهل الفضل والدين، وذلك في شهر ربيع الأول من خمس وأربعين وثلاث مئة؛ جعل في أعلى الصومعة قبة صغرى، ووضع في ذروتها تقافيج بموتمة بالذهب في زج من حديد. وركب في الزج سيف أمير المؤمنين إدريس بن أمير المؤمنين إدريس بن عبد الله بن حسن بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجوهرهم - الذي أسس المدينة.

وسبب عمله هنالك أن الأمير أحمد بن أبي بكر لما فرغ من بناء الصومعة اختصم إليه بعض حفدة أمير المؤمنين إدريس في السيف، وطلب كل واحد أن يمتاز به ويحوزه لنفسه، وطال النزاع فيه. فقال لهم الأمير أحمد: هل لكم أن تسلموه لي وتتركوا النزاع فيه؟ فقالوا له: ما تصنع به؟ قال لهم: أجعله في أعلى هذه الصومعة تبركاً به، وليكون لكم ذكر بسببه. فقالوا له: قد وهبناه لك طيبة به نفوسنا؛ فجعله في ذروتها.

ولترجع الآن لسرد أقوالهم المنظومة فيه. فكان أول من فتح فيه باب القول للشعراء شاعر هذا الأوان، وحائز خصل السبق بهذا الميدان صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي

(١) ثار أحمد بن أبي بكر الزناتي ضد حامد بن حمدان الحمذاني، وأرسل في طاعة عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة (٣٠٠ - ٣٥٠) وأشهر خلفاء بني أمية في الأندلس. وزاد هذا الوالي في جامع القرويين بفاس بمساعدة قرطبة. ونصب منبر أموي رائع في المسجد أيام هشام المؤيد وبسمي من الحاجب المنصور بن أبي عامر (راجع في ذلك روض القرطاس ٣٤ وتأسيس فاس ٥٧ والعبر ٤ - ١٤٠ - وكتاب جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج ١ : ٥٦ - ٦١).

[١٢٨ / أ] وكان نظمه قد تقدم التاريخ بمدة ، فقال :

أَنكَرَ السَّيْفَ بِالنَّارِ بِفَاسٍ قَائِلٌ " إِنَّ ذَاكَ دَاعِيِ اغْتَامِ
لَا يَرُوعُكَ الْحُسَامُ " سُلِّ عَلَيْهَا جَنَّةُ " الْحُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ الْحَسَامِ

ثم تلاه صاحبنا الفقيه المتفطن النحوي أبو عبد الله محمد بن موسى بن إبراهيم الماجري فقال :

يَقُولُونَ زَجْرًا إِنَّ فَاسًا قَضَى لَهَا
بِذَاتِهَا سَيْفُ الْمَنَارِ الْمَشِيدِ
لَقَدْ أَخْطَأُوا فِي زَجْرِهِمْ ضَلَّ سَمْعُهُمْ !
هَلِ الْعَزْءُ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّ الْمَهْدِ ؟ !

ثم تلاه شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ المصنف أبو المكارم منديل بن محمد بن محمد بن داود بن أجروم الصنهاجي ، فقال :

شَامُوا بِفَاسٍ سَيْفُ إِدْرِيسِيٍّ فَوْقَ مَنَارٍ لَا لِأَمْرِ غَوْفٍ
بَلْ أَشْعَرُوا بِقَوْلِ خَيْرِ الْوَرَى : جَنَّتُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ

عِثْنِ شَيْخَنَا مَنْدِيلُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ صَاحِبَ السَّيْفِ ، وَتَفَى قَوْلُ مَنْ قَالَ
إِنَّهُ طَلَسَ . وَأَتَى بِالْحَدِيثِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لَمْ يَغْيِرْ فِيهِ إِلَّا يَسِيرًا ، وَهُوَ
« جَنَّتُمْ » . وَإِنَّمَا لَفْظُ الْحَدِيثِ « الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » (٢) . وَذَكَرَ فِيهِ
خَيْرُ الْوَرَى : عليه السلام . وَلَمْ يَسْقِهِ غَيْرَ سِيَاقِ أَنَّهُ حَدِيثٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَضِيرٌ كَثِيرًا
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ اسْمَ (إِدْرِيسِي) (١) .

(١) هو إدريس الثاني ، بن إدريس الأول مؤسس دولة الإدارة الشريفة بالمغرب الأقصى . وبدأ بناء جامع القرويين بفاس سنة ٢٤٥ هـ .

(٢) أخرجه البخاري هذا الحديث في صحيحه ٢ / ٢٠٨ وفيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقال صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المعروف بالربيب

وسيف منارٍ بفاسٍ غدت^١ محاسنُها دانيات القُطوف
فيا زاجر الغم : عفوُ الإله وجنته تحت ظيل السُيوف

وقال أيضاً فيه :

وما خص إدريس^١ المنار بسيفه لغم ولكن كي يغم نساؤه^٢
مُشيراً : أجبوا داعي الله تأمنوا ومن لم يجب داعيه : هذا جزاؤه !

وقال أيضاً فيه :

سِر^١ فاسٍ لفارس^(١) قد بدا في وضع إدريس بالمنار حُسامه
فهم العز للنداء فأورى ثاره معلماً وشالَ علامه !

هذه الزيادة التي زاد في هذه المقطوعة الثالثة - وهي ذكر العلام والفنار -
الذين أمر بها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس المربني سنة تسع
 وخمسين وسبع مئة هو أول من نبه عليها من أصحابنا ؛ إلا ما رأيته بخط
شيخنا الفقيه الكاتب التاريخي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي
المعروف بالتاوري من بيتين في ذلك المعنى غير منسوبين

نور به علم الإيمان مرتفع^١ للمهتدين به للحق إرشاد^٢
يأتون من كل أوب نحوه^٣ فلهم لديه للرشد إصدار^٤ وإيراد^٥

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه العدل القاري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
الصنهاجي المليبي لنفسه :

(١) هو فارس أبو عنان المربني سلطان المغرب .

ألميم بفاس ولا تسمع لقائلهم
« سيف المنار كساها ثوب مكتشبر »
أما ترى الشمس راقت تحت كاتبيها
و « السيف أصدق أنباء من الكتب » ؟

يقول : كما أن الشمس لا يضرها ~~صكونها~~ كونها تحت الكاتب ، كذلك فاس
لا يضرها كونها تحت السيف بل هي أحق بذلك لكون السيف أشرف من قلم
الكاتب بدليل قول حبيب :

« السيف أصدق أنباء من الكتب »

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد
الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ لنفسه - شاعر ابن عمنا الرئيس
أبي الوليد إسماعيل - رحمه الله تعالى - :

سيف إدريس بالمنار بفاس ليس للغم لا ولا للخافة
إنما كان وضعه السيف فيها معلماً أنها مقر الخليفة !

[١٢٩ / أ]

وهذا معنى حسن ، إلا أن نسبة وضع السيف لإدريس ليس كذلك ،
(إنما وضعه) ^(١) الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد الزناتي
المذكور (٢) .

وأنشدني فيه ابن عمنا الرئيس أبو الوليد إسماعيل بن الأمير أبي سعيد
فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد
فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الأمير أبي المحجاج يوسف

(١) لم يظهر في « م » .

(٢) زاد في صفحة ٤٥٢ « أبا بكر » بين أحمد وأبي سعيد .

الشهير بالأحمر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
ابن خميس بن نصر الخزرجي ، لنفسه :

وما السيفُ في رأسِ المنارِ لَذَّةٌ بفاسٍ ولكنْ أمره 'أَيُّما أمر' !
رأها ابنُ إدريسٍ مقرٌ خلافةٍ فجرُّده 'عزِّما' لأَملاكها الغُرَّ

وهذا المعنى الذي ذكر ابن عمنا (١) أبو الوليد الرئيس هو نفس ما قاله
شاعره أبو العباس الدباغ المذكور . ولقد أحسن ابن عمنا في مخالفته له في
الوزن والقافية ، وذلك بما يحسن الأخذ !

وأنشدني أيضا فيه صاحبنا أبو الفضل محمد بن باهر التصولي لنفسه
- رحمه الله تعالى - :

قلْ لِمَنْ أنكرَ الحُسامَ بفاسٍ وادَّعى الغمَّ قولَ ذي تجرَّيحٍ
سيفُ إدريسَ في المنارِ شهيرٌ شهرةَ الدينِ بالأذانِ الفَصيحِ

وقول أبي الفضل « قل لمن أنكر الحسام .. البيت » اهتدمه من قول
شيخنا لأستاذ النحوي منديل بن أجروم ، في قصيدته الفتوحية :

قل لمِيار^(٢) إن شمت شذاها قول مستخبر أخى تجريحٍ
أين هذا الشذى من القيِّصو ... مِ والرقند والفضا والشيحِ

وقصيدة [١٢٩ / ب] شيخنا (هذه في ذكر) (٣) متنزهات باب
الفتوح من مدينة فاس ، وهي

أيُّها العارفونَ قدَر الصُّبوحِ جدِّدوا أنسنا ببابِ الفُتوحِ
جدِّدوا ثَمَّ أنسنا ثم جدِّدوا نسرِح الطُّرفَ في نِجَالِ فُشَّيحِ

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب (الورقة ٢٠) .

(٢) مبيار الدبلي الشاعر العباسي (٥٠٠ - ٤٢٨) .

(٣) لم تظهر العبارة بوضوح في الأصلين لوقوعها في أعلى الصفحة فيها .

حيثُ شابتُ مفارقُ اللوز نوراً وتساقطنَ كاللُّجينِ الصَّريحِ
وبَدَا منه كلُّ ما احمرَّ يحكي شفقاً مزقتهُ أيدي الرِّيحِ
وكانُ الذي تساقط منه نَقطٌ لُحْنٌ من دمٍ مسفوحِ
وإذا ما وصلتُم للمُصلى فلتُجلُّوا مواضعَ التَّسبيحِ
وبيطيفُورها فطُوفوا لكي ما تبصروا من ذُراهُ كلِّ السطوحِ
ولتُقيموا هناكَ لمحَّةَ طرفِ لترُدُّوا بها دماءَ الرُّوحِ
ثم حطُّوا رحالكم فوق نهرِ كلِّ في وصفهِ لسانُ المديحِ
فوقَ حافاتِهِ حدائقُ خضرٍ ليسَ عنها لعاشقٍ من نِزوحِ
وكانُ الطيورَ فيها قيانُ هتفتُ بين أعجمٍ وفصحِ
وهي تدعوكم إلى قُبَّةِ الجنِّ... زهلموا إلى مكانٍ مليحِ!
فيه ما تشتهون من كلِّ نورِ مُفلقٍ في الكيماءِ أو مفتوحِ
وغُصونِ تهيجِ رقصاً متى ما سمعتُ صوتَ كلِّ طيرٍ صدُّوحِ
فأجيبوا دُعاءَها أيُّها الشرُّ... بٌ واخلُّوا مقال كلِّ نصيحِ
واجنَّحُوا للمُجنونِ فهوَ جديرُ وخليقٌ من مثلكم بالجنوحِ
واخلُّوا ثمَّ للتَّصابي عذاراً إن خلعَ العذارِ غيرُ قبيحٍ!!
وإذا شتمُّ مكاناً سواهُ هوَ أجلى من ذلكم في الوضوحِ
أجمعوا أمركم لنحو خليجِ جاء كالصلِّ من قِفارٍ فيحِ!
عطرت جانبِيه كَفُ الغوادي يشدا تعرف زهرها المنوحِ

[١٣٠ / أ]

قل لمبارك إن شمت شذاها - قول مستغبر أخي تجريح - :
أن هذا الشذا الذكي من القيِّ... صوم والرند والفضا والشَّيح ؟!

حبذا ذلك المهادُ مهاداً بين دانٍ من الربا ونزوحٍ
ثم من ذلك المهاد أفيضوا نحو هضب من الهدوم مريحٍ
فيه للعُسن دوحه وزوايا وانسراحٌ لذي فؤادٍ قريحٍ
وحجارٌ تدعى حجار طبول غير أن التطويل غير صحيح
تنشر الشمس ثم كل غدو زعفراناً مبتلاً بنضوحٍ

و « سبر » (١) من هناك يسي عقولاً

ويحلي لحاظ طرف طموح
وعيونها تقرأ عيون
فرشت فوقها طنافس زهر
كلم مر فوقهن طليح
فنهضوا أيها المحبون مثلي
هكذا يربح الزمان وإلا
وكلاها بأسو مكثوم الجريح
ليس كالعين نسيجها والمسوح
عاد من حُسنهن غير طليح
لنرى ذات حُسنها المموج
كل عيش سواه غير ربيع

وانشدني أيضاً ابن باشر ، فيه ، لنفسه :

قل ليذي أنكر السيف الذي اشتراها
على المنار فما أبدعت تنكيتا
من خالف الصلوات الخمس يُعل به

« إن الصلاة كتاب كان موقوتاً ،

وقوله في هذه القطعة « إن الصلاة كتاب كان موقوتاً » هذا المصراع كله

لأبي العلاء المعري ، وهو قوله :

(١) نهر سبو أو وادي سبو ينبع من جبال الأطلس الأوسط ، ويصب في المحيط الأطلسي
وعمر بالقرب من فاس فيسقي أراضيها ، ويصب قرب مدينة القنيطرة .

أعدّ من صلواتي حفظَ عهدكمُ إن الصلاة كتابٌ كان موقوتاً

وهذا - عند أهل البلاغة - يسمى التضمين . وهو عندهم نوعان : نوع ينبه فيه على البيت المضمن أو المصراع أنه للغير ، ونوع يؤتي به من غير تنبيه [١٣٠ / ب] هكذا وهو أحسن النوعين (١) . و الفرق بين أن يكون البيت شهيراً (فلا يحتاج) إلى تنبيه ، أو غير شهير فيحتاج إلى التنبيه .

وأنشدني أيضاً لنفسه على لسان السيف :

وليس ارتقاعي في المنار ليكربة

ولكنه كي يعلم الحق جاهله

أحضر على الخمس التي فاز أهلها

ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله !

وقوله (٢) : « ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله » ليس كذلك ، لأن مؤخر

الصلاة عن أوقاتها لا يُقتل ، وإنما يقتل جاحدها .

وأنشدني فيه شيخنا الفقيه الكاتب مسعود بن أبي القاسم بن أبي

طلاق لنفسه ، مخالفاً لما أصلوه ، ومثبتاً لما أنكروه :

قالوا بجامع فاس سيف إدريسا وكلهم قائل زوراً وتليسا

ما جعله غير طليسم لساكنها لكي ينال بها الأحران والبؤسا !

وأنشدني فيه صاحبنا الأستاذ النحوي أبو زيد عبد الرحمن بن علي

ابن صالح المكودي ، لنفسه رداً على شيخنا ابن أبي طلاق ، وموافقاً للجمهور

في المساق :

(١) هنا كلمة لم تظهر في الأصلين .

(٢) لم يظهر قبل (قوله) في « م » كلام . وفي « ط » إما ان .

قال قوم سيف المنار بفاس هو طليستهم ذلّة وهوان
أخطؤوا ليس ذاك إلا لعز بهرت منه سائر البلدان!
وانشدني^(١) فيه صاحبنا الفقيه العدل أبو العلي إدريس بن يحيى
ابن محمد بن عمر بن رشيد القهري لنفسه :
سل إدريس بالمنار حساماً منبأ ، ذاك ، عن شديد العقاب
داعياً للصلاة إن لم تُجيبوا فحقيق الجزاء ضرب الرقاب!
وانظر قوله : « إن لم تُجيبوا » فيه تحرير حسن ، وهو الذي أشرنا
إليه من جحدها بخلاف قول القائل : « ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله » . وهو
نفس ما قاله صاحبنا الفقيه [١٣١ / أ] محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المذكور^(٢) .

إلا أن في هذه المقطوعة ترجمة القول في لزوم ما لا يلزم ، وهو من البراعة^(٣) .
وانشدني فيه شيخنا الفقيه المتقن أبو محمد عبد الغفار البوخلفي
ذكرت ولم أكن للذكر نامي عجائب سيف إدريس بفاس
فلم يك بالمنار سدى ، ولكن ليدفع عن حياها كل بأس

وانشدني فيه أبو محمد بن علي القنار ، شهر بالحيّاك
شجرة المشرفي فوق المنار عزّة للورى ودين النبي
سيف إدريس "نميد" للأعادي وانتصار الملوكة بالمشرفي

(١) هو حفيد محمد بن عمر بن رشيد صاحب الرحلة .

(٢) هنا نصف مطر غير ظاهر في « م » ومحو تماماً في « ط »

(٣) في نيل الابتهاج ٢١٦ ترجمة لمحمد بن أحمد الحبّاك . وفي الروض المتون ٦١ ترجمة
لمحمد بن سعيد الحبّاك . كلاهما بالباء الموحدة . قلت اسم الشاعر في النسختين الحبّاك
بالياء المثناة .

إلا أن قوله : « فوق المنار » ففه عفف من جهة النقد فسمى التفففف (لأن سامعه) (١) أولاً فقدر أن قاففة البفت مثل قاففة المصراع ، ففجدها على خلافه .

وأنشدني ففه لنفسه الأفف أبو عثمان سعفد بن إفرافم السدرا فف شهر بشهفون :

لإفرس سفف أظفر الففف والهفدى
بأفق منار للأذان فشففا
فمن ظن أن الفف أورثنا به
فهل فف إلا ظالم فف واعتفى ؟ !

ولقد أحسن فف قوله : « فف .. فف » فف فف فف هذا التفففف المسمى عنفم بالتفففف المضارع .

قال إسماعفل ، مؤلف هذا الفف :

« انتهى ففر الفففان فف شعر من نظمف وإفاه الزمان . وإف قد فرغت من تألف ففابف هذا ، وكان وبلف ففه رفاذا ، إف لفف ففانب مفناه لوافا ، جعلت العفر عن القصور ففه عفاذا . ورغبف ممن فصفحه أن فسقط العتاب ، وفعوفا إلى الإعتاب ، ففانف لست برب هذا (الشأن ؛ ولا من فرسان) (٢) [هذا المفدان] (٣) .

(١) مستفرك من « ط » .

(٢) هذه العبارة من « ط » . (٣) ففاة مففرفة .

تعليقات

١ - عنوان الكتاب الأصلي - كما هو مثبت على الغلاف - نشر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وقد أضفت إليه على سبيل الإيضاح والبيان عنواناً رديفاً هو « أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن » جعلته وصفاً للحال بالإضافة إلى أنه عنوان فارق . ذلك أنني كنت حققت كتاب ابن الأحمر الآخر المسمى « نشر الجمان في نظم فحول الزمان » ؛ فأردت أن يكون صنيعي هذا فرقاً وتنبهاً .

٢ - ذكرت في مقدمة التحقيق وصف المخطوطين المعتمدين، وهما مخطوطا الكتاب المعروفان لدينا . وأثبت في حواشي الكتاب تفاصيل دقيقة لأوصاف المخطوطين التفصيلية وما كان بينهما من اتفاق واختلاف . و صلت بالكتاب قديمة ، فقد نسخت الكتاب لتحقيقه على نسخة دار الكتب المصرية أيام طلب العلم في القاهرة ، وشرعت في تحقيقه . ثم توقفت لما قرأت مقالة في مجلة البعث العلمي تصف مخطوطة الخزانة الملكية في الرباط من نشر الجمان هذا . إلى أن تسنى لي الرجوع إلى نسخة الرباط ثم مراجعتها على الأصل مباشرة؛ فراجعت العمل ، وبدأته من أوله في شيء كثير من الصبر ، والعكوف على حل المشكلات .

والنص المحقق من الكتاب هو أفضل ما استطعت - يجهد المتواضع - أن أصنعه . وإنما أبرزت هذا العمل لأن فيه مادة أدبية وقارية وافرة تهم المشتغلين بأدب المغرب والأندلس وتسد ثغرة هامة في هذا الباب . ولا شك في أن في هذا الكتاب تراجم ونصوصاً لا يمكن أن يستغني عن يؤرخ للأدب الأندلسي أو للأدب المغربي عن الرجوع إليها والاستفادة منها .

ونتمنى أن تسمح الأيام بظهور نسخة أصلية قريبة من النسخة الأم لتكون الفائدة من الكتاب كاملة .

٣ - هذا العمل في الكتاب - الذي تطاول سنين متفرقة - اضطرني إلى استخدام المراجع المتوفرة حيث أقيم . وتنقل الكتاب معي بين القاهرة ودمشق وهران والجزائر والرباط . وكنت في بعض الأحيان أعود إلى الكتاب الواحد في غير طبعه . وعلى الرغم من التنسيق الأخير ، فإنني أخشى من هفوات يسيرة يند عنها القلم ، وتسقط إلى العمل .

وفي الكتاب بعض التراجم التي لم أجد في مراجعي التي توفر لي الرجوع إليها معلومات إضافية عنها ، أرسلتها إرسالاً ، وأكثرهم من أصحاب ابن الأحمر وتلامذته . ولا غرابة في أن يكون كتابه هذا مرجعاً رئيساً لتراجمهم . وأنا - على كل حال - في حاجة إلى ملاحظات الأساتذة والزلاء المهتمين بالدراسات المغربية والأندلسية ؛ وإلى آرائهم وحسن عونهم .

٤ - اعتمدت في تحقيق النص على ماورد في الأصلين ، والتزمت الرواية فيها ، فإذا وجدت نقولاً في كتب أخرى قابلت عليها . وعمدت إلى إثبات ما في النص على حاله ، إلا إذا رجعت قراءة المرسوم على وجه خاص ، إذا كان الرسم يمكن من ذلك .

٥ - في صفحة ١٢١ السطر ٦ « نلت » كذا قرأتها . وفي ص ٢٣٢ أحمد ابن محمد بن عبد المنان وإن كان الأرجح لدي أنه هو نفسه أحمد بن يحيى (انظر ترجمته) . وأورد المؤلف في ص ٢٧٥ اسم عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني بالياء ، ثم أورده في ص ٢٧٦ بالواو هكذا الونجاسني . وقد اجتمع لدي قدر يلحق بصفحة الخطأ والصواب أثبتته فيها .

الفهارس العامة

تحرير الجمان - ٣٠

فهرس عام للأعلام

١

- إبراهيم بن أبي بكر الحفصي الموحد ٢٩٧
 إبراهيم بن زكريا الأنصاري ٢٧٧
 إبراهيم بن عبد الله الزناتني ٣٦٧
 إبراهيم بن علي بن زيان ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ ، ٣٦٤
 إبراهيم بن محمد السلي ١٥٦
 إبراهيم بن محمد الأومى الباسلي الطويحين ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 إبراهيم بن عطية التجاني ٣٦٧
 إبراهيم بن علي العباسي ٤٤٦
 إبراهيم بن المهدي ٨٣
 إبراهيم بن أبي يحيى النسولي ٢٣٥
 ابن أجروم = محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 أحمد بن إبراهيم المريني (المستنصر بالله) ٣١٠ ، ٣١٥
 أحمد بن إبراهيم بن صفوان ١٣١
 أحمد بن أبي بكر الزناني ٤٥٢ ، ٤٥٥
 أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن أبي حفص ١٠٢ ، ١٠٦ ، ٤٥٢
 أحمد بن شعيب الجزناني ٢٥٤
 أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي ٣٥٨
 أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي ٢٢٧

- أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ١٧٥ ، ١٨١
 أحمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي (أبو بكر) ١٦٥ ، ١٦٧
 أحمد بن محمد بن الدباغ الحزرجي الأنصاري ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
 أحمد بن محمد الخولاني ٢٤
 أحمد بن محمد الزواوي ٤٣٣
 أحمد بن محمد بن عبد المنان (وانظر أحمد بن يحيى) ٨٢ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٦ ، ٣١٤
 أحمد بن محمد بن يوسف الشبوكي ٤٤٣
 أحمد المكودي ٤٣٦
 أحمد بن موسى بن سعود الحزاعي ٢٤٩
 أحمد بن يحيى بن عبد المنان الحزرجي ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٤٥٢
 الأحيمر = علي بن أحمد الحسني
 الأخفش = علي بن سليمان
 إدريس بن إدريس ٤٥٢ - ٤٥٦ ، ٤٦١
 إدريس بن أبي زيد التونسي ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤
 إدريس بن يحيى بن محمد الفهري ٤٦٠
 أروى بنت كرز ٤٢
 أبو إسحاق الساحلي = إبراهيم بن محمد
 إسحاق الموصلي ٥٩
 إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر (أبو الوليد) ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣
 ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

إسماعيل بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر ٧٨
 إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن الأحمر (أبو الوليد) مؤلف
 الكتاب ، ١٩ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ،
 ١٥٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ ، ٤٦١ .

الأصمعي ٤٨ ، ٥٩ ، ٣٩٨ .

الأعشى ٣٦ . ٣٧ .

بنو الأغلب التميميون ٢٢٧

الأقرع بن حابس ٣٣ ، ٣٤ ، ٥١

أكثم بن صيفي ١٧٣

امرؤ القيس ٣١ ، ٥٤ ، ٢١٢

أمية بن أبي الصلت ٢٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨

أميمة بنت عبد المطلب ٤٢

أنس بن مالك ٣٥

إياس ١٠٨

ب

البحثري ٦٣

بديع الزمان الهمداني ٤٢٢

البرامكة ٢٢٨

البسقي (أبو الفتح) ٤٢٢

بشار بن برد ٥٣ ، ٦٣

ابن البغلة = يحيى بن أحمد بن محمد

أبو بكر بن جزري (الأمير) ١٦٦

أبو بكر الصديق ٢٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١
 أبو بكر بن غازي بن الكأس المجدولي أبو يحيى ٣١١
 أبو بكر بن فارس بن علي بن زيان (أبو يحيى) ٢٥٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٥
 أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 بلال بن رباح ٢٤
 البليغي = محمد بن محمد السلمي
 البني = علي بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)
 البيضاء بنت عبد المطلب ٤٢

ت

تاشفين أبو عمر أمير المسلمين ٣١٥
 تجين (قبيلة) ٣٦٧
 الترمذي ٣٥
 التلمساني = محمد بن حسن الحسيني السبكي
 أبو تمام ٦٣ ، ٣٧٣ ، ٤٥٥

ث

ثابت بن قيس بن شماس ٣٣

ج

ابن جابر = محمد بن أحمد بن علي الهواري
 جرير ٥٩ ، ٦٥
 الجعدي (النابغة) ٦٠
 جميل بن معمر ٨٩ ، ١٠٨

ح

حاتم الطائي ٧٩

ابن الحاج = محمد بن علي بن عبد الرزاق

ابن الحاج = محمد بن محمد الأسلمي

حاجب بن زرارة ٢٣٠

حازم بن محمد بن حسن القرطاجني ٣٩٤

أبو الحجاج = يوسف بن اسماعيل بن فرج

ابن حجر = امرؤ القيس

حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨

ابن الحسن = علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)

الحسن البصري ٣٨ ، ٥٠

أبو الحسن الصباغ = علي بن محمد بن عبد الحق

أبو الحسن العثماني = محمد بن عبد الله بن أبي مدين

الحسن بن عثمان بن عطية ابن موسى التجاني المعروف بالوا نشريسي

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٧

الحسن بن أبي طالب ٤٤

أبو الحسن اللخمي ٢٢٧

ابن الحسن المالقي القاضي = علي بن عبد الله الجذامي (النباهي)

أبو الحسن المريني - علي بن عثمان

الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥

ابن الحشرج = عبد الله بن الحشرج

ابن الحفيد = عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي

الحكم ٥١

حمزة بن شعيب بن أبي مدين العشاني ٢٦٦
 حمزة بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤
 أبو حمز المتوكل على الله = موسى بن يوسف بن عبد الرحمن
 الحياك - أبو محمد بن علي الفخار
 أبو حبة التميمي ٦٤
 حيي بن أخطب ٣٨٨

خ

ابن خاتمة = أحمد بن علي بن محمد
 خالد بن أحمد بن أبي بكر (أبو البقاء) ١٠٢
 ابن الخطيب (لسان الدين) محمد بن عبد الله
 ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
 الخليل بن أحمد ١٣٦
 الخليل الباهلي ٦٥
 الخنساء ٥٥ ، ٦٤

د

الدباغ = أحمد بن محمد الأنصاري
 دبيس (الأمير) ٢٥٠
 ابن دريد = محمد بن الحسن بن دريد
 دعل الخزاعي ٥٦

ذ

ذو الإصبع ١٧٣

ر

الرباب بنت امرىء القيس ٤٤

الريب = محمد بن محمد بن عبد الرحمن

ابن رضوان = عبد الله بن يوسف بن رضوان

رضوان بن يوسف بن رضوان التجاري الخزرجي ٢٣٤

ابن رواحة = عبد الله بن رواحة

ابن الرومي ٦٥

ز

الزبرقان بن بدر ٣٣ ، ٣٤ ح

الزبير بن عبد المطلب ٤٢

الزبير بن العوام ٤٢

زكريا بن عبد الواحد بن زكريا (الأمير) ١٠٨

ابن زمر ٤٢٤

زهير بن أبي سلمى ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢

زياد الأعجم ٥٢

أبو زيان - محمد بن مسعود بن عبد الرحمن

بنو زيان ١٠٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

س

ابن السائب الخزومي ٣٨ .

الساحلي = إبراهيم بن محمد الأنصاري

السراج = محمد بن سعيد الرعيني .

سعد بن عبادة ٩٣ ، ١٥٣ .

- بنو سعود ٢٤٩ .
 سعيد بن ابراهيم السدراي (شهبون) ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦١
 أبو سعيد = فرج بن اسماعيل .
 سعيد بن عبد الله العباسي ٤٤٦ .
 سعيد بن المسيب ٣٧ .
 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٣٥ ح ، ٤١ ، ٤٢ .
 سكينه بنت الحسين ٤٤ .
 سلامة ذافيش ٣٧ ح .
 سليمان بن يوسف بن يعقوب المريني (أبو الربيع) ٢٥٧
 ابن سمالك ١٢٦ .
 سيويه ٢٦ ، ٢٢٥ ، ٤٢٠ .
 ابن سيرين ٣٧ .

ش

- الشافعي = محمد بن إدريس .
 الشبوكي = محمد بن يوسف بن أحمد .
 الشديد = محمد بن يوسف بن الشديد .
 الشريد بن سويد ٣٢ ، ٤٨ .
 الشريف القرناطي = محمد بن أحمد الحسني .
 شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي (أبو مدين) ٢٥٧ .
 شعيب بن عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨ .
 شعيب العثاني (أبو عبد الله) ٢٥٧ .
 شعيب بن محمد بن أبي مدين العثاني (أبو مدين) ٢٦٤ .
 شهبون الأديب = سعيد بن ابراهيم .

- الصاحب بن عباد ٩٢ ، ٣٩٩ .
- صالح بن حجاج اللخمي السبكي (أبو محمد) ٢٦٠ ، ٢٦١ .
- صفوان بن إدريس ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
- صنهاجة ٣٥٩ (قبيلة) .
- ضرار بن عبد المطلب ٤٢ .
- صفية بنت عبد المطلب ٤٢ .

ط

- ابن طاهر ٢٦ .
- طرفة بن العبد ٥٠ ، ٦٥ .
- طريح ٦١ .
- الطويحين = إبراهيم بن محمد الأنصاري .
- أبو الطيب الكنانى ٢٥٦ .
- أبو الطيب المتنبي ٣٧٣ .

ع

- ابن عائشة (المغني) ٩٨ .
- بنو عبد الوادي = بنو زيان .
- هامر بن يوسف بن يعقوب المريني ٢٥٧ .
- العباس بن الأحنف ٥٤ .
- العباس بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٩٢ .
- ابن عباس = عبد الله بن عباس .
- العباس بن مرداس ٥١ .
- عائشة (رضي الله عنها) ٢٤ ، ٣٥ .

- عبد الحق بن أبي بكر (الموحد) ٩٨
 عبد الحق بن الزيات ٤٣٣
 عبد الحق المريني ٦٧
 عبد الحق بن محمد بن عطية الهاربي ١٣٧
 عبد الحليم بن عمر (المؤيد بالله) المريني ٧٤
 عبد الحميد (الكاتب) ٢٠٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠
 عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (أبو زيد) ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٤٥٩
 عبد الرحمن أبو تاشفين العادل بالله ٢٥٠
 عبد الرحمن بن المتوكل على الله أبي عنان ٢٦٩
 عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري ٤٣٥
 عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ٤٥٢
 عبد الرحمن بن محمد بن رشد الأموي ٣٧٠
 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ٢٩٧
 عبد الرحمن بن محمد المليبي الصنهاجي ٤٣٦ ، ٤٥٤
 عبد الرحيم بن نوح بن شعيب الشبوكي ٤٤٣
 ابن عبد الرزاق = محمد بن علي بن عبد الرزاق
 عبد العزيز بن علي المريني (أبو فارس) ٧١ ، ١١٠ ، ١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤٤٣
 عبد الغفار بن موسى البوخلفي (أبو محمد) ٤٣٦ ، ٤١٤ ، ٤٦٠
 عبد الله الأوربي الفاسي (أبو محمد) ٤٤٠
 عبد الله بن الحشرج ٥٢
 عبد الله بن رواحة ٣٥ ، ٤١
 عبد الله بن الزبيري ٤٦
 عبد الله بن الزبير الأسدي ٥٧

- عبد الله بن سعيد العباسي ٤٤٦
 عبد الله بن عباس ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦
 عبد الله بن أبي القاسم العزفي اللخمي (أبو طالب) ٢٢٤ ، ٢٧٧
 عبد الله بن عبد المطلب ٤٢
 عبد الله بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧
 أبو عبد الله الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك ٣٦٨
 أبو عبد الله الماجري المغيلي ٤٢٢
 أبو عبد الله المازري ٤٧
 عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤
 عبد الله بن محمد البكري المعروف بالأندلسي ٣٩٦
 عبد الله بن محمد بن خنوست ٤٤٩
 عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨
 عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢
 عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني المريني ٢٧٥
 عبد الملك بن شعيب الفشتالي ٣٥٨
 ابن عبد المنان = أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي
 عبد المهيمن بن محمد الحضرمي ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 عبد المؤمن بن علي (الموحد) ٤٣٢
 عبد المؤمن بن عمر المريني ٧٢
 عبد الواحد بن أبي حفص (الأمير) ٩٧
 عبيد الله بن يحيى (أبو مروان) ٣٤
 عبيدة بن الحارث ٤٣
 بنو عثمان (قبيلة) ٢٥٨

- عثمان بن أحمد اللخمي ٢٤
 عثمان بن إدريس الشامي ٦٣
 عثمان (الأمير العبد الوادي) ٢٥٠ ، ٢٧١
 عثمان بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧
 عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٧
 عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (الأمير المريني) ٢٤ ، ٤٦٠ ، ٢٦٤ ،
 ٣٢٢ ، ٣٤٥
 المرجي ٣٩٨
 عروة بن أذينة ٣٨
 عروة بن حزام ١٠٨
 أبو عزة الجمحي ٤٦
 أبو العلي التونسي - إدريس بن أبي زيد
 أبو العلاء المعري ٣٧٣ ، ٤٥٨
 العلاء بن الحضرمي ٧٢
 علي بن أحمد الحسني (المعروف بالأحيمر) ١٥٠
 علي بن موسى بدر الدين بن موسى المريني ٧٣
 علي بن سليمان (الأخفش) ١٧٤
 علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٣٨٩
 علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٥
 علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (البني) ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
 علي بن عبد الله بن سعيد العباضي ٤٤٦
 علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن قطرال ٢٣ ، ٢٤

علي بن عثمان بن يعقوب (السلطان المريني أبو الحسن) ٦٧ ، ٧١ ، ٢٠٦ ،
٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ،

٢٦٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧

علي بن أبي عمرو التميمي ٢٢٧

علي بن محمد بن الصباغ العقيلي ٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

علي بن محمد بن أحمد الخزاعي ٢٤٩ ، ٢٥٠

علي بن محمد بن الجياب (أبو الحسن) ١٢٥

علي بن محمد بن عمر الصنهاجي (أبو الحسن) ٤٢٧

علي بن محمد بن معاود البلوي ٧٣

عامر بن محمد الهنتاتي ٤٤٤

العماد (الأصفاني) ٢٨٤

عمر بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ١٠٥

عمر بن توقرت ٣٩٧

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

عمر بن السعود بن خرباش (الوزير) ٢٥٦

عمر بن عبد المؤمن بن عمر الينجاسي ٤١٧

عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني ٣٩١ ، ٤٤٣

عمر بن الفارض ١٣٢

عمر المريني (أبو علي) ٣٥٨

عمرو بن الأتم ١٧٣

عمرو بن عبد الله بن عسقلان ١٧١

عمرو بن كلثوم ٥٤

أبو عذان (السلطان) = المتوكل على الله فارس بن علي

ابن العميد ٢٠٦ ، ٤٠٠

عياض (القاضي) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
عيسى بن الحسن بن أبي الطلاق ٢٣٦

غ

الفريض (المغني) ٩٨
غيلات ٢٦٦

ف

فارس بن علي بن عثمان (السلطان المريني - أبو عنان - المتوكل على الله)
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ،
٤٢٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤ .

فارس بن ميمون بن ودرار الحشمي ٣٩٧

فاطمة بنت عمرو بن عائذ ٤٢

الفخار = أبو محمد بن علي

الفرزدق ٣٨

فرج بن إسماعيل بن يوسف (أبو سعيد) ٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧ ، ٣١٥

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ١٨٦

فشتالة (قبيلة) ٣٥٩

الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك

ق

أبو القاسم النجاري الخزرجي = عبد الله بن يوسف رضوان

أبو القاسم بن أبي العافية (القاضي) ٢٠٧ ، ٢١٤

القاسم بن يوسف بن رضوان (أبو الفضل) ٢٤٧ ، ٢٤٨

أبو قبيس ٢٥٠

ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق

قدامة ٥٤ ، ٤٠٠

قريش ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨٨

قس بن ساعدة ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

القصار = علي بن محمد بن عمر الصنهاجي

القنعاغ بن شور ١٠٨

فيس ليلي ٨٩ ، ٢٦٦

فيس عيلان ٣٨٨

ك

كثير عزة ٦٠

كريب الحضرمي (الأمير) ٢٢٤

كسرى ١٢٣ ، ٣٨٠ ، ٤٨١

كعب بن زهير ٣٢

كعب بن مالك ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨

كعب بن مامه ١٠٨

ليبد بن ربيعة ٢١ ، ٢٢١ ، ٣٩٨

لؤي بن غالب ٤٠

مارية ١٧٤

المازري (الإمام) ٤٩

مالك بن أنس ٢٤

مالك بن عوف ٣٩١

مالك الفشتالي ٣٥٩

نثر الجمان - ٣١

- المتوكل على الله أبو عنان = فارس بن علي
 المتوكل على الله أبو يحيى = أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
 محمد بن إبراهيم بن محمد السلمي ١٥٦
 محمد الأبهى (أبو عبد الله) ٨٢
 محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي (النيار) ٤٣٢
 محمد بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ١٠٢
 محمد بن أحمد الحسني (الشريف القرناطي) ٩١ ، ١٤٥
 محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي ٤٣١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ٢٣ ، ١٩٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦١
 محمد بن أحمد بن علي التميمي ٢٢٦
 محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري ٢٠٠
 محمد بن أحمد المكودي ٤٣٦
 محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي ٢٤٩
 محمد بن إدريس (الشافعي) ٤٩
 محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج (السلطان) ٢٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٧ ، ٤٤٦
 محمد بن باشر التسولي ٤٥٦ ، ٤٥٨
 محمد بن أبي بكر بن إسحاق (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ٩٨
 محمد بن أبي بكر بن يحيى الحفصي ٩٨
 محمد بن جزى = محمد بن محمد جزى
 محمد بن حزب الله الطائي الوادي آشي ٤٢٦
 محمد بن حسن الحسيني السبكي المعروف بالتمساني ١٧٢
 محمد بن الحسن بن دريد ٣٩٥

- محمد بن خميس الحجري ٣١٦
 محمد بن داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن الربيب الكتامي ٢٥٦
 محمد رسول الله ﷺ ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥
 ٥٣ ، ٥٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٢٢٤ ، ١٨٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٦
 ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٦ ، ٤٥٣
 محمد بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٤
 محمد بن سعيد الرعيني (السراج) ٢٣
 محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري ٢٤
 محمد (الأمير المريني الثائر بجبل هنتاته) ٤٤٤
 محمد شرف الدين البوصيري ٣٧٠
 محمد بن صالح بن أحمد الكتاني الشاطبي ٢٣
 محمد بن أبي عامر (المنصور) ١٧٠
 محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي ٢٦٩
 محمد بن عبد الحكيم بن تادراوت ٢٥٣
 محمد بن عبد الرحمن الخزرجي (التاوري) ٤٥٤
 محمد بن عبد الرحمن الحسني (المومنانني القامي) ١٩٠
 محمد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن (الأمير أبو زيان) ٧٣ ، ٢٥٠ ، ٣١٥
 محمد بن عبد الغفار بن موسى البوخلقي (أبو النور) ٤١٥ ، ٤١٦
 محمد بن عبد الله بن الخطيب (لسان الدين) ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٩١ ، ١٣٨
 ٣٦٠ ، ٣٦٤
 محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن (أبو زيان) ٢٥٠ ، ٣١١
 محمد بن علي بن عبد الله الجزولي (ابن الحاج - ابن عبد الرزاق) ٢٥٥

- أبو محمد بن علي بن الفخار المشهور بالحياك ٤٦٠
 محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ٢٧١
 محمد بن عمار المهري ٥٧
 محمد بن عمر بن أحمد (الأمير الحفصي) ١٠٥ ، ١٠٦
 محمد بن عمر بن توقرت الموحد التينملي المصوددي ٣٩٦
 محمد بن عمر بن رشيد الفهري ٢٣ ، ١٩٠
 محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي ١٦١
 محمد العمراني ٥٧
 محمد بن أبي عمرو التميمي ٢٢٦
 محمد بن فارس بن علي بن عثمان الزياتي ٤٩٤
 محمد بن القاسم الحسيني العراقي (للشريف) ٢٣٦
 محمد بن قطبة الدوسي ٨٠
 محمد الكتاني ٢٥٦
 محمد بن محمد بن أحمد جزى الكلبي الغرقاطي ٢٨٣ ، ٢٨٤
 محمد بن محمد بن أحمد التميمي ٢٢٦
 محمد بن محمد داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن محمد بن محمد بن داود (أبو المكارم منديل) - ابن آجروم ٤١٦ ،
 ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦
 محمد بن محمد بن جزى الكلبي ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٣١
 محمد بن محمد السجزي ٢٤٦
 محمد بن السلمي (أبو البركات) - البلفيقي - ابن الحاج ١٥٦
 محمد بن محمد بن الشديد ١٩٦
 محمد بن محمد القرشي المقرئ التلمساني ٧٠

محمد بن محمد بن محمد الغالب بالله النصري ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ٢٢٤ ،
٢٩٨ ، ٣٦٠

محمد بن الربيب ٤٥٤ ، ٤٦٠
محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني ٢٦٢
محمد بن محمد بن يحيى اللخمي العزفي ١٢١
محمد بن أبي مدين بن شعيب العثماني ٢٦٤
محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن زيان ١١٤ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠
محمد بن موسى بن إبراهيم الماجري ٤٥٣
محمد بن موسى بن عزروق ١٧١
محمد بن وهيب ٦٤

محمد بن يحيى بن أبي بكر (اللفصي) ١٠٧ ، ٢٩٨
محمد بن يوسف بن اسماعيل (الففي بالله النصري) ٢٥ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥
٩١ ، ١١٢ ، ١٣٨

محمد بن يحيى الفساني البرجي ٤٢٥
محمد بن يحيى بن عبد الله اللخمي العزفي ١٢٠
محمد بن يحيى بن عبد الواحد (الموحد) ٢٢٧
محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٢ ، ٤٤٣
محمد بن سليمان بن فهد الحلبي (شهاب الدين) ١٨٩ ، ١٩٠
محمود بن عنبسة السلمي ١٥٧

ابن المرعزي الكاتب ١٧١ ، ١٧٢
المرقش ٢٥٠

(بنو) مرين ٢٢٣ ، ٢٣٥

مسافع بن عبد مناف ٤٦

مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق ٤٥٩

مسلم بن الحجاج ٤٨

المصمودي = محمد بن عمر بن توقرت

معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ٣٧

ابن المعتز ٥٥

المعز بن مظاعن العربي ١٠٦

ابن مقلة ٨٣ ، ٢٥٠ ، ٨٤

ملوك بني الأحمر ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ ، ٣٦٨

ملوك بني زيان ٢٩ ، ١٠٩

ملوك بني العزفي ٢٩ ، ١١٩

ملوك الموحدين ٩٧

ملوك بني مرين ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٧ ، ١٨٦ ، ٢٥٥ ،

٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٣٦

ملوك المغرب ٢٢ ، ٢٩

ملوك الموحدين الحفصيين ٢٩ ، ٢٣٥

ابن الملون ٥٣٣

منديل - محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي

منديل بن زنبق ٤٢٤

المنصور بن أبي عامر ١٢١

منصور بن أبي عمر بن عثمان بن يعقوب المريني ٧٢ ، ٧٣

أبو موسى الأشعري ٣٦

- موسي بن سعود الخزاعي ٢٤٩
 موسى بن عبد الرحمن المريني ٧٤
 موسى بن عزرون ١٧١ ، ١٧٢
 موسى بن نصير ١٥٧
 موسى بن مالك الفشتالي ٣٥٩
 موسى بن يوسف بن عبد الرحمن (الزياتي) أبو حمو ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٢
 المومناي = محمد بن عبد الرحمن الحسني

ن

- النايفة الذبياني ٦٠
 ابن نباته ٥٨
 نائلة ٤٢
 (بنو) نصر ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ،
 ٢٤٩ ، ٤٠٠
 النعمان ٥٤
 النيار - محمد بن أحمد بن إبراهيم ٤٣٢

ه

- هالة بنب وهيب ٤٢
 هيرة بن أبي وهب ٤٦
 ابن هانيء الأندلسي ٣٩٨
 أبو هريرة (رضي الله عنه) ٢٤٩
 هشام بن عروة ٢٤
 هشام المؤيد (الخليفة الأموي . ١٧٠ ، ١٧١

و

واصل بن عطاء ١٨٣

الوانشريسي = الحسن بن عثمان بن عطية ٣٦٦
أبو الوليد بن الأحمر = إسماعيل بن يوسف بن محمد

ي

يحيى بن إبراهيم الأنصاري الأوسي ٢٧٧
يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي ٣١١ ، ٣١٠
يحيى بن أبي طالب العزفي ٢٢٤
أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد الجفاني ٤٣٤
يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٤

يحيى بن يحيى الليثي ٢٤

يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٤٥

يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٣

يوسف بن إسماعيل بن فرج ١٢٢ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،

٣٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٦٠

يوسف بن عبد الحق المريني ٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧

يوسف بن عمر بن يعقوب بن زيان ١١١

يوسف بن مزني (أبو يعقوب) ١١٢

يوسف بن الونجاسي ٢٧٦

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٥٧

يوسف بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧

فهرس الاماكن

بسكرة ١١١
 بصرى ٤١
 بغداد ١٧٣ ، ٢٤٥
 بكة - مكة
 بلاد إفريقية ٦٩
 بلاد الأندلس ٧٣
 بلاد الزاب ١١١
 بلفيق ١٥٦
 البيضاء ٢٦٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣
 ٢٥٨
 تازا ٤٣٢ ، ٤٣٣
 تاوريرت ٣٦٦
 تلمسان ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
 ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨
 تهامة ٣٨٨
 توزر ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 تونس ٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣
 ١ - ٣ ، ٧ ، ٣ ، ٣٤٢ .
 الجامع الأعظم بقرناطة ١٦٥ ، ١٨٦
 جامع الأندلسيين ١٦٥ ، ١٨٦
 جامع القرويين ٢٩ ، ٢٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
 ٤٥ ، ٤١٧

آجلى ٢٧٥
 أرض بابل ٩٩
 أرض إفريقية ٦٩
 إشبيلية ٣١٤
 أصيلا ٣٧٠
 إطرابلس ٦٩ ، ٢٤٣ ، ٢٨٣
 إفريقية ٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨
 أندرش ١٦٧
 الأندلس ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٧١
 ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
 ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٠
 ٣١٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٤٣١ ، ٤٤٦
 باب الفتوح ٤٥٦
 باب المحروق ٣٥٩
 بادس ٣٦٧
 بجاية ١٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٨
 بدر ٥٦ ، ٣٨٧
 برجة ١٦٧
 بسطة ١٦١

الشام ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٥ ، ٣٨٢

٤١١

شبالش ١٥٧

شبكة ٣٤٢ ، ٤٤٣

الشحر ٢٦٦

الصحراء ١٣٢

صنماء اليمن ١٧٣ ، ٣٣٥

صومعة جامع القرويين ٤٥١ ، ٤٥٢

طريف ١٦٦ ، ٢٨٤

الطشأتين ٧٨

طنجة ٣١٠

العباد ٢٥٨

العدوة (بر العدوة) ٢٢ ، ٢٥ ، ٧٢ ، ٧٤

١١٢ ، ١٢٠ ، ١٥٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥

العراق ٣٧ ، ٢٤٥ ، ٤١١ ،

العقيق ٣١٠ ، ٢١١

غرناطة ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ،

١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٥٦

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦

٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٤٤٦ .

غسامة ٧٢

فارس ٢٧٦ ، ٤١٤

فاس ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،

٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

جامع مدينة سجلماسة ٣٥٨

جبل عامر بن محمد الهنتاتي ٢٦٢

جبل هنتانة ٤٤٤

الجعفة ١٤

الجزيرة الخضراء ٢٣٤ ، ٢١٠ ، ٣١٥

جلاق ٢٤٥

جيان ١٦٦ ، ٢٨٣

الحبشة ٢٠٧

الحجاز ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢١١

حلب ٢٥٠

حصص (اشبيلية) ٢٥٢

حنين ٢٩١

خيبر ٢٨٩

در ٢١٦ ، ٢١٧

رية ١٧٢

زرود (جبل) ٢٠٧ ، ٢١٦

سبته ١٢٠ ، ١٤٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧

٢٨٢

سجلماسة ١١٢ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠

سجن دار الإمارة ٢٩٧

سقيفة بني ساعدة ١٥٣

سلا ٣٦٨

السودان = مالي

السوس ٦٩ ، ٢٧٦

سوق عكاظ ٣٩

مراكش ٤٤٤ ، ٤٣١	١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
مرج غرناطة ٢٦٩	١٥٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥
المرية ٢٠٠ ، ١٧٦	٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧
المسجد الأعظم بغرناطة ١٦٧	٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨
المسجد النبوي ٣٢	٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤
المشرق ١١١ ، ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،	٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨
٤٤٣ ، ٣٧١	٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥
مصر ٣٤٢ ، ١٩٩	٤٥٦ ، ٤٥٩ .
المغرب ٢٩ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٩٧ ، ٣٥٥ ،	قادس ٢٧٦
٤٤٣ ، ٣٧١	قرطبة ١٧١ ، ٢٣٤
مكة ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٣٨٩ ،	قسطنطينة ٢٢٨
٣٩٠	القسطنطينية ٢٧٦
مكناسة الزيتون ٢٥٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،	قصر الحمراء ١٤٠
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨	قصر كتامة ٢٥٦ ، ٢٥٨
الناعورة بقرطبة ١٧١	كاظمة ٢١٦
نجد ١٥٢ ، ٢٨٨	كربلاء ٤١١
نهر سبو ٤٥٨	مالقة ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ١٩٦
نهر الفرات ٤١١	٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٢٧ ، ٣١٥
نهر النيل ٤١١	مالي ٢٠٦
الهند ٢٩٣	مجنة ٢٤
وادي آش ١٣٧ ، ١٦٧	مدرسة السلطان أبي عنان بفاس ٣٥٩
وادي حنين ٤٤	المدرسة التي بالعطارين بفاس ٣٥٩
وادي القرى ٣٨٩	المدينة ١١٢
	المدينة البيضاء ٧٠
	المدينة النبوية ٢٤ ، ١٩٠

فهرس الشعر

ا

يتوق لمن يهواه قلبي صباية	٨٢	فيمنني عما أحب حياء
لعلك لي عن حسن عهد مكافي	٢٩١	فيسرع نحوي ودك المتباطيء
لله ما بلغت في الإطراء	١١٦	وبثت من ود وطيب ثناء
يا ابن الملوك الأكرمين ذوي العلا	٣٦٩	أهل الوفاء وملجأ الضعفاء
يا أوحده الفقهاء والكبراء	٣٦٩	وأخي التقى والفضل والعلياء
أمرى فهبج لأعج البرحاء	٤٢٧	برق أضواء له من الجرعاء
إن ابن زنبق جار في أحكامه	٤٢٤	وسطا على الفقراء والضعفاء
قوت بفضلك ألسن الأعداء	١١٤	يا ابن الملوك ذوي التقى الفضلاء

ب

أنا حاجب لفظاً ومعنى	٢٣٢	ليس لي منها نصيب
تحام بلاد الغرب ما شئت إنها	٢٧١	ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحروبٌ
طوات مطلي يا أسنى الكرام وفي	٤٤٧	إنجاز وعدك لي سؤل ومرغوب
علي أي حال لليالي أعائب	٢٩٩	وأي صروف الزمان أغالب
أسم فلان هـين	٧٤	يصبي النهى. تقريبه
هو الدين عز اليوم بالنصر جانبه	٢٥١	وذل مناويه وهات مناصبه
هذا الكتاب له فضل على الكتب	٢٧	كتب القريض مع التأريخ والأدب
خليلي يا منديل من دون ما ريب	٤٢٨	أتني قواف عن ودادكم تنبي
أبا حسن إني وحقلك في كرب	٤٢٧	لما قد دهاك الدهر من حادث القلب

٧١	وأرغب خالقي في العفو عني	وأطلب حلمه يوم الحساب
٦٨	أرضي الله في سري وجهري	وأحمي العرض من دنس ارتياب
٢٢٨	ألمأ بأحداث العلى والمناصب	تحني ثراها واكفات السحاب
٤٣٢	الآن أنت توبة للتائب	من بعد ما اخضر النبات بإشارتي
٢٣٢	من كان يبكي ماجداً فليجد	بالمدمع السكب على الحاجب
٤٢٥	شعر صفوان بن إدريس	أخي الفهم العجيب
٤٢٥	أيها الأستاذ يا من	هو قوت للقلوب
٤٣٣	أنا الزواوي وهذا مكتبي	لحرفة التعلیم والتأديب
٩١	حبوت جنابي يا سليل محمد	بعذراء ما أسنى سناها وأعجبا
٣٧١	وذني شنب متى أنظر بطرفي	إليه استل من لحظ ذبابا
٢٢٣	لئن استقمت كما أمرت وترعوي	فلك النصيب

ت

٤٤٧	أيا ماجداً لولاه ما عرف الندى	ولا الجود والجدوى ولا شرف الدست
٢٥	أحبك يا منفي الحقوق بواجب	وأقطع في أوصافك الغر أوقاتي
٤٢٢	فإن عندي أبا العلى وله	إرادة أن يراك في الوقت
٤٢٢	يا من بآدابه الرفيعة قد	أخل ذكر البديع والبسي
٤٢٥	تأس أبا القاسم في الذي	أصبت به من ممات البنات
٤٢٦	وقد كنت تخشى بها المكر من	غوائل صهر فها المكرمات
١٢٢	حسن المشوق إلى ديار أحبته	فسقى الثرى شوقاً لذاك بدمعته
٨٢	يقولون إني بالبطالة مولع	ولست ورب البيت أعرفها بتا
٨٤	رمانى بنوعمي بزور مزور	وما زلت أوقام وأحسنهم سمنا

ث

- ٣١١ أيجي ميت الأحياء يرجو كلامك للوزير بغير ريث
٢٨٩ إن قلبي لمهدة الصبر ناكث عن غزال في عقدة السحر نافث

ج

- ٧٠ وإذا تعرض للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوجا
٢٨٥ قسماً بوضاح السنا وهاج من تحت مسدول الذوائب داج

ح

- ٣٩٧ كفوا عن اللهو والمزاح وامضوا على الجسد والعصاح
٣٦٧ دعوت للخير والصلاح إذ قلت كفوا عن المزاح
٢٦٥ يا غائباً في الضمير ما برحا إني محل الوري وان نزحـا
٢٦١ شممت من ربحانها رائحه لمسك دارين غدت فاضحه
٢٦٠ يا سيدي لم أنم البارحه من فكرة سائحة بارحه
١٢١ بالله خبرني وكن صادقاً هل نلت شيئاً ليلة البارحه

خ

- ٩٣ أكتبكم يا أهل ودي وبيننا كما حكم البين المشت فراسخ

د

- ٢٥٤ سل قلبك المصدوع من بعدي ماذا لقيت لحادث البعد
٨١ إلى السادة الأخيار أبناء هاشم بني الحجر والبيت العتيق المجد
٢٠٧ لمن الركائب خضن رمل زرود وسرين بين تهائم ونجود
٢١٤ أملي على كبري وطول عهودي رجع الشبية والهوى المعهود
٢٦٢ وافت يحر الزهو فضلة بردها حسناء قد أضحت نسبجة وحدها

١٠٦	لينهك أن الله فوقك مالـك	ودوتك كل المالكين عبيد
٤١٧	من مبلغ الأستاذ عذا أنه	شغل الخواطر والنواظر سهدا
٤٤١	لأنت أجل أخ يعتقد	وأذكى أديب بهذا البلد
	ذ	
٤١٨	أبا المكارم ذا الأحاجي والحجا	وابن الجهابذ جلة النفاذ
٨٠	قل للتي نباتك هذا	قد صح هذا بد صح هذا
	ر	
٢٨٦	أما ومعان قد نظمت مقصراً	فأطلعتها غراء في أفق الفكر
٢٣١	لعمري الماعلي ما وقت بحقوقها	من الناس من لم يرث لابن أبي عمرو
٤١٦	ما المرء في هذه الدنيا بمسرور	فيا أخا الخزم صبراً عن أبي نور
٤٣٦	فبيت طوله ستون شبراً	تخيـله رشاء حول بير
٤٣٦	ألاقل لشاعرنا الأشعري	شعرت وليتـك لم تشعرا!
٤٣٦	بشمرك يا أيها الأشعري	تفوق ابن أوس مع البحري
٤٣٦	أو الريح لما سرت دائماً	على الخلق من فمك الأبحر
٣٢٧	محيـاك أبهى لا الهلال ولا البدر	وريقك أشهى لا الزلال ولا الخمر
٤٣٩	وجدي بكم ليس يبقـي لا ولا يذر	والصبر عنكم على حكم النوى صبر
٤٣٧	سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها	نسيم صبا يحبي القلوب مسيرها
٣١٢	أعاذلني أن أبصرت راحتي صفرا	وأن لست ممن يقتني البيض والصفرا
١٨٧	إذا البرق ثار أثار اذكارا	لقلبي فأذكى عليها أدارا
٤٤٥	هنيئاً لكم يا بني	خزرج أنتم السادة الخيرا
١٦٩	أمالـي الشوق تملأ لي الدفاتر	أقول هي الصحاح هي الجواهر
٤٣٤	اسقني شربة لذيذة طعم	ليس فيها كروية وحريره

ز

- ١٢٦ يا كاملاً شوقي إليه وافر وبسيط خدي في هواه عزيز
١٧٩ وعد الوفاء وليته مانجزا طيف ألم بمقلتي مستوفسزا
١٨٢ مزج البلاغة بالجزالة موجزا وأتى به في الحسن بدعاً معجزا

ش

- ٣٩٦ رعباً لبدر قد ثوى بالحشا رباه مستنشقه ان مشى

ض

- ٢٥٩ يا سقى الله دهرنا المتقضي من شآبيب دمعي المرفض
٨٤ يا نازحاً ولعهد الحب قد نفضا لا تستحل حراماً رمته غرضاً
٣٦٤ تعرفت أمراً ساءني ثم سرنى وفي صحة الأيام لا بد من مرض
١٠٧ لما وقفت على حقيقة أمركم وعلمت أن الود فيك مضيع

ع

- ٣٩٦ أما المشيب فقد لاحت لواامعه فما لدمعك لا تهمي هوامعه
٧٠ ترام في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخذاعا
٨١ أردد في ليلى فرائد فكرتي فيحسبني صبحي بليلى مواما

ف

- ١٣٣ ببهاء عرك عند ذلة موقفي عطفاً على مسترحم مستعطف
٩٢ لا تجزعن أبا الصدق الأمير على يحمي سليلك في الباقي لك الخلف
١٠٣ بالمشرفيات يحمي المجد والشرف ومن صدور المعالي تقتنى الطرف
٣٥٩ أبا إماماً زدى كفيه قد وكفا حسي اعتصامي بحبل منكم وكفى!

٤٥٤	وسيف منار بفاس غدت	محاسنها دانيات القطوف
٤٥٣	شاموا بفاس سيف إدريسهم	فوق منار لا لأمر مخوف
٤٥٥	سيف إدريس بالمنار بفاس	ليس للأفم لا ولا للتحافه

ق

١٥٨	يفنى الهوى وغرام عزّة باق	والشوق يذهب ما عدا أشواقى
٩٨	(جزى الله الحوادث كل خير)	وإن كانت تفصصني بريقي
٩٤	سلام عليكم من مشوق متيم	أخي حرق رق الجماد لما يلقي

ك

١٧٧	أكل شاك بداء الحب مضناك	ماذا جنته على العشاق عيناك؟
٨٠	خذها إليك هدية	من كف ملك مالك
١٤٥	وشادن مثل وجه البدر غرقه	سبى فؤادي فما أبقي ولا تركا

ل

٢٦٨	بشرى لدولتك الغراء فى الدول	حيطت بها الملة البيضاء فى الملل
٢٦٢	عز صبري ولم أكن بالجهول	عندما آذونا بشد الحول
٣٦١	من ذا يعد فضائل الفشتالي	والدهر كاتب آيا والتالي ؟
٤١٩	من المشيب على فوديه يشتعل	فكيف باللهو فى دنياه يشتغل !
٨٨	هاجت لبعذك لوعة وغليل	والقلب بعدك واله غبول
٢٦٧	ألى فى سدره الوادي مقيل	غداة شكت لبينهم الطلول ؟
٣١٦	كففت عن الوصال طويل شوقي	إليك وأنت للروح الخليل
١٠٨	تقض ضلوعي كلما حنت الحشا	عليك وأنفاسي إليك تميل
٤٤٤	أبان فى حبه ما قال عاذله	دمع جرى فوق صفح الحد هامله
٤٥٩	وليس ارتفاعي فى المنار لكربة	ولكنه كي يعلم الحق جاهله

- ٤١٧ ما شأنه شيئاً حلاقة رأسه بل زاد أضعافاً بذاك جماله
 ١٢٦ زارت تجرر نخوة أذيالها هيهات تخلط بالنفار دلالتها
 ١٥٠ الآن تطلب ودها ووصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها !
 ١٣٨ ياقاطع اليد يطوي السهل والجبل
 ومنضياً في الفيافي الخيل والإبل
 ١٢١ يا ماجداً ما جئته في حاجة إلا وكان له الكريم المفضلا
 ٤٠٢ عجباً أيتخذ السلو خليلاً من ليس يأمل أن يبين نحولاً ؟

م

- ٢٧٨ خبر الروض طي واني النسيم سل خبيراً عن سره المكتوم
 ١٦١ عادت ببرئك بهجة الأيام واستقبلتك بشعرها البسام
 ٨٢ أما المعجوز فقد شغلت بكلها عن مدحنا والسين دون السلام
 ٤٤٩ يا ابن أسمى الملوك صيتاً وقدرأ وأخا الفضل والرفيع المقام
 ٤٥٣ أنكر السيف بالمنار بفاس قائل إن ذاك داعي اغتنام
 ٣٦٥ وأيم الله إبراراً لأيم لقد جلى كتابك كل غم
 ١٣٦ ولما ثناني عن هوى من أحبه عذار بدا في الخلد أسود فاحم
 ٢٢٥ نفسي الفداء لمهد كنت أعده وطيب عيش تقضى كله كرم
 ٧٤ أرقى وقد نام الخلي الماسم وبني من أليم الشوق ما ليس أكرم
 ٨٨ سهرت فيمن جفنه نائم وذبت فيمن جسمه ناعم
 ٣٠٥ علي لكل مكرمه ذمام ولي بمدارك المجد اهتمام
 ١٩٧ لنا في كل مكرمه مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
 ٢٣٦ قف بالديار فهذه أعلامها يهدي إليك مع النسيم سلامها
 ٩٨ بذالك الوادي وذالك الحمى سلبت فؤادي واغتديت متيها
 ٤٣١ يا سعد صل دنفاً بوصلك مفرماً أعبي الأواسي طبه بل أعجبا

١٠٦	وحياة حبك إنني	مذ غبت لا أدري المنام
١٠٦	يا أيها الخـل الذي	أرعاء من بين الأنام

ن

٢٦٥	كم بات طيفك بالزوراء يغريني	وأسهم الوجد لا تحطي وتصيني
١٤٧	دعيني من مقال العاذلين	وخلي بين تهيامي وبيني
٤٢٦	كأن الشمع سهم من نضار	يقد الدجن أو عصب يمان
٤٦٠	قال قوم سيف المذار بفاس	هو طلمس ذلة وهوان
٤٣٤	أعرض الغزي عني	هكذا ما كان ظني
٤٤٧	نزلت من الإنسان منزل عقله	ومنزل عقل المرء منه جنانه
٨٤	ألبسوها ليعجب الحسن فيها	ثوب حزن فزاد حسناً ومعنى
١١١	سكنها لياي آمنيـنا	وأياماً تسر الناظرينا
٨٥	يوم بان الظـاعنون	لا تسل ماذا لقينا
٣٧٤	أرقني بارق نجد إذ سرى	يومض ما بين فرادى وثنى
١٧٣	يا تحفة القلم الذي زان الزمن	من ذا يقوم بشكر من أهداك من ؟

هـ

١١٢	رعى الله أياماً تقضت وحياها	بأنس حبيب كان أنس محياها
-----	-----------------------------	--------------------------

ي

٤٤٧	يا سليل الملوك من آل نصر	وبني كل سؤدد خزرجي
٤٦٠	شهرة المشرفي فوق المنار	عزة لسورى ودين النبي
٤٤٧	يا ابن عم النبي أحمد إني	فيك ذو لوعة وحق علي
٨٥	أبى الله إلا أن يملكك الدنيا	ويحمي بك الإسلام إذ حطته رعيا
١٦٨	سعود بها الإسلام نال أمانه	أشادت ببشراء وشادت مبانـه

موشحة

٤٤٩	نشرت فيكم بني نصر	لأبي الصدق راية النصر
-----	-------------------	-----------------------

فهرس الشواهد الشعرية

ا

هجوت محمداً فأجبت عنه	٣٦
فإني لو لقيتك فاجتمعنا	٥٤
إذا عقد القضاء عليك أمراً	٤٣

ب

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب	١٨٦
منك التجلي ومنا السر والحب	١٨٦
لعمرك إنني لأحب بيتاً	٤٤
كان مثار الذق فوق رؤوسنا	٥٣
إذا ما تيمى أذاك مفاخرأ	٦٦

ت

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً	٣٨
يا ما كراً بي وبخلانـه	٤٢٦

ث

أمن طيف سلى بالبطاح الدماث	٤٣
----------------------------	----

ج

إن الساحة والمروء والندى	٥٢
--------------------------	----

ح

ألا أبلغ النعمان عني رسالة	٥٤
ما زال يلثمني مراشفه	٦٤

د

إذا وجدت أوار الحب في كبدي	٣٨
وإن منام الجعد من آل هاشم	٤١
متبدي لك الأيام ما كنت جاهلا	٥٠
فرد شموهمن السود بيضا	٥٧
أقبلت نحو سقاء القوم أبترد	
بنو بنت مخزوم ووالدك العبد	
ويأتبك بالأخبار من لم تزود	
ورد وجوههن البيض سودا	

ر

إذا طارقات الهم ضاجعت الفقى	٤٥
م الأخبار منسكة وهديا	٦٥
تقى اللذادة بمن نال صفوتها	٤٣
حامى الحقيقة ، محمود الطريقة ، نقاع وضرار	٥٥
جواب قاصية جراز ناصية	٥٥
هون عليك فإن الأمور	٤٣
شهد الفرزدق والقبائل كلها	٣٨
لا يرفع الطرف إلا عند مكرومة	٨٣
وما السر من قلبي كثاو بمخرة	٢٧
وصلنا السرى وهجرنا الديارا	١٨٩
في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر	٣٩
عقاد ألوية للغيل جزار	
بكف الإله مقاديرها	
أن الفرزدق ناك أم جرير	
من الحياء ولا يغضي على عار	
لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا	
وجشناك نظوى إليك القفار	

س

فإني إن أفتك يفتك مني	٦٠
تركت مثاليب الرجال لأنني	٢٥
فلا تسبق له - علق نفيس	
أفضل أن ألقى بفضل الناس	

ص

وما ذاك إلا للذي حاز من علا	
ومن مكرمات ما لها في الورى محص	

ع	
٤٥	ألاهل أتى عرسى مكري وموقفي
٣٤	نحن الملوك فلاحي' يهادلنا
٣٤	إن الذوائب من فهر وإخوتهم
٥١	أجعل نهبي ونهب العبيد
ف	
٥٥	وإني للفر الخوف لكالء
ق	
٦١	إن حاربوا وضعوا أو سالوا رفقوا
٥٤	قد سعب الناس أذيال الحديث بنا
٥٧	ليث بعثر يمهطاد الرجال إذا
ك	
٥٦	لا تمجبي يا سلم من رجل
ل	
٤٤	عشية ساروا حاشدين وكلنا
٣٦	يهوي كما تهوي العقاب وقدرات
٤٤	ومارست هذا الأمر خمسين حجة
٢٤	كل امرئ مصبح في أهله
٣٥	خلوا بني الكفار عن سبيله
٢٤	ألا ليت شعري هل أبيثن ليلة
٦٤	وما بلغت كف امرئ متناولا
٣٧	قلدتك الشعر يا سلامة ذا
٤٥	بوادي حنين والأشعة تشرع
٣٤	منا الملوك وفيها تنصب البيع
٣٤	قد شرعوا سنة للعق تتبع
٥١	بين عينة والأفرع
٥٥	وللتغر يجري ظلمه لرشوف
٦١	أرواعدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا
٥٤	وفرق الناس فينا قولهم فرقا
٥٧	ما كذت الليث عن أقرانه صدقا
٥٦	ضحك المشيب برأسه فبكى
٤٤	مراجله من غيظ أصحابه تغلي
٣٦	صيداً وينصب انصباب الأجدل
٤٤	وخمساً أرجي قابلاً بعد قابل
٢٤	والموت أدنى من شرك نعله
٣٥	اليوم نضربكم على تنزيه
٢٤	بواد وحولي إذخر وجايل
٦٤	من المجد إلا والذي نلت أطول
٣٧	فايش والشيء حيثما جعل

٦٠	لو أن الباخلين - وأنت منهم -	رأوك تعلموا منك المطالا
٦٦	إذا ما ظمئت إلى ريقها	جعلت المدامة منه بديلا
٣٣	وحى ذوي الأضغان تسب قلوبهم	تحيمتك الحسنى وقد يرقع النفل

م

٦٢	ومها تكن عند امرئ من خليفة	وإن خالها تخفى على الناس تعلم
٦٦	أيا ظبية الوعساء بين جلاجل	وبين النقا أنت أم أم - عالم ؟
٥٧	بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا	هدايا في أيدي الرياح النواسم
٣٧٠	أمن تذكر جيران بذي - لم	(مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم)
٥٦	ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا	وليلك عما ناب قومك نائم ؟
٦٥	آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم	في الحادثات إذا دجون نجوم
٦٠	مق كان الخيام بذي طلوح	سقيت الغيث أيتها الخيام
٥٩	أقدس إذا تودعنا سليمي	بفرع بشامة ، سقي البشام
٦٥	لقد ملئت عيني بحسن محاسن	ملأت فؤادي لوعة ومهما
٤١٢	تخير لنظمك سهل الكلام	وجنبه حوشية والسلام

ن

٦٦	هو الذيب أو للذيب أوفى أمانة	وما منها إلا أزل خورن
٦٣	خليلي من كعب أعينا أخا كما	على دهره إن الكريم معين
٥٤	على هيكلك بعطيك قبل مؤله	أفانين جري غير كز ولا واني
٥٣	وكالسيف إن لا يئته لان متته	وحذاء إن خاشته خشنان
٦٢	سكران سكرهوى وسكر مدلة	أني يفوق فوق به سكران
٦٣	وسابح هطل التهء هتات	على الجراء أمين غير خوان
٦٠	ألا زعمت بنو عيس بآني	ألا كذبت كبير السن فان

٦٢	وإذا الدر زان حسن وجوه	كان للدر حسن وجهك زيننا
٢٥	فؤادي يشتكي داء دفيننا	لبعدي عن مزار الظاعنيننا
	ي	
٦٥	ألا حي من أجل الحبيب المغانينا	لبسن البلى مما لبسن الاليانينا
٢٨	وعين الرضا عن كل عيب كلية	ولكن عين السخط تبدي الماونا
٥٠	عميرة ودع إن تجهزت غازيا	كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا



فهرس الرسائل

- ١ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى الشريف الغرناطي ٩١ - ٩٢
- ٢ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى ابن عمه إسماعيل
ابن فرج ٩٣ - ٩٥
- ٣ - رسالة القاضي النباهي إلى الفقيه التلمساني ١٧٢ - ١٧٥
- ٤ - رسالة ابن خاتمة إلى أبي بكر محمد بن محمد بن جزى ١٨٥ - ١٨٦
- ٥ - رسالة القاسم بن رضوان إلى أبي عنان المريني ٤٢٨
- ٥ - رسالة أبي الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي إلى السلطان
أبي عنان المريني ٢٧٥ - ٢٧٦
- ٦ - رسالة الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم الأنصاري
لأمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني ٢٨٢ - ٢٨٣
- ٧ - رسالة من محمد بن جزى إلى أبي عنان المريني ٢٩٤ - ٢٩٦
- ٨ - رسالة محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٦ - ٣٥٧
- ٩ - رسالة لسان الدين بن الخطيب إلى الفقيه محمد بن
أحمد بن الملك الفشتالي ٣٦١ - ٣٦٢
- ١٠ - رسالة الفشتالي إلى لسان الدين رداً على الرسالة السابقة ٣٦٢ - ٣٦٤
- ١١ - رسالة أخرى لسان الدين بن الخطيب إلى الفشتالي ٣٦٤ - ٣٦٥
- ١٢ - رد الفشتالي ٣٦٥ - ٣٦٦
- ١٣ - رسالة عبد الرحمن المكودي إلى المؤلف (بن الأحمر) ٣٧٣ -
- ١٤ - رسالة محمد بن عمر بن توقرت إلى القاضي أبي علي
حسن الوانشريسي ٣٩٧ - ٣٩٨
- ١٥ - رسالة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الدباغ إلى المؤلف ٣٩٩ - ٤٠١
- ١٦ - رسالة إلى أبي محمد الأوربي ٤٤٠

فهرس مصطلحات النقد والبلاغة

٤٥٩	التضمين	٤٥٦	الأخذ
٥٧	التضمين المزدوج	٦٢	الاستدراك والرجوع
٥٦	التطبيق	٦٣	الاستطراد
٦١	التعديد	٥٣	الاستعارة
٦١	التفسير	٦٤	الاستهلال
٦٥	التفوييف	٥٤	الإشارة
٦٤	التلخيص	٥٦	الاشتقاق
٥٣	التمثيل	٥٩	الاعتراض
٦٦	التنبيه	٥٩	الالتفات
٦٢	رد المعجز على الصدر	٦٥	التنميم
٦٢	المكس والتبديل	٦٦	التجاهل
٥٢	الكتابة	٥٥	التجنيس
٥٧	لزوم ما لا يلزم	٤٦١	التجنيس المضارع
٦٠	اللف والنشر	٤٦٠	التحريض
٦١	المتواتر	٦١	التخييل
٦٢	المساواة	٦٤	الترديد
٦٦	الهزل الذي يراد به الجد	٥٥	الترصيع

الكتب الواردة ذكرها في متن الكتاب

٢٩٥	كتاب الصعيحين	أسنى الوسائل في مختار الشعر والرسائل ٤٠١
٢٩٦	الطالع السعيد	الإكمال للقاضي أبي الفضل ٤٧-٤٨-٤٩
٨١ ، ٧٨	فريد العصر من شعر بني نصر	الإنجيل ٣٠ - ٣٨١ - ٤١٣
٨٣ ، ٥٨ ، ٥٣ ، ٤٥ ، ٣٧	القرآن الكريم	البردة (قصيدة) ٣٧٠
٤٢ ، ٤١٣ ، ٣٩٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦		تاريخ ابن أبي زرع المعروف بالأنيس
٢٦٨	كتاب ابن الحاجب	المطرب بروض القرطاس في أخبار
٢٢٥	كتاب سيدي	ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ٣٥٩
٣٦٧ ، ٣٥٩	المدونة	تهذيب الكمال ٢٩٥
٤١٧	مقامات الحريري	التوراة ٣٨١
	المنتخب درر السلوك في شعر الخلفاء	الجلاب ٣٦٧
١١٤	الأربعة والملوك	جلس الأديب وأنيس الغريب ٢٧٠
٢٩٦	الموطأ	حرز الأمان ٤٢١
٧١	نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان	حلية الأولياء ٢٩٦
٤٢٦	اليتيمة (للثعالي)	الرسالة ٣٦٧
		سقط الزند ٢٩٦

فهرس أبواب الكتاب

- مقدمة المحقق ١٣ - ٣
- مقدمة مؤلف الكتاب ٢٩ ١٩
- الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد (٦٦ - ٣١)
٣١ - ٤٢ في فضل الشعر ، ٤٢ - ٤٦ في إباحة إنشاده ٥١ - ٥٦
المذموم من الشعر ، ٥١ - ٥٢ ما لا بد للشاعر من معرفته
ألقاب البيان والبديع . ٥٣ - ٦٦
- الباب الثاني : فيما بلغنا من شعر كتاب بني - وبن ملوك المغرب (٦٧-٧٥)
٦٧ أمير المسلمين أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب
٦٩ أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس بن علي أبو عنان
٧١ أمير المسلمين عبد العزيز بن علي
٧٢ الأمير منصور بن عمر بن عثمان
٧٣ الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين
- الباب الثالث : في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر
قومي وأبنائهم (٩٥ - ٧٧)
٧٧ أمير المسلمين محمد بن إسماعيل بن محمد
٨١ الرئيس إسماعيل بن أبي سعيد فرج
٨١ الرئيس محمد بن يوسف (أخو المؤلف)
٨٤ ترجمة المؤلف إسماعيل بن يوسف

● الباب الرابع : في شعراء ملوك الموحدين الحفصيين

وأبنائهم (٩٧ - ١٠٨)

- ٩٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر بن إسحاق
- ٩٨ أمير المؤمنين أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
- ١٠٢ ابنه أمير المؤمنين أحمد
- ١٠٥ أخوه أمير المؤمنين عمر
- ١٠٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي زكريا يحيى
- ١٠٨ الأمير زكريا بن أبي محمد عبد الواحد

● الباب الخامس : في شمر ملوك بني زيان من بني عابد

الوادي وأبنائهم (١٠٩ - ١١٧)

- ١١٠ أمير المسلمين موسى بن يوسف
- ١١١ الأمير يوسف بن عمر بن يعقوب
- ١١٤ محمد بن أبي سرحان مسعود

● الباب السادس : في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم (١١٩ - ١٢٤)

- ١٢٠ الأمير محمد بن يحيى
- ١٢١ ابنه أبو يحيى محمد

● الباب السابع : فيما بلغنا من شعر كتاب قومي

بني الأحمر ملوك الاندلس (١٢٥ - ١٣٠)

- ١٢٥ ذو الوزارتين علي بن محمد بن الجيتاب

● الباب الثامن فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر

من بني نصر ملوك الأندلس (١٢١-١٤٣)

١٣١ الفقيه الكاتب أحمد بن إبراهيم بن صفوان

١٣٧ الفقيه الخطيب عبد الحق بن محمد بن عطية

● الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا

الأندلسية وفقهائها (١٤٥ - ٢٢٢)

١٤٥ الفقيه الكاتب محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي)

١٥٠ الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسني (الأحمير المالقي)

١٥٦ الفقيه القاضي محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البلفيقي)

١٦١ الفقيه الكاتب محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي

١٦٥ الفقيه الكاتب أحمد بن محمد بن جزري الكلبي

١٧٠ الفقيه الكاتب علي بن عبد الله بن الحسن الجذلمي (القاضي النباهي)

١٧٥ الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة)

١٨٦ الفقيه الخطيب فرج بن قاسم بن لب التغلبي (ابن لب)

١٩٦ الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشديدي

٢٠٠ الفقيه الضرير محمد بن أحمد بن جابر الهواري

٢٠٥ الفقيه الحاج إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوموي

● الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين (٢٢٣ - ٢٥٢)

٢٢٣ الفقيه الكاتب عبد المهيمن بن محمد الحضرمي

٢٢٦ الفقيه الرئيس محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

٢٤٧ الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان

٢٤٩ الفقيه الكاتب علي بن محمد بن مسعود الخزاعي

- ٢٥٣ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن قادرات
- ٢٥٤ الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزنائي
- ٢٥٥ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني
- ٢٦٢ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني
- ٢٦٤ الفقيه الكاتب شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العثماني
- ٢٦٦ الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين
- ٢٦٨ الفقيه القاضي علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
- ٢٧٧ الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي
- ٢٨٣ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن جزوي الكلبي
- ٢٩٧ الفقيه الكاتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
- ٣١٠ الفقيه القاضي يحيى بن محمد بن محمد بن البغلة الأموي
- ٣١٤ الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي

● الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهائها (٢٥٥)

- ٢٥٥ الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي
- ٢٥٨ الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
- ٢٦٦ الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية الواشريسي
- الفقيه القاضي الخطيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
- ٣٧٠ ابن رشد الأموي
- ٣٧٢ الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي
- ٣٩٦ الفقيه الأستاذ المقرئ عبد الله بن محمد البكري
- ٣٩٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن عمر بن توقرت التينملي
- ٣٩٨ الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ

- ٤١٤ الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلفي
 ٤١٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 ٤٢٧ الأستاذ النحوي المقرئ علي بن محمد بن عمر الصنهاجي
 ٤٣١ الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي
 ٤٣٢ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي
 ٤٣٦ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد
 ٤٤٢ الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد الشوكي
 ٤٤٦ الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي
 ٤٤٨ سعيد بن إبراهيم السدراتي

● الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف

الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس (٤٥١ - ٤٦١)

- ٤٥٢ - ٤٥١ السبب في وضع السيف ، وتسمية واضعه
 ٤٥٢ أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري ، أبو المكارم منديل بن أجروم
 محمد بن محمد الريب - محمد بن عبد الرحمن التاوري - أبو زيد عبد
 ٤٥٤ الرحمن الصنهاجي المليبي
 أبو العباس أحمد الخزرجي الدباغ - أبو الوليد إسماعيل بن فرج
 ٤٥٥ ابن إسماعيل بن الأحمر
 ٤٥٦ محمد بن باشر التسولي - منديل بن أجروم
 ٤٥٩ مسعود بن أبي طلاق - أبو زيد بن عبد الرحمن المكودي
 أبو العلي إدريس بن رشيد الفهري - عبد الغفار البوخلفي - أبو محمد
 ٤٦٠ بن علي الفخار الحياك (الحياك ؟)
 ٤٦١ أبو عثمان سعيد السدراتي

تراجم الكتاب

منسوقة على الحروف الهجائية

٤٤٦	إبراهيم بن علي العباسي ، الفقيه العدل
٢٠٥	إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي الفقيه الحاج
٢٥٤	أحمد بن شعيب الجزائلي الفقيه الكاتب
١٧٥	أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة الفقيه الكاتب)
١٣١	أحمد بن إبراهيم بن صفوان - الفقيه الكاتب
١٠٢	أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٩٨	أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ ، الفقيه الكاتب
١٦١	أحمد بن محمد بن جزي الكلبي - الفقيه الكاتب
٣١٤	أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المذان الخزرجي الفقيه الكاتب
٨٠	إسماعيل بن يوسف أبي سعيد فرج ، الرئيس
٨٤	إسماعيل بن يوسف (المؤلف)
٩٨	أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٦٦	الحسن بن عثمان عطية الوانشريسي الفقيه القاضي
٢٦٦	حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين الفقيه الكاتب
١٠٨	زكريا بن أبي محمد عبد الواحد (الأمير)
٤٤٨	سميد بن إبراهيم السدراتي (شهبون)
٢٦٤	شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العثماني ، الفقيه الكاتب
نشر الجمان - ٣٣	

- ١٣٧ عبد الحق بن محمد بن عطية ، الفقيه الخطيب
- ٣٧٢ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ، الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٩٧ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الفقيه الكاتب
- ٣٧ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي الفقيه القاضي الخطيب
- ٧١ عبد العزيز بن علي - أمير المسلمين
- ٤١٤ عبد الغفار بن موسى البوخلفي ، الفقيه
- ٣٩٦ عبد الله بن محمد البكري ، الفقيه الأستاذ المقرئ
- ٢٣٣ عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الفقيه القاضي
- ٢٢٣ عبد المهيمن بن محمد الحضرمي الفقيه الكاتب
- ١٥٠ علي بن أحمد الحسني (الأخير المالقي) الفقيه الخطيب
- ٣٧ علي بن بدر الدين ، أبو الحسن
- ١٥٠ علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي القاضي النباهي الفقيه الكاتب
- ٦٧ علي بن عثمان - أبو الحسن - أمير المسلمين
- ١٢٥ علي بن محمد بن الجياب (ذو الوزارتين)
- ٢٦٨ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي - الفقيه القاضي
- ٤٢٧ علي بن عمر الصنهاجي - الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٤٩ علي بن محمد بن مـ هود الخزاعي - الفقيه الكاتب
- ١٠٥ عمر بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم - أمير المؤمنين
- ١٨٦ فرج بن قاسم بن لب التغلي - الفقيه الخطيب
- ٢٤٧ القاسم بن يوسف بن رضوان - الفقيه الكاتب
- ٤٣٢ محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي - الفقيه العدل
- ٢٠٠ محمد بن أحمد بن جابر الهواري الفقيه الضرير

- محمد بن أحمد الحسيني (الشريف الفرناطي) الفقيه الكاتب ١٤٥
- محمد بن أحمد بن شاطر الجمعي - الفقيه القاضي الصوفي ٤٣١
- محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي - الخطيب القاضي ٣٥٨
- محمد بن أحمد المكودي - الفقيه الصوفي ٤٣٦
- محمد بن إسماعيل بن محمد - أمير المسلمين ٧٧
- محمد بن أبي بكر بن إسحاق - أمير المؤمنين ٩٧
- محمد بن أبي زكريا يحيى - أمير المؤمنين ٢٠٧
- محمد بن أبي سرحان مسعود ١١٤
- محمد بن عبد الحكيم بن تاورارت - الفقيه الكاتب ٢٥٣
- محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثاني الفقيه الكاتب ٢٥٥
- محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي - الفقيه القاضي ٣٥٥
- محمد بن عمر بن توقرت التينملي - الفقيه الأستاذ النحوي ٣٩٦
- محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي الفقيه الكاتب ١٦١
- محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي - الفقيه الكاتب ٢٨٣
- محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البليقي) الفقيه القاضي ١٥٦
- محمد بن محمد بن الشديد (الفقيه الحاج) ١٩٦
- محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الفقيه الرئيس ٢٢٦
- محمد بن محمد بن أبي مدين العثاني ، الفقيه الكاتب ٢٦٢
- محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي - الفقيه الأستاذ النحوي ٤١٦
- محمد بن محمد بن يحيى أبو يحيى ١٢١
- محمد بن يحيى (الأمير) ١٢٠

- ٤٤٢ محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي (الفقيه)
 ٨٣ محمد بن يوسف (أخو المؤلف) الرئيس
 ٧٢ منصور بن عمر بن عثمان (الأمير)
 ٢٧٧ يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي (الفقيه الكاتب)
 ١٣٠ يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي (الفقيه القاضي)
 ١١١ يوسف بن عمر بن يعقوب (الأمير)

الشعراء الذين أنشدوا شعراً في سيف صومعة جامع القرويين

- ٤٥٥ أحمد بن محمد الخزرجي الدباغ
 ٤٥٦ أبو العلي إدريس بن يحيى بن رشيد الفهري
 ٤٥٦ أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر
 ٤٥٣ أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٦١ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم السدراي (شهبون)
 ٤٥٩ أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي
 ٤٦٠ أبو محمد عبد الفغار البوخلقي
 ٤٥٦ أبو الفضل محمد بن باشر التسولي
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري
 ٤٥٤ محمد بن عبد الرحمن الخزرجي التاوري
 ٤٥٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الربيب
 ٤٦٠ أبو محمد بن علي للفغار الحياك
 ٤٥٩ مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق
 ٤٥٣ (منديل) محمد بن محمد بن محمد بن أجروم

تراجم أندلسية ومغربية

وردت في حواشي الكتاب

٤٣٣	أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي
٧٧	بنو الأحمر = بنو نصر
٢٨٣ ، ١٦٥	بنو جزى
٦	الجند الغربي
٣٩٤	حازم بن محمد بن حسن القرطاجني
٩٧	بنو أبي حفص (الحفصيون)
١٠٩	بنو زيان = بنو عبد الوادي
٢٦٤ ، ٢٥٧	سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي الإشبيلي
٢٦٠	أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبتي
٤٢٤	أبو بحر صفوان بن إدريس النجيني المرسي
١٣٧	(أبو محمد) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي
٢٣٦	أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني
٤٤٠	أبو محمد عبد الله الأوربي
١٠٩	بنو عبد الوادي = بنو زيان
١١٩	بنو العزفي
٤٤٣	عمر بن عبد الله الياباني

٢٣٤	أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف
١٦٥	أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزري
١٩٠	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
١٢٩	(لسان الدين بن الخطيب) محمد بن عبد الله بن الخطيب
١٩٠	أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبقي
٣١٦	أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد خديس
٨٠	أبو القاسم محمد بن قطبة الدومسي
٤١٧	محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
١٢٦	الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد الملقب بالخلوع
٧٠	أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني (الجد)
٤٢٥	أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي الغساني
٨٥	الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر
٢٥٥	بنو أبي مدين العثماني
٦٧	بنو مرين
٢٣٦	المولديات (احتفال المغاربة والأندلسيين بالمولد النبوي)
٧٧	بنو نصر = بنو الأحمر



فهرس المصادر والمراجع.

- ابو المطرف بن عميرة الخزومي - د . بنشريفه - المغرب
الإحاطة في أخبار غرناطة - ابن الخطيب - مصر جزآن
الإحاطة - بتحقيق أ . عنان - الجزء الاول
الاستبصار - لمجهول - ط الاسكندرية .
الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى - الناصري السلاوي - الطبعة الثانية -
أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري - السقا ورفاقه -
الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية
أعمال الأعمال - لسان الدين بن الخطيب - قسم الأندلس - تحقيق : ل . بروفنسال
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الثقافة - بيروت
ألف باء لأبي الحجاج البلوي - جزآن - ط القاهرة .
الإيضاح للقزويني (بعناية محي الدين عبد الحميد) - القاهرة
إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي
البداية والنهاية لابن الأثير - ط القاهرة
بغية الرواد - يحيى بن خلدون - ٣ أجزاء - الجزائر .
بغية الوعاة للسيوطي الطبعة الثانية - القاهرة .
البلاغة تطور وتاريخ - د . شوقي ضيف - دار المعارف بمصر .
البيان النبوي - د . عدنان زرزور - دمشق .
تاج المفرق بتعليق علماء المشرق - لأبي البقاء البلوي - (مخطوطة خاصة)
تاريخ الأدب العربي - بروكلمان (النسخة الألمانية)
تاريخ ابن خلدون = المعبر = ٧ أجزاء ط القاهرة .

* لم أثبت المعاجم المعتمدة ، وإن كان اعتادي - في الأكثر - على القاموس .

- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء - القاهرة .
- تاريخ قضاة الأندلس = المراقبة العليا للقاضي أبي الحسن النباهي - تحقيق ل. بروفسال - القاهرة .
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - د. محمد رضوان الداية - بيروت
- التبيان لابن الزملكاني - ط بغداد
- تحرير التعبير لابن أبي الإصبع - ط القاهرة - بعناية حفي شرف .
- التسهيل لعلوم التنزيل - لابن جزي - تحقيق د. عدنان زرزور و د. محمد رضوان الداية - طبع بيروت .
- التعريف بابن خلدون - بقاءه - ط القاهرة - بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي .
- تفسير القرطبي = الجامع لعلوم القرآن = ٢٠ جزءاً - ط القاهرة .
- التلخيص للقزويني - ط القاهرة .
- جذوة الاقتباس لابن القاضي - ط المغرب .
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم - دار المعارف بمصر -
- جنى الجنيتين للمحيي - ط القاهرة -
- خزانة الأدب للبغداي - الطبعة الأولى - وط السلفية - و ط هارون
- درة الحجال في أسماء الرجال - ابن القاضي - ط القاهرة .
- الدرر الكامنة لابن حجر - ط القاهرة .
- الديباج المذهب لابن فرحون (ط ابن شقرون - القاهرة) .
- ديوان الأعشى - ط القاهرة - تحقيق د. حسين .
- ديوان امرئ القيس - ط القاهرة - بشرح الأعلام الشنتمري .
- ديوان أمية بن أبي الصلت - تحقيق د. السطلي .
- ديوان البحتري (القاهرة) تحقيق الصيرفي .
- ديوان بشار بن برد - ط القاهرة - تحقيق ابن عاشور .

- ديوان أبي تمام - القاهرة - تحقيق د . عزام
- ديوان جرير - تحقيق الصاوي بمصر -
- ديوان = شعر = النابغة الجعدي - ط دمشق .
- ديوان ابن الجباب (مخطوطة خاصة) .
- ديوان حسان بن ثابت (ط البرقوقي بمصر)
- ديوان ابن خاتمة - تحقيق د . الداية - دمشق .
- ديوان لسان الدين بن الخطيب - الجزائر .
- ديوان الحنساء ط بيروت
- ديوان دعلب الخزاعي - تحقيق د . الأشتر .
- ديوان ابن الرومي (ط الكيلاني - القاهرة) .
- ديوان زهير بن أبي سلمى - ط دار الكتب المصرية -
- ديوان سحيم عبد بني الحساس (ط دار الكتب المصرية) .
- ديوان طرفة بن العبد - سلفسون - باريس
- ديوان العباس بن الأحنف (ط الجوائب) .
- ديوان العباس بن مرداس (جمع الأستاذ الجبوري - بغداد) .
- ديوان ابن الفارض - ط مصر - بلا تاريخ -
- ديوان كثير عزة بتحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
- ديوان كعب بن زهير (ط دار الكتب المصرية) .
- ديوان محمد بن عمار المهري (ط بغداد) .
- ذكريات مشاهير المغرب - الأستاذ كنون - بيروت
- رحلة أبي البقاء البلوي = تاج الفرق .
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - الشريف الغرناطي - ط مصر
- رقم الحلل في نظم الدول - ابن الخطيب - تونس .

- الروض المطار للحميري - تحقيق د . عباس - بيروت
 روضة النسرین لابن الأحمر - المطبعة الملكية بالرباط -
 ريحانة الكتاب ونجمة الكتاب لابن الخطيب - مخطوطة القاهرة -
 سلوة الأنفاس - للكتاني -
 السيرة النبوية لابن هشام - السقا ورفاقه .
 شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف - القاهرة -
 صحيح البخاري = فتح الباري .
 صحيح مسلم بشرح النووي .
 العقد لابن عبد ربه - أحمد أمين ورفاقه - القاهرة .
 العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق - ط الخانجي .
 فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني - ط مصر .
 الكامل للمبرد - مطبعة نهضة مصر -
 الكتيبة الكامنة لابن الخطيب - د . إحسان عباس بيروت .
 كشف الحفا ومزيل الإلباس للعجلوني ط مصر
 لسان الدين بن الخطيب - الأستاذ عنان - القاهرة
 كناسة الدكان لابن الخطيب - القاهرة -
 اللحة البدرية في الدولة النصرية - المطبعة السلفية بمصر -
 المرقبة العليا = تاريخ قضاة الأندلس .
 مستودع العلامة - لابن الأحمر - (ط المغرب) .
 مشاهدات لسان الدين - ط مصر بعناية د . العبادي
 معجم البلدان لياقوت - ط بيروت
 معجم الشعراء للمرزباني - عبد الستار فراج .
 معجم المؤلفين - كحالة - دمشق .
 معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - لزამباور - القاهرة - (مترجم) .

- معجم ما استعجم للبكري (تحقيق السقا) مصر
 المملقات بشرح التبريزي - مصر
 معيار الاختبار للسان الدين بن الخطيب (مصر)
 المقاصد الحسنة للسخاوي
 النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون - بيروت -
 نشر فرائد الجمان لابن الأحمر (د . الداية) ط بيروت -
 نفاضة الجراب لابن الخطيب (ط القاهرة) .
 نفح الطيب للمقري - تحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
 نقد الشعر لقدامة - ط الآستانة -
 نهاية الاندلس - أ . عنان - الطبعة الثانية
 النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - الطناحي ورفيقه - مصر
 نيل الابتهاج لأحمد بابا (على ذيل الديباج) .
 هدية العارفين - إسماعيل البغدادي - استانبول - .



للمحقق

• في سلسلة دراسات أندلسية

- ١ - تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (دراسة) - دار الأنوار (بيروت)
- ٢ - المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني - الطبعة الأولى - دار الأنوار (بيروت - دمشق)
الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي بدمشق .
- ٣ - مختارات من الشعر الأندلسي - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي - دمشق -
الطبعة الثانية (المكتب الإسلامي بدمشق) .
- ٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري (تحقيق) صدر عن وزارة الثقافة بدمشق .
- ٥ - الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السيد البطليني (تحقيق)
نشر دار الفكر بدمشق .
- ٦ - شرح مشكل شعر المتنبي - لابن سيدة الأندلسي (تحقيق) نشر دLR
المأمون بدمشق .
- ٧ - ديوان أبي إسحاق الإليري - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت - دمشق) .
- ٨ - أعلام المغرب والأندلس وهو كتاب « نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه
الزمان » لابن الأحمر .
- تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت)
- ٩ - ديوان ابن عبد ربه (جمع وتحقيق) - مؤسسة الرسالة

● في سلسلة الدخائر :

- ١ - ابن خفاجة (دراسة) نشر المكتب الإسلامي - دمشق
- ٢ - أبو البقاء الرندي (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- ٣ - ابن زيدون (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .

● في المكتبة الأندلسية :

- ١ - إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي (تحقيق) نشر دار الثقافة - بيروت .
- ٢ - نثر فرائد الجمان لابن الأحمر - (تحقيق نص أندلسي) + دراسة عن المؤلف وأدبه وكتابه - دار الثقافة - بيروت .

● بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عدنان زرزور

- ١ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقي البغدادي (تحقيق) نشر وزارة الأوقاف بالكويت .
- الطبعة الثانية - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٢ - تفسير ابن جزي الغرناطي - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت

● أعمال أخرى

- ١ - أعلام الأدب العباسي (تراجم واختيارات) نشر دار الفارابي - دمشق
- ٢ - ابن زيدون (محاولة لإعادة النظر في دراسة شخصيته وشعره) بحث قدم إلى مهرجان ابن زيدون في ذكره الألفية بالرباط (المغرب) - منهج جديد للدراسة .